مدخل الى الجنولوجيا

منشورات أكاديمية جنولوجي

أسم الكتاب: مدخل الى الجنولوجيا

اعداد: أكاديمية جنولوجيا

التدفيق والتنقيح اللغوي: لجنة التدقيق لأكاديمية جنولوجيا

الطبعة الثانية 2020

Jineoloji.org

تمهيد.....9

الفصل الأول:

- لمَ نحن بحاجة إلى الجنولوجيا؟.....23
1- لبلوغ سر الحياة.....26
2- لبناءٍ صحيحٍ للحياة التشاركيّة الحرّة.....27
3- من أجل تنوير المرأة.....49
4- لنظريّةٍ علميّةٍ تصل إلى تكوين المجتمع الحرّ والفرد الحرّ.....51
5- لإحداث ثورةٍ في العلوم الاجتماعيّة.....62
6- لتطوير أسلوب بحثٍ يتوافق وحقيقة المرأة.....69
7- لإيصال "انتفاضة المُستعمَرة الأقدم" إلى النصر.....97
8- الجنولوجيا لمناهضة الجنسويّة التي هي إيديولوجيّةٌ سلطويّة.....112
9- لدفاعٍ جوهريٍّ لا يتقهقر.....115

الفصل الثاني

- ما هي المرأة؟ وما هي الجنولوجيا؟.....121
- المرأة في اللغات الأخرى 122
- الرحلة نحو الذات.....124

الفصل الثالث

- تنقيبٌ أثري (أركولوجي): 9 طبقات في 9 آلاف سنة.....133
1- الطبقات الثلاث الأولى: عصر الآلهات.....136
2- الطبقة الرابعة: ليليت.....146
3- الطبقة الخامسة: سيدة الضلع.....151
4- الطبقة السادسة: الآلهات المصنوعة بيد الرجل.....154
5- الطبقة السابعة: الجذور المقاومة للإلهة – السيّدة (ربّة البيت).....159
6- الطبقة الثامنة: المرأة النبية.....161

7- الطبقة التاسعة: السيّدة المَتاع.....170

الفصل الرابع

- "تكوين الذات" عبر الجنولوجيا 183
- علم المرأة: الجنولوجيا.....187
- الجنولوجيا التي تنبع من تجربة بحثنا عن الحياة ذات المعنى.....210

الفصل الخامس

- دلالات نشاطات الجنولوجيا.....243
1- الأخلاق والجمال.....247
2- الاقتصاد.....256
3- التركيبة السكانية(الديموغرافيا) 262
4- علم البيئة (الإيكولوجيا) 268
5- التاريخ.....273
6- الصحة.....276
7- التربية والتعليم (التدريب) 280
8- السياسة.....286
- الخلاصة.....293
- المصادر..... 297

تمهيد

قبل آلاف السنين، قام أسلافنا في ظروفٍ قاسية بإنجاح ثورة القرية التي تركت بصمتها في تاريخ البشرية وضمنت ديمومة وجود حياة البشرية. ونحن، أحفادهم، نقوم بإمكانياتنا التي لا نظير لها بتطوير **الجنولوجيا**. إنّنا بوعينا وروحنا وقوة إحساسنا وفكرنا، نقوم بإحياء الإنسانية ونسويتنا وفقاً لجذورنا. ويُعتبر ظهور فكر الجنولوجيا في الشرق الأوسط المتأسّس حول المرأة المبدعة وخالقة الحَيَوَات، مرتبطاً بتلك الجذور. هذه الأرض القديمة احتضنت جميع البدايات الإيجابيّة للمرأة. كما أنّها احتضنت أضرار جميع البدايات السلبيّة التي خاضتها المرأة.

إن ّأولى الأماكن التي اعتلت فيها المرأة عرش الآلهة كانت تلك، كما وأنها الأماكن التي خلعت المرأة لأوّل مرةٍ عن عرش الآلهة. وطوّرت المرأة الحقوق الاجتماعيّة التي كانت الأم مركزها في هذه المنطقة. وفي هذه المنطقة أيضاً واجهت المرأة لأول مرةٍ الذل والانكسار من قبل النظام الذكوري(الأبوي). وتمتلك الميثولوجيا، والدين، والفلسفة والعلم العديد من المعطيات التي تثبت هذه الحقيقة. إنّ الشرق الأوسط شاهدٌ على أن المرأة بعثت الحياة في منطقة بين نهرين؛ كما وأنه شاهدٌ على المرأة التي قُتلت ومُزّقت بيد ابنها، التي خُلقت الأرض والسماء من جثمانها وتدفّق نهرا دجلة والفرات من دموعها. تربّعت النساء في هذه الجغرافيا لعشرات آلاف السنين على عرش الآلهة. وهي منذ خمسة آلاف سنةٍ تحيا تحت أقدام جميع أولئك الذين استولوا على العرش. لكنها لم تفقد تلك الجذور المقاومة والحيّة التي تنبض بحبٍّ حرّ. إنّ الجنولوجيا تتطور بهذه الجذور المقاومة.

بقدَر بحثنا وفهمنا لإخفاقات المرأة، نجاحاتها وفشلها، وكلّ حالاتها الروحيّة، وفي الهويات الشخصيّة التي خاضتها المرأة والموجودة منها وتلك التي يجب ان تُنشأ، وفي وجود وكفاح المرأة، ستقوى هذه الجذور المقاومة وستنمو بشكلٍ أكبر. في الشرق الأوسط المُثقل بالمآسي الاجتماعية والذي أُنشئ بكدح المرأة، ومقابل إيديولوجيا الجنسويّة الاجتماعيّة، فإنّ مناقشة الجنولوجيا، تثبت بشكلٍ علني القوّة المجتمعيّة التي تمثل المرأة مركزها كمكوّنٍ مناهضٍ للقوى الاجتماعية.

ووفقاً للأبحاث العلميّة الجاريـة حتـى الآن، فـإنّ بدايـة النشـأة المجتمعيّـة كانـت قبـل سـبعة ملايـين سـنةٍ، علـى خـط صـدع شـرق أفريقيـا، وانتشـرت فـي كافـة أرجـاء المعمورة قبل خمسين ألف سنة، بدءاً مـن قـوس طـوروس-زاغـروس؛ وخـلال هـذه النشأة أصبحت المرأة العنصر الأقوى والظاهرة التي لعبت دور المرشد لبدء الحياة. في النضال الوجودي لأولى المجموعات البشرية، فـإنّ المـرأة بـوعيٍ رقيـق، ودأبٍ في المقاومة، بقلبٍ وروحٍ متلهفين، وفـي كافـة الظـروف، أصـبحت القـوّة الأساسـيةّ للحياة من أجل المجتمعات التي كانت تعيش ضمنها. لذلك كانت مقدّسـة. فـي العديـد من مناحي الحياة، ولاتصاف المرأة بالقوّة الخلاقة والوعي وقوة الكدح، جاءت معها بالكثير من النتاجـات والإضـافات القيميّـة الماديّـة والمعنويّـة. وأسّسـت النسـاء بهـذه الإضـافات التقنيـة والعلميـة والأدبيـة والفنيـة والدينيـة والفكريـة، مرحلـة النيوليتيـك وطوّرتها، وأوجدت الحلول الثورية لكافة التفاصيل والاحتياجـات الحياتيـة. وجنّبـت المرأة بقلبهـا وفكرهـا الصـعوبات التـي تواجـه وجـود المجتمـع وتقمعـه، كمـا وأنّهـا استطاعت أنّ تطوّر وتوسّع وتجذّر الحياة الاجتماعيّة فـي الشـرق الاوسـط بصـفاتها الاخلاقيّة والسياسيّة.

في الميثولوجيا السومرية يُقال أنّ قوانين إنانا الـ 104هي في جوهرها علم وتقنيـات المرحلة النيوليتية. هي ثقافة، وفنون، وفلسفة تلـك المرحلـة. هـي أدوات الحضـارة. وتأسّست من خلال علم الإلهة الأم وخصائصـها القويّـة التـي لا تحصـى. وسيصـبح علم الجنولوجيا في يومنا هذا إعادة لإحياء معارف الأم الإلهـة. وسـيكون هـذا العلـم اتصالاً مع علم القائد عبد الله أوجلان الذي يقول فيه: "هي علوم الآلهات المحدّثة في الشرق الأوسط..." انطلاقـاً مـن المؤسّسـات الاجتماعيّـة وحتـى القواعـد، والتقنيـات والفن، إنها الـ 104 قوانين ذات الصلة مع كافة النواحي الحياتيّة، التي كانت السـبب في الحرب بين الإلهة إنانـا والإلـه آنكـي، والجنولوجيـا هـي العلـم الـذي يـدّعي بأنـه سيظفر بإيصال هذه الحرب إلى النتيجـة. وستصـبح ذلـك العلـم الـذي سيحصـل مـن جديدٍ على القوانين التي سُلبت منه ويطوّرها، أي "التقنيات النيوليتية التـي تمأسّسـت حول المرأة".

الشرق الأوسط هي المنطقة التي أنشأت فيها لأول مرة ثقافة الآلهات، وكذلك هي المنطقة الأولى التي هُدمت فيها نفس الثقافة على أساس إنكار وقتل وتغريب المرأة. هذا الهدم أدّى إلى بروز قضية المرأة التي نستطيع القول بأنّها المشكلة والقضية الاجتماعية الأولى. علم المرأة (الجنولوجيا) هو علمٌ يدّعي بأنه يستطيع إيجاد وتطوير الحلول للقضية الاجتماعية الأولى. ومن أجل ذلك سيبحث عن الأجوبة الأساسيّة الحرّة عن كافة الظواهر ذات الصلة بالمرأة ومسائل العلاقة بين المرأة والرجل، كما أنه سيبحث في الأنثوية والذكورية المصطنعة، والمفاهيم الحالية للجنسوية المتدرجة حسب التقاليد الموروثة، وسيحقق التحليلات العلميّة. وسيطوّر الطرق والأساليب التي تؤدي إلى الحرية، بالوجود الإنساني للمرأة والرجل. إنّ الجنولوجيا هي العلم الذي يحمل هذا الادّعاء.

إنّ العلم والتكنولوجيا، الثقافة والفن والفكر والدين والعديد من المؤسّسات التي نُظمت حول المرأة في العصر النيوليتيي، انهارت بحملات "الرجل المتسلط والماكر". هذا "الرجل المتسيّد والمخادع" دمّر كل دعائم المؤسّسات المادية والمعنوية للحياة الاجتماعية التي كانت متطوّرة حول المرأة، وأعتمها وشوّهها وسلبها من ذاكرة المجتمع، ونظم نفسه مكانها. وأسّس الدولة وجميع علوم ومعارف السلطة، الميثولوجيا والدين والفسلفة والعلم، بالعقل الذي طوّره وفقاً للنظام الأبوي. ولعَن كلّ مقدسات الحياة الاجتماعيّة التي تأسّست حول المرأة. وسلب كافة القيم وموروثات الماضي وأخرجها من جوهرها ونقلها وبنى عليها مقدساته. كان يغيّر هذه المقدّسات بحسب مراحل التاريخ. لكنّ ترتيبها لم يكن يتغير قط. وكان ينبغي على المرأة ألا تستفيد من الانتصارات الماديّة والمعنويّة مرة أخرى بأيّ شكلٍ من الأشكال، فتمّ وضع جميع الشيفرات الموجودة والمعايير الدقيقة والدعايات المغرضة وفقاً لهذه المقاييس. فحياة الجنة تلك التي تطورت حول المرأة كانت يجب أن تخرج من ذاكرة الناس. وكان يجب أن لا يُذكر أنه في وقتٍ ما كان هناك عصرٌ للآلهات. كان يجب أن يُنسى ذلك النظام الاجتماعي الذي قد خلقته النساء وأدرن نظامه.

عمل عقل الرجل المسيطر في فترة الخمسة آلاف سنةٍ هذه بشكلٍ مستمر وبدون انقطاع، ومازال يعمل من أجل هذه الغاية. والإنسان الذي يعمل بهذه العقلية لا يُؤمل

منه أن يعترف بوجود المرأة ويُعرّفها ويراها ويعطيها قيمة وأهمية، لا في ميادين الحياة الاجتماعيّة ولا في المؤسّسات الفكريّة أيضاً. ففي الأساس كان وسيكون كذلك. فهل يمكن لعلمٍ يعتبر الوجوديّة والوضعيّة كأمرٍ إلهي أن يعطي مكاناً لكائنٍ ووجودٍ تمّ لعنه من الناحية الميثولوجية والفلسفية والدينية، واعتبروها رفيقة للشيطان أيضاً؟ لا! وبالنتيجة لم يُعطها أيضاً أي شيء. وتمّ النظر إلى وجود المرأة وهويتها ونضالها ونشاطها وانتفاضتها واكتشافاتها، كأمورٍ غريبةٍ غير مألوفة من قِبل عالم المعرفة، ولا يزال الغموض يشوبها إلى الآن. وفي هذا الميدان تم إنكار جهد المرأة المكشوف والمخفي منه أيضاً، ومازال هذا الإنكار مستمراً. ولهذا السبب فإنّ العلوم الاجتماعية، وعلم الاجتماع، لم تر أنّ طبيعة المرأة التي تشكل جزءاً مهماً ضمن الطبيعة الاجتماعية، تستحق البحث والتمحيص حتى يومنا هذا. وفي مناهج العلم المختلفة، وإنْ كانت قد قدِّمت بعض الأبحاث والأطروحات غير المكتملة بخصوص المرأة بناءً على أفكارٍ خاطئة، إلا أنّ العلم لم يتناول المرأة كوجودٍ بشكلٍ عامّ. ولهذا السبب فإن التقرّب من ميدان العلم بتركيبة الذكاء التحليلية والعاطفية، هو إدعاءٌ وهدفٌ للجنولوجيا. حيث ستتناول وجود المرأة بشكلٍ علمي وتبدأ به. فالجنولوجيا، تأتي من النقد القائل لماذا لم يفكر العلم الاجتماعي بعلم المرأة كمنهج (معارف قابلة للتدريب) ولم يطوّره خلال هذه السنين. ولماذا لا تحتل المرأة التي هي جوهر الطبيعة الاجتماعية والتي خلقت المجتمع، مكانها بقدر أقسام العلوم الاجتماعية الأخرى ضمن علم الاجتماع، وتخضعها للتحقيق وتتطوّر. والجنولوجيا هي ذلك العلم الذي يدرك بأنّ المرأة بقدرٍ ما هي العنصر الأساسي ضمن المجتمع، فلماذا لم تصبح قضية وموضوع أبحاث العلوم الاجتماعية. وهذه نتيجةً لحقيقة النظام المُؤسَّس وفقاً لعقلية الرجل المتسيّد. فالجنولوجيا، هي ذلك العلم الذي يوضح أهدافه، أبحاثه وتحليلاته وفقاً لهذه الحقيقة.

إنّ كلّ العلوم والأفكار الجديدة التي تتطوّر، تجلب معها الإحساس بروح العصر أيضاً. فالجنولوجيا التي هي علم القرن الحادي والعشرين، ستجلب معها روح ثورة المرأة. وستفتح المجال أمام ثورة المرأة وتتبناها، كما ستتأثر بهذه الثورة وتعتمد عليها (أي تستمد القوة منها). بينما تريد الرأسماليّة بأمر "اضربوا النساء أولاً" (3) أن تربط القرن الحادي والعشرين بقتل النساء، ولكن بنداء القائد عبد الله أوجلان "

حرّروا النساء أولاً" يُربط هذا القرن بإحياء وانبعاث الوجدان والضمير وبحياة المرأة. وستتطوّر الجنولوجيا بهذا الضمير. وبمقولة القائد عبد الله أوجلان "حركة المرأة هي حركة القرن الحادي والعشرين. وحركة المرأة هي موضوع القرن الحادي والعشرين. فإذا خرجت الإنسانية بإنجازٍ مهم من اليوم فصاعداً، فستحصّل هذا الإنجاز من أعماق المرأة. وفي يومنا هذا، يستوجب القرن الحادي والعشرين وضع مقدمةٍ لثورة المرأة". إنّ شعار 'إمّا الحياة وإمّا التوحش' يفرض هذه الثورة. وبقدر حاجة مجتمع الشرق الأوسط لثورةٍ قرويّة وزراعيّة ثانية، ففي نفس الوقت هناك حاجة ملحة لثورةٍ ثانية للمرأة. و 'كلتا الحاجتين' هما في آنٍ معاً أسباب بروز الجنولوجيا، وتمثلان أيضاً المصادر الأساسيّة التي تبني نفسها عليها وتطوّرها. وسيتم ترسيخ تطوّر الجنولوجيا في روح عصر ثورة المرأة. وتطوّر الجنولوجيا سيفتح المجال أمام ثورةٍ قرويّةٍ وزراعيّةٍ ثانية وثورةٍ ثانية للمرأة، الثورتين اللتين تمثلان حاجة مُلحّة للمجتمع. وفي الوقت عينه فإنّ تطوّر ثورة القرية -الزراعة وثورة المرأة سيسرّع من تطوّر الجنولوجيا.

هناك عدّة مصادر أساسيّةٍ في ظهور الجنولوجيا. وعلم التاريخ، المبني في ظل الجنولوجيا سيتناول جميع هذه المصادر ويحلّلها. فإذا كانت ثقافة الآلهة الأم الموجودة على الأرض التي نعيش عليها إحدى هذه المصادر، فالمصدر الآخر هو نضال المرأة الذي تطوّر بعد انهيار ثقافة الآلهة الأم، بشكلٍ فردي أحياناً وأحياناً أخرى بشكلٍ منظم. وفيما يتعلق بالتاريخ القريب فالحركات الفامينية والنساء المقاومات اللواتي احتلين مواقعهن ضمن النضالات التحرريّة الوطنية، ونساء الكريلا ومنظمات النساء وهويّات النساء اللواتي احتلين مواقعهن ضمن صفوف الحركات الاجتماعيّة المعارضة هي من هذه المصادر. وهي القيم التحرّريّة والمقاومة التي خلقتها نساء العالم.

وهناك أساسٌ مهمٌّ آخر تطوّرت من خلاله الجنولوجيا، وأضفى عليها قوة واستمد منها القوة أيضاً، هي ثورة حريّة كردستان التي تلوّنت منذ بدايتها بلون (هيئة) ثورة المرأة. فبحسب الجذور التاريخية فقد تطوّر علم المرأة على هذه الجغرافية. وفي التاريخ القريب، تعاقبت مراحل تطور حركة المرأة خلال ثورة كردستان، كثورةٍ

داخل ثورة. ويرى الكفاح الجنولوجي مراحل التطوّر هذه التي تعيشها حركتنا وكذلك المراحل الجديدة التي بلغتها حركتنا مُخاطباً ومُقترحاً لها. فنحن النساء منذ أواخر السبعينيات وحتى بدايات التسعينيات احتلينا مواقعنا بناءً على الموروث الجوهري والثقافي وبالانخراط النسوي في ثورة كردستان. ففي عام 1987 تشكل **YJWK** (اتحاد النساء الوطنيات الكردستانيات)، وفي عام 1993 تم تشكيل جيش المرأة، وفي سنة 1995 كان **YAJK**، وفي 1996برزت نظرية الانفصال، وفي 1998 ظهرت إيديولوجيّة تحرّر المرأة، ومشروع الحياة الحرة وتغيير الرجل، وفي 1999 خاضت تجربة التحزّب، وفي سنوات 2000 تطوّرت تجارب العقد الاجتماعي وكونفدرالية **المرأة.** ونحن نمثّل حركة حريّة المرأة، تلك التي خاضت المراحل الثورية ونقشت الحرية في روح العصر.

تعتبر الجنولوجيا هذه المراحل الثورية أساساً لها وتتطور بناءً على ذلك. وتبني فلسفتها العلمية على ميراث وقيم هذه المراحل. ونحن النساء من خلال تجارب عشرات السنين التي خضناها ضمن أصعب الظروف والتي تراكمت خلال الحرب، أصبحنا ذوات تجربة وغنى منقطع النظير في جميع ميادين الحياة. وتنبع الجنولوجيا من تجاربنا في الكفاح لثلاثين سنةٍ خلت. إنّ الجنولوجيا التي ستصبح دعامة تأسيس تنظيم المرأة، هي التعريف العام لقيمنا ومعانينا، وستتطور كعلمٍ اجتماعي حول المرأة.

تقوم الجنولوجيا، بدور إخراج الآليات الاجتماعية ونقش روح العصر. وبدون أن تصنّف المجتمع، فهدف الجنولوجيا هو أن تخدم آلياتها بوعي ثوري. وتؤمن بأنّ المرأة تستطيع ضمن نسيجٍ اجتماعيٍّ كهذا وبشكلٍ حرّ أن تصدر قراراتها في كيف ستكون، وكيف ستعيش. إنّ هدف الجنولوجيا هو أن تعيد شرح القيم الموجودة في نضال النساء المجتمعة ضمن جميع أقسام المجتمع بنظرة وفراسة المرأة، استناداً لتجارب وأحداثٍ ماضية ومصائب واحتمالات آليات التطور، من أجل تطوّر الفرد الحرّ والمجتمع الحرّ. وكذلك نقش كنوزنا النسويّة التي لا حدود لها والمجتمعة في هذه المضمار، حيث تؤمن الجنولولجيا بأنّها ستحقق قفزاتٍ نوعية بثورة المرأة وبروح القرن الحادي والعشرين.

عند الكتابة والحديث بقلب وعقل المرأة، فإنها ستعيد سرد روح الفترة التي تعيشها. وقبل كل شيء يجب أن نضفي معنىً على التاريخ الذي نحن فيه. ويجب أن نأخذ خصوصية القرن الحادي والعشرين بعين الاعتبار ونسأل، لم الحاجة إلى الجنولوجيا؟ فإذا ما فصلناها عن شرق أوسط القرن الحادي والعشرين، وعن الكرد، وعن النساء في هذه الجغرافية، وعن آلامهن التي لا تزال تعاش إلى يومنا هذا، وعن الجمال والمقاومة، فلن تبقى أية قيمةٍ حياتيةٍ للجنولوجيا. فلولا هذا النضال اليومي، لما تطور نضال الجنولوجيا أيضاً. إنّ هذه المرحلة التي بلغتها الجنولوجيا، تحققت قبل كل شيء نتيجة الجهد والبذل العظيم للشهداء الأبطال الذين أوقفوا الهجمات والمخططات الدولية الوحشيّة التي استهدفت وجود الكرد، وخلقوا إمكانية النضال لنا. وكذلك الحال، فقد أوصل الرفاق آرائهم واقتراحاتهم، من السجون ومن كل مناطق وساحات الدفاع المشروع ومن ساحات النضال الاجتماعي. إلى جانب مساعدة أفكار الرفاق الذين شاركوا في نقاشات المدارس والأكاديميات أيضاً.

إنّ الجنولوجيا التي تتطور على أساس النضال والميراث والمحاولات، يجب أن تبدأ من اللحظة التي هي فيها في سبيل إضفاء معنىً على الحياة، وتطبيق العلم، وخلق الحلول الأساسية لها. "أعرف أنّ المستقبل يمر من اللحظة الحالية، ولا أعتقد أنه سيكون هناك مستقبلاً للذي لايحلّل اللحظة الحالية ولايضع الحلول لها." ويجب أن ترسّخ قناعة القائد عبد الله أوجلان هذه ضمن ذاتها وأن تتطور بهذه الطريقة. فعندما تضع الجنولوجيا يدها في كلّ ميدانٍ وكلّ تفصيلٍ عالقٍ بلا حلّ، فإنّها تستطيع أن تكون مخرجاً لها.

إذا قيّمنا الجنولوجياعلى هذه الأسس باعتبارنا عرّفناها كعلمٍ للمرأة، فما هي؟ وما هي أهدافها؟ كيف تعمل؟ ما هي طرقها وأساليبها؟ ما هي فلسفة الجنولوجيا العلمية، الوجودية، الأخلاقية-الجمالية؟ أيّ أقسام المجتمع مسؤولة عن تطوّر الجنولوجيا؟ على ماذا ستستند الجنولوجيا في اختيار النظريات العلمية الموجودة، وكيف ستقبلها، وبأيّة طريقةٍ سترفض بعضها الآخر؟ مقابل ماذا ستكون الجنولوجيا موجودة في الحياة الاجتماعية؟ وبأيّة طريقةٍ ستؤثر على حياة المرأة والرجل والطفل والعجوز والكائنات الحيّة الأخرى الموجودة في الطبيعة؟

عندما نبحث في تقييمات القائد عبد الله أوجلان بخصوص الجنولوجيا، فإننا نصل إلى المعاني المعرفية والإيديولوجية والفلسفية والعلمية. ونستطيع أن نطوّر تعاريف مختلفة للجنولوجيا وفقاً لهذه المعاني. إنّ الجنولوجيا في جوهرها هي علم المرأة. وهي في الوقت ذاته علم الحياة والمجتمع، وعلم الحياة التشاركية الحرّة، وعلم المرأة في الحداثة الديمقراطية. هي العلم الذي يبحث في **المرأة والحياة**، كيف، وأين، ولماذا، وبماذا، وبيد من، أُبعِد هذا العلم عن المرأة والحياة وتم إخراجه من المجتمع، ويدرس انعكاس ذلك على المجتمع، وكذلك الأمر هي العلم الذي يوصل المرأة والحياة بمعنييهما، أي الحياة وكينونة المرأة، بعضهما ببعض.

تعبّر الجنولوجيا عن ظاهرةٍ عكسيةٍ ضدّ كلّ الإيديولوجيات المستبدة المبنية على أساس الجنسوية الاجتماعية. "ربما معنى كينونة المرأة، هي الإنسانة الأكثر تعرضاً للظلم والصعوبات." فمن يستطيع أن يُحسّ بقلبه ويفهم هذه المقولة أكثر من النساء اللواتي يتعرضن للقتل بيد أقرب الناس إليهن، ويتعرّضن للتحرّش ويتمّ اختطافهنّ من قبل مرتزقة الحداثة الرأسمالية الأكثر تنظيماً، و يتم بيعهن في أسواق العبيد، وعندما يتمشيّن في الشوارع يتعرّضن للمضايقات بالقول والفعل، وفي المعامل هنّ قوّة العمل الرخيصة، وفي البيت يتمّ استغلال جهدهنّ؟ من يستطيع أن يفهم جيداً هذه المقولة أكثر من نساء الكريلا اللواتي يواجهن أعتى وأصعب أوجه الحرب، ومن نساء السجون وأولئك اللواتي يناضلن في الساحات والميادين؟ إنّ الحداثة الرأسمالية تُبيد المجتمع بممارسة الظلم على المرأة. وبهذه الإبادة تأتي وتذهب بالمجتمع إلى أطراف العدميّة والانتحار والجنون. وتتطوّر الجنولوجيا بإيقاف إبادة المجتمع والمرأة وبخروج مصادرها، وبالتحليل وتجاوز هذا الأمر بعقليّة المرأة. فهي العلم الذي ينقل الذين يخوضون الظروف الأكثر صعوبة وشدة إلى الظروف الأكثر حريةً.

ففي أي وقتٍ قام القائد عبد الله أوجلان باقتراح الجنولوجيا لنا نحن النساء؟ وإلى يومنا هذا يقول القائد عبد الله أوجلان بإصرار: "تستطيع الجنولوجيا أن تصبح مخرَجاً أساسياً". يا ترى من ماذا، ومن أين تأتي، ولماذا، وكيف، وبأي الأدوات، ومع من يرى ويقترح هذا التنبؤ بالخروج؟

ستصبح الجنولوجيا وقبل كل شيء علم تجاوز الحياة الاجتماعية المسدودة والتي تمثل مركز السلطة، أي أنّ هدفها هو معالجة وتصحيح وتنظيف كافة الأشياء التي تلطخ حقيقة الحياة الاجتماعية وتخربها وتشوّهها. لهذا السبب، وكخطوةٍ أولى فإننا ننوي بالجنولوجيا إعادةً روحيةٍ وذهنيةٍ نعرّفها كعتبةٍ لهذا العلم. ففي الكيمياء سوياتٌ طاقيّة، وبعض العناصر إنْ لم تجتز هذه السويّات فلا تستطيع الوصول لبعضها وبناء جزيءٍ ما، أو لا تستطيع الانفصال عن بعضهما والتحوّل إلى عنصر آخر. وهذا القانون يطبّق في حالتنا أيضاً، وبالنسبة لنا نحن النساء أيضاً وكوننا مازلنا في بداية هذا العلم، وإنْ لم ننوي التطهّر من قذارة السلطة والتسيّد، فإنّنا لن نستطيع تجاوز سويّة العلم هذه، وسنبقى على الدوام في مستوى البداية ومستوى البحث ومستوى التحضيرات. فالتقدّم على سويّة الطاقة هو تجاوزها، ولهذا السبب فالتطهّر شرط أساسي.

إذا تم تخريب عقل الإنسان، وبالأخص عقل المرأة بقوة الاستبداد، فكلّ يومٍ سيكون قيامةً. هو قيامة لأنّ العقل الذي تمّ تخريبه بقوّة الاستبداد يقتل الرؤية والفكر والمشاعر أيضاً، هو قيامة لأنه يخرّب العيون التي تنظر إلى الحياة والشعب والإنسان والنساء والأطفال والعجائز. والشيء الموجود الذي يظهر جلياً للعيان أو يُرى مشوشاً أو لا يُرى أبداً هو أنّ القوالب الحياتيّة محكومة بالمطلقات. وكمعاندةٍ ضد تلك الأشياء المطلقة، فالجنولوجيا هي مثل الإحساس بروايةٍ عنوانها "ألف يوم عظيم" (5) ... بدون عدّها. وهي الأفكار المضيئة التي تنير النشاط والطريقة المنيرة لتلك الحياة! هي الأساليب النيّرة وتطبيقها بلا حساب، والنساء اللواتي يقدّمن النور ويُضئن الحياة والإنسان. وهذا ممكنٌ فقط عندما يتحرّر عقل المرأة من الاستبداد، ومن جميع إيديولوجيّات الاستبداد وكافة القوالب الفكرية التي تحت تأثيرها. فالجنولوجيا هي العلم الذي يتطوّر بمعايشة هذا الإدعاء.

إنّنا نستطيع تناول تعريف سوسيولوجيا الحرية في مرافعة القائد عبد الله أوجلان المسمّاة تجاوز قضايا الحداثة الرأسمالية والحداثة الديمقراطية كوجهةٍ نظرٍ أساسيّةٍ للجنولوجيا. "ينبغي على المرء أن يفكر باسمٍ للسوسيولوجيا التي تتناول موضوع الوقت القصير، الأكثر قصراً للخلق من الناحية الاجتماعية. واقتراحي الشخصي هو

أنّ الإنسان لكي يتناول سوسيولوجيّة الوقائع والأحداث الاجتماعيّة في 'لحظة الخلق' فيجب أن يطلق عليها اسم 'سوسيولوجيا الحرية'، وستكون هذه التسمية في محلها. والأهمّ هنا، هو أنّها قد وصلت إلى مقدرةٍ منقطعة النظير تحت تأثير اجتماعية الإنسان، وبذهنيتها المرنة فتحت الطريق أمام إبداعٍ مدهش. ولهذا أنا على يقينٍ بأنّ هناك حاجة ملحّة وشديدة لهذه السوسيولوجيا التي نراها نوعاً ما كسيسيولوجيا ذهنية، ونستطيع أن نسميها سوسيولوجيا الحرية. وينبغي أن تكون إرادة الحرية وفكر الحرية أحد المواضيع الأساسية لبحثها. وفي الأساس فإن التطوّر في لحظة الخلق هو تطورٌ له جانبٌ تحرّري. إنّ هذه اللحظة الأكثر قصراً "لحظة الكوانتوم" و "حفرة الفوضى" يمكن تسميتها أيضاً بسوسيولوجيا الخلق. لأنّ سوسيولوجيا الخلق هذه تتضمن الساحة الاجتماعية أو بمعنى أنها تبقى على علاقةٍ معها. وستصبح "سوسيولوجيا الحرية" أحد أكثر المواضيع التي يجب تطويرها."

في وقائع تكوّن المرأة، وقصّة تكوّن هوية المرأة، كيف سنعرف لحظة الفوضى الأكثر قصراً؟ وكيف سنبحث في 'إرادة وفكر الحرية'؟ من أين تأتي ضرورة تقييم 'الخلق-الذهنية-سوسيولوجيا الحرية' التي تحتل مكانها ضمن هوية المرأة، وما هي علاقاتها بلحظات الخلق؟ أليست هذه أسئلةً في محلها ضمن هذا القرن الذي نعيش فيه؟ وبالأخص بصدد الوحشيّة الممارسة في هذا الوقت تجاه حركة حرية كردستان والجغرافية والثوار، وضدّ نساء الشرق الأوسط اللواتي خلقن ثقافة الإلهة، وضدّ هويات الشعوب التي تباع وتشترى في أسواق العبيد! ألا تنادي جميع خلايا الحياة بعلم وفكر وإحساس المرأة وعقل وقلب ويد الإلهة الرحيمة؟ وفي هذه الجغرافية التي تم فيها قتل الحياة حتى خلاياها. ألم يحن الوقت لتسليط الضوء على علم الحياة، وعلم الحياة الاجتماعية ولحظة خلق علم المرأة؟

إنّ حركتنا حملت شرف تمثيل جبهة المقاومة باسم المرأة، والمجتمع والحياة التي هي دقائق وتفاصيل الخلق. وأثبتت للعالم أجمع بأنّ لها قوتها الدفاعية لدقائق الحياة، بدون الاستسلام للموت المتوحش والمفترس. وأشارت مرة أخرى إلى أنّ هذه الأرض هي موطن الآلهات وستبقى هكذا دائماً. لهذا السبب ووفقاً للوضع الحالي، فإنّ الأقرب إلى دقائق وتفاصيل خلق علم المرأة ويحمل على عاتقه مسؤولية تحقيق

الانطلاقة هي حركتنا بذاتها. ومن أجلنا فإنّ جواب 'ما هي الجنولوجيا؟' هو اجتماع جميع تفاصيل ودقائق الخلق والحرية والحياة. ولهذا ينبغي على المرء أن يؤمّن أدوات العلم والفلسفة والنشاط التي تمثل إمكانية التعبير لدينا. وهي تحقيق إرادة وفكر الحرية ضمن هويتنا وشخصيتنا.

هي فن تطبيق وتطوير السوسيولوجيا والعلم الاجتماعي بمسؤوليةٍ. وإذا لم يتم تطويرها، ستبرز تلك التفاصيل المنقطعة أبعد عن التدفق، وسنكون محكومين بتلك التفاصيل، وهكذا سنصبح أداة بيد الذين ينظمون السياسة والحياة على هذا النمط. ولكي ننقل التفاصيل الحرّة إلى حياتنا الحرّة فيجب أن نكون أصحاب حقيقتنا، أي يجب أن نكون أصحاب لغة. أي ينبغي لنا أن نتحرّر في تلك التفاصيل ونخرج من حالة الإمكانية. ونستطيع بهذا الشكل أن نفهم التثبيت الوارد في هذه الجملة 'الجنولوجيا يمكن لها أن تكون انطلاقة ومخرجاً أساسياً"(6). فالجنولوجيا هي ذلك العلم الذي ينشر الحرية الموجودة في جميع تفاصيل الحياة ومجرياتها، وتحقق الاستمرارية في الحياة وتنظمها وتنسجها مع النظرية العلمية والتنظيميّة. إنّ الجنولوجيا هي حقيقة قوتنا الكامنة. كيف؟ وجواب هذا السؤال هو ذهنية الحياة وأسلوبها وتطبيقها العملي. ونرى مفاتيحها وأبوابها ضمن الكفاحات في سبيل الحريّة، وفي نظريات العلم والفكر، وفي الحياة، وفي التجارب اللامحدودة لنساء العالم بخصوص الحياة، وفي جميع التجارب الاجتماعية، وفي الطبيعة، وفي تحليلات هذه التجارب.

وبإمكانية إضفاء المعنى على القيم الموجودة في هويّة المرأة، فلدينا قوّة تستطيع أن تقود ليس فقط نفسها بل العالم أجمع والإنسانية نحو التحرّر. ولهذا السبب هناك حاجةٌ لتنظيم نمط حياة متدفقة لا تكون في التفاصيل والأوقات المحددة وبسبب اللاحل. والجنولوجيا ستطور أساليب حاجتنا هذه. وعلى هذا الأساس فهناك تعريفٌ آخر للجنولوجيا وهو، أن تكسب المعنى وطاقة المرأة الكامنة لغة وحقيقة. فالجنولوجيا هي اكتساب حياة المرأة، والحياة الاجتماعية، وهوية المرأة والطاقة الكامنة المتعلقة بالعلاقات المبنية بين المرأة والرجل للغة، أي اكتسابها للحقيقة. وهي اكتساب المعاني والإمكانيات النسويّة التي شكلت دعامات هذه الحركات لآلاف

السنين للغة والحقيقة، بقدر المعاني والموروث المتراكم على مدى مئات السنوات ضمن حركات حرية المرأة. وهي الخروج من العبودية، وهي الحرية. إنّ حركتنا في بعض النواحي، قد نقلت المعنى والإمكانية إلى حقيقة. ومؤخراً، فنضالنا الذي لا نظير له في روجافا، هو خير مثالٍ على هذا. ولكي يأخذ هذا مكانه ضمن حياتنا ومجتمعنا وشخصيتنا، فهناك حاجة متزايدة لعلمٍ، ومعرفةٍ وفلسفةٍ أقوى.

إذاً ينبغي الوقوف على ذهنية العلم المتكوّنة بشخصية المجتمع الأبوي الذي تم فك شيفراته من كلّ النواحي، وكذلك على تعاريف المرأة الدينية والفنية والفلسفية. وفي يومنا هذا، توجد تعاريف المرأة العلمية والفلسفية والدينية والفنية، وكذلك ذهنية الحياة التي تم تطويرها بناءاً على هذه التعاريف في أساس المشكلات الاجتماعية الكبيرة. وعلى هذا الأساس، فإنّ الجنولوجيا تأخذ مصادر المشكلات الاجتماعية والحلول أيضاً أساساً لها في تعريف المرأة وفي إطار دورها ضمن الحياة. وبمعنى آخر هي ليست العلم الذي يتناول المرأة كجنسٍ ويبحثها أو يبتكر العلوم لأجلها فقط. وعلى أساس أنّ كلّ علمٍ يجب أن يكون اجتماعياً، فنحن على ثقةٍ بأنّ هذا التكوّن الاجتماعي ضمن التاريخ وفي يومنا هذا يجب أن يكتسب أساليبه من المرأة.

الفصل الأول:

- لمَ نحن بحاجة إلى الجنولوجيا؟

لماذا، وضد ماذا نحتاج إلى الجنولوجيا (علم المرأة)؟ وهل يا ترى الجنولوجيا (علم المرأة) هي ضرورةٌ ما؟

هي الذهنية الإيجابية التي أتت نتيجة كمٍّ هائلٍ من الذهنيّات العاطلة والمجزأة التي خلقتها. فهل مقولة امرأة وعلمٍ جديدين ستكون إضافة نيّرة للحياة؟ إنّ أمامنا مقبرة شاسعة لممارسات العالم الأكاديمي والعلم الوضعي الواقعي، وساحات العلم المقسّمة والنظريات المختلفة لنضعها جانباً، ومن ثم نأتي لنصدّق هذا العلم ونؤمن به. وعندما ينظر المرء في العدميّة والإلغاء، يتجمد باطننا ونستحي من إنسانيتنا، إلى جانب القذارات والانحرافات الموجودة لا سيما على أرضيّة الحداثة الرأسماليّة. تلك الحداثة التي تستمد قوتها الأساسية من طوباوية الاشتراكية وجميع الطوباويات التي تخنقها في بوتقة ليبراليتها.

في الحقيقة، هل هناك حقاً وظيفة للمنطق خلال هذه الايام؟ وخاصّة بالنسبة للنساء اللواتي تُقتلن في كلّ دقيقة وتفاصيل الحياة، ويخضن حالات واحتمالات القتل في كلّ لحظة. نحن نحقق الثورة هنا، فما هذا العلم؟ نحن نموت هنا، فما هذا العلم؟ جياعٌ، بلا مأوى، نتعرض للتعذيب، نواجه الاستعمار والإهانات، بلا تعليم، فقراء، نُعتبر ناقصات، نُعتبر لا شيء، ويتم الاعتداء علينا. يتم بيع أجسادنا في الأسواق، وإن لم يكن بعضنا يباع في الأسواق فإننا نُباع في بيوتٍ ومخابئ سريةٍ تحت الأرض أيضاً، نواجه كلٍ أشكال الشدّة والعنف. فأيّ علمٍ هذا؟

ولأنّ علم المرأة سيُناقش على أن يكون علماً خاصاً بالمرأة، فهو يقوم بمهمة علم الحياة الاجتماعية والحياة التشاركية الحرة، لذا يجب أن يردّ على هذه الأسئلة وأسئلةٍ أخرى مجرّدة وجريئة. فلم الحاجة إلى علم المرأة؟ لماذا 'يمكن أن يكون علم المرأة مخرجاً أساسياً؟ ' ما هي أسباب تعريف علم المرأة، ونقاشاته ومكوناته؟ ماذا ينتقد، وماذا يقبل؟ ينبغي أن يجيب علم المرأة على هذه الأسئلة بأجوبةٍ قويةٍ جداً لكي يؤسّس ميادينه وأقسامه بطريقةٍ منظمة ودائمة.

يوجد لدينا أسبابٌ كثيرةٌ ومتنوعة جداً لتطوير علم المرأة. وبعض هذه الأسباب إيجابية. تلك الأسباب تدعم وتساعد الجانب الداخلي النفسي لعالم المرأة، لذا يجب أن يُظهر ويُخرج جوهر هذا العالم وأن يتم تقاسمه مع الإنسانية جمعاء. وفي هذه المرحلة التي نحن فيها، فهي ضرورة من الضرورات العاجلة للإنسانية. ويجب أن يُعاد إحاطة هذا العلم ولفه بروح المرأة، أو أن يتم نسج هذا العالم بروح المرأة.

وهناك أسبابٌ أخرى سلبية. الشدة والعنف الممارس علينا، الاستعمار، الانتقاص، التهميش الإيديولوجي، الإنكار، والإبادة... لذلك فإن إيقاف كل هذه الأشكال هي حاجة ملّحة. وإلا فإنّ هذا العالم سيصبح كوكباً يبتلع نفسه، والإنسانية ستصبح مجتمعاً للحمقى الذين يقطعون الشجرة من تحت أقدامهم ويُفنون أنفسهم بسبب قلة عقلهم.

لقد أسّست النساء عبر التاريخ ولوقتٍ طويلٍ جداً نظاماً اجتماعياً أموميّاً، ونظمنه وسيّرنه بأنفسهن. وسادت في نظامهن الاجتماعي قيم السلام والعدالة والخير والبركة. ووضعن أساس العديد من اكتشافات المرحلة النيوليتية. والكثير من الأعمال التي تؤديها النساء في يومنا هذا والتي يُنظر إليها باستصغار كأعمالٍ نسويّة، هي في حقيقتها مرتبطة بالأعداد، والرياضيات والحسابات الدقيقة ومقاييس الوقت وبالذكائين التحليلي والعاطفي، وتدعمها بشكلٍ واضح وجلي. ولكنّ ذهنية الرجل المتسيّد تسلب هذه الإنجازات وتسجلها لحساب منظومته بمكرٍ شديد. ولكي يخفي سرقته هذه يقوم باستصغارها ويستهزأ بجهدها تحت مقولة 'أعمال المرأة'. كما أنه يهتك عرضها حينما يوجه إليها مقولة 'بالعجين الذي في يديك لا تحاولي الانخراط في عمل الرجل'. علماً أن خميرة العجين تلك التي بين يديها هي من أولى الاكتشافات الكيميائية التي أنجزتها البشرية. فلولا تلك الخميرة والعجينة التي بين بيديها لما تمكن هؤلاء 'الرجال العاقلون' من أن يخطو خطوة واحدة من شدّة الجوع. لذا فغايتنا هي أنه ولكي نتوجه إلى علم المرأة، فلدينا المئات من الأسباب الإيجابية التي تدفعنا لذلك والتي تسمو على أساس المئات من قيمنا ومُثلنا الإيجابية.

لن نقول بأنه انقضت عليها آلاف السنين، لكننا بحاجة لأن نكشف ما سُرق منها واحداً واحداً وأن نسميها بمسمياتها. لدينا حاجة إليها مهما كان قِدمها ومرّت عليها من سنوات، ولأن نعيد كشفها لنحيا بكرامتنا، وأن نمزق ثقافة العيب والحياء تلك التي لفتها الحضارة حول هويتنا إرباً إرباً. والأهم هنا وقبل كل شيء هو حاجة هذا الكون، والعالم والطبيعة التي ترزح تحت الألم، والمجتمع الذي يمرّ بالإبادات، والمرأة والطفل اللذين يواجهان الظلمة، والإنتقاص والسرقة التي حلت بعالم المرأة، إلى مجابهتها بالقيم الإيجابية، ولهذا ندعو إلى علم المرأة.

إنّ علم المرأة سيبلغ هذه القيم الإيجابية، وسينظم تلك القيم الظاهرة، ويوثقها، وسيعزز الاستيعاب لكي ينقلها إلى حالةٍ من التنظيم. وسيحيلها إلى مُلكٍ لتطوّرات العلم الذي يعمل بعقل ومشاعر المرأة. ولكي يُظهر ما تمّ إخفاؤه منها، سيحاول مع نساء العالم أن يطوّرا النقاشات والمخططات وأسلوب حركتها وطريقتها وأشكالها. ولتحقيق وبدء وبحث وتنظيم كل هذه الأمور فإننا ندعو إلى الجنولوجيا، علم المرأة.

إنّ السبب الأساسي الذي يفرض ضرورة التوجه لعلم المرأة، هو أنّه قيّم بشكلٍ جيّد فرصة انطلاقة حرية المرأة كمنجزٍ عظيم في خضم فوضى القرن الحادي والعشرين. وكذلك في سبيل قضية حرية المرأة التي فرضت نفسها خلال هذا القرن 'كأم القضايا'[1] وتطوير حلولٍ لقضية الأم. ولإنجاح هذا الأمر يتوجب علينا نحن النساء أن نتمكن من تجاوز سيطرة الذهنية العبودية المفروضة علينا. وأن نصل إلى تعريفٍ صحيحٍ للحريّة بطرق البحث المدعومة بجهد المرأة والمرتكزة إلى ميراثها التاريخي. وكعلمٍ للمرأة وقبل كل شيء ينبغي لنا أن نصل إلى تعريفٍ لأفق الحرية التي تتجاوز أفق العبودية الممارسة علينا. فإذا تمكنت المرأة من تطوير هذا التعريف فستتمكن من تطوير هذا العلم أيضاً. 'وقبل كلّ شيء هناك حاجة ماسّة لإيجاد تعريفٍ للحريّة، يكون رداً على العبودية التي فرضوها قسراً على النساء.'[2] ولفك هذه الشيفرة وتحليل الآفاق والميادين والسبل والأدوات المتضمّنة في مقولة

(1) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط- حل الحضارة الديمقراطية/ عبدالله أوجلان
(2) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

'من أجل تطوير تعريفٍ للحريّة يتجاوز العبودية التي لقموها قسراً للنساء' فإننا ندعو للجنولوجيا، علم المرأة.

1- لبلوغ سر الحياة

في هذا العصر اللعين الذي نعيش فيه إبادة اجتماعية، يعلمنا القائد عبد الله أوجلان مُثل الحرية، وهو بمقولاته هذه في العصر الذي نحن فيه يعطي إجابة وافية لسؤال 'لم الحاجة إلى علم المرأة؟'، 'يجب النظر إلى الحياة على أنها فوق كل شيء. وظيفتها الأساسية هي الفهم. فالفهم هو العيش. والعيش هو لأجل الفهم.' لذا يجب تطوير علم المرأة لتزول الجهالة والعمى من الحياة.

وكلّ امرأة، وفي خضم بحثها عن الحرية، في مرحلة ما من حياتها، تصل إلى فهم هذه المقولة المشهورة ل سبينوزا "الفهم هو الحرية". لأنه إذا فهم الإنسان العالم الذي يعيش فيه، وكذلك المجتمع والعائلة ونسيج العلاقات ووجوده المرتبط بكل هذه العناصر، أي إذا استوعبها واستطاع أن يعطيها المعنى الحقيقي حينها يستطيع أن يكون حراً. وبالنسبة للإنسان الذي لا يستطيع استيعاب هذا، فإنّ جميع هذه العلاقات والروابط ستتحوّل إلى حبالٍ وقيودٍ تكبّله وبالتالي تخلق له المعوقات والعبودية. وبقدر ما يُغلّف بفنٍ حسّاسٍ ودقيق، فالمرأة والرجل وأي إنسانٍ كان، ومهما تكن سوية الحياة التي يختارها لنفسه، لا يستطيع إثبات وجوده بدون مجتمعه. وفي عصرنا هذا الذي تفوّقت فيه الفردية ويتعرّض فيه المجتمع للإبادة، فكلّ لحظةٍ تصرخ بهذه الحقيقة. وكاحترامٍ لفلسفة الحرية، يجب أن تكون هذه الحقيقة الأولى والأجدر بأن نفهمها أولاً. لذا ولبلوغ سر حقيقة الحياة، ومشاركة هذه الحقيقة، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا، علم المرأة.

في سياق حقيقة الإنسان والمجتمع الذي لا يعطي معنىً للحياة، ويختنق ضمن اللا معنى، فإنّ بلوغ سر الحياة هو وضعٌ بالغ الصعوبة. ونحن نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا ونسأل أنفسنا هذا السؤال،"على الرغم من حقيقة الحياة المؤلمة والموجعة هذه، فمن ذا الذي ينبغي له أن يصل بنفسه إلى هذا السر؟" وندرك بقلبنا وعقلنا

ومشاعرنا أنها المرأة. وبقدر ما تكون المرأة ضحية إبادات الطبيعة والمجتمع، فإنّها ستصل بنفسها إلى هذا السر. لهذا نُغدق جميع محاولاتنا نحوها. ولتعميق هذه المحاولات، وتنظيمها وتفعيلها، ومن أجل سريان هذا التدفق، والتغيير وبلوغ سر الحياة، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

الحداثة تهاجم التاريخ، والمعنويات، والكون وجميع مشاعرنا وأفكارنا، وقيمنا النسوية والإنسانية. لذا ومن أجل بناء القوة والعلم اللذين سيزيلان هذه التخريبات المطبقة على حقائقنا التي تمثلنا نحن، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا. فإذا لم يوجد المعنى، فلن يكون ثمة حياة! ونحن على ثقةٍ بأنّ النظر إلى هذه الحقائق عن قرب وبعين المرأة، سيضفي قوة أكثر على قوتنا المعنوية، لكن بدون قطع العلاقات الموجودة ما بين المعنى –الحياة – المجتمع-المرأة...

2- لبناءٍ صحيحٍ للحياة التشاركيّة الحرّة

الحياة، وطبيعة المجتمع، والكون متناقضٌ وديناميكي. وأحد أوجه هذا التناقض هو المرأة، والوجه الآخر هو الرجل. فإذا بقي هذان الوجهان واستمرا في علاقةٍ ذات معنى، ومجرّدة، وحرّة، ومتساوية وخلاّقة، فالطبيعة الاجتماعية ستسير وتستمر بطريقةٍ منظمة ومرتبة. لكن فيما إذا استمر هذان الوجهان بحجج وذرائع مختلفة ومتنوعة، في محاولات إبادة بعضهما البعض، ومعاداة بعضهما والاغتراب عن بعضهما، كما فعلا خلال آلاف السنين، فإنّ الطبيعة الاجتماعية ستعاني دائماً من الأزمات والمشاكل والكوارث والموت أيضاً. لذلك فإنّ مسؤولية البحث في طبيعة المرأة والرجل اللتين تكملان بعضهما بعضاً ووجودهما سويةً، المختلفان المجتمعان، والتأثر المتبادل بينهما، وتحليل الحالة الطبيعية لهاتين الطبيعتين، والوضع الذي يبعدهما عن طبيعتهما، وأسباب ونتائج تدخل القوى السلطوية في هاتين الطبيعتين، تقع على عاتق الجنولوجيا. كما أن الجنولوجيا تحمل على عاتقها مسؤولية تطوير طرق وأساليب إعادة بلوغ تلك الطبيعة، في إطار الحرية والجمال.

وفي الوقت نفسه، فإنّ الجنولوجيا هي سمةٌ لبناء وتطوير نظرية الحياة التشاركية الحرة وخلقها. فتطوير الحياة التشاركية الحرة هي إحدى أبجديات علم الاجتماع (السوسيولوجيا) والحياة الحقيقية. والحقيقة التي يوضحها القائد عبد الله أوجلان هي، لما هذا الموضوع هو أبجدية الحياة، وينبغي على المرء أن يدرك جيداً بأن الحياة التشاركية التي تم بناؤها بطريقةٍ اجتماعية، لم تبنَ بين ذكرٍ وأنثى، وإنّما بنيت ما بين النسوية والذكورية المجتمعية. ويجب ألا يُنسى بأنّ البناء السلطوي قد أضعف كلا الجنسين، والعلاقة بينهما متأثرة به وتبرز نفسها كعلاقةٍ سلطويّة. فالعشق لا يتطوّر في العلاقة السلطوية. لأن الشرط الأساسي في العشق هو تكافؤ الإرادة الحرة لدى كلا الجنسين. والمشكلة أبعد عن أن تكون ما بين فردين اثنين، بل هي مشكلة اجتماعية. ومستوى تعريف العلاقة ما بين جنسين وتنظيمها مع المجتمع والسياسة والثقافة والفن والجمال-الأخلاق والاقتصاد هي مواضيع ذات صلةٍ مع المجتمع برمته.

وفي كلّ مكانٍ من العالم، إذا قمنا بتقييمٍ قصيرٍ بخصوص علاقات المرأة والرجل، تلك العلاقات القائمة على أساسٍ ديناميكي، والمشاكل والعلاقات المتدهورة والمنهارة، فإننا سنبلغ النتيجة ذاتها في كلّ مكان. لذا فإنّ بناء أساس حياةٍ ذات معنى، وحرة وديمقراطية ضمن هذه العلاقات، مرتبطٌ ببلوغ الذهنية والأخلاق والثقافة، وبلوغ هذه العناصر مرتبط بآفاق التفكير وعمق هذه المشكلة، وبمستوى تحديد وجود المجتمع وتأثيره في الحياة. مما يستوجب إجراء التحليلات المنظمة لهذه المواضيع، فمن الواضح بأنّ العلوم الاجتماعية لا تكفيها. والمسؤوليّة الأولى لكل رجل وامرأة يقفان باحترامٍ أمام الإنسان، والحياة والطبيعة ووجودهما، أن يكونا متنورين وواعيين، ويبنيا نفسيهما بالتدريب والتعليم الصحيح. فأخطاء هذا الموضوع ستترك بصمتها في حياة كل الأفراد. ولهذا فإنّ كلّ فردٍ ومجتمعٍ، سيجعل من تعريف وحلّ هذا الموضوع وخلق البدائل لنفسه همّاً ومُعضلة أساسيةً. وأساساً إذا كان هؤلاء الأشخاص الذين نتحدث عنهم، اشتراكيين، وثوريين، ونسويين، ومعارضين، وديمقراطيين، أي قوى العصرانية الديمقراطية المعارضة للنظام القائم، فإنّ هذه القوى، هي المسؤولة وصاحبة الدور الريادي، وستصبح مثالاً يحتذي به للمجتمع. وطالما الحياة التشاركية والوجود وعلاقات المرأة والرجل

والطفل كلها مواضيع حياتية، فإنها ستحتل موقعها ضمن آفاق وتوجّهات علم المرأة. وعندما تنطلق الجنولوجيا في هذا الموضوع، فإنّها ستحلل أوّلاً الحياة التشاركية والعلاقات الموجودة، وتسميها بمسمياتها. ومن ثم ستطوّر استيعاب بدائلها وتعريفاتها وتحليلاتها وفقاً لاتجاهات وآفاق نظريّة الحياة التشاركيّة الحرّة، وعلى هذا الأساس ستقدّم مشاريع ومقترحات الحل.

ولأنّ الحياة لا تستمر دون وجهين متقابلين، فإنّ تلك الحياة المتكوّنة بين وجودين أساسيين على أساس من الجدال(الديالكتيك) هي حياة في محلّها، فالقفزة الأولى المتوجّبة على الجنولوجيا هي الإشراف على هذا الموضوع. وفي عصر انطلاقة علم المرأة هناك حالة من الفوضى وأزمة الحياة الاجتماعية. والمكان الأعمق لهذه الفوضى هي ميدان وساحة الحياة التشاركيّة. ولفهم الأزمة والفوضى القائمتين، ينبغي علينا إدراك سياق التطوّر التاريخي لعلاقات الحياة التشاركية. ويقيّم القائد عبد الله أوجلان هذه الحاجة بهذه الطريقة "الهويّة الحرّة الأكثر تطرّفاً في طراز تقرّب المرأة، أي أنّ استيعاب منظومة علاقات الرجل والمرأة مناسبٌ لهذا الغرض. فإذا لم تُستوعب العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة، فلا يمكن فهم واستيعاب أيّة مشكلةٍ اجتماعية أو حلّها. ولكي يتمكن المرء من حلّ هذه المشكلة الأساسيّة والمحوريّة ضمن العائلة والتي تشكل قلب وعقل المشاكل الاجتماعية، فيجب أن يتقرّب من المسألة بشكلٍ علمي وفلسفي وأخلاقي وجمالي. لهذا يتوجب التقرّب من موضوع الحياة التشاركية الحرة مع المرأة في ظل ظروف الحداثة الرأسمالية بروح المسؤولية وبقوةٍ كبيرةٍ علمية، وأخلاقية وجمالية. وما لم يدرك الإنسان موقع المرأة ضمن تاريخ الحضارة وفي الزمن المعاصر، وما لم يمتلك القوة التي تمكنه من أن يُبرز موقفاً أخلاقياً وجمالياً حيالها، ومهما تكن الحياة التي سيخوضها معها بعد ذلك فلن تكون سوى حياةً خاطئة، وقذرة ولا أخلاق فيها.

ونرى أن كلّ أرجاء العالم في يومنا هذا، تحوّلت جهنماً نتيجة هذه الأخطاء وحالة اللاأخلاق التي نعيشها والقذارة التي نحياها "الحياة اليوميّة، والبحث عن العشق-الحب، الجنسويّة المُثارة، الجهل ولا مسؤولية الرجل تجاه المرأة والمرأة تجاه الرجل، وأزمات الهويّة المختلفة المتمخضة عن التجارب التي أجريت باسم الحرية

والانعزال وسط الفوضى". وبالنتيجة فإنّ العالم يصبح كوكباً للذين يختنقون ضمن هذه التجارب، ويحوّلون الحياة في كلّ ساحاتها وتفاصيلها إلى جهنم. وبالأخص الرجل الذي لا يستطيع أن يرى المرأة كإنسانةٍ، كصديقةٍ، كزوجةٍ وكشريكةٍ روحيّة. وبسبب السلطة والثقافة الذكورية، وبتأثير القمع والرغبة اللامحدودة في السيطرة، فالرجل يرى المرأة كضلعه القاصر، ومستعمرته، وعشيقته وملكه الخاص. وبسبب إثارة وتحريض النظام له على أساس الغريزة الجنسيّة، فهو يرى المرأة كشيءٍ جامدٍ وأداةٍ لتلبية كافة رغباته. وعندما يُضاف إلى ذلك التلقين الأعمى وتخلف المرأة والعادات والتقاليد البالية أيضاً، فإنّ المرأة في مقابل فرصة الحصول على رجل، وكذلك الرجل في مقابل فرصة الحصول على امرأةٍ ذات موقفٍ حرّ، يصبح كلٌّ منهما فخاً منصوباً للآخر.

هذه التشبيهات والمجازيات التي يطلقها القائد عبد الله أوجلان، "النَمِرَة التي أصبحت طعاماً داخل قفص النمر الذكر أو استسلمت له، وفي قفص النمرة فالذكورة التي قد تمّ ضخها وتضخيمها من الناحية البيولوجيّة، أو النمر الذي تحول قطاً من منظور ثقافة المجتمع والثقافة النسوية" هي أمورٌ لافتة للنظر ومهمّة جداً. ففي يومنا هذا، يظهر من علاقات هذين التشبيهين، الحرب المُسْتعِرة بينهما والهجوم المتبادل والإفناء الجسدي والروحي ضد بعضهما البعض. لكن بالإجمال فالشيء الذي يحصل هنا هو، إنّ النمرة الأنثى هي فريسة للنمر الذكر في كلّ ميادين النظام الذكوري الذي يمثل قفص النمر الذكر، وفي كلّ ميدانٍ اجتماعي ينضم إليه بلا رادعٍ أو حماية. وفي العلاقات اليوميّة أيضاً حيث عدم محبة أحدهما للآخر، والحرمان من الأخلاق والجمال، والحرمان من كلّ شيء، والانهيار الحاصل مقابل ذهنية الشرف الكلاسيكية.. الخ من العوامل الأخرى، وبكلّ تفصيلٍ من تفاصيل الحياة فإنهم يُمضون حياتهم التشاركية وفقاً لهذه الحقيقة.

إنّ الحياة التي بلغت حدود عدم التحمّل، وأعلى مستويات التعنيف، يكون فيها الاستسلام أو الموت من نصيب النمرة الأنثى، أما نصيب النمر الذكر فهو ذكرٌ مقابل النمرة، بينما لا يتعدّى كونه قطاً يعاني القمع والتجزئة في ظلّ ظاهرتي النظام الذكوري والدولة المتناقضتين أساساً. وفي المقدّمة ولأجل كليهما وللأطفال، فنصيب

الطبيعة الاجتماعيّة هو الخداع والإساءة والإبادة الحسيّة والعاطفية. وهذه الحقيقة تجعل الطبيعة الحيّة تعيش كوارث بيئية أيضاً. والانهيارات الحاصلة في عوالم المرأة والرجل التي تعتبر استمرارية الطبيعة الحيّة، تطال الحياة الطبيعية أيضاً. فالحياة التشاركية التي لا يتم فهمها وتعريفها جيداً وإدراكها وعيشها بشكلٍ صحيح، تصبح في كل تفاصيلها بلاءً ووباءً على الحياة بأسرها. ' ويظهر جليّاً في عصرنا هذا مدى انحطاط وفشل القوى الاستعمارية والسلطوية المهيمنة في الانهيار الحاصل في إطار الحياة التشاركيّة. وعلاقة المرأة والرجل التي يتمّ الحط من قدرها بهذا الشكل، أصبحت فاقدة لمعناها، لا يمكنه العيش بدونها ولا بها، أي أنّها أصبحت على حافة الهاوية. والذين لم يربطوا ثورة الانطلاقة بتحليل هذه الحالة الفوضوية، سيستمرون بالعيش في خضم هذه الفوضى.

دعونا نقيّم هذه الحالة الفوضوية التي يلفت القائد عبد الله أوجلان النظر إليها في أطرها العامة، كيف تمّ تطويرها ضمن المجتمع التاريخي. فعندما ننظر إلى التاريخ من منظور تجارب نظريّة الحياة التشاركيّة الحرّة، فإننا نصادف بعض المحاولات المهمة جداً. ونستطيع التعلم وتنوير هذا الميدان الذي أصبح في يومنا هذا عقدة عمياء، عن طريق القراءة والفهم الصحيح لهذه التجارب، في أي مكان، وكيف، وبيد من، وبأيّ هدفٍ تمّ ضربها وإخراجها من مسارها التاريخي، وكيف أصبحت منبع أزمات العلاقات الاجتماعيّة؟

ونحن نقول، "تمّ ضرب واستهداف الحياة التشاركيّة، وإخراجها من مسارها" بسبب وجود الكثير من الاختلافات بين نماذج الحياة المشتركة التي ظهرت مع بداية تشكل الحياة الاجتماعية والعائلة التي تأسّست بعد مجتمع الدولة والمجتمع الطبقي. ومنذ مطلع التاريخ وإلى الآن وحتى ما قبل التاريخ، فإنّ شكل ملازمة الرجل والمرأة لبعضهما اختلف بشكلٍ جذريٍّ عما رأيناه ضمن التاريخ القريب وما نراه في يومنا هذا. وبحسب النظام الاجتماعي لكلّ مرحلةٍ فقد وُجدت أشكالٌ مختلفة لوحدات الحياة المشتركة. كما وُجدت أشكالٌ مختلفة للحياة المشتركة في التاريخ القريب. فعلى سبيل المثال، في بعض مناطق الصين، وضمن بعض مجموعات العصر الأمومي وحتى بلوغ الثورة الصينية لم يكن هناك زواج. كما وُجدت أشكال العلاقة المبنية

على زواج المرأة المتعدّد ضمن الكثير من ثقافات الشعوب المختلفة في أرجاء المعمورة. أي أنّ أشكال الحياة هذه: الزواج-العائلة-الزوج، التي تمّ فرضها في جميع أنحاء العالم وأصبحت أموراً عادية بالنسبة للعديد، فهي عبر التاريخ ولوقتٍ طويلٍ جداً كانت أمراً غير عادياً. والأصح هو أنّ علاقات الحياة التشاركية الحالية وأنماط العائلة والزواج تعود لوقتٍ قصيرٍ جداً لا يتعدى 2% من تاريخ الإنسانيّة. لكنها الأنماط المسيطرة حالياً على شكل حياتنا.

وعلى مرّ التاريخ وحتى ما قبل التاريخ، فقد تمّ توسيع شكل العائلة-الكلان حول المرأة. وفي شكل العائلة هذا لم يكن الرجل معروفاً وكان بدون أي تأثير. فهناك الخال والأطفال فقط. كما وُجد عبر التاريخ ولفترةٍ طويلة نموذج العائلة أو الحياة التشاركية، حيث الرجل والمرأة متكافئين في هذا النموذج. وعلى عكس الاعتقاد الشائع، فقد تم عيش هذا النموذج من الحياة عبر التاريخ بشكلٍ واسعٍ ولوقتٍ طويل. وفيما يتعلق بنظام العائلة التي يترأسها الرجل فطرق الحياة التشاركية فيها متخلفة جدّاً. وتمّ تأسيسها كبذرةٍ لثلاثية النُبلاء-السلطة-الدولة. وفي مرحلة السلطة هذه، فالهدف هو ربط المرأة والأطفال بهذه السلطويّة، لذلك تم تطوير تلك الرابطة السلطويّة في شخصية المرأة والأطفال. وبقدر ما تنعدم رابطة السلطة في خميرة الطبيعة الاجتماعيّة، ولا تتقابل تلك الرابطة وأيٍّ من الاحتياجات الاجتماعية أو الطبيعية، فإنّ عقلية الرجل السلطويّة قد خلقت مؤسّسة العائلة بموت المرأة كثيرة الأطفال. ومنذ اليوم الأول الذي ظهر فيه وإلى يومنا هذا، فقد أصبح نموذج تلك العائلة سببا في الكثير من المشكلات الاجتماعية الكبيرة.

تتواجد مصالح السلطة والدولة هنا، في أساس نموذج العائلة هذا. وبسبب اعتماد كلّ أصحاب السلطة عبر التاريخ وإلى اليوم على طبقة النبلاء والأرستقراطيين، فإنّ نموذج العائلة السلطوي تعمّق بشكلٍ أكبر. فالنبلاء السلطويّون صنعوا نُسخاً من أنفسهم داخل المجتمع. فكلّ رئيس عائلة من هذه النسخ يُخيّل له أنّه أحد أصحاب السلطة أولئك. ومقابل الوحش الهائج في داخل الرجل تمّ استغلال أجساد وأرواح النساء المحتجزات داخل بيوتٍ خاصّة واللاتي كنّ حرّات في الماضي. تمّ استخدامهن كجواري وأدواتٍ لزيادة النسل، ولأنّها مُلك الرجل فقد تعرضت

للاعتداء بشكلٍ لا يمكن تصوّره، بولادة الكثير من الأطفال لدرجةٍ لا تتحملها طبيعتها الفيزيائيّة، ومع عدم وجود ضرورةٍ وحاجةٍ للاحترام والحبّ، فبقدر ما تنجب من الأطفال الذكور تُعطى القيمة لها... في نموذج العائلة هذا، حيث يعتبرها الرجل ضمانة القوة والحياة، ويُغري قلبه بالملكية السلطويّة والهيمنة، تتحوّل الحياة إلى قفصٍ يتمّ فيه استعمار المرأة وإفناؤها لحظة بلحظة. وللأسف، فإنّ نموذج العائلة تلك قد تمّ ترويجه دائماً على أنّه الذهنية المتحكمة بالمجتمع. وبقدر ما فتح الطريق أمام العديد من مشكلات المجتمع فلم تتم إزالة هذا النموذج.

إنّ القدر الأكبر من الضربات التي تلقتها الحياة التشاركيّة والتي أخرجتها عن مسارها، هو ضمن مرحلة ثقافة العائلة النبيلة الحاكمة. هذه الثقافة ليست ثقافة الشرق الأوسط بمفرده، إنّما هي ثقافة منتشرة في كل أرجاء العالم ويستمر تأثيرها بالانتقال إلى عصرنا. فالأديان والدول قبلت هذه الثقافة على الدوام ودعمتها. وتستمر هذه الثقافة بقوةٍ ضمن الشرق الأوسط حاليا. فثقافة العائلة والسلالة الحاكمة، من ناحيةٍ تُفسح المجال أمام زيادة التعداد السكاني، ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ السحر الذي تحصل على القدر الأكبر منه من الدولة والسلطة يُضرّ بالطبيعة الاجتماعية. إنّ ثقافة الحياة التشاركيّة هذه والتي تنتقص المرأة، وتنظر لها بعين عدم المساواة والكره وتقوم بإنكارها، تفرض على الأطفال اللا حب وتتركهم بلا تعليم أو تدريب، كما تطبّق العنف على العائلة، وتحت مسمّى الشرف فإنها تفرض إمّا الموت أو الأسر بدءاً من الأطفال الإناث وحتى عندما يصبحن نساءً، إنها ثقافة الحياة التشاركيّة المنحرفة. لهذا فإنّ تحليل ثقافة الحياة التشاركيّة هذه أو ثقافة العائلة، هي الشرط الأوّلي لتحليل الأنظمة الحاكمة والدولتيّة. وإن فهم واستيعاب المراحل البدائية والأوّليّة لنموذج العائلة هذا، ومنبعها التاريخي ووصولها إلينا هو أمرٌ بالغ الأهمية.

وإذا ما اتجهنا صوب ميثولوجيا جغرافيتنا وتاريخنا، وعقيدتنا وفلسفتنا وعلمنا، لكي نجد جواباً عن السؤال المطروح وهو، كيف نحقق علم ميدان الحياة التشاركية، فإننا سنكسب الكثير من المعطيات. ونستطيع أن نستخلص من تاريخ هذه البقعة الجغرافية العديد من وجهات النظر والرؤى العلمية والإنسانية أكثر مما في وقتنا

الحالي. وإذا ما حللنا هذا التاريخ سنجد بأنّ المصطلحات والمفاهيم الرأسمالية التي استخدمتها وعكست وجهتها، 'الميدان الخاص-الميدان العام'، هي مصطلحاتٌ مزوّرة ولا أساس لها. وفي يومنا هذا وعبر التاريخ ككل، فقد أضفت المجتمعات والدول بالسبل الميثولوجية والدينية والفلسفية والعلمية، شكلاً على الحياة التشاركية وتدخلت فيها ووضعتها ضمن حدود. لقد استبدل الميدان الخاصّ على الدوام بالميدان العام، وتمّت مناقشة الميدان العام، والذي أصبح جلياً من الأساس. وإذا ما تم تحليل قوانين وحقوق الامبراطوريات الأولى كتحليل الصيغ الأولى لتطوّر الفكر الإنساني الميثولوجيا والدين، فسيظهر كيف تمّ تقييم الحياة التشاركية كركيزةٍ أساسية وكموضوعٍ مركزي. لقد توقفت الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم عند هذا الموضوع ملّياً وبشكل عميق إلى أبعد الحدود، وتدخلت فيه وحاولت إكسابه شكل المنظومة الأبوية. وفي هذا السياق فإنّ مراحل الانهيار الجنسي الأولى والثانية التي خُلقت ومورست ضد النساء، كانت قد أصبحت مراحلاً لإضفاء الشكل على الحياة التشاركية.

في الميثولوجيا، فإنّ سرد العلاقات بين الله والآلهات، وبين الموت وعدم الموت كان يتمّ بلغة الشِعر، ففي ميثولوجيات العصور الأولى، وإلى جانب الإلهة التي كانت موجودة على العرش بمفردها، فالقصة المأساوية التي حدثت هنا خطوة بخطوة هو كيفيّة استبعادها عن عرش الألوهية على يد من وضعتهم بجانبها من أب، ابن، زوج، وعشيق، واستخدامها في أغراض الفحش داخل بيوت الدعارة، واستعبادها كخادمةٍ في بيوتٍ خاصة. ونستطيع أن نقرأ في هذه القصص كيف تحوّلت الحياة التشاركيّة الحرّة والشاعريّة إلى منظومةٍ للحياة العبوديّة. فقصص النساء المأساوية التي تسردها الميثولوجيات هي في جوهرها قصص انهيار المجتمع الحرّ. إنّ علاقات المرأة والرجل اللذين يتحركان بعلميةٍ فيما بينهما، وعلى مبدأ الاحترام المتبادل دون أن يكون أحدهما مُلكاً للآخر، والمرأة التي تؤمن بنفسها وبقدرتها على أداء دورها الإرشادي، تتجه خطوة بخطوة نحو بداية النفي والانتقاص. وهناك مخططاتٌ بدائية لشبكات العقل والأيادي الذكورية المتسيّدة التي خلقت الحياة التشاركية المتأزّمة في يومنا هذا، وكيف وجّهت هذه المخططات نحو المرأة والمجتمع في آنٍ معاً. إنّ هذه الشبكات التي تسرد الميثولوجيا بلغة شِعريّة، وتبدأ من

حمورابي، أصبحت إلهاماً لحقوق الإمبراطوريات التي ظهرت قبل الميلاد. هذه الحقوق التي حدّدت مكانة المرأة وعلاقات المرأة والرجل والعقوبات التي ستتخذ بحق المرأة مقابل التجاوزات ومحاولات الخداع التي تقوم بها ضمن العائلة والمجتمع. وقد أوصلت نفسها إلى تعاريف جليّة على أساس الحياة التشاركية.

والأديان التوحيدية هي الأخرى قد أصدرت الكثير من الأحكام والقوانين بخصوص تعريف العلاقات بين المرأة والرجل وأساليبها. فعلى سبيل المثال فالديانة المسيحيّة تقوم على أساس حياة الرهبان والراهبات، وتحرّم الجنس على رهبانه وراهباته، كما تعدّ المتعة الجنسيّة لغير إنجاب الأطفال ذنباً لا يغتفر. وعلى الرغم من منع الغرائز الجنسيّة، إلا أنّ تأثير هذه الموانع على المجتمع تحت مسمّى التهميش وفي سياق التقرّب الجنسي من الإلهة الأم، ينبغي أن يُبحث من كافة النواحي. هل فتحت الطريق أمام الحياة التشاركية الحرة أم مهدّت الطريق أمام عوائق جديدة؟ لذا ينبغي دراسة هذه التساؤلات. وفي أزمنةٍ لاحقة، فتحت الحداثة الرأسمالية الطريق نحو حياةٍ جنسيّةٍ بارزة جدّاً تحت مسمى الحرية الجنسية. لذلك يجب ألا يُنسى بأن هذا الجانب قد تطور كردّ فعلٍ على تلك المحظورات، وعليه ينبغي دراسة وبحث تأثير الأحكام المسيحية تلك في الوقت الحالي على الحياة التشاركية المتأزمة. وفي هذا الصدد تتواجد في الدول الغربية نتاجاتٌ نقدية مهمة معنيّة بالأوساط النسوية (الفامينية) وأوساط الأكاديميين. لكن السؤال المطروح هنا والذي يجب دراسته وبحثه، هو أيٌّ من هذه النتاجات تمارس دورها النقدي الحقيقي، وأيٌّ من هذه الانتقادات هي في محلها وتفتح الطريق أمام حلٍّ حقيقي لكلّ التساؤلات المطروحة.

وفيما يتعلق بالحياة الاجتماعية في دول المشرق بشكلٍ خاص، والإسلام الذي له بالغ الأثرعلى الجانبين النظري والتطبيقي في الحياة التشاركيّة، هناك حاجة لنفس المقاربة النقدية والتحليلية. ففي الحلّ الإسلامي لا يعتبر الجنس ذنباً أو محظوراً. لكن الرجال لهم حقوق لا حدود لها. بينما تعدّ المرأة حرة فقط ضمن الإطار الذي رسمه الدين لها. ويطلب الإسلام من الرجل أن يكون عادلاً في حَرَمه الذي يتألف من أربع نساء على الأقل، ويدعو النساء أن يتشاركن الجنس الذي هو حقٌّ لهنّ مع

أزواجهن لكن بشروط عدّة. الشرط الأكثر أهمية هو "كما هو الله في السماء فإنّ الرجال في الأرض هم كذلك بالنسبة للنساء" (الرجال قوّامون على النساء). وما يقوله الرجل يُنفّذ. "بتكوّن حَرَم الرجل يكون قد أدخل بيت الدعارة إلى بيته، ويؤطر هذا على أرضيّة المشروعيّة الدينية. وفي دول الغرب خاصّة وفي عموم العالم حاليا، فإنّ تأثير الثقافة والسياسة الجنسية للديانة المسيحية ظاهر للعيان. كما أن تأثير السياسة والضغط الجنسي للدين الإسلامي ظاهرٌ على قسمٍ من الناس ومنطقة مهمّة من العالم. وعلى الذين يرغبون بتطوير علم الحياة التشاركيّة الحرّة، فهذه هي المعطيات الأوليّة التي يجب أن يتم البحث على أساسها. لأنّ تأثير المسيحية واضحٌ للعيان فيما يتعلق بإضفاء المشروعية على السياسات الجنسية القائمة والتي تمت إثارتها وأخرجت عن مسارها تحت مسمى الحرية. كما أنّ السياسات الجنسية في الدين الإسلامي، التي تروّج كثيراً لإشباع رغبات الرجل، تعمّق عبودية المرأة بشكلٍ أكبر، وواضحٌ جدّاً إصرار الرجل في موقفه السلطوي هذا.

بدايةً، قامت الفلسفة والعلم بالتمعّن والتفكير في هذا الموضوع مليّاً. فعلى سبيل المثال الفلسفة اليونانية التي تعتبر منبع الفلسفة الغربية تُطوّر هذه النظرية، وممارسة الجنس مع المرأة هو فقط بهدف إنجاب الأطفال، ويستطيعون إظهار الأطفال الذكور غير البالغين حتى كمعشوقين لهم حقّ الحصول على المتعة الجنسيّة. وفي هذا الصدد هناك مسؤولية كبرى تقع على عاتق الفهم القائل بأنّ "المرأة هي رجلٌ ناقص أو رجلٌ معاق (المرأة ضلع قاصر) لا تناسب صداقة الرجل ومصاحبته" في جميع الأماكن التي تعيش وفقاً لهذه الفلسفة أو متأثرة بها فيما يخصّ استمرارية الحياة التشاركيّة المعاقة. لذا ينبغي لنا تحليل هذه الفلسفة التي تحط من مكانة المرأة وتضفي المشروعية على ممارسة الجنس مع ذكورٍ غير بالغين، وترى الاستغلال الجنسي لكلا الجنسين حقاً من حقوق الرجال البالغين، بشكلٍ عميق. لأنّ الجينات الأساسية، لثقافة 'المرأة الخادمة' التي أثرت في كافة الحضارات، هي هذه السياسة الجنسيّة التي أكسبتها الفلسلفة اليوناينة مشروعيةً.

والكثير من النقاشات التي طرحتها الفلسفة الوضعيّة وقدّمتها للمجتمع، تتحمّل مسؤولية هذه الحياة التي تلقت الضربات، بقدر الميادين الثلاثة الأخرى على أقل

تقدير. وبسبب دورها المسبّب للأزمات والمجازر الجماعيّة، والعلمويّة وعالم المعرفة المتطوّر بذهنية العلم الوضعي في تخريب الحياة التشاركيّة الحرة، فإنها تصبح ميداناً يجب أن يتم بحثه بمفرده. وبقدر ما تطوّرت الحداثة الرأسمالية وجزّأت المجتمع، فإنّ القتل الجماعي ضمن مؤسسة الزواج والمستند إلى ارتفاع سويّة التمييز والاختلاف بين الميدانين العام والخاص، هي مراحل يجب أن يتم بحثها ومحاسبتها أيضاً. ففي المجتمعات الأوروبية وفي خضم عصر الرأسمالية الصناعية قسّمت العائلات والمرأة على حدّ سواء مع مجتمع القرية. فالرأسمالية المتقدّمة، وكيفما أبعدت البشر عن موطنهم، فقد أبعدتهم عن بيوتهم وعائلاتهم أيضاً. فالرأسمالية في حقيقتها، ولكي تفرض الفردية المتضمّنة في طبيعتها على المجتمع، قامت بتقسيم المجتمع حتى أصغر خلاياه. ولكي تُنزل الإنسان وطبيعة الإنسان إلى مستوى الأحياء وحيدة الخلايا وتتحكم بتلك الخلايا واحدة واحدة، جزّأتهم بهذه الطريقة. ونالت العائلة والمرأة نصيبهما من هذه التجزئة بشكلٍ عنيفٍ للغاية.

في وقتنا الراهن، يرى الغرب، العالم خارجه متخلفاً ومتوحشاً. وخلال القرن الأخير، استخدم سلطة الرجل وقمع الإسلام للمرأة كأدلةٍ ودعائم في جميع هجماته على الشرق. وفيما يتعلق بهذا الموضوع، فإنّ كشف وإظهار خداع وازدواجية الغرب، وبالأخص خلال عصر الرأسمالية الصناعية والمرحلة التي تلتها، مرتبط بمدى معرفتنا لوضع العائلة في المجتمع الغربي. ومن أجل علمٍ اجتماعي جديد، فإنّ الجنولوجيا، ضمن العلوم الاجتماعية، تقوم بإدعاء كونها ظاهرة ناتجة عن الثورة، بخصوص الحياة التشاركيّة الحرّة الموجودة في حقيقة المجتمع الغربي، وبالأخصّ من ناحية سوسيولوجية الغرب، فإنّها ستبحث أسباب طمس هذه الحقيقة فيها. فسوسيولوجية الغرب لم تفسّر إلى يومنا هذا لماذا وكيف تم تفريق العائلة وإفناؤها؟. وفي عصر الرأسمالية، وفيما يخص الادعاء القائل بأن المرأة قد حصلت على حريتها في هذا العصر وتزوّج لهذا كثيراً، فهي ليست أكثر من كذبة. لذلك ومن أجل كشف وإظهار حقيقة هذه الكذبة وتوضيح جزءٍ مهم من تاريخ الحياة التشاركيّة الذي تم تعتيمه، ينبغي إجراء أبحاثٍ عميقةٍ وواسعة وجديّة في هذا الخصوص.

الوظيفة والتعاريف التي تطرحها الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم على المرأة والرجل، قامت بإعاقة كلّ ميادين علاقة الرجل والمرأة. ولإزالة هذه المعوقات والعراقيل وتحقيق العلاقات الحرة، فوجهة نظر القائد عبد الله أوجلان "من الضروري أن يفهم الإنسان بأنّ الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم والفن هي من أجل الحياة، ودورها الأساسي هو تحقيق التشارك والصداقة الحرّة، وفي هذا الإطار ينبغي على الإنسان أن يكسيها ثوب الأخلاق والجمال"، هي مفتاحٌ مهمٌ للحل. وفي مقابل القوى المستبدة السلطوية التي أقفلت عقولها آلافاً من السنين أمام فهم أنّ الإنسان والحياة التشاركيّة هي في خدمة الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم. فإنّ نظرية الحياة التشاركية وخلافاً لذلك الفهم، تفتح هذا القفل. إنّ هذه النظرية تطرح هذا الدور"تحقيق وإنشاء الصداقة الحرة" لكلّ قوالب الفكر والمؤسسات ذات الصلة. أي أنها تجعل حياة الإنسان الحرة مركزاً، وتضع الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم في خدمة الإنسان. هذه ثورة فكرية وذهنية. إنّ هذه النظرية التي ظهرت في مقابل المفاهيم المسيحية 'الذنب والخطيئة'، والإسلاميّة، نساؤكم حقولٌ لكم فتوجهوا إليها كيفما شئتم "نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم"، والفلسفة القائلة "بأنها رجلٌ ناقص"، والميثولوجيا القائلة "هي العاهرة وهي الأم المقدسة في آنٍ معاً"، ومقاربة الفن الذي يستخدم المرأة كزينةٍ، وكذلك تخريبات الطبيعة المعاقة بين المرأة والرجل، هي صاحبة ذلك الإدعاء بأنها ستزيل هذه المفاهيم والفلسفات من الوسط.

في الفهم التقليدي، فإنّ معنى الحياة التشاركية بقدر ما يقاس بعلاقة المرأة والرجل ويُفهم كعلاقةٍ بين العشاق، إلا أنّ الحياة التشاركية ليست محصورة فيها فقط. فالعلاقة الشعورية والجنسيّة التي بين المرأة والرجل هي فقط إحدى جوانب هذه الحياة. لكن لأنّ السلطة تتناول هذا الجانب بشكلٍ خاص، وتحاول إضفاء شكلا معينا عليها، فإنّ هذه الحقيقة تضع بصمتها على العلاقة عموماً. فإذا ما تمّ تعريف الرجل والمرأة، ضمن تعريف المجتمع، عندها ستبلغ معناها الحقيقي. وباكتساب المعنى، فإنها ستجمّل الجوانب الشعورية والجنسية المتأزمة، وتجعلها ذات طابعٍ أخلاقي. ولفهم نظرية الحياة التشاركيّة، يقول القائد عبد الله أوجلان التالي "الأنظمة الحضارية قدّست الحياة التشاركية كميدان 'الحياة الخاصة' وهذا حكمٌ وُجهت فيه الحقيقة الاجتماعية كثيراً نحو الخلف. الأصح هو إذا تم استيعاب العام مثل الخاص،

والخاص مثل العام سيتناسب ذلك مع الطبيعة الاجتماعية أكثر... وينبغي ألا يفهم المرء علاقات الحياة التشاركية كعلاقةٍ بين شخصين فقط. فهمٌ بهذا الشكل هو فهمٌ ناقص. وبلا شك فبالإمكان إقامة العلاقات الثنائية بين شخصين ضمن الحياة التشاركية، لكن محاولة فهم الحياة التشاركية من منظور تلك العلاقات فقط ليس صحيحاً. فالحياة التشاركية تتحقق بقوة المعنى الكبيرة والجمال والأخلاق، إنّها حياة خالية من الازدواجية وهي بالأكثر حياة صرفة وحقيقية. فالنساء والرجال المرتبطون بالحياة الاجتماعية، ومتى ما حققوا الحياة الحرّة بشكلٍ كوني وجماعي، فإنهم يستطيعون العيش بطريقةٍ صحيحةٍ وجميلة... إنّ علاقات الحياة التشاركية لها صفاتٌ كهذه بحيث تؤثر على العلاقات الاجتماعية والكونية من الأساس. فالازدواجيّة الأكبر التي مارستها الحضارة، هي اعتبارها لهذه العلاقة الكونية علاقة ثنائية محرّمة وخاصّة. وهذه إحدى الأسباب الرئيسية التي جعلت العلم الاجتماعي بلا قيمةٍ أو فائدةٍ تذكر".

وعلى الرغم من أنّ الميثولوجيا والدين والفلسفات بأنواعها ومدارس العلم، قد طوّرت نتاجاً كليّاً منقطع النظير بخصوص علاقات المرأة والرجل وهويّة ووجود المرأة، ومهّدت الطريق أمام العديد من التخريبات، ولكنها أي المرأة أصبحت على الدوام في ذهن الرجل المتسلط وجوداً سرّياً وكابوساً غامضاً ومُبهماً وكائناً شيطانياً. لكنّ الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم التي تطوّرت حسب قوالب ذهنية الرجل المستبد والمتسلط، لم تُخرج المرأة وعلاقات المرأة والرجل وشبكة العلاقات المتكوّنة حول المرأة من أجنداتها وبرامجها. فهذا الوضع مرتبط بحقيقة الحياة. لذلك فإنّ الأسس والتطوّر والتنظيم والاستمراريّة وبسبب النقاشات العميقة مهم جداً في استمرارية الحياة التشاركية في يومنا هذا. لأنّ الحياة التشاركية هي البذرة الأساسية لجميع العلاقات الاجتماعية. في هذا الميدان ومهما يكن مستوى الفكر والشعور والروح والاحترام والحبّ فإنّها ستؤثر على المجتمع أيضاً. فالموقف الاستبدادي والظالم للسلطة الحاكمة، والقمع والعنف الممارس يومياً من قبل الرجل على المرأة، تسير جنباً إلى جنب. وكيفما تكون الحياة التشاركية للرجال المتسلطين، فإنّهم يحاولون أن يقودوا أوطانهم بنفس الطريقة. كما أنّ علاقات الحياة التشاركية جليّة أيضاً في حياة الناس العاديين. وبالنسبة للرجل أو المرأة اللذين يعانيان أزمة -

فوضى وضيقاً في حياتهما التشاركية، فمن الصعب جداً أن تكون علاقاتهما الاجتماعية هادئة وسعيدة وناجحة. وفي تشكّل وجود الدولة والاقتصاد والدين والعديد من الأمور الحياتية، فإنّ الحياة التشاركية واضحة للعيان. لأن هذا التأثير قد تأسّس بشكلٍ جدلي منذ البداية. إنّ علاقة العبد -السيّد التي أصبحت مسيطرة في الحياة التشاركية، أخذت مكانها ضمن جميع المؤسسات الاجتماعية فيما بعد. وتعتبر الفوضى الأكثر عمقاً التي نراها ضمن أشكال الحياة التشاركية في جميع أنحاء العالم، لأنها تمثل أولى ثنائيات العبد-السيّد لهذه العلاقة. وبالنسبة للمرأة أو الرجل اللذين يعيشان حياةً هادئة وحرة ومستقلة ومحترمة وفقاً لمعايير أخلاقية وجمالية، فلا يمكن أن تضيق هذه العلاقة في الساحة الاجتماعية، ولا أن يظلم أحدهما الآخر أو يبقيا بدون حل.

لقد قيّمنا الحياة التشاركية الحرّة بخطوطٍ عريضةٍ فيما يتعلق بالتاريخ وفي وقتنا الراهن. كان هذا التقييم بهدف شرح لماذا سيقوم علم المرأة بتحليل هذا الميدان؟. فميادين الحياة التشاركيّة الحرّة، هي إحدى تلك الميادين التي تفرضها الجنولوجيا. لأنّ ميدان الحياة التشاركية هو الذي قسّم وجود المرأة بالأكثر وربطها بالعبودية عبر آلاف السنين وصولا إلى يومنا هذا. ويمكننا القول بأنّ عالمنا اليوم وفي كل لحظةٍ يشهد حالة قتلٍ أو تحرشٍ بامرأة. فالجنولوجيا هي التفكير بتمعنٍ في هذا الميدان وإعمال الضمير والعقل والمشاعر وتطوير النشاطات على هذا الأساس، وخلق نظريةٍ وأفكارٍ للمعايير الأساسية للإنسان والثورة. فالجهل والمجازر المعاشة في هذا الميدان تسيران جنباً إلى جنب. لهذا السبب فإنّ تسيير التنوير النظري – التنظيم الفكري، وتحقيق النشاط مع بعضهما البعض ضمن هذا الميدان سيُفهم بشكلٍ أكبر.

من ناحيةٍ أخرى، وبالأخص حول أسر المرأة بيد النظام، فقد استخدمت الحياة التشاركية كسلاحٍ ضدّ المجتمع. وأصبحت المشاكل متجذرة ومتعمّقة، ووصلت الأزمة إلى الذروة، وهذا يشير إلى أنّ حلول المشكلات قد أوصلت نفسها إلى الكثير من الأرضيّات. فهذا الميدان هو الذي يستطيع أن يصبح نتيجة ومخرجاً لكل الانسدادات الحاصلة في الميدان الاجتماعي. ويقيّم القائد عبد الله أوجلان شرط

التناول العلمي-الفني والفلسفي بهذه الطريقة "الأشخاص الذين يخطون خطوات فرديّة أو جماعية، وإذا جعلوا هذا الميدان أساساً لهم من الناحية العلميّة والفلسفيّة والفنية، حينها فقط يستطيعون أن يخطو خطوتهم نحو الحياة التشاركية الحرّة. إنّ هذه الخطوات الأولى التي ستخطى، ومثلما يتبين في كثيرٍ من المرّات، ليست خطواتٍ تُخطى بين شخصين فقط، بل هي الخطوات الجمعيّة (الكونية) الأولى فيما يتعلّق بالمجتمع الاشتراكي الديمقراطي الذي سيتم تطبيقه على الأرض.". ويفسّر هذا الشرط لماذا يجب أن تتطوّر الجنولوجيا. وينبغي تطويرها لاكتساب النظرة الفلسفية-العلمية والفنية التي هي حاجة الحياة التشاركية. وأحد الأهداف الأساسية للجنولوجيا هو إزالة الجاهلية العمياء المفروضة على الحياة التشاركية من الوسط. هذه الجاهلية التي تضرب مركز الحياة الاجتماعية اليوم. ومثلما لا تكفي إبادة الدولة، ففي كلّ يومٍ يصل المجتمع إلى حافة التوحّش ويمرّ بداخله في مستوى الإبادة على يد الرجل. ولقد ثبت عبر التاريخ ولوقتٍ طويلٍ بأنّ الحياة التشاركية لا تنهي المجتمع، بل على العكس فهي القوة التي تبني المجتمع وتعظمه وتجعله منتجاً. وبقدر ما تكون هذه الحالة المتأزمة والقتل الجماعي المعاش خلال هذا التاريخ المرحلة الأقصر فيه، لكنها الفضيحة والعيب الأكبر فيها. وطالما هذا العيب موجود، فإنّ الحياة الاجتماعية لن تسير في طريقها الطبيعي أبداً.

لأنه إذا تم إزالة الوضع المتأزم ضمن المواضيع الثنائية، وعلاقات وحياة المرأة والرجل التشاركيّة، فسيبدو تعريف الحياة التشاركيّة الحرّة كمرشّحٍ للفت النظر والتنفيس والإقناع لا غير. وهي صاحبة الادّعاء بتطبيق ذاك التعريف والحل ضمن علاقات التجانس في الحياة والروح والتعايش المشترك. وفي هذ الميدان، يتضح أحد جوانب ثنائية الطبيعة الاجتماعية كـ 'أول ميدانٍ ينبغي تحقيق علمه'. [3] وبمقولة القائد عبد الله أوجلان،" الحياة التشاركية، وبالأخص المعارف التي يجري تطويرها حول المرأة، ستكون الخطوة السبّاقة نحو سوسيولوجيا (علم اجتماع) حقيقية. وعلاقة الحياة التشاركية ذات خاصيات كهذه بحيث تؤثر من الأساس في العلاقات الاجتماعية والكونية (الجمعية) برمتها. فالازدواجية الأكبر للحضارة، هي اعتبارها

(3) الدفاع عن الكرد في الإبادة الثقافية- مسألة الكرد والحل/ عبدالله أوجلانن

لهذه العلاقة الكونية كعلاقةٍ محرّمة ثنائية وخاصّة. وهذه إحدى الأسباب الأساسية التي جعلت العلم الاجتماعي بلا قيمةٍ أوفائدةٍ تذكر. فلا يوجد ميدانٌ في الحياة ذو خاصياتٍ أساسية وواضحة بقدر ميدان الحياة التشاركية الحرة. تعتبر الاقتصاد والدولة كعلاقةٍ أساسية، وهذه فكرة ثابتة لسوسيولوجيا الحداثة "بعض المبادئ الأساسية التي تشير إلى نظرية الحياة التشاركية الحرّة".

أحد ادعاءات نظرية الحياة التشاركية الحرة، هي أنها صمّمت الدولة والاقتصاد والدين والعديد من المؤسسات الاجتماعية لخدمة الحياة التشاركية. وهناك ادعاءٌ آخر وهو التخلي عن السوسيولوجيا الخاطئة التي تضع الحياة التشاركية في خدمتها. إنّ المبادئ الأساسيّة للنظرية، هي قبل كلّ شيء، "هناك حاجة لمصطلح الحياة التشاركية البيئية التي لا يوجد في أساسها مفهوم زيادة واستمرارية النسل، وأن تكون وفقاً لنموذج الإنسانية الجمعية(الكونية) المثالي، وأن تأخذ وجود الأحياء والكائنات الأخرى بعين الاعتبار"[4]. وإنّ الكفاح ضد قوى الرجل المتسلّط والمتسيّد، وتصفية الحياة الاجتماعية الجنسوية في جميع المؤسسات والذهنيات، ورفض المقاربة التي تعتبر المرأة ملكاً خاصاً، وإزالة المرأة التي هي مجرّد آلةٍ لاستمرارية النسل ووضعها جانباً، تلك المرأة الجامدة والعاطلة أوالعاملة الرخصية التي تعمل بدون أجر، وخلق المرأة التي بنت وجودها على أساس الحريّة، هي نقاط نستطيع أن نعدّدها كمبادئ أساسية. وتنطبق هذه المبادئ على النساء والرجال المسؤولين عن بناء الحياة التشاركية الحرّة. ولبناء المجتمع الديمقراطي على أساس نظرية "الحياة التشاركية الحرة" ستكون الأمة الديمقراطية، الميدان الأول الذي تبحث فيه الجنولوجيا وتحقق علمها.

كيف يؤثر"عدم وجود العشق" في الحياة التشاركية على الحياة الاجتماعية؟ كيف يجب أن يتم تطوير الحياة التشاركية كي تنتهي الفوضى والمجازر التي أحكمت قبضتها على الساحة الاجتماعية، وكيف تُبنى الحياة اللائقة بالإنسان على أساسٍ من الأخلاق والجمال؟ "المكان الذي يكون مغلقاً في وجه العشق، لا يمكن فيه أن تتطور الديمقراطية والحرية والمساواة والوطنية. وإذا لم تكن هناك حياة ديمقراطية

(4) الدفاع عن الكرد في الإبادة الثقافية- مسألة الكرد والحل/ عبدالله أوجلان

مع المرأة على أسس المساواة والحرية، فلن تكون الحياة. لكن ومن أجل أخلاق العبودية هذه وإخراج الرأسمالية المعاصرة، الآخذة مكانها بعمقٍ عن سبيلها، يتم استبدالها بأخلاق الحرية (آتيك) وبطراز الحياة الجمالية (آستاتيك). وعدم إنجاح طراز الحياة الصائبة (العلم – الجنولوجيا) مع المرأة (وكذلك مع الرجل على حدّ سواء)، والصالحة (الأخلاق-الفهم والموقف الأخلاقي الجديد)، والجمالية (المعايير الجديدة للجمال، الحياة الحرة)، تعني في الوقت نفسه إفشال مسيرة الوصول إلى المجتمع الاشتراكي. إنّ إيجاد مخرَجٍ ومنفذٍ من الفوضى الأخيرة للمنظومة الرأسمالية، وخلق القوّة الكبرى المستمدّة من العشق الحقيقي حول المرأة الحرّة، هو العمل الأكثر أصالةً وقداسةً للأبطال الحقيقيين الذين وهبوا عقولهم وقلوبهم للعشق!

إنّ البراهين التي يقدّمها القائد عبد الله أوجلان في هذا الخصوص تحتوي أجوبة غالبية أسئلتنا. وتتضمن في الوقت عينه المبادئ الأولية لسوسيولوجيا العشق. فالمكان المغلق في وجه العشق، هو حياة تسودها اللا ديمقراطية والعبودية واللامساواة ولا وجود للوطنية فيه، يشير إلى أنّ العشق بقدر ما يكون شخصياً فهو حدثٌ اجتماعي أيضاً. فالعشق، مرتبط بإعادة تنوير كينونتَي المرأة والرجل الموجودين على أساسٍ طبيعي وحرّ وإعادة خلق وجودَي المرأة والرجل. وعلى المستوى الراديكالي فهو متعلقٌ بالتحقيق في الجنسويّة الاجتماعية التي ستحرّر المرأة من ثقافة العبودية والرجل من ثقافة السلطة، وكذلك الأمر هو متعلقٌ بتطبيق الحرية الجنسية وبخلق شخصيات المرأة والرجل الذين سيسيّرون نضال حرية المجتمع بنجاح. ففي الحداثة الرأسمالية يكون الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان، لهذا فإنّ العشق وقبل كل شيء مرتبطٌ، بخلق تلك الأماكن ذات الخصائص الأكثر أساسية والتي تجعل من الإنسان إنساناً، وبقيم الحياة الاجتماعية التي يستطيع أن يعيش فيها الإنسان بشكلٍ حرّ. إنّ العشق في يومنا هذا، يعيش فقط على الغرائز والرغبات الجنسيّة، وفي خضم الأزمة يقوم على أساس الرجل الحاكم والمرأة الأَمَة (العبدة). وهنا تظهر لنا لوحةً الرجل الأكثر وحشية الذي يعيش الجنّة في حالته الروحية الأسمى، والذي يقتل زوجاته أو عشيقاته خلف ألف قناع وقناع. ونستطيع القول هنا بأنّ الشهادة على العلاقات القائمة على أساس الانسجام والاحترام والحب المتبادل،

والتي تُنهل من المجتمعيّة وينهل منها المجتمع، والصداقة القائمة على أساس الجهد المشترك، الديمقراطية والحياة المشتركة والحرة غير ممكنة تقريباً.

وفي مشكلات العلاقات هذه، فالعامل الاكثر ظهوراً، هو التحريض والإثارة الجنسية الزائدة. فالجنس المرتبط في عموم الطبيعة بالتكاثر واستمرارية الحياة، يُعاش مع الرجل بشكلٍ مختلف كلياً. وفي حقيقة الحضارة التي تجعل المرأة حبيسة البيت والرجل، فقد أولى الدور الأساسي للغرائز والرغبات الجنسية. لكن في الحداثة الرأسمالية، ولأجل تفجير هذه الغريزة الجنسية وتطويرها بشكل منحرف، وتصدّأ علاقات المرأة والرجل، فقد عمل النظام عليها من كافة نواحيها. فالرأسمالية، التي تستخدم المرأة كأداةٍ جنسيةٍ في صناعة الإعلانات وفي تطوير الأفلام الإباحيّة(البورنو)، وقامت باستبدال أدوار المرأة والرجل ببعضها، وحتى تجارة الجنس على الطرقات التي تروّج الجنس وتجعله معياراً أساسياً للحرية الفردية، هذه الرأسمالية بأدواتها الجنسيّة وعلى المستويين النظري-الإيديولوجي، قد أتت بالفرد والمجتمع إلى حافة الهاوية والفناء. لأن الرأسمالية تضع سياستها الجنسيّة وتسيّرها بهذه الطريقة. وفي الوقت الراهن فإن هذا النظام واثقٌ بنفسه جداً فيما يتعلق بهذا الموضوع، بحيث يدّعي بأنه يستطيع بسياسته الجنسيّة تلك أن يتصيّد جميع أطراف المجتمع، ويحوّلها إلى أحجار شطرنج (بيادق) في يد النظام بهذه الطريقة. وينجح هذا الأمر في مستوى مهم جداً.

بهذه السياسة الجنسية، تم إبعاد كلٍّ من المرأة والرجل على حدّ سواء عن الحياة التشاركية الحرّة. والشيء الأكثر إيلاماً هنا هو قلة الأشخاص الذين يتبصّرون هذه الحقيقة والباحثين عن الحياة التشاركية الحرّة. وفي خضم حقيقة كهذه، فإن مناقشة سياسةٍ جنسيّةٍ جديدة، وأخذ العديد من المظالم والمصاعب بعين الاعتبار، وبدأ النضال ضدّ هذه المنظومة من كلّ النواحي، وتجاوز المفهوم الذي تموضع في الفكر والذهنية والقائل بأنّ، "الحرية الجنسية هي حرية فردية"، مرتبطٌة بإنجاح الكثير من الواجبات الأخرى. وبالتوجّه نحو العديد من القطاعات الصناعية فيجب أن يكون الجنس الموجود في طبيعة الإنسان طاقة طبيعية، لكن هذه الصناعة تربط هذه الطاقة بقوانين العمل. والتي هبطت بالحياة التشاركية والعشق إلى مستوى

مرض المتعة الجنسية اليوميّة. وقد فرضوا النسيان على كيفية تأسيس العلاقات الجنسية ضمن المجتمع، وكذلك كيف تكون العلاقات الجنسية عند الأحياء والكائنات الأخرى في الطبيعة. لذلك يتطلب الأمر حرباً دائمة ومن كافة النواحي، ضدّ السلطة المهيمنة التي تفرض التجويع والزيادة الجنسية وتطوّرها، وأيضاً ضدّ الحداثة الرأسمالية التي تؤسّس المجتمع وفقاً لهذه الشروط.

فلو كان هذا الفهم الجنسي الذي يُفرض على المجتمع عن معرفةٍ ودراية، صحيحاً لكانت الإنسانية سعيدة وناجحة وحرّة. لكنّ جنسية مثارة بهذا القدر تخلق مجتمعاً متوحّشاً بشكلٍ كامل. وتقتل بنية المجتمع. فطبيعة المرأة والرجل التي تتطوّر كفلتانٍ كوني، لا يمكن أن تدير هذا النموذج الجنسي غير الموجود في الطبيعة لوقتٍ طويل. وهذا الأمر قريباً كان أم بعيداً، سيجلب معه إفلاس الشخصية ونهاية الوجود الفيزيائي للإنسان. وهذا هو هدف النظام أساساً. المهم في هذا الموضوع هو إزالة جاهلية المجتمع من الوسط. ويجب أن تتطوّر نقاشات السياسات الجنسيّة المتناسقة والمنسجمة مع جوهر الطبيعة الاجتماعية والثقافية. لهذه الأسباب، فإنّ الحياة التشاركيّة هي من الميادين الأساسيّة للجنولوجيا لكي تُجري الأبحاث عليها، وتطوّر النقاشات والأطروحات بصددها.

وبتجربة علاقات الحياة التشاركية سيُفهم فيما إذا كنا قد تجاوزنا عتبة الإنسانية أم لا. والجنولوجيا، هي مستوى الفهم والاستيعاب والموروث الذي يجب أن يكتسبه كلّ إنسان ليجتاز هذه التجربة (الاختبار) بنجاح. وعلم المرأة الذي هو ادعاؤنا وفكرتنا، سيكون حياتياً بإدراك وإكساب طبيعتي المرأة والرجل معنييهما، قبل كل شيء. ونظرية الحياة التشاركيّة الحرّة هذه، ستتطوّر كميدانٍ أساسي للجنولوجيا. وبتطوير هذا الميدان فإنّ الجنولوجيا، تبحث في علاقات المرأة والرجل ضمن الكثير من ثقافات الشعوب في الشرق الأوسط، وتستكشفها برقةٍ وشفافيةٍ كبيرةٍ جدّاً. فالتوحّش الذي يفرضه النظام الرأسمالي في الحياة اليوميّة، لا يمتّ لحقيقة الطبيعة الاجتماعية بصلة. وفي العديد من ثقافات الشعوب، ومهما تكن منسية أو قلّ تأثيرها في يومنا هذا، وبخصوص العلاقات التشاركية فهناك العديد من التقاليد المتجذرة التي نستطيع الاستفادة منها واستخلاص الدروس المهمة منها ورفع معنوياتنا.

وعندما نقوم بتقييم مساواة المرأة والرجل والاحترام المتبادل بينهما، والمسؤولية المشتركة، وتقسيم العمل بينهما في الميادين المختلفة، فإنّ هذه الثقافة تأتي في واجهة العلوم الاجتماعية والديموغرافية اليوم. وفيما يخصّ هذا الموضوع، ففي كردستان فإنّ مساواة المرأة والرجل التي تتم حمايتها في المزدكية/ الخوْرامية واليارسانية والعلويّة، يتم عكسها وقلب مفهومها من قبل القوى الحاكمة بطريقة "ضمن البشر، المشاركة المتساوية للنساء"، وهذا الأمر جديرٌ بالبحث. وفي نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين، وبعد ظهور مفهوم مساواة المرأة والرجل من قبل المزدك، والذي حظي بقبول واعتراف الحاكم الساساني كاواد (كاواز) الأوّل، تمّ توزيع كافة حَرم القصر والإمارات. وانخرطت النساء ضمن الحياة الاجتماعية. هذا الحدث وبقدر ما يكون قد تم تحريفه من قبل العقول التي تنظر إلى المرأة كجاريةٍ وحرمٍ للبيت، فإنه وضمن بعض جوانب الثقافات الأصيلة للشعوب، يشير لنا بأنّ علاقات المرأة والرجل آنذاك كانت قيّمة أكثر مما هي عليه في يومنا هذا. وضمن اليارسانيين أيضاً وبالأخص بين القرنين 7-8 الميلاديين وحتى القرنين 12-13، وُجدت حوالي 12-15 شاعرة، أسماء بعضهن هي: جلالة خانم لورستاني، الأم تورازا هورامي، ريحان خانم لورستاني، ليزا خانم، نازدار خاتون، ونيركز خانم. وفيما عدا كتابة القصيدة، فإنّ الخصائص التي أكسبت تلك النساء أهمية أكبر، هو أنهنّ رائداتٌ دينيات في الوقت عينه. "ففي الطقوس والشعائر اليارسانية، مبدعات النتاجات الشعرية هنّ في نفس الوقت كاتبات الكتب المقدّسة أيضاً. وليس فقط النتاجات الشعرية، فبعض أقسام الكتابات الدينية التي توضح أسس الأخلاق والنصائح الدينية والعبادة، كتبت من قبل الرجال وبعضها الآخر كتبت من قبل النساء."[5] إنّ كتابة الكتب المقدّسة التي تعود لعقيدةٍ ما بشكل مشتركٍ مع الرجال، مرتبطٌ بتلك الأزمنة التي كانت شريعة الإلهة الأم سائدة فيها. وإذا كانت هذه الحالة معاشة في عقيدة شعبٍ ما، من ناحية الحياة التشاركيّة الحرّة، فستجعل من تلك العقيدة والثقافة موضوعاً للبحث والاستكشاف والذي يحقق علاقة بهذا الشكل. وعلى هذا الأساس، فإنّ الجنولوجيا ستجعل من كيفية تعريف الثقافات الكردستانيّة، للحياة التشاركيّة الحرّة وكيفية عيشها، مواضيع بحثٍ موسِعة.

(5) الدفاع عن الكرد في الإبادة الثقافية- مسألة الكرد والحل/ عبدالله أوجلان

وفي هذا الخصوص، توجد ثقافة أخرى يجب أن تُبحث باهتمامٍ، وهي التراث الأصيل المتجذر للزرادشتية. وفلسفة علاقات المرأة والرجل في هذا التراث، وروابطها بالعقيدة والثقافة، وانعكاسها على وقتنا الراهن، ستكون المصادر الأساسية التي سنتوجه إليها في بحث خلق الحياة التشاركية الحرة.

إنّ بحث ودراسة المُوسُوويين المتواجدين في الصين وإن كانوا قلة قليلة، والناغوفيسيين الذين يعيشون على جزيرة بوغنافيلي (شمال استراليا، مقابل بابوا غينيا الجديدة) والذين تحكمهم النساء، وماينانغ كاباولار غرب سومطرة في أندونيسيا، وقيصرية دولة ماغالايا شمال شرق الهند، آتاباسك آلاسكا، بريبريان، الفلبين (يسودها كلا النظامين الأمومي و الأبوي)، كاروي، هوبي، إيباني (يسودها كلا النظامين الأمومي و الأبوي)، إيروكواي، سينتينج، كارين، هاسي، مارشالي، سيرايي، تلينغيتي، فاناتيناي، سينيخت[6] و مجموعات متفرقة أخرى قد تكون تعيش في المناطق التي لم يتم اكتشافها بعد، مهمٌّ جدّاً لكسر حافظتنا فيما يتعلّق بموضوع الحياة التشاركيّة الحرّة.

إنّ صداقة رابعة العدوية وحسن البصري اللذين هما من الدراويش (الصوفيين) الأكثر شهرة لحركة زُهد -زاهدية هي مسألة لافتة للنظر. وكلام حسن البصري الذي يقول، "بقينا أنا ورابعة مع بعضنا 24 ساعة كاملة. تحدثنا فيها عن الطريقة والحقيقة. خلال هذه المدة لم أتذكر أنني رجل ولا هي تذكرت أنها امرأة". يجعلنا نفكر كيف تكون مقاييس علاقات المرأة والرجل وكيف تكون في الخلوة. وهنا نتذكر مقولة المتصوف المشهور بيازيد بيستامي الذي عاش في نفس الفترة الزمنية حيث يقول "شيخ طريقتي هو امرأة" هو أمر لافت جداً. هو مثالٌ مدهشٌ لكي ينظر المرء بوجهة نظرٌ مختلفة لعلاقات المرأة والرجل. وكذلك يعبّر المتصوف الأكثر شهرة وصيتاً في زمنه، ابن العربي عن موضوع المرأة في تقييماته التي استخدمها "بقدر ما يرى الله في صورة امرأة"[7]. وفي الفترة ما بين القرنين 8-12 الميلاديين، في ميدان التصوّف، فإنّ نشاطات النساء وعلاقاتهن بالمتصوّفين الرجال كانت ذات

(6) حاكمية المرأة ريكاردو كولر
(7) حاكمية المرأة ريكاردو كولر

خصوصيةٍ لافتة للنظر. إنّ هذا الأمر، وفيما يخصّ علاقات المرأة والرجل والحياة التشاركيّة الحرّة، يفتح أبواب تجارب غنيةٍ جداً شهدتها منطقة الشرق الأوسط أمام الجنولوجيا. لذلك فإنّ الجنولوجيا ستتعقّب هذه التجارب التي تظهر عبر تلك الأبواب.

تكون الحقيقة أحياناً مخفية في تفرّعات وتفصيلات مئات بل وآلاف السنين التي مضت. لهذا فإن النساء والرجال الذين يدّعون خلق الحياة التشاركية الحرة، يشترط عليهم أن يغوصوا في خضم جغرافيتهم وقيم ثقافتهم، وكذلك القيم الموجودة ضمن الطبيعة الاجتماعية منذ آلاف السنين ويسبحوا فيها. تلك القيم التي تُحدّثنا في كلّ تفاصيل الحياة. لذا ينبغي لنا ألاّ نضيّع صوتنا الداخلي وأن نضع مشاكل الحياة جانباً، وننصت لهذا الصوت.

إنّ الجنولوجيا ستضع مبادئ وقوانين إزالة المسائل المتعلقة بالحياة التشاركية مع النساء والرجال وتجاوزها كبرنامجٍ للميادين الاجتماعية وتطوّر النقاشات فيها. وكذلك ستجعل الجنولوجيا وضع الأطفال الحالي ضمن العائلة والمستوى المطلوب، موضوع النقاشات. لأنّ الأبحاث والمحاولات والنضال الحالي لا تستمر على مبدأ معيّن وبشكلٍ متماسك، كما أنّ أزمات الحياة التشاركية تستمر بشكلٍ كبير وتهدّد كامل الطبيعة الاجتماعية. وإننا نرى هذا التهديد وفقاً لرأي ورقابة وأحاسيس جنولوجية، نستوعبه ونناقشه.

عندما ينظر الإنسان إلى العبودية المعاشة في علاقات المرأة والرجل، ولا ينظر إلى فرص الحرية المتاحة في هذا الميدان فإن المسألة لن يتم تجاوزها. ما هي فرص ومجالات الحرية هذه؟ ثنائية الطبيعة الاجتماعية تلك، وإذا كانت قد أسّست معاً الحياة الاجتماعية وعاشتها ضمن شروطٍ وظروفٍ صعبة جداً، فاليوم أيضاً تستطيع أن تبني علاقات المرأة والرجل بشكلٍ حرٍّ وديمقراطي مشبع بالمساواة وأن تعيشها. لذلك، ينبغي على المرأة والرجل أن يحررا نفسيهما. وما لم يتطوّر هذا المفهوم، فلن يوجد أفرادٌ جيدون وصالحون، ولن تتطور العلاقات الجيدة في الحياة التشاركية بين المرأة والرجل، ولن يتمكنوا من لعب دورهم في ميادين الحرية الاجتماعية

والسياسية. وما لم يتم تجاوز ثنائية الرجل الحاكم والمرأة العبدة (الأمة)، لن ينجح النضال من أجل الحرية. وعندما يتم تجاوز الذهنية التي تفرض على المرأة علاقة الملكية والسلطة، وعندما تتجاوز المرأة ما تلقنته فكرياً وشعورياً عبر هذا التاريخ الطويل، حينها فقط يمكن أن تتحقق علاقة المرأة والرجل الحرّ.

3- من أجل تنوير المرأة

إنّ تقييم القائد عبد الله أوجلان الذي يقول فيه "بدون نقاش، فالمرأة تشكل الجزء الأوسع من الطبيعة الاجتماعية من الناحية الفيزيائية ومن ناحية المعنى أيضاً. حينها، لما لا يكون هذا الجزء المهم بهذا القدر من الطبيعة الاجتماعية، موضوعاً للعلم؟ ولإبقاء طبيعة المرأة في الظلمة، سيبقى كامل الطبيعة الاجتماعية بلا تنوير. إنّ التنوير الحقيقي والواسع للطبيعة الاجتماعية ممكنٌ فقط بالتنوير الواسع والحقيقي لطبيعة المرأة. وتوضيح وكشف مكانة المرأة، ابتداءاً من تاريخ استعمارها وحتى استعمارها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والذهني (الدماغ)، سيكون له دورٌ تشاركي كبير في توضيح واستشفاف جميع جوانب المواضيع الأخرى للتاريخ والمجتمع اليومي". ومن ناحيةٍ أخرى تشير هذه الأمور إلى سبب الحاجة للجنولوجيا؟.

قبل كل شيء، فالجنولوجيا هي لتنوير حقيقة المرأة الحالية! فحقيقة المرأة، هي ميدانٌ تم تعتيمها كثيراً وإبقاؤها في الظلمة وتم القيام بكل ما من شأنه إبقائها في تلك الظلمة، لذا فإن الأضواء الخافتة والمجزأة والمؤقتة وعديمة الفائدة والمشتتة لا تكفي لتنوير هذا الميدان. وفي مقابل الاستمرارية والإصرار على التعتيم المنظم المفروض على حقيقة المرأة، وبقدر هجوم هذا التعتيم، فهنالك حاجة لتنوير المرأة لإخراجها من هذه العتمة. وتستوجب تركيز نور المرأة في بؤرةٍ واحدة، وتكثيف جهودها وتنظيمها ووضع هدفها واستمراريتها. وسيدرك هذا النور، متى وكيف وأين ومن أية ناحيةٍ، وبأي تركيزٍ ينبغي له أن يضيء. وسيدرك أيّة عتمةٍ ينير وكم من الوقت وكيف يدوم لهذا. وفي الظلام سيدرك حربه وظلامه ونفسه، وكذلك استمراريته أيضاً. والأكثر أهمية أنه سيتعرّف على مصادر الظلام والنور. في

القرن الحادي والعشرين، وفي مقابل الظلام والعتمة التي يتم فرضها على المرأة والتعتيم، والأعمال الظلامية التي تمارس حول هوية المرأة وحياتها، ومن حياة المرأة وبيد المرأة، وبعقل المرأة وبروح المرأة، وبأحاسيسها وبتاريخ المرأة، هناك حاجة لنور وإشراقة المرأة. وفي تاريخ وحاضر التعتيم والظلام الذي وضعونا فيه، فإنه بتطوّر الجنولوجيا سيتم أولاً تنوير ميدان التاريخ والميادين الأخرى.

وعندما تعي المرأة الظلمة المرسومة حولها فستتمكن من تدميرها.. إنّ إحدى ركائز هذه الظلمة هي ارتباط المشاعر القوية للمرأة بالتعصب الديني. والركيزة الثانية هي ارتباط مشاعر وطنية المرأة بالتعصب الوطني والقومي. والركيزة الثالثة هي إخصاء المقدرة القويّة لعقل المرأة في المدارس، والتي جرى دفعها نحو الوضعيّة والعلموية (التعصب العلمي) وربطها بها. بينما الركيزة الأخيرة هي حسّ وشعور المرأة المزينة بألف لونٍ ولون، الدافئة والغنية كالشمس، لكن تم ربطها بالاستعمار تحت مسمّى التضحية والأمومة والحبّ. ويستطيع المرء أن يعدّ ويصنّف العديد من الظلمات المفروضة على طبيعة المرأة وعالمها وهويتها. لكن ركائزها الأساسية يمكن التعبير عنها بهذا الشكل.

وينبغي لكل امرأة أن تعرف القصة التاريخية لتكوّن هذه الإنشاءات، كما ينبغي لها أن تعرف قصة الحاضر أيضاً. وإذا أدركت المرأة كيفية إنشاءها، فحينها ستنهار هذه الركائز الظلامية. "هي صاحبة حكمةٍ خاصة بها، وبلا شك هي الوجود الذي لا نظير له في الكون. ولم تبلغ مكانة الألوهية عن عبث." [8] وتخاطب أصحاب هذه القصص بشكلٍ كامل. ولكي نمتلك حكمتنا الخاصة بنا بخصوص ذواتنا، ونعيش حالتها السعيدة، وندمّر العوالم الظلاميّة التي أنشأت علينا، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

لتدمير هذه العوالم الظلامية، وتحرير وتنوير قامة المرأة وروحها وعقلها وقلبها، يجب أن نطوّر الجنولوجيا. والمرأة التي تميّز هذه العوالم الظلامية، وتبدأ بالتحقيق والسؤال فيها، وترغب أن تتحرّر، ولكن لأنها بمفردها، وليست قوية ومنظمة بما

(8) (الصوفيين العلويين –الباكتاشية النساء) اراهيم بهادر

يكفي، ولا تعرف كيف تحقق هذه الحرية، فإنها تفشل، ومع كلّ فشلٍ لها تعلق أكثر في مستنقع العبوديّة أو تُقتل. ولكي نقول "كفى!" لقتل وإبادة المرأة ونضع ركائزها السليمة، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

4- لنظريّةٍ علميّةٍ تصل إلى تكوين المجتمع الحرّ والفرد الحرّ

حتى الآن، واعتماداً على الأصول الفكرية التي بنيت على أسسٍ ميثولوجية وفلسفية ودينية وعلمية، فهناك الوعي الذي يرى العلم خاضعاً لحكم الرجل، ويعتبر الاكتشافات والخلق الجوهري عائدة للرجل، ويقبلها ميداناً له يستطيع فيها أن يتحدث عن تجاربه. وتتضمن في جوهرها قسماً كبيراً من حقيقة هذا المفهوم. منذ بناء سطلة الرجل الحاكم وحتى الآن، وبمساعدة ميادين الفكر الأربعة واكتسابها اللا محدود للشكل، تم إبعاد العلم عن المرأة والمرأة عن العلم. لهذا فالمرأة الموجودة ضمن الميثولوجيا (علم الأساطير)، والمتجسّدة عبر شخصية تيامات تُقتل على يد ابنها مرودخ. وكذلك حال المرأة في الدين أيضاً، فقد طردت من الجنة بعد أن قطفت التفاحة من شجرة المعرفة ووهبتها لزوجها بمساعدة صديقتها الأفعى. وفي الفلسفة سُجنت المرأة ضمن تعريف "المرأة هي رجلٌ ناقص". وفي حركة الفكر التنويري، حيث كان العلم يخطو خطواته الأولى، تمّ إحراق المرأة "الساحرة" حيّة على الخوازيق. وفي بعض الأحيان تمّ حرق الفتيات أمام أعين أمهاتهن، وأحياناً أخرى أحرقت الأمهات أمام أعين بناتهن، دون أن يهتز وجدان وضمير العلم. فوفقاً للعلم الضمير كان ظاهرة ميتافيزيقية، غير ملموسة ولم تتم تجربتها، ولهذا فهي غير موجودة.

وكي لا تصل النساء إلى بعضهن بواسطة العلم والمعرفة مرة أخرى، وألا يتواصلن بالعلم بشكلٍ خاص، طرح الميثولوجيون إبادة الأم وقتلها كعملٍ بطولي. والأديان جعلت النساء رفيقاتٍ للشيطان، بحيث أصبحت محط نفور المجتمع وبالأكثر نفور الرجل في وجه هذا الملاك الذي ثار ضد الله. كما أنّ الفلسفة استصغرتها ب "عدم الوعي"، ولم يجد العلم حاجة لتعريف وجودها وبحثها، وبهذا الشكل لم يعتبروها إنساناً. وبهذا الشكل اعتبرت المرأة مستعمَرة، والعبدة (الأَمَة) الأولى والأقدم،

وحُرمت من حقها في تلقي العلم وخلق العلم والعلاقة بالعلم، وبقيت تحت أنقاض ثورة القرية النيوليتية التي كانت قد خلقتها.

هو المكر الذي كشف عقل الرجل المسيطر، والذي استخدمه على مرّ آلاف السنين كي يبيد كل من يقف عائقاً في طريقه، وعندما يقترب منه أحد فإنه يقسّمه إلى ألف جزءٍ وجزء. وإحدى توصيات هذا العقل الماكر هي، يجب على المرأة ألا تصل إلى المعرفة من الآن فصاعداً، كما يجب ألا تتحد المعرفة وحكمة المرأة المفعمة بالحس والفكر بأي شكلٍ من الأشكال. ولكي تحقق هذه التوصيات واحدة تلو الأخرى، في عالم السيطرة الأبوية الذي خلقه الرجل الحاكم المستبد، فقد اعتبر إفناء المرأة وقمعها حقاً من حقوق الرجل في ميادين الفكر الأربعة، ففي الميثولوجيا تحت اسم الأسطورة، وفي الدين تحت مسمّى الأوامر الإلهيّة، وفي الفلسفة التي يتم تعريفها كحبّ الحكمة قاموا باستبعاد المرأة، وباسم العلم مورست أعتى أنواع التعذيب على المرأة كحقٍّ من حقوق الرجل. وبهذه الألاعيب كسِبَ الرجل السلطة.

بعد خمسة آلاف سنةٍ، وبقدر تطوّر النقاشات حول أسس العلم والمعرفة، والعلم الذي سلبته السلطة الحاكمة، وكذلك في مقابل الحكمة المرهفة للمرأة والمفعمة بالمشاعر، فإنها تقوم بإسقاط عقل الرجل المستبد، بالأحاسيس والفكر، رغم حيَل وألاعيب هذا العقل. لأنه وعلى الرغم من كلّ هذه المحاولات، فإنه أي الرجل، لم يستطع أن يصبح عائقاً أمام بلوغ المرأة للمعرفة مجدداً، وكذلك وصول المعرفة للمرأة. المعرفة-العلم-العلم المسروق ومصدر علم الأم، والذي يريد الرجل المستبد إنهاءها بكل الوسائل الممكنة، يعود إلى حكمة المرأة. لذلك واستذكاراً لأرواح جميع النساء العالمات والساحرات اللواتي تم قتلهنّ على مرّ آلاف السنين، ولكي تتمّ هذه العودة بشكلٍ سليم، أخلاقي – جمالي، ومن أجل لقاءٍ جديد مع المجتمع، فإننا ندعو إلى **الجنولوجيا!**

لقد تحقق العلم، بميراث تجارب المجتمع، عبر تاريخٍ ممتد لآلاف السنين. ووفقاً للعلم، وقبل 2.5 مليون سنة، فربّما يكون الهومو هابيليس هو من صنع الأدوات البدائيّة واستعملها في حياته. الهومو هابيليس، يعني الإنسان الماهر والموهوب.

وبصناعة الحجر بيد الإنسان الموهوب بدأ العلم وبدأت التقنية. لكن تلك المرحلة وصولاً إلى صنع ذلك الحجر هي مرحلة موروثة. وبهذا المعنى فإن العلم قد تم إنتاجه بشكلٍ اجتماعي. وفي المجتمعات الأموميّة التي تستند إلى المرأة وهويتها الاجتماعية، تم قبول جميع الاحتياجات الحياتية اليومية في حالات (الحرب والسلم، زراعة الأرض، تربية المواشي، الاستقرار، الترحال، علاقات المرأة-الرجل-الطفل) التي تم بناؤها وتطويرها بمعرفة المرأة الاجتماعية. وبقيت هذه المرحلة حتى بداية المنظومة الأبوية لعشرات آلاف السنين، شكل الحياة الإنسانية.

ضمن منظومة المجتمع الأبوي الذي يعتبر هذا التاريخ العظيم، غير مُعاش، تمّت سرقة جميع العلوم والمعارف القيّمة التي كانت بيد المرأة، ووصَمَها الرجل باسمه ضمن زقوراته (زيغورات)، ومدارسه ومعسكراته ومراكز أبحاثه العلمية وجامعاته بمقولة "هي لي". ومن ثم أطلق على جميع الأعمال الحياتية التي تقوم بها النساء مسمّى "أعمال المرأة"، واستصغر عقل وهوية المرأة بوصفها "بالغصن المكسور". ولكن في يومنا هذا، هناك حكمة وأحاسيس مرهفة وموازين دقيقة لا نظير لها، وهناك معرفة عميقة ضمن تلك الأعمال التي سمّاها ب "أعمال المرأة" واستصغرها. فيها روحٌ متقدة وغير واعية في تلك الأزمنة التي لم تكن المعرفة فيها ملكاً لأحد، تلك الأزمنة التي لم تكن المعرفة فيها فردية ومحصورة بيد الرجال فقط، ولم تكن تدار من قبلهم. هناك اليد الشافية والمداوية للإنسان. هناك غنى وثراء المعرفة. هناك الكلمات الجوهرية التي تبقى أمامها الكلمات الأكثر أكاديمية عارية. تنمو الحكمة والمعرفة والعلم من روح الأرض وروح الزمن. عجينتها تكتسب طعمها ومذاقها من الإنسان ومن تجاربه وأحداثه. فالمعرفة لا تكون بلا روح، فهي تكتسب هذه الروح من جميع القيم الاجتماعية المفعمة بالجمال والمعاني والتي تلوّن الحياة وتنوعها. ومن أجل البحث واكتساب روح المعرفة، التي فقدها العلم اليوم، وبقي بارداً وجامداً وتحليلياً فقط، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

مَن، وكيف، وبأيّ بديلٍ، وأيّة أدواتٍ يصلون للعلم؟ مَن، وبأية طريقةٍ يستخدم العلم الذي أوصل نفسه إليه؟ وهل جميع العلوم والمعارف التي تدعيها بعض الحركات الفامينية وحركات ما بعد الحداثة، هي سلطوية؟ برأينا فالمفهوم القائل "العلم مساوٍ

للسلطة، الحكمة والعلم والمعرفة مساوية للسلطة، لتكن بعيدة عنا لهذا السبب، نحن نرفض كل أنواعها" هو سرد الحداثة الرأسمالية بطريقةٍ مختلفة. وهذا الأمر هو تدعيمٌ لمقاربة علم السلطة الذي يقوم بقدرٍ كبيرٍ من العمليات الفكرية والسياسية والاقتصادية، مستخدماً فيها قوة التدرّج والأيديولوجيا، لكي تبتعد المرأة والمعرفة عن بعضهما البعض آلافاً من السنين. فعندما يتواجد الجهل في مصدر بعض المسائل الأساسية، والإبعاد المتعمّد عن المعرفة، وأن يوصل الإنسان المعرفة لتلك الميادين أو يطوّر مراحلها، ويصبح عاملاً مساعداً بحيث يبتدع المعرفة وطريقة اكتسابها بنفسه، فأي جوانب هذه الأمور هو سلطوي؟ نحن نرفض المفهوم القائل "المعرفة هي سلطة فقط ". وبقدر ما يكونوا قد أبعدوا الحكمة والعلم والمعرفة عن المرأة، فإننا نؤكد بأنّها نتاجات وإبداعات المرأة بذاتها.

إنّ معرفة المرأة هي التي خلقت الحياة والحياة الاجتماعية والحبّ والعدالة والحرية والعديد من القيم الجميلة والرائعة التي جعلت من الإنسان إنساناً. علمها، هو أبنيتها وصيغها المعرفية. وبقدر ما يكونوا قد أبعدوا المرأة عن الحياة الاجتماعية بالقوة، حيث كانت المرأة في فترة ما العامل الرئيسي للحياة الاجتماعية، فإنّ هذا العلم قد عاش دائماً في قلب المرأة وفي حوضها الجيني وفي روحها وعقلها. وقد تفرّعت الجنولوجيا من ضمن حوضها العلمي هذا. ونحن واثقون بأنّ حاجة العلم في هذا العصر أيضاً، إلى نظريةٍ معرفيةٍ جديدةٍ تكون جواباً للحاجات الحياتية الأساسية، ستتحقق على يد المرأة.

إنّ الهدف الأساسي من الصروح الفكرية التي شيدت عبر آلاف السنين، هو تحقيق استمرارية وأمن تأسيس المنظومة الأبوية. وتفكير المرء بهذه الحقيقة هو سببٌ كافٍ ليتخلى عن نظريات المعرفة الحاصلة على امتياز الحداثة الرأسمالية. وجميع المعارف التي تم بناؤها خلال آلاف السنين، وبالأخص للبقاء ضمن النظام، فإنّ كافة القوى السلطوية تقوم بمحاولاتها الخاصة. ولكي تتطوّر جميع المعارف، بقدر حدود العلم التي وضعها النظام، تمّ تطوير تدابير متعددة ودقيقة على يد القوى السلطوية والدولتية. ولكي لا يصبح أي شكلٍ من أشكال العلم أو المعرفة تهديداً أساسياً للنظام، فقد اتخذت تدابير متنوعة، مطوّلاً وبشكلٍ معمّق، في الداخل

والخارج. "وبقيت تطبيقات المعرفة، في هذا الخصوص، وعلى الدوام ضمن مسارين خاطئين: فهي إمّا انصهرت بشكلٍ كاملٍ ضمن معارف السلطة، أو على شكل مذاهب قطاعيةٍ (دون أن يتمكنوا من اختيار معارفهم وخياراتهم السياسية ومواقفهم الأخلاقية بشكلٍ مستقل)، ولم يتمكنوا من تحرير أنفسهم من إمكانيات التنوع وبقائها فيه. وبلا شك فمن الضروري أن يأخذ الإنسان باستمرارٍ، دور الظلم ورأس المال الذي يخرج الإنسان من طوره، بعين الاعتبار. وكي لا يتم حكم مفهومي تطبيقات المعرفة، ولا يستطيع المرء أن يرى خيار الحضارة الديمقراطية."

إننا نتصوّر الجوانب المتعلقة بالمرأة ضمن هذه التثبيات القيّمة التي يقدّمها القائد عبد الله أوجلان، فهل مصيبة الانصهار أو الانقطاع موجودة ضمن تطبيقات العلم السلطوي في يومنا هذا، أم لا؟ وكحركاتٍ للمرأة، هل أزلنا هذه المصيبة أم لا؟ هذه أسئلة حياتية. هي تساؤلات حياتية بمعناها الحقيقي! ونحن النساء وإن لم نردّ على هذه التساؤلات بأجوبةٍ كافية ووافية، والتي ستتحول إلى سياسةٍ تطبيقية وعملية، فإنّ عالم الرجال هذا، سيقهرنا في كل دقيقةٍ وكلّ تفصيلٍ وفي كلّ مكانٍ من العالم. وضمن هذه الإبادة اليومية، كم هي حصتنا من تطوير نظريّةٍ معرفيةٍ حقيقية، أو لبلوغ علم المعرفة الحقيقي فهناك مشكلة عدم توفيرنا لطرق وأساليب ذلك؟

لدينا تساؤلات أساسية بخصوص المعرفة. ما هي أشكال المعرفة وأساليب إيصالها للمرأة في المراحل التاريخية؟ ما هو مصدر المعرفة؟ بماذا تفيد المعرفة؟ مَن وكيف ولأجل ماذا تخلق المعرفة؟ في خدمة مَن، يجب أن تكون المعرفة؟ كيف ينبغي أن تتطوّر علاقات المعرفة والحياة، المعرفة والمجتمع، المعرفة والمرأة؟ وبالجنولوجيا التي نعرّفها كعلم المرأة، كيف نجمع المعارف، وكيف نؤسّس الحياة والمجتمع وحياتنا الاجتماعية بهذه المعارف، وينبغي أن نستمر بذلك ونوصلها إلى التعبير الأصح.

تحقق قسمٌ مهم من معارف المرأة عبر التجارب، ومهما تكن فإنّ غالبية الناس يصدّقونها ويؤمنون بها وكذلك المرأة أيضاً. لديهم ثقة وإيمان بمعارف العالم الذي

يتم فيه قتلهن يومياً، وُتنتهك أعراضهن، ويتعرضن للتجاوزات يومياً، ويتم خنقهنّ داخل الحروب والصراعات والهجرة والفقر والبطالة. ونحن كحركات النساء، نستطيع استخراج نظرية مُختارة ونخبوية من حقيقة المرأة هذه، وعبر تكوّن معارف نظريةٍ تراها مجزأة أو لا تراها، وتنظر لها وفقاً لمصالحها. ونستطيع بتجاربهم المعرفية، أن نحقق ميراثاً على أساس التشارك الذي عشناه. وبتشارك تجاربهم المعرفية، نستطيع أن نجمع تشاركاتنا. فالحياة والكون، يتشاركان معك بعض المعارف، فقط، عندما تكون في مكانٍ وزمانٍ واضحين، وتمتلك النظرة الصحيحة، وأحياناً عندما تكون الشخص الصحيح. فلا يستطيع كل شخصٍ بلوغ المعرفة الحقيقية. ولا تبنى كلّ معرفة في أي شرطٍ وظرف. وفي يومنا هذا وحتى لو أردنا، فإننا لا نعلم كل شيءٍ بخصوص دماغ الإنسان ومجتمعيّة الدلافين. ويمكن أيضاً، أن يكون في هذا العالم والكون، ثمة ظواهر ومعارف وحالاتٌ لا حصر لها، وندرك أننا لا نعرف كل شيءٍ بخصوصها. وعندما يأخذ الإنسان هذه الأمور بعين الاعتبار، فمن أين تأتي النساء بالمعرفة، وكيف ومتى وأيّة طرق وأساليب تتخذ، ومع من ومن أجل ماذا أو لأي غرض ستجمعها وتؤسّسها؟ ويصبح هذا السؤال ملحّاً أكثر، ويستحق التساؤل عنه مجدداً. آليساندرا تانيسيني تقول،"الأسئلة التي تستحق البحث في العلم، يمكن أن تؤثر عليها الجنسويّة والقوميّة. ويمكن أن تؤثر هذه الصور النمطية على الأجوبة التي تُعطى عن الأسئلة العلمية. فعلى سبيل المثال، (فكرة) أن البويضة تكون غير نشطة خلال فترة الإلقاح." فذهنية المنظومة الأبوية والسلطة تستطيع أن تعطي شكلاً للمعرفة بحسب مصالحها. وتستطيع تخريب المعرفة، وتحويلها إلى أداةٍ للنفاق والكذب والخطأ والخداع. وهكذا فنحن النساء، سنبقى متشككاتٍ مقابل خطوات الحداثة الرأسمالية، من قبيل التعصّب القومي (القوميّة) والديني والعلمي، والتي تُستمد من الذهنية الجنسويّة. بالإضافة إلى أننا سنظل نتسائل ونحقق في معارفنا الموجودة حتى الآن، فمن الآن وصاعداً سنعمل على اختيار كيفية جمع المعرفة وأسس ترقيتها بشكلٍ جيد.

أية معرفةٍ هي الصحيحة؟ ما هي المعرفة المطلوبة لتفيَ بالغرض؟ فقد أنتجت المجتمعات المعرفة سابقاً بقدر احتياجاتها. النظام الآن، يقدم لنا إنتاج معرفةٍ بلا حدود. وفي تضخم المعرفة هذا، فأي المعارف هو الحقيقي؟ ما هي المعرفة؟ كيف

ولماذا يتم إنتاجها؟ بماذا تفيد؟ ومن يخلق المعرفة؟ أية معرفة هي نتاج أي زمن وأي مكان؟ كيف يتم قياس مدى صحة معرفةٍ ما؟ وكيف يمكن أن يتم هذا القياس؟ كم شكلاً للمعرفة؟ كيف يتم بناء المعرفة، وكيف يتم تخريبها؟ ماذا تدمّر المعرفة، وماذا تنشئ؟ كيف نستطيع إدراك المعرفة الخاصة بنا؟ ما هي علاقة المعرفة- التجربة، المعرفة -الإدراك والمعرفة -الظاهرة؟ ما هي قوة تغيير وتحوّل المعرفة؟ هل يمكن بناء المعرفة عن طريق التطبيقات العملية؟ أم بالأحاسيس؟ أم بالمراقبات؟ ما هي مكانة المعرفة في حقيقتنا وفي حقيقة حياتنا؟ ونستطيع أن نسأل كل ما يخطر ببالنا من أسئلةٍ خفيفة لا حصر لها وبلا حدود بخصوص المعرفة.

يتم تفسير الأبيستومولوجيا، على أنها نظرية المعرفة، علم المعارف، علم بلوغ الأساليب والمعرفة، وصرح المعرفة، وفلسفة المعرفة ومنظومة الأفكار والخ. إنّ الابيستمولوجيا تأتي من الكلمات التالية ابيستمه-المعرفة، جنوسيس-العلم ولوجوس- نظرية، فتأتي بمعنى علم-معرفة وعلم العلوم، ومعرفة المعارف. وأحياناً أخرى يتم تعريفها على أنها طبيعة المعرفة، مصدرها وجذورها وقيمتها، وهي كفرعٍ من الفلسفة ذي صلة بتوجهها ومصدرها، أو يتم تعريفها كبحث المعرفة الفلسفية. الابيستمولوجيا هي منهج الفكر الفلسفي، وكيفية إدراكنا لمعارفنا وعلومنا، وكيف سنثبتها، وتناقش مسألة، هل معرفتنا حقيقية أم لا. ونستطيع القول بأنها تعني التمييز بين المعرفة الحقة والخاطئة. ويعرّف القائد عبد الله أوجلان الابيستيمولوجيا ك "علم بلوغ الأساليب والمعرفة".

لقد دخل الفلاسفة في بحثٍ عن فهم للكون والطبيعة والمجتمع منذ الأزل. وتنوّعت الأفكار التي توصل إليها هؤلاء الباحثون. وهذه المرّة، تطوّر البحث على أساس هذه الأفكار المختلفة التي توصلوا إليها ومصادرها. كيف يجمع عقل الإنسان المعارف ويربطها ببعضها، وكيف يشغلها وكيف يتوصل إلى الأحكام على أساسها؟ هل توجد المعرفة الحقيقية والصافية؟ وفي حال وجودها، فما هي وكيف يتوصل الإنسان إليها؟ وبهذه التساؤلات، بدأ التحقيق في صحّة معارف الإنسان ومراحل تمهيد الطريق أمام فلسفة المعرفة. ومع مرور الزمن، فقد تطورت الفلسفة أو نظريات المعرفة المختلفة جداً، والتي استندت إلى قوالب واضحة ومبادئ وأساليب

متنوعة. وهذا يتناول جميع تأثيرات وألوان الزمان والمكان والثقافة التي تطوّرت فيها. وعلى سبيل المثال، فلسفات المعرفة العائدة للفكر التنويري، تتطوّر على أساس أفكار ديكارت. إنّ الفكرة الديكارتية، كبديلٍ للسلطة الدينية التي فسّرت الكون حسب فكرة الله، تعتمد أساساً على العقل والعلم. فالفكر الديكارتي الذي طوّره ديكارت كما في التقييم التالي"كلّ شيءٍ عائدٌ للذهن موجودٌ خارج الجسد، وكلّ شيءٍ عائدٌ للجسد موجودٌ خارج الذهن" يعود إلى التضاد بين الذهن والجسد. وديكارت هو أحد أهم الشخصيات الأوائل في مجال التنوير، وبخصوص العلم يقول التالي "المعرفة اليقينية والواضحة". أي تعتبر الاحتمالات باطلة بالنسبة له.

منذ أعوام الثمانينيات وما بعد، انتقد المفكرون الفامينيون الابيستيمولوجيا التقليدية. وأوضحوا بأنّ تجاوز النظرية أو المعرفة مرتبط بالأشخاص الذين أوجدوها. وكذلك فمفاهيم الحقيقة والأشياء غير المتعلقة بالقيم هي التي تحقق سيطرة وسيادة الرجل. لذلك فقد طوّروا نظرية جديدة للمعرفة تصون حاجة رفض هذه المفاهيم. وانتقدوا الابيستومولوجيا الموجودة تكويناً ومضموناً أيضاً. وأُخضعوا التفكير الغربي الذكوري الشكل، والذي يتخذ العقل فقط أساساً ويفرّق الذهن والجسد عن بعضهما للتحقيق والمساءلة.

الابيستومولوجيات الفامينية التي تطورت على هذه الركيزة، وبقدر ما تكون مجزأة، فإنها صانت بعض المبادئ المشتركة،"قامت بكشف المعرفة الموجودة والتي تحققت من ناحية شبكة المعنى وقيمها المستندة على آراء ومبادئ اجتماعية موضحة." [9] وطوّرت نظريات المعرفة البديلة (ابيستمولوجيات)، برؤى بديلة، من نظريات المعرفة التي تؤسّس السلطة على الطبيعة والمرأة. وصانت تقييماً صحيحاً وفقاً للحاجة، بدلاً من رؤى ومفاهيم نظرية المعرفة (الابيستمولوجيا) الغربية المبنية على أساس التعاكس والتضاد، والعلاقات المتكونة بين طرفين، كالعلاقة بين الذاتية والموضوعية، وبين العقل والإحساس. وينبغي لنا أن نتناول دور العاطفة والذات والجسد ضمن المعرفة بشكلٍ جدّي. أي يجب ألا نرى العقل والمشاعر والموضوعية والذاتية كخصائص في فردانية الرجل أو المرأة. وقد اعتقدت بعض

(9) الدفاع عن الكرد في الإبادة الثقافية – مسألة الكرد والحل / عبدالله أوجلان

النظريات المعرفية الفامينية بوجود تأثيرٍ دائمٍ للذاتية على المعرفة. ولهذا السبب حاولوا أن يظهروا النظريات المعرفية المتناسبة مع فكر المرأة وذاتها.

لا يوجد اعتراض للجنولوجيا على هذا. وهي جميعها مبادئ حياتية يجب أن تكون أساس فلسفة المعرفة. ورغم بناء نظريات المعرفة البديلة، إلا أنّ هناك الجوانب الفامينية التي تبقى مجزأة ولا يمكن تشاركها. وفي الوقت نفسه، عندما يتم اقتراح تشاركية المفاهيم الأساسية، تظهر الانعكاسات التي ترى هذا كتجانس، والتي تشير إلى مواطن ضعفها وفشلها. كما أنّ هناك بعض الاتجاهات الفامينية، التي تربط جميع أشكال المعرفة مباشرة بالسلطوية، والتي تبحث عن السيادة والسيطرة ضمن كل أنواع المعرفة، والنظريات المعرفية الفامينية الموجودة وغير المنفتحة على النقد والنقد الذاتي، والتي تقيّم بناء العالم وفقاً لمعرفة المرأة كنقيصة، والاعتقادات التي لا تشير إلى أننا سنتمكن من تغيير المجتمع. فالاتجاهات التي من هذا القبيل تدّعي، بأن هناك حقيقة لكلّ شخص، وجميع الهويات هي نتيجة بناءٍ علوي، وبناء مستقبلٍ باسم الآخرين هو مقاربة سلطوية، والمجتمع هو عائقٌ أمام الحرية الفردية. وبهذا الشكل تترك طاقة وفعالية المجتمع جامدة ومحايدة، لكنّ هذه مسألة حياتية.

إنّ التكوين المعرفي لنظام العالم الرأسمالي، هو ضمن أزمةٍ بقدر أدوات السلطة ونتاجاتها وميراثها على الأقل. لأنّ مكونات المعرفة، وبحسب متطلبات طبيعتها، فهي أكثر ميلاً للتفاوض والنقاش الحر، وهو ما يطرح فرص ومجالات واسعة على أبعاد الأزمة المعرفية. فدور المعرفة في مكونات المجتمع والسلطة، يمكن أن يأخذ معناه، ضمن الأبعاد التي لا تقارن مع أي عصر. " وتقييمات القائد عبد الله أوجلان في هذا الصدد، تعبّر عن أسباب هذه الأزمة بكلّ شفافيةٍ. وإذا أردنا ألا نكون محكومين بالمكوّن المعرفي لمنظومة العالم الرأسمالي وأشكال حياتها المفروضة علينا، فينبغي أن ننسج مكوناتنا المعرفية ضمن ترابطٍ سليم ومتجذر مع مجتمعيتنا.

لهذا الغرض، تريد الجنولوجيا، تطوير مرحلة نسج وتطوير النظرية المعرفية الخاصة بها، بالتحليل الموضوعي والقوي لنظريات المعرفة الموجودة. وعندما تقوم بهذا التحليل، فهناك من يقف ضدها بشكلٍ مبدئي، كما أنّ هناك من تتخذهم

كمعاونين لنظريتها المعرفية وتستفيد منهم. وهناك من يدمج فيها التحديثات برؤيةٍ حرة. وتتقرّب الجنولوجيا من الفكر الديكارتي ونظريات المعرفة التي تستند إلى هذا الفكر المؤمن بضمان المعرفة، بنظرةٍ نقدية، وتقوم بتجزئة الفكر والمسائل تحت مسمّى التحليل، وتصمّمها بما يتناسب معها، وتحمّلها وتقارن الثنائيات الحياتية الأساسية مع بعضها بشكلٍ دائم. وتنسج نظريتها المعرفيّة بمسافاتٍ مبدئية.

وتنتقد الجنولوجيا الفلسفات التي لا تتجاوز الليبرالية ضمن النظرية المعرفية. وفي هذا الخصوص تقوم بتحليلاتٍ تخصّ النشاطات الأكاديمية التي تنوب عن الفامينية والحداثة الرأسمالية. وتولي أهمية لإنتاج المعرفة في المستوى الأكاديمي، حتى تصبح حرية، واستقلالية، وذكاء المرأة، وطبيعة المرأة، لصلاح المرأة والمجتمع. وتتخذ الجنولوجيا من تطوير نظريةٍ معرفيةٍ جديدة هدفاً لها، في كل ميدانٍ وساحةٍ ضمن الحياة الاجتماعية، لكي تبلغ المعرفة والذهنية الصحيحة. وعندما تقوم بهذا، فإنها بدايةً تتناول تواريخ العلم والتكوينات المعرفية وتناقشها. وستشكل مضمون الجنولوجيا في هذه الميادين بالأبحاث الموسعة والاقتراحات البناءة والتعاريف التي تصوغها للانحرافات الحاصلة. لأنّ الجنولوجيا، تتطوّر لكي تتجاوز النظريات المعرفية الموجودة التي لا تجيب عن تساؤلات ومطالب الحياة الاجتماعية وتخنقها.

وكذلك إن ميدان النظرية المعرفية(الابيستومولوجيا)، هو ذاك الميدان الذي توجد فيه قبل كل شيء حاجة ملّحة إلى بحثٍ جدّي وشرحٍ وتعليم. " وبرأيي فالابيستومولوجيات (مكوّنات المعرفة) الموجودة لم تستطع أن تحرّر نفسها من كونها جزءاً من أدوات السلطة. هذا الأمر هو هكذا مع إرادتهم. ولا مجال للشك مع الشخص ذو المقاربة الأكثر علميةً مثل كارل ماركس، أنّ شخصاً كهذا قد رأى الوجه الحقيقي للرأسمالية بالشكل الأقوى. لكن خاصيته المهمة جداً هذه، لم تكفه كي تفصله عن الحداثة الرأسمالية. فمكونات المعرفة التي اعتمد عليها كارل ماركس وحياته، كانت مرتبطة بالحداثة بآلاف الالتزامات. أنا لا أظهر هذه النقاط من باب الاتهام، لكن لكي تُفهم حقيقته جيداً. إنّ مسائل الشكل تنطبق وتسري على لينين وماو أيضاً. فالنظام الذي كانوا يفكرون به، في العديد من المقدّمات (وعلى رأسها المكونات المعرفية وذهنيات الحياة العصرية) كانت مرتبطة بحياة الحداثة (الحداثة

الرأسمالية). وانتقاداتي للاشتراكيّة المشيّدة كانت واضحة ضمن هذه المواضيع. لكن الانتقاد وحده لا يكفي. ماذا ينبغي أن أضع مكانها؟ هذا هو السؤال المهم. وهو السؤال الذي كنت أبحث فيه دائماً." إنّ تقييمات القائد عبد الله أوجلان هذه، وبقدر رؤية أخطاء نظريات المعرفة الموجودة، فإنها تشير لنا بضرورة القيام بتحليلٍ صحيح لهذه الابيستومولوجيات، وتدلنا على بدائلها أيضاً.

على هذا الأساس، فإن الجنولوجيا تلقي المسؤولية على عاتقنا، في المواضيع التي ندّعي قيامنا بمعرفتها. وتأخذ الناحية الأخلاقية للمعرفة دائماً بعين الاعتبار. فالمشكلة ليست اكتساب المعرفة، بل المهمّ هو المقدرة على تجميل المعرفة المكتسبة في الحياة الفردية والاجتماعية. وعندما تطوّر الجنولوجيا فلسفة المعرفة، فإنّها ترى نشاط الحياة الاجتماعية، النمو والتنوع والمرونة، والتغييرات الحاصلة بشكلٍ دائم ضمن هذه المواضيع، مهمةً جداً. وفي هذا الخصوص، فإنها تتناول المراقبة والتجربة والاستماع والانخراط فيه، أساساً لها ومن ثم تنتج المعاني الجديدة. فالجنولوجيا ترى المعرفة النسوية، والوعي وجمع المعرفة وصنع المعارف مَهمّة لائقة، تستفيد منها حتى النهاية وتطوّرها. وتحلل نظرة الاستصغار وعدميّة القيمة التي تنظرها ذهنية الرجل المتسلط باسم العلم أو تحت مسمّى الأساليب النسوية، وتتخذ من تدريب وتغيير الرجال في هذا الصدد هدفاً لها. وهي على ثقةٍ بأنّ عقلاً ذكورياً يجب أن يكون قادراً على العمل كأنثى، وعقلا أنثوياً، ينبغي أن يرى عالم الرجال وفقاً لمنظورهم ويتعلم منه. لكن الرجل لم يتنازل لمبادئ طاقة الأنثى الحياتية والمفعمة بالإحساس والإدراك والمراقبة والعلم أبداً.

وتأخذ الجنولوجيا تثبيتات القائد عبد الله أوجلان أساسا لها، وتنسج منها نظرية المعرفة الجديدة، حيث يقول، "فاعلنا الأكثر أساسية هو الإنسان، وهكذا فإن لم نعرف المؤسسات والأفكار التي هي الوصف الأساسي لهذا الفاعل، بمعنى الأخلاق والدين بجميع فروعها، الفن والمجتمع النظري وحتى كامل المجتمع وندركها جيداً، فإن إدعاءنا ببلوغ المعرفة الكافية من هذا المصدر سيبقى ناقصاً."

5- لإحداث ثورةٍ في العلوم الاجتماعية

اقتراح وبناء وتطوير الجنولوجيا على أساس العلوم الاجتماعية بمفردها، هو نقدٌ ومداخلة. إذا ما نظمنا أنفسنا من ناحية التعريف والتوجّه والتكوينات المعرفية وطرق المعرفة والبحث وأساليبها بشكل صحيح، وأصبحنا اجتماعيين، حينها نستطيع القول بأنها ستكون قوة الحل اللازمة لتجاوز الأزمة التي تعيشها العلوم الاجتماعية في يومنا هذا. ويجب ألا يحتار المرء بخصوص العلم الاجتماعي الذي سيتطور حول الجنولوجيا تزامناً مع الحياة التي سيجري تطويرها حول المرأة.

الجنولوجيا، هي ثورة العلوم الاجتماعية ونموها وتجددها اللازم، بحد ذاته. وفي الميدان العلمي، هي التغيير الأساسي والضروري. ولأسباب عدة، فإن تحقيقها صعب المنال بعقلية الرجل. أي أن المجتمعيّة هي أصل جميع العلوم الاجتماعية والتكون الاجتماعي، بمعنى أنها من خلق وإبداع المرأة. ويستطيع العلم والمعرفة، بيد المرأة وبروحها وقلبها وحبها، أن يُفتح على آفاق أخرى ، ويكشف عوالم أخرى وجديدة. ويستطيع كسر القوالب، ويجعل الحدود بلا معنى. وعندما يتطور كبنيةٍ تحتية للعلوم الاجتماعية وجميع العلوم ذات الأساس الاجتماعي، بفطنة وحب، وبنظرة إلى العالم مفعمة بالإحساس، ، فعندها ستبدأ الثورة التي تحتاجها الإنسانية جمعاء. وهذا سيكون ممكناً بتطوير علم المرأة. أي أنه ممكن بتطوير علم ذو معنى جديد، وعلم حياةٍ اجتماعية جديدة. فالجنولوجيا هي مرشحة للتطور، كعلم اجتماعي تستند إليه كافة حركات النضال من أجل الحرية والديمقراطية النسوية.

في هذه الأوقات التاريخية، هناك العديد من الأعمال التي تقع على عاتق العلم الاجتماعي والأخلاق. وعلمٌ اجتماعي خرج من فردية السلطة والعلم، يملك جرأة بناء علمه، ويمثل أمراً حياتياً من أجل إيجاد الحلول الناجعة في حالة ظهور الفوضى. ومن أجل بناء مجتمع أكثر ديمقراطيةً، هناك حاجة متزايدة أولاً لبناء علم اجتماعي ولرغبة بلوغ الحرية الجنسوية والبيئية. الشيء الذي نريد فعله، هو إعداد مسودة مشروع استناداً لأصل وقوة هذا العمل." القائد عبد الله أوجلان يعرّفه في تقييمه كالتالي " الخروج من عباءة فردية السلطة والعلم" و "جرأة بناء علمه

الخاص". فالمرأة هي ذاك الجزء الاجتماعي الذي سيحمل هذا التعريف على عاتقه، بشكل لائق وجوهري. لأن المرأة في القرن الحادي والعشرين، هي أكثر إنسان يعاني من استبداد السلطة. فالمرأة تستطيع أن تستمدّ من تاريخها، شجاعة بناء علمها. فالمرأة، أوجدت العديد من الاكتشافات الأولى التي بنت الإنسانية والمجتمع على أساسها. "الطب والاقتصاد والبيئة والأدب الشفهي والمحكي (الطرب)، والزراعة والآلات الموسيقية البدائية، (آلات وقوالب موسيقى ذاك العصر، مازالت تزين أرواحنا وتترك فيها التأثير الأكثر رهبة وعمقاً) [10] الصناعة -الحِرَف (ويستطيع الإنسان أن يقارن الاكتشافات التقنية التي تم إبداعها بين 6000 و4000 قبل الميلاد، في العصر النيوليتيي، على امتداد قوس جبال طوروس وزاغروس، بالاكتشافات الأوربية التي أتت بعد القرن السادس عشر) فالأعداد، والكتابة وغيرها من الاكتشافات العلمية التي لا حصر لها، هي اكتشافات المرأة بحد ذاتها. وإن كان قد تمت سرقتها، وتضرب المرأة بها في اليوم، فذلك لن يغير من الحقيقة شيئاً. لهذا ومن هذين التعريفين، نستخلص أنّ احتمال أن يقوم علم المرأة بتطوير العلوم الاجتماعية السابقة هو احتمال قوي جداً. وستكون النساء هنّ من يقدمن أقساماً " لأجل الخروج من الفوضى، وإيجاد الحلول الناجعة"، بطواعية ومهارة.

حقيقة المرأة الاجتماعية وحقيقة المجتمع الاجتماعية، متوازيتان. وستسير قوة استيعاب المرأة الجوهري في توازٍ مع قوة تطوير العلوم الاجتماعية. عندما تؤخذ المواضيع ذات التوجّه الجنولوجي بعين الاعتبار، فسيُرى بأن الجنولوجيا تقوم بمهمة بناء علم مجتمعي جديد حول المرأة بحيث يتمكن هذا العلم من ملء كافة فراغات العلوم الاجتماعية الموجودة، وتصحح تجاوزاتها وتفرغها من عقلية الرجل المستبد. تطوير نظام اقتصادي حول المرأة، واستيعاب بيئي يتناول إحساس وشؤون المرأة بجدية، وعلم ديموغرافيا تملك المرأة فيه كما في السابق صوتها وقرارها. وسياسة تحتل فيها علوم المرأة ومعارفها مكانها في آليات صنع القرار، هو ذلك الميدان الصحي والذي بقدر ما يتم إخفاؤه في أعماق التاريخ فإن أيادي النساء الشافية والمناضلة وروحها المداوية تستمر بالظهور منه إلى الآن، وطراز التعلم

(10) القاموس الفلسفي / احمد جافيزجي

والتعليم الذي يأخذ شكله من المرأة وينتشر على هذا الأساس، علم جمالي يزين الحياة، وعلم أخلاقي تسود وتقوى فيه الحقيقة والخير... ونستطيع أن نطيل هذه القائمة. فعندما يتطور علم المرأة الذي يأخذ فيه هذا الميدان مكانه، بشكل قوي، فستتطور تلك الثورة اللازمة في العلوم الاجتماعية.

ماهي هذه الثورة؟ 'ينبغي أن أشير مرة أخرى إلى أن قوموية الجدال الديني العائدة للحداثة، هي الدولة القومية التي تتبناها وتخدمها وتبقى تحت عباءتها. الدولة القومية والقوموية كمفهومين وظاهرتين وجوديتين تحرفان 'نظام الحقيقة الاجتماعية' وتتركانه في الظلام، لهذا فإن هذين المفهومين يمثلان قوة هذا الشيء في أعلى مستوياتها. الوظيفة الأهم للعلم الاجتماعي في الثورة، هو تصفية الانحراف والتعتيم المطبقين على الحقيقة الاجتماعية. 'الثمن الأعظم للانحراف والتعتيم الذي فرضته القوموية والدولة القومية على الحقيقة الاجتماعية التي يبحثها القائد عبد الله أوجلان، دفعته المرأة. ففي ميادين الحرب فقدت أبنائها التي عانت كثيراً في تنشئتهم، وأحرقت الأراضي التي بذلت جهوداً كبيرة في فتحها وإعدادها للزراعة، بالقنابل، بقيت دون زراعة، دون بيت ودون عمل، وكافحت الجوع والحرمان والبرد والحر، حُرمت من جميع حقوقها الفردية وفي مقدمتها التعليم، وفرضت عليها الكثير من الأفكار المتخلفة والرجعية، باسم الدولة والحقوق، وقبلتها باسم الأمّة. هذه اللوحة اليومية ما تزال تعاش إلى يومنا هذا. فيا ترى كيف وبماذا تم قلب الحياة الاجتماعية رأساً على عقب والذي مايزال مستمراً؟ من الذي يدفع ثمن هذا وكيف؟ هل يا ترى هذا مصير محتّم؟ المرأة، هي أكثر من تحس بهذا الأمر وتشعر به. ولهذا السبب فإن النساء جاهزات أكثر لتطبيق الثورة الاجتماعية، التي توجد ضرورة ملحة لها من النواحي الذهنية والروحية والشعورية. لأن أسبابها أكثر بكثير. وللرد على هذه الأسباب، فإنهن يقمن بمهمة تطوير علم للمرأة الذي سينير الحقيقة التاريخية لجميع الظواهر التي تعتم الحقيقة الاجتماعية وتقلبها رأساً على عقب. لأن الحقائق الأكثر أساسية هي التي تتحقق مع عالم المرأة وقيمها وطبيعتها. فالظواهر التي تعتم عالم المرأة وقيمها وطبيعتها هي نفسها الظواهر التي تعتم حقيقة المجتمع أيضاً. لهذا فثورة العلوم الاجتماعية، هي إعادة إنشاء الحقائق الاجتماعية بشكل ناجح حول المرأة. وهذا يعني تطوير الجنولوجيا.

العديد من انضباطات العلوم الاجتماعية التي دخلت القرن الحادي والعشرين مفلسة، هي بعيدة عن الحياة الاجتماعية ومنقطعة وغريبة عنها، وفي موقع عدائي منها، اكتسبت اسمها من تلك الحياة الاجتماعية. ومهما يكن الموضوع الذي تتناوله الجنولوجيا، فيجب في البداية أن تقوم بمحاسبة للذات ضمن حقيقة العلوم الاجتماعية هذه وتكافح بطريقة صحيحة. الانحراف والإنسداد وتكرار الذات والحالة المركزية السلطوية للعلوم الاجتماعية، يمكن تجاوزها فقط بعلم المرأة ومعارفها. وفي يومنا هذا، فإن موضوع المرأة ومشاكلها وحركاتها، وبقدر ما هي غير موجودة، إلا أنها تأخذ مكانها ضمن العلوم الاجتماعية. من هو المسؤول عن هذا الوضع؟ بالطبع، المسؤول هو حضارة حاكمية الرجل ومكونها المعرفي والسلطوي. فإيديولوجية الرجل هي التي وضعت بصمتها على العلوم كافة والعلوم الاجتماعية، وهي لا تتعدّى أن تكون زيفاً وكلاماً مزخرفاً فيما يتعلق بمواضيع المرأة. ويفعلون هذا لكي يغطوا على تهمة الخمسة آلاف سنة التي تحكموا فيها بالنساء. وإلا فإن وضع المرأة في الحياة الواقعية مختلف جداً. ويتحمل العلم والمعارف الاجتماعية النصيب الأهم في إبداع وخلق هذا الشيء. ولكي يتم إظهار وكشف هذا الحدث فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

إنه أمر غريب وعجيب جداً، أن لا تكون العلوم الاجتماعية قد فكرت بالمرأة التي تشكل جوهر الطبيعة الاجتماعية، لتختارها من ضمن جميع فروعها، من أجل بحث وانضباط علمي. وبقدر ما هو عجيب، فهو ووفقاً لمنطقه الخاص متماسكٌ ومنسجم.

العلماء الرجال، وعلى مر مئات السنوات، عقدوا نقاشات جدية بخصوص مواضيع من قبيل، 'هل المرأة موجودة أم لا؟ هل يوجد روح للمرأة أم لا؟ المرأة، هي رجل ناقص، مخلوقة بشكل ناقص؟. وعلماء اليوم هم خلفاء أولئك العلماء. الذين لم يتقبلوا وجود المرأة، وحتى أن البعض منهم لم يؤمنوا بوجود المرأة أساساً، فإن لم يكونوا قد اختاروا فرعاً معرفياً للمرأة فهذا من جانبهم، يعتبر تماسكاً. لكن وبحسب قسم مهم من "العلماء الرجال"، فإن اختيار فرع معرفي للمرأة والبحث فيه ووضعه ضمن مواضيع العلوم الاجتماعية، هو تهلكة ومصيبة إلى أبعد حد. هو شيء أشبهُ بفتح صندوق باندورا (صندوق الشر الذي فتحته باندورا ونشرته للعالم حسب

الأسطورة اليونانية). إيقاظ الآلهات اللاتي تم إسكاتهن وإلهائهن وخداعهن وتصغيرهن وتم سجنهن في أعشاشٍ صغيرة، بألف شر وظلم منذ آلاف السنين، وبالحيَل وبألف كذبة وكذبة، فهل هذه أعمال العقول الذكورية؟ إن وجد هذا أو لم يوجد، فإنها فكرة نميمة عقل المرأة التي هي صديقة الشيطان، أو عمل ' ابن خيّر' الذي ' لم يترك إيمانه بالآلهة الأم' قط. ولكن بالنسبة للمرأة فإن التفكير بفرع معرفي وانتقاؤه لهن، ليس من عمل الذكر.

لهذا السبب، وبالأكثر يتم خلق روابط أيديولوجية بخصوصها، وصنع الصياغات اللغوية، ويتم تمزيق جسدها ضمن ألف انضباط، كما لو أن هذا لا يكفي، فإنها وجودٌ يتم تمزيقه وتجزئته بشكل علمي وأيديولوجي أيضاً. اليوم هي في هذه الحالة. لكن وجودها وحقيقتها وتاريخها وهويتها، لا تكون حقيقة بقدر ما تكون موضوعاً لمعرفةٍ علمية. بالجنولوجيا فنحن نقوم بعصيانٍ في وجه الكذبة المنظمة التي ألّفها الرجل منذ خمسة آلاف سنة بخصوص المرأة! ولكي ندمر هذه الكذبة من الأساس، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا. سنؤسس علماً بحيث نستطيع فيه أن نصنع وجودنا وتاريخنا وأخلاقنا وجمالنا واقتصادنا وبيئتنا وديموغرافيتنا، وكل ما يتعلق بالحياة، والعيش في أي مكان يكون قد خرج من معنى الحياة، سنصنع علماً للمرأة يتناول تلك الميادين.

سيصبح هذا العلم طاقة وروحاً وبيتاً لسوسيولوجيا الحرية. ستكون الداعم الأكثر سلامةً. سيصبح هذا العلم، العلم الذي يمثل حاجة العلوم الاجتماعية للثورة ولانطلاقةٍ أخلاقية. الحقائق التي ستخرج عن هذا العلم وتنكشف، لن تكون أقلّ من العديد من فروع السوسيولوجيا الأخرى. من أجل تاريخ استعمار المرأة الذهني والجسدي، وكذلك كشف أماكنها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا! ولنتمكن من كشف وإظهار التشكيلات المعرفية، في الميثولوجيا والدين والفلسفة والفن والعلوم وروابطها الإيديولوجية التي تم بناؤها، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا. العلم الذي يبحث في أحداث وظواهر الكون بشكل منظم، ولا ينكر الفرضيات والأحاسيس في تناول معطيات التجارب، يتم تعريفه بالنشاط الفكري"، من المهم أن يتم استخدامه كطريقة للتعبير عن وجود المرأة. لكن في المرحلة التي

وصلنا إليها، فإن الحدث الذي ندعوه بالطريقة العلمية، فهناك ضرورة وحاجة عاجلة لعقل المرأة وفطنتها وأحاسيسها. ويقيّم القائد عبد الله أوجلان هذه الحاجة بهذه الطريقة ' إذا سمّينا العلم كتفسير متقدّم للمعنى، فإننا وبقدر سرعة اتحادها بالسلطة، إما سنفهمها كفشل باسم العلم أو سنفهمها كمسألةٍ جدية لتسمية العلم. وبالرغم من أن الفلسفة الوجودية بحد ذاتها تنقد الدين كثيراً، إلا أنها تظهر أبعد عن الدين والميتافيزيقيا على شكل ماديةٍ متدرّجة ومتداخلة ما بين الدين والميتافيزيقيا، واتضح ذلك بشكل جليٍّ في مستوى عدم مسؤوليتهما. والنتيجة التي يجب أن نستخلصها من هنا هي أن العلم بحاجة لشرح جديد للمعنى. هناك حاجة للعلم بثورة باراديغمائية جديدة'. والقوّة التي ستقوم بهذه "الثورة الباراديغمائية الجديدة"، هي أكثر قوة تبقى خارج السلطة أو تتركها السلطة خارجاً، ولا تضمّها إليها، ستكون المرأة. علم المرأة سيحرر العلم أيضاً.

بدون شك عندما نقترح علم المرأة، فإننا نجد في هذا الموضوع الكثير من النظريات الفامينية التي لا حصر لها، التي تمت ويتم تسييرها وتقوم بتنويرنا، والأعمال الأكاديمية والأطروحات العلمية التي نستفيد منها. لكنها جهود مفككة وغير منظمة وتأثيرها ضعيف جداً ضد قوة الحداثة الرأسمالية التي تصهر كافة بدائلها وتتركها شبيهةً بضدها. ولا تستطيع إنارة عالم المرأة الذي تم تعتيمه. لهذا السبب، فالجنولوجيا كعلم اجتماعي للمرأة وبشكل ما ستجدد بنية العلوم الاجتماعية خطوة بخطوة وتطورها، أو فإنّ الجنولوجيا كبيتٍ لسوسيولوجيا الحرية، ستُفهم مع الوقت جيداً بأنها حاجة حياتية ملحة. وإذا لم تكن جبهة المرأة قد فكرت بعلم المرأة كميدان سوسيولوجي أو في ظل العلوم الاجتماعية حتى يومنا هذا، يستطيع المرء أن يشرحها بالشكل التالي، الوقوع في كمائن عقل الذكر وأنظمته المعرفية، والانتقاص من شأن الذات، وضيق الأفق وعدم تجاوز حدود الحداثة. ولكي نتمكن من تجاوز مكامن ضعفنا هذه، فينبغي أن نأخذ بالجنولوجيا، بعلم المرأة الاجتماعي، بسوسيولوجيا الحرية، والصروح الفكرية الميثولوجية والدينية والفلسفية والإيديولوجية والعلمية، والنظريات العلمية بعين الاعتبار. سننظر لهذه النظريات المعرفية مرة أخرى بعين المرأة وننقحها، وما كسبناه من نظريات سننسجه بنسيج

المـرأة مـرة أخـرى. لكـن مـن الواضـح بـأن هنـاك حاجـة للسيسـيولوجيا والعلـوم الاجتماعية والعلم والحياة الاجتماعية لهذا العلم بقدر حاجتنا له على أقل تقدير.

'فالـدور المُنـاط بـالعلوم الاجتماعيـة خـلال تـاريخ الحداثـة الرأسـمالية، هـو فـرض الانقطـاع عـن حقيقـة المجتمـع كعمـل شـرعي ومتقـدّم. وبهـذا يـتم ضـرب التكـوين الاجتماعي ضربة قوية باسم العلم.'[11] ستصبح الجنولوجيـا ذلـك العلـم الاجتمـاعي الذي مركزه المرأة بذاتها، وموجّهاً ضد تلك القوى التي نفّذت هذه الضربة، وبتنظيم العديد من جوانب المجتمع ستتحرك كقوة الدفاع عن المجتمع. ولأجل تطور مشروع وغير منقطع عن المجتمع، وضد كل هذه الممارسات، ستطوّر كطريقـة علـم تعطـي المعنى الأكثر أساسيةً وأولوية للفلسفة، وتُفهم اجتماعيتها لكل فـرد. فـي هـذا الصـدد ستتعلم أبجدية وألف باء العلوم الاجتماعية وتعلمها أيضاً. وسـتظهر القاعـدة الذهبيـة "الإنسان هـو إنسـان بمجتمعـه" كأحـد الركـائز الأساسـية لفلسـفتها وعلمهـا وتجعلهـا مقبولة.

في هذا الصـدد، فإننـا نسـتطيع تنـاول الجنولوجيـا ضـمن ميـدان العلـوم الاجتماعيـة كمداخلةٍ ذهنية قوية جداً تتم بمنظور المرأة. الأصح أننا نستطيع القول، هـي مرحلـة بنـاء إيـديولوجي يـتم نسـجه حـول المـرأة، وإعـادة بنـاء لا حصـر لهـا مـن الصـور والتعاريف والتعبيرات الايديولوجيـة التـي تـم خلقهـا، تقـرأ المـرأة والرجـل وعمـوم المجتمع وكل حدث متعلق بالحياة بأسلوب بديل وبوجهـة نظـرة قويـة. وفـي الغالـب تستطيع أن تتطور بالشروحات، وأساساً فهنـاك حاجـة ملحـة للمـرأة بهـذا. سـتتطوّر بالشروحات، لفترة من الزمن، لتأتي مرحلة النقـاش، التـي سـينقش فيهـا علـم المـرأة أطروحاته وفقاً لمنظور المرأة.

بدايةً ستتناول العلوم الاجتماعية بعض الميادين الواضـحة -تلـك الميـادين الجوهريـة التي تم استبعاد المرأة منها في البداية-. ومع الوقت، ستأخذ كافة المواضيع المتعلقـة بالحياة الاجتماعية في ظلها، وستحتل الجنولوجيا مكانها من الداخل في ميدان العلوم

(11) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

الاجتماعية كمداخلة إيديولوجية وذهنية واختلاف الشروحات. ونستطيع أن ندعو الجنولوجيا بنظرة جماعية، بأنها اختلاف ذهنية في كافة ميادين العلوم الاجتماعية.

وينبغي أن تملك الجنولوجيا بداية، قوة التحليل في ميدان العلوم الاجتماعية. ومن الضروري أن يتطابق تحليلنا هذا، مع التغيير الذي تطوره الحداثة الديمقراطية في ميدان العلوم الاجتماعية. المقاربة الكلية للعلوم الاجتماعية، والشفافية التي اكتسبتها من ناحية الأسلوب، تشترط أن نستوعب بعمق أهمية إعادة تعريف العلوم الاجتماعية وبقوة أكثر. وسيكون انتقاد وتقييم، العلم الاجتماعي الذي أصبح القلعة الأقوى للفلسفتين الوجودية والليبرالية بشكل خاص، بمنظورالمرأة، العمل الأكبر والأساسي للجنولوجيا.

6- لتطوير أسلوب بحث يتوافق وحقيقة المرأة

من أجل تطوير أساليب بحث تتوافق والمرأة وتكون في خدمة تطوير فكر ونشاطات الحرية، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا. ' عندما يحاول الإنسان حلّ المسائل الاجتماعية، ينبغي له أن يفكر ملياً وبعمق في ظاهرة المرأة، لكي يجعل من محاولات المساواة وحرية حياة المرأة منبعاً ومصدراً ولتكون أساس أسلوب البحث وأساس المحاولات العلمية والأخلاقية والجمالية المتماسكة أيضاً. أي أسلوب بحثٍ بعيد عن حقيقة المرأة، ولا يتخذ من كفاح حرية ومساواة المرأة مركزاً له، لا يستطيع بلوغ الحقيقة، ولا يستطيع أن يحقق الحرية والمساواة.' مقولات القائد عبد الله أوجلان هذه، تأتي من أعماق الحياة، لأجلنا نحن النساء. يقوم وعينا وأحاسيسنا بانتقاء ورؤية هذه المقولات مباشرة، لأننا نعلم جيداً عن ماذا تتكلم، ونعلم جيداً ما يتحدثون عنه. التاريخ الاجتماعي، يترك المرأة خارجاً أو يريد أن يتركها خارجاً ويتطورعلى هذه الشاكلة، وندرك جيداً بأي طريقة وكيف يعيقنا ويجرحنا هذا الأمر، ونعرفه حق المعرفة. إننا نرى اليوم، الآلاف من هذه البصمات في الروح والقلب وفي كل تفصيل من تفاصيل حياتنا، على أنفسنا. ولكي ننظف هذه البصمات، ونزيلها ونحرر قلبنا وعقلنا، وكي نتعقب حقيقة هذا البحث فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

ما هو "أسلوب البحث البعيد عن حقيقة المرأة"؟ وإن كان كذلك، فما هو "أسلوب البحث الذي يتضمن حقيقة المرأة"؟ الجواب الذي سيقدّمه عالم وضعي في هذا الخصوص واضح للعيان: " هناك بعض المبادئ والقواعد الواضحة لأساليب البحث، ولا علاقة لها بالمرأة أو الرجولة، من فضلكم، دعونا نفكر بشكل علمي!" باحتمال كبير، ومهما لم يُذكر فإنه بحركات وجهه وصوت قلبه، سيرى هذا التعريف صغيراً، وسيتهمه بخروجه عن العلم، بالقول الأكثر خفة. إن سبب جميع الكوارث التي حلت بالإنسانية، ويد الجوع والفقر التي طالت رقابنا، واحتراقنا في الحروب، وقلبنا رأساً على عقب في الكوارث البيئية والكوارث الأخرى الهائلة التي لا حصر لها هو عدم وجود حقيقة المرأة ضمن حقيقة البحث الذي نجريه. الابتعاد عن حقيقة المرأة في الابحاث، غير مرتبط بوجود المرأة أو عدم وجودها فقط. فالابتعاد عن حقيقة المرأة ضمن الأبحاث، وعدم أخذ أي اعتبار للمرأة، وقيمها ووجودها، ومكانتها في التاريخ الاجتماعي، والتأثير المتبادل في علاقات المرأة والرجل وفي الكثير من النواحي، متعلقٌ بعدم إيلاء أي اعتبار لوجود المرأة. وندرك جيداً تعيينات القائد عبد الله أوجلان في هذا الميدان بقوله " أسلوب بحث بعيد عن حقيقة المرأة. ونتذكر الاسماء والأمكنة والأوقات الماثلة للعيان. الرهبان السومريين ومزوبوتاميا، بلاتون واليونان، فرانسيس باكون وأوروبا، صيد الساحرات...

هل يا ترى، وُجد "أسلوب بحثٍ يتضمن حقيقة المرأة" في إحدى مراحل التاريخ"؟ في أي مكان؟ وفي أي المواضيع؟ وماذا كانت تلك المواضيع؟ ينبغي البدء في إحصائها وحفظها، وينبغي لنا استذكار تلك التي نسيناها، وأن نخلق مواضيع جديدة بدلاً عن تلك التي أزالوها. وينبغي لنا إيجاد حقائق الأبحاث الجديدة التي تستند لحقيقة المرأة، في كل موضوع تراه الحياة ضرورة ملحة. وفي هذا الخصوص، ولكي نبحث دون كلل أو ملل، ونخلق الأجوبة عن المظالم الكبرى التي حصلت على مرّ تاريخ الحضارة، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

كلّ مدارس العلم الاجتماعي، تأخذ بعض وحدات البحث المختلفة أساساً لها وترغب في بحث ودراسة المجتمع التاريخي. وهناك بعض المقاربات التي تتناول الدولة

والاقتصاد والطبقة ووظيفة السلطة والدين والمجتمع والأشخاص والحضارة أساساً لعملها وتبحث فيهم. فأيّها سيتناول التاريخ الاجتماعي بكليته ومعانيه ويبحث فيه؟ وينبغي أن يتمكن المجتمع، رغم أنه لا يستطيع أن يكون مجتمعاً بدون إحدى هذه العناصر، من أن يكون الوحدة الأساسية لبحث ودراسة المجتمع التاريخي. استطاعت المجتمعات أن تستمر في وجودها بدون دولة. واستطاعت المجتمعات العيش قبل أن يتم بناء الحضارات. ويمكن أن توجد مجتمعات بدون طبقات وسلطة. لكن لا يمكن للمجتمعات أن تستمر بدون أخلاق وسياسة وجودها. الأخلاق ضرورية كأعمال صحيحة وجيدة وذات فائدة لكي تستطيع المجتمعات أن تتابع وجودها وحياتها. والسياسة هي لأجل تناول هذه الأعمال وتطبيقها بطريقة صحيحة وكاملة وجميلة، وعليه فإننا سنفهم بأنّ المجتمعات لا يمكن لها أن توجد بدون هذه الأمور. وهكذا، ولأنّ المجتمع لا يكون بدونها، وهي لا تكون بدون المرأة، فإن وحدة بحثنا ودراستنا التي تتضمن حقيقة المرأة هي وحدة أخلاقية وسياسية. وفي الوقت نفسه فإننا ندعو إلى "المجتمع الأخلاقي والسياسي الذي يتم نسجه حول المرأة".

تم نسج التكوين الاجتماعي حول المرأة، ولا توجد أية فعالية اجتماعية بدون أن تأخذ المرأة مكانها فيها. فهي موجودة ضمن جميع الفعاليات الاجتماعية الصحيحة والجميلة والجيدة وذات الفائدة. أما ضمن الحرب والدمار والقتل والموت، وبعيداً عن أنهن كن ضحايا، فهي لم تحتل مكانها فيها إلا في بعض الاستثناءات. غايتنا، هي أنه عند دراسة التاريخ الاجتماعي، وإذا تناولنا المجتمع وفق الأسس التي تجعل منه مجتمعاً، يشترط وجود المرأة فيه. وهذا سيبعدنا عن الفخ الذي وقعنا فيه منذ البداية "أسلوب بحث بعيد عن حقيقة المرأة". وبهذه الطريقة فإننا سنبحث التاريخ الاجتماعي بشكل جيد، ونحلل يومنا بشكل صحيح. وهنا تماماً تظهر حاجتنا الماسّة للجنولوجيا. لكي نقرأ يومنا هذا بشكل صحيح وفقاً لرؤية التاريخ.

عندما نبحث في ميادين التاريخ الاجتماعي، واليوم الراهن، والسياسة، والمجتمع، والبيئة والديموغرافية والصحة والتدريب، والتعليم والاقتصاد والخ، فإننا سننظر لها ضمن إطار المرأة. ما معنى هذا؟ معناه، أننا سنميّز المقاربات التي تنتقص المرأة

منذ آلاف السنين، وتحسبها غير موجودة، وإن وجدت فوجودها قليل جداً، ويشوهونها، ويضعونها ضمن التاريخ الاجتماعي أو يستبعدونها من التاريخ الاجتماعي، وسننظر لها من هذا المنظار. بهذا التمييز فإننا سنرى وجود المرأة ونضعها ضمن سيرورة التاريخ. وسنتعلم حقيقة البحث والدراسة المستندة للمرأة. وهذا يعني أننا سنخلق أطروحات الجنولوجيا في العديد من الميادين ونقدمها لعالم المعرفة.

وكمثال، يمكن أن تتطور أطروحات الجنولوجيا بخصوص الاقتصاد. فهذه الأطروحات لا تتحدّد أو تنحصر بميدانٍ واحد فقط. ويمكن أن تكتب وتسجل في أكاديميات المرأة بمشاركة المراقبة والتجريب وتجارب جميع نساء العالم، من قبل لجنة، ويتم مشاركتها مع ذوي الصلة بالاقتصاد. وعلى سبيل المثال، أطروحات ونظريات الجنولوجيا بخصوص الديموغرافيا، يمكن أن تتطور بناءً على المعطيات التي سيتم جمعها بالتشارك مع جميع نساء العالم، وأن يتم تقديمها للمنتديات ذات الصلة والمؤسسات الصحية باسم نساء العالم، وأن تنظم النشاطات لأجلها.

طريقة البحث الممارسة وفقاً لحقيقة المرأة، ستتناول مشاعر المرأة وأحاسيسها ورحمتها وجميع خصائصها الجميلة، وستعقد فعاليات عاجلة للاحتياجات العاجلة، وتتطوّر على هذا الأساس. ولتحيا ذكريات مئات آلاف الساحرات اللواتي قتلن لأنهن لم يتركن معرفة وعلوم المرأة، فهذه الطريقة ستعيد إحياء روح المعرفة هذه. وستستند أشكال معارف المرأة، وأساليب المعرفة والنظريات المعرفية إلى طريقة البحث هذه.

أيّ طريقةٍ ستستخدمها حقيقة البحث التي مركزها المرأة؟ هذا السؤال موجودٌ ضمن برنامجنا وأجندتنا اعتباراً من نقطة بدء النقاشات المتعلقة بالجنولوجيا. تعتبر المؤسسات الذكورية المفروضة على المرأة، إحدى ظواهر الإجابة عن هذا التساؤل وتعريفه. وستختار الجنولوجيا الطريقة التي تستطيع بها أن تضع هذه الأمور جانباً وتتجاوزها وتكشف حقيقتها وكذلك تخلق بدائلاً لها. كما أنّه وفي خضم البحث عن الأسلوب يتم تقييم تطوير الشروحات من كل ناحية كطريقة لإغناء وتعميق قوة

المعنى. إنّ الأساليب التي تترك الدوغمائيات دون فعالية أو فائدة، تتناول قوة حل المشكلات وتشوّق لجرأة في التفكير، وتكشفها، وتأخذ من تطوير هذه الأمور أساساً لها.

هناك عاملٌ آخر ذو تأثير، يتناول تعريف أسلوب "طريق البحث والاستكشاف المعروف" كأسلوبٍ جامد ودوغمائي. وسنطوّر الأبحاث أيضاً مقابل المقاربات التي تسمى ب "الأساليب المريضة" ونستخلص النتائج منها. وبخصوص هذا الموضوع، فإنّ تثبيت القائد عبد الله أوجلان القائل 'الأسلوب مثل كلمة تأتي بمعنى أصول وطريقة. وبقدر ما يكون إيجابياً في البداية، ويكون ذو فائدة لقابلية الفهم، فعندما يبقى الإنسان مرتبطاً به لوقت طويل فإنّه يمهّد الطريق أمام ديكتاتوريةٍ ذهنية كاملة'. سيكون بوصلة الجنولوجيا في مرحلة اختيار الأساليب والطرق.

عندما تُظهر الجنولوجيا أساليبها، فهي على الدوام تأخذ بعين الاعتبار التقرب من حقيقة تحليل علاقة الإنسان والمجتمع، وإقامة العلاقة مع المجتمع الذي نعيش فيه، وتحليل مجتمع الإنسان، وطبيعة ذهنية الإنسان، ونظام عملها، والمعرفة والتعريف الصحيح والعميق لبنائها، وخصوصية الإنسان صاحب الشخصية الميتافيزيقية. ولا تنسى أبداً بأن الأساليب التي تم بناؤها، عليها بصمة عقل الرجل المتسلط. وتتقبّل تطوير اليقظة الذهنية على الدوام كمبدئ أساسي، في مقابل هذه الحقيقة.

في كلّ تاريخ المجتمعيّة، أي أسلوب، ومن طرف من، وكيف، وأين تم استخدامه، سيكون خلق رؤية ونظرة ذات آفاق واسعة وعميقة وفلسفية على هذا الأساس، من الواجبات الأولية للجنولوجيا. ستختار الجنولوجيا أساليب البحث، وفقاً للمعرفة التالية " الأسلوب هو الباراديغما الأكثر أساسية للرأسمالية"[12] و"هذا النظام يحوّل الأسلوب حقيقة، والحقيقة إلى أسلوب"[13]، لهذا تضع المنظومة ألف كمين وكمين. وتستخدم حقيقة النظام الرأسمالي هذه بالأكثر في استعمار وجود المرأة. بهذه المعرفة، ستطور أساليب البحث والوصول إلى الحقيقة. ' أساليب البحث عن الحقيقة

(12) الدفاع عن الكرد في الإبادة الثقافية- مسألة الكردوالحل / عبدالله أوجلان
(13) الحضارة – عصر الأمراء خلف الستار والآلهة المقنعة / عبدالله أوجلان

الخاضعة للعلوم الاجتماعية التي تعتبر أوربا مركزاً لها، هي أساليب هيمنة وفقاً لاحتياجها الجوهري. وتجعل الطرق البديلة للحقيقة، غير ممكنة بأسلوبين أساسيين. الأول هو المقاربة الكونية للفردية (التعصب الفردي). الحقيقة دائماً يتم إنزالها. والثاني هو النموذج النسبي اللامحدود. عندما تقول توجد حقيقة لكل واحد بحسب حالته، فإنها في جوهرها تحاول أن تعبّر عن أنه لا توجد حقيقة. كأن يقول المرء بأنّ كل شيء تغير، لكي يدعي المرء بأن لا شيء قد تغير. ومن الواضح بأنّ كلا الأسلوبين يتحدان في التنازل. وبتنازل كلٌّ من ' التعصب الفردي ' الكوني وأيضاً ' الفردانية' النسبية، عن الحقيقة لأجل 'الفردي' فإنهما يبرزان شخصياتهما الحاكمة بشكل واضح. 'تأخذ الجنولوجيا تجاوز طرائق البحث هذه التي يعرفها القائد عبد الله أوجلان هدفاً لها، وهدف الجنولوجيا هو إبراز الغنى وزيادة الطرق التي تتجه نحو الحقيقة.

وفي موضوع الأسلوب، تأخذ الجنولوجيا العمل الدياليكتي في كل موضوع بعين الاعتبار. لأن جميع البناءات والصروحات في الكون، هي ثنائية الشخصية. ولكن الجنولوجيا لا تؤيد الفكرة القائلة، الثنائية، والضدية، أو الطرفين اللذين يفنيان بعضهما، وأنّ ديناميكية البناء والتطور تتحقق من هذا الإفناء. وفي مبادئ الكون والطبيعة الاجتماعية، فإنها ترى أسلوب الأطروحة والأطروحة المضادة والتركيبة الجديدة المتكونة عنهما أنسب. فالازدواجية (العلاقة الثنائية) موجودة ضمن كل تركيب كوني، وهكذا فإنها تقيّم العلاقات والتأثر المتبادل بينهما وتضفي المعنى على التغييرات والتطورات. تعرف الجنولوجيا بأنها تستطيع أن تستخدم هذه الطريقة عندما تتناول الطبيعة الاجتماعية، وتقيّمها كأسلوب مهم في تحرر الفرد والمجتمع.

تتناول الجنولوجيا، الثنائيات التي من قبيل، حماية الكون-الإضافة، الاعوجاج – الاستقامة، القروية-المناطقية، برقة وشفافية. لكنها مدركة للمخاطر التي تتضمنها هذه الثنائيات، وستتقرّب منها وفقاً لهذه المعرفة. وتعتقد الجنولوجيا، بأنها ستصبح علم الحياة الاجتماعية. ولا تشرحها وفقاً لذاتها، كطريقة وأسلوب بقدر عدد البشر. وواضح أن حماية البيئة(الكون) كمبدأ حماية كوني لا يتغير، ولا يتناول تطوير القضية على مسار مستقيم ولا يعكسها كذلك. المهم، هو تناولها الكونية الذاتية،

وبدون أن تردها للأقطاب المتعاكسة، كحالتين للحقيقة الاجتماعية التي تعيشان ضمن بعضهما. وتدرك بأنه لا التطور على خط مستقيم، ولا التكرار اللا نهائي، يكفيان لوحدهما في شرح وتفسير الحقيقة. وتقيّم عمليات إضفاء المعنى الصحيح على اللحظة التي تعتبر جانب التطوّر لتطوير متكرر، ورؤية الشخصية المتكررة للتطور، والتأثير اللانهائي واللحظة والإحساس التي تحتوي بعضها بعضاً، كعتبات مهمة في بلوغ الحقيقة. الأسلوب الديالكتيكي قديمٌ قِدَمَ وجود الإنسان، وهو من طرق تفكير ثقافة الإلهة الأم. وتهدف لتطوير جانبها "الديالكتيكي المتقدم والبنّاء"[14]. وتصل الجنولوجيا بديالكتيكيةٍ كهذه، إلى مقاربةٍ تأخذ الطبيعة الاجتماعية والطبيعة الأولى بانسجام وتناغم، أساساً لها.

الميتافيزيقيا التي تنتقد " الأنظمة الذهنية المستعمِرة' تعزز وجودها كصانعٍ خارجي في عقل الطبيعة الاجتماعية"[15] وتحاول أن تتجاوزها. لكن الميتافيزيقيا التي ترى "الموجودات التي تظهر في الفكر والإحساس"[16] أيضاً وتضفي عليها المعنى، تنضم لفكرة أن الإنسان لا يمكنه العيش بدون ميتافيزيقيا. وتحاول إعادة إكساب هذا الفكر، لجميع الذهنيات التي قامت الفلسفة الوضعية بإخصائها. الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم والأخلاق وكل أنواع الفن والسياسة وتقنية الإنتاج تمتلك خصائص ميتافيزيقية. تتقبل هذه الفكرة وتطور الأساليب في بحوثها. 'الموضوع الواجب تنويره هنا، ليست ثنائية الميتافيزيقيا والدياليكتيك، بل هو التمييز بين إبداعات الميتافيزيقيات الجيدة والصحيحة والميتافيزيقيات السيئة والقذرة. وليست ثنائيات الدين-اللادين والفلسفة-العلم، بل ثنائيات الإيمان والحقائق الدينية والفلسفية والعلمية، التي تجعل الحياة أكثرَ سحراً وجاذبية.'[17] وتخلق أساليب تطبيق البحث عن الحقيقة التي تشير إليها ضمن هذا التقييم. لكي تصلح التخريبات التي أحدثتها الفلسفة الوضعية في ذهن الإنسان، وتكافح في الكثير من الميادين العلمية ضد حالة الجهل

(14) الحضارة- الأمراء خلف الستار والآلهة المقنعة/ عبدالله أوجلان
(15) سوسيولوجيا الحرية/ عبدالله اوجلان
(16) سوسيولوجيا الحرية/ عبدالله أوجلان
(17) الحضارة الرأسمالية- عصر الحكام العراة والآلهة الغير مقنعة / عبدالله أوجلان

التي تسببت في إزالة العديد من القيم المهمة الموجودة ضمن معنويات الإنسان وموروثه ونتاجاته المقدسة تحت مسمى عدم قبول الميتافيزيقيا.

"رؤية العالم لفيزياء الكوانتوم، مرتبطة مع الرؤى التي تصان من قبل التقاليد السرية، وبالأخص مع رؤى التصوف (السري) للشرق... العديد من الفيزيائيون أمثالي الموجودون ضمن تقاليدٍ من الأمور الغامضة، والمخفية وغير العلمية إلى حدٍّ بعيد، يقولون وكأنّ التصوف (الميستيسيزم) قد اكتمل، وفقدوا وعيهم عندما قارنوا أفكارهم بأفكار المتصوفين. من الجيّد أن هذا الموقف بدأ يتغير اليوم. في الحقيقة إن فكر الشرق قد أصبح محط اهتمام الكثير من البشر وما عادوا ينظرون إليه بعين السخرية أو القلق. ويتم تناول وجود التصوف داخل عالم العلم بشكل جدي. وبات عدد كبير من العلماء، يدرك جيداً بأن فكر التصوف سيصبح خلفية لفلسفة متماسكة ومتناسبة مع النظريات العلمية الحديثة. وهذه نظرة عالمية، ترى بأنّ الاكتشافات العلمية يمكن أن تكون في انسجام وتناغم تام مع أهداف البشر المعنوية واعتقاداتهم الدينية. "وبقدر وجود بعض النواقص ضمن هذه التقييمات الموجودة في كتاب فريتجوف كابرا المعنون ب ' نقطة الدوران في فكر الغرب'، ولكنه يقدّم اعترافاً ونقداً ذاتياً مهماً، باسم التعصّب العلمي الغربي (العلمويّة الغربيّة)، والتي أتت على لسان فيزيائي، بخصوص ذنب عدم اعتبارهم للقيم الأساسية المعنوية للبشر أو سخريتهم منها.

تتناول الجنولوجيا، التمييز بين الشيء والموضوع (الفاعل والمفعول به) الذي وضع بصمته على أساليب العلوم الوضعية، بشكل نقدي، وتستند في أساليبها إلى ذهنية تتجاوز هذا التمييز بينهما. التمييز بين الشيء والموضوع (الفاعل والمفعول به) التي تمثل الثنائية الأساسية لمنظومة الحضارة، وعلى هذا الأساس التمييز بين ثنائيات من قبيل، نحن – الآخرين، المرأة-الرجل، الطبيعة – الإنسان، الجسد-الروح، الله-البشر، الميّت-الحيّ والتي تتعمّق في فكر الإنسان ويتم تحديدها كأضداد، هي الدعامة الأساسية للحداثة الرأسمالية. لا تتقبّل الجنولوجيا، ضمن الأساليب التي سوف تستخدمها في تطوير وعي الحقيقة، الأسلوب الديكارتي الذي يطوّر التمييز والاختلاف بين الشيء والموضوع وتجعله الفلسفة الأساسية. أثبتت فيزياء الكوانتوم

بأن تمييز الشيء والموضوع عن بعضهما لا يكون مطلقاً. والجنولوجيا تتناول هذه الحقيقة كأساس لها. ولا تستخدم ضمن أساليبها التمييز بين المراقِب والشيء المراقَب (الشيء الذي تجري مراقبته). وتختار أساليبها في النهاية، استناداً لمعرفة أن كليهما في حالة تأثير متبادل فيما بينهما. وعلى هذا الأساس فإنها تدرك بأن الحقيقة التي ستظهر في الوسط هي نسبية. فلا تتناول المادية التي تؤكد الشيء ولا المثالية التي تركز على الفاعل وحده. ولا ترسخ وجود الظاهرتين ضد بعضهما البعض.

ذلك البحث الذي لا يجعل من الذهنية وأسلوب التمييز بين الشيء والموضوع مطلقاً، ويتطوّر وفقاً لمعرفةٍ نسبية، يصون عملية تعميق الوعي وخلق الحقيقة. وتؤمن الجنولوجيا بأن فلسفة المجتمع والتاريخ التي تتجاوز التمييز بين الشيء والموضوع، تستطيع أن تخلق الإنسان الحر. توجّه تدمير البيئة الذي مهّدت الحداثة الرأسمالية الطريق إليه، انهيار ودمار المجتمع، التمييز بين الشيء والموضوع، مستوى الاصطلاحية الذي بلغته، مرتبطة مباشرة بقوة المعنى والتطبيق. تناضل الجنولوجيا، كعلم للحياة والحياة الاجتماعية لتحتلّ مكانها ضمن العلوم الاجتماعية كاختلافٍ في الذهنية، وكذلك كعلم لا يجعل الاختلاف والتمييز بين الشيء والموضوع مطلقاً. " التمييز بين الشيء والموضوع، هو مفتاح هيمنة الذهنية "[18] وهدف الجنولوجيا أن تفتح المفتاح الموجود ضمن هذا التوضيح.

ستكون الجنولوجيا إحدى الأفكار التي ستصبح دعامةً في تطوير الأساليب، ومع التطوّر الاجتماعي، فإن الانقطاع ما بين الذكاء العاطفي والذكاء التحليلي قد أصابت ميادين الحرية الاجتماعية والفرد بالإعاقة. هذا الانقطاع عرّض الإنسانية لخسائر كبيرة، وتركها وجهاً لوجه مع مخاطر عظيمة.

تأخذ الجنولوجيا، بعين الاعتبار، خصائص الذكاء العاطفي العائدة لجميع الأحياء، الضمان الغريزي السهل، بناءها المستقر، عدم الوقوع في الأخطاء بسهولة، أحاسيسها، علاقتها القاسية مع الحياة، وفي المواضيع الحياتية ردود الفعل السريعة

(18) سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

وارتفاع قابلية الذكاء التحليلي التي تستطيع اختيارها بسهولة، أي تستطيع تغييرها. وفي الوقت نفسه ترى بأن الذكاء العاطفي لا يلعب دور الذكاء التحليلي بسرعة، وتشرح ذاك النوع من الذكاء المهم والضروري للحياة، وتجعله معاشاً. شخصية الذكاء التحليلي مفتوحة على الانحرافات بسبب الشرح والتفسير الزائد عن الحد لها ولأنها تعمل كآلة، بعيدة عن مشاعر الألم والخوف والحب، فعندما تترك بمفردها تصبح خطرة، وتكشف التعاطف والعاطفة التي لا تعرفها. وإذا ما عمل الذكاء التحليلي الذي يسرّع التطور الاجتماعي، مع الذكاء العاطفي ضمن تناسق وانسجام، فسيلعب دوراً بارزاً في بناء الأفراد والمجتمعات الذين لديهم قابلية تحليل متقدمة، ويتحرّك وفقاً لهذه الحقيقة. لهذا السبب فإن الجنولوجيا، تعتمد أساساً على الأساليب التي تستند إلى تشغيل الذكاء العاطفي العائد للمجتمع الطبيعي والذكاء التحليلي العائد لمراحل المجتمع الطبقي، بطريقة متناسقة، ومتوازنة وبشكل متكامل.

الكوانتوم، كفيزياء للأمواج والجسيمات ما دون الذريّة، فتحت أمامنا العديد من الآفاق الجديدة، فيما يتعلق باستيعاب الكون الحي، وبإحساس، والأنظمة ذات الانتقاء الحر، وفي الوقت نفسه كونُ شيئين مختلفين في آنٍ معاً، والقانون الخفي الذي لا يمكن تجاوزه بشكل كامل أبداً. ستنظر الجنولوجيا عبر هذه الآفاق إلى الظواهر التي تبحث فيها وتكشفها. وازدواجية الكوانتوم، هي أن تأخذ بعين الاعتبار أنك إن كنت تعرف مكان الظاهرة فلن تعرف زمانها، وإن كنت تعرف زمان الظاهرة فلن تعرف مكانها، وطبّق جميع مراقباتك وتجاربك هكذا. بمعنى أنها ستفسّر مراقباتها واختباراتها وفقاً لمعرفة هذه الازدواجية. وستقيّم هذه الازدواجية وستجعلها معاشةً بالتثبيت التالي،'إنك تخلق في نفس لحظة المعرفة. بمعنى أن المعرفة والخلق (البناء) يتحققان في نفس اللحظة... هذه الازدواجية تحدث في الكون على مستويات الماكرو (الكبرية) والميكرو (الصغرية) وتنساب منها. وتجعل نفسها محسوسة في الأحداث الكونية الأعظم." [19].

عندما ننظر إلى النتائج التي تظهرها فيزياء الكوانتوم، فحينها تختلف علاقة المراقِب عن المُراقَب (الشيء الذي تجري مراقبته). فالمراقِب يؤثر على المادة

(19) الحضارة الراسمالية- عصر الحكام العراة والآلهة غير المقنعة / عبدالله أوجلان

والأشياء، بينما لا يظهر المُراقَب (الشيء الذي تجري مراقبته) نفسه للمراقِب كما هو ضمن شروط وظروف المختبر. هذه الحالة تجعل الحقيقة متغيرة ونسبية. وتشير إلى أهمية الصوت الداخلي لقلب الإنسان والمراقبة الداخلية. وعلى أساس هذه الحقيقة فإن سوية تحليلنا، تعزز قوة مراقبتنا وتزيد مستوى إدراكنا. وتتقرّب الجنولوجيا، بناءً على معرفة خصائص الإنسان هذه، من ديناميكية (جدلية) تطور كامل الكون والطبيعة الاجتماعية.

التطورات التي تعاش ضمن الكون وفيزياء الكوانتوم، أبطلت الذهنية السببية القاسية والتي تتطوّر بلا انقطاع على خط مستقيم والسائدة في الفكر الغربي، ضمن شرح التطوّرات الطبيعة والاجتماعية. والتطوّرات التي من هذا القبيل، لا تكون مطلقة دائماً مهما تكن معاشة ضمن ميادين الحياة الواضحة، وفي أماكن غير محدودة لوقت ما. والعديد من العوامل التي تجعل الحدث والظاهرة تتأثر ببعضها البعض، تفتح الباب أمام العديد من الاحتمالات والإمكانيات. ويمكن أن تظهر العديد من التطورات متعددة الجوانب. وهي وفقاً لتكوّن فكرة الكوانتوم الأساسية، وضمن ديناميكية التطوّر، وفي كل ظاهرة، نشوء ' الفترة الفاصلة للفوضى'.

نجاح وشخصية الأنظمة الاجتماعية التي ستتطور خلال هذه المرحلة الفاصلة للفوضى، سيظهر مستوى نضال الأقسام الاجتماعية التي تعيشها. عندما تتطوّر الجنولوجيا، كذهنيةٍ للعلم الاجتماعي مركزها المرأة والتي سيستند إليها نضال حرية المرأة، فإنها تأخذ بعين الاعتبار خصائص الأسلوب الكوانتومي (الكمّي) هذا بشكلٍ دائم. وتعرف المرونة والحرية والتعددية والغنى والاختلاف والتنوع وإمكانيات واحتمالات تغيّر المجتمع الطبيعي، وتأخذ الأسلوب الكوانتومي (الكمّي) أساساً لها في البحث والاستكشاف. وتدرك بأننا نحن النساء وإذا تناولنا المشاكل وحلول الحياة الاجتماعية بهذا الأسلوب، فإننا سنبقى بعيدين عن الحقائق المطلقة، وبشكلٍ منسجم مع مبدأ تشكل الكون، فإننا سنقترب من التجسّد الذهني المنفتح على تعدد جوانب الحقيقة.

وتؤسس الجنولوجيا أساليبها، بناءً على فكرة أنه إذا ما تمّ تحليل الكون المجهري (الميكروي)، أي الإنسان الذي هو كونٌ مصغّر الذي يقف ضمن عالم الكوانتوم، فإن كلا الكونين (الكوانتوم-الكوزموس) سيُفهمان. وتدرك بأن الذهنية التي ستفهم الإنسان جيداً فإنها ستفهم الكون جيداً أيضاً.

تتناول الجنولوجيا، منظومة الفكر العائدة لمذهب حيوية المادة (الأرواحية) التي أظهرتها فيزياء الكوانتوم (الكم) والجماعات البشرية التي أدركتها قبل ملايين السنين بأحساسيسها وعاشتها كديانة، وذهنية الطبيعة الحية أساساً لها وهكذا تتقرّب من الطبيعة. وتهدف بهذه المقاربة الفلسفية والإحساس العاطفي، لتطوير علم البيئة. وتبحث في الشكل الأولي للمجموعات البشرية، وفي أشكالهم الحياتية المنسجمة مع تدفق وانسياب طاقة الطبيعة الكونية، على أساس فلسفة صحيحة، من خلال البيئة. وتطور أبحاثها الاجتماعية بناءً على ديانة (معتقد) تلك المجموعات ومذهبها الروحي الذي هو " العلم الاجتماعي لما قبل التاريخ"[20]، وجوهرها المتعطش للحرية والمساواة.

تشرح الجنولوجيا هذه القواعد الأساسية بخصوص الأسلوب، بذكاء المرأة الحر والعاطفة المجردة العائدة للمرأة. وتبحث الجوانب الإيجابية والسلبية لأشكال وأساليب التفكير الميثولوجي والديني والفلسفي والعلمي وتقيّمها سويةً. وبقدر ما تطور الأفراد والمجتمعات الحرة، فهي تستفيد من هذه الأشكال التي استخدمتها الإنسانية لآلاف السنين مع بعضها أو ضد بعضها البعض. ولا تتخذ أو تظهر أية أساليب بجانبها الإيجابي فقط أو السلبي فقط كأصنام. وتتخذ الجنولوجيا الذهنية التي تربط الثقافة – الفن والأدبيات، بعضها ببعض الذهنية الأرمونيكية(المتناسقة)"[21]، أساساً لها، بقدر الأساليب الدينية والميثولوجية والفلسفية والعلمية.

بهذه المبادئ الأساسية، سنبحث بدايةً في الأسلوب الميثولوجي الذي اتخذه التاريخ الإنساني أساسا له لآلاف السنوات. سنبحثه كأسلوب ميثولوجي حيث يتناول هذا

([20]) الدفاع عن شعب / عبدالله اوجلان
([21]) سوسيولوجيا الحرية / عبدالله اوجلان

الأسلوب الطبيعة حيّة، ولا يفرّق أويميّز بين الإنسان والطبيعة، وكذلك يمثل مرحلة الطفولة للذهنية الإنسانية. أثرت الميثولوجيا في ذهن الإنسانية لآلاف السنوات. ثم أرادوا إزالتها من ذاكرة البشرية بالتطورات الدينية والعلمية. لكنها بقيت مؤثرة في حياة الإنسانية وأساليبها إلى يومنا هذا. ولهذا السبب، فإن الجنولوجيا، ستستفيد من الميثولوجيا، ضمن أساليب بحثها، كطريقةٍ لشرح الحقيقة.

الكائنات الحية، والكون وروح الطفولة التي هي من خصائص الميثولوجيا، ستلهمنا في خلق ذهنية الأسلوب. ويستمر التنوع والمرونة والفوضى والتداخل والتعدد(التنوع) والخلق والإبداع وعدم الكمال الموجود ضمن الطبيعة فينا، ولهذا السبب فنحن نمثل 'النساء والحياة'. لذا، فإننا نقيّم، الميثولوجيا التي مازالت تعيش وفقاً لفكر زمن الأم الإلهة، كخزينة لا نهائية ضمن بحثنا عن الأسلوب والأطروحة. ونتخذ هذا الأسلوب الذي تعتبر فيه الأحاسيس والذكاء العاطفي والمشاعر مؤثرةً، أساساً لنا، برؤيته كنظرةٍ خلاقة وفي إيجاد الأساليب الجديدة كمصدر نستفيد منه.

وتتناول الجنولوجيا، الأسلوب الميثولوجي وفقاً لاتجاه هذه الحقائق العامة بنظرةٍ نقدية، بقدر رؤيتها للجوانب الإيجابية فيه. وتقيّم الميثولوجيا كذكاء تحليلي بدائي تطوّر من الأرواحية (مذهب حيوية المادة) نحو تجاوز بحث ذهنية الآلهة الحاكمة. الميثولوجيا التي تركت في ذاكرة الإنسانية آثاراً عميقة، ليست موجودة في زمن الحضارة تماماً ولا خارجها أيضاً. والأصح أن الميثولوجيا هي التصوّر والإبداع البدائي للعديد من المفاهيم والمؤسسات والنظريات التي تعود لزمن دخول الحضارات. وتأثيرات الروحانية في الميثولوجيا كبيرة إلى حد بعيد. لكن الميثولوجيا هي أيضاً الأكاذيب البدائية التي أنشأتها السلطة والفردية في المجتمع الطبيعي، وعكسها(قلبها) وخيانتها للكلمات والمعاني، وهي التي مزّقت ألوهية المرأة إرباً إرباً. ومهما يكن لسانها شعرياً أيضاً. فهذه حقيقة تستطيع العلوم الاجتماعية إثباتها، فتأثير الميثولوجيا والأديان التوحيدية التي ستصبح لاحقاً منبعاً ومصدراً للسلطة، في بناء السلطة وشرعنتها في المجتمع، كبيرٌ إلى أبعد حد.

خلقت الميثولوجيا آلهة الطوفان ضد الإلهات، وخلطت الأرض والسماء ببعضها، وقامت بتمزيق الإلهات إرباً إرباً وتركتها بلا قيمة، ورفعت الله إلى السماء. وخلقت من الآلهة صديقة البشر، آلهةً بعيدة وغريبة ومخيفة. وخلقت الإنسان من قذارتها وشرعنت التبعيّة كأمر آلهي في ذهن البشر. وكشفت شخصية الإنسان المرنة، وكشفت شكلها وظلمها. ولكي تتمكن الجنولوجيا، من تعقّب أثر "الذكاء الميثولوجي ذي الأساس الأبوي والقوالب الذهنية التي تعتبر مصدرها"[22] الموجودة في يومنا الراهن، وتناولها في كافة ميادين الحياة وتستطيع أن تغيرها وتعيد تغييرها، فستقف برقة ورهافة على أسلوب التفكير هذا. كما أنّ معرفة السقوط الجنسي الأول في تاريخ النساء وتغيير جميع الأعضاء المتساوين والأحرار في المجتمع الطبيعي إلى شريحة تابعة (عبيد) ضمن التاريخ الإنساني، هو البناء الفكري الذي يطور الثورات المضادة، والذي يتناول هذا الأسلوب. يتناول الأسلوب الميثولوجي، الحرب بين الآلهة، ويشرعن الحرب والحيل والتجاوزات والعديد من الإهانات التي تمارس بحق المرأة، ويباركها. تحلل الجنولوجيا، واقعية هذا الشكل الفكري الأول الذي يمثل عقل الرجل الماكر والمتسلط، الذي يجزأ المجتمع الطبيعي ووحدة المرأة والرجل، وتتقرّب من هذه المسائل بهذا الشكل.

كما أنّ الأسلوب الميثولوجي هو الذي رمى أسس الدولتية بعيداً. ولن ننسى بأن الميثولوجيا كانت أول من أوجدت شكل العلم والذهنية للآلهة الحاكمة وعبيدها الذين ستقودهم، ومنحت القادة رتبة الخلود. وكذلك سنتذكر دائماً أنها أول ديانةٍ للطبقة الحاكمة القائمة على أساس العبودية واللا مساواة. وتتعهد الميثولوجيا، بمكافأة من يقبل الخضوع، وتمثل الأساس الفكري الأول للعبودية وإيجاد يوتوبيا الجنة وجهنم. وفي الحقيقة هي تمثل مصدر الأديان التوحيدية. فهذه الأشكال التي تحتل ذاكرة المجتمعات منذ آلاف السنين لم تأت من فراغ. وتحاول أن تضفي معنىً على الميثولوجيا التي هي البناء الفكري للأزمنة الإنسانية الأولى. وتطور هذا الأمر كوجوب لتحليلٍ صحيح للدين والأدب والفن.

(22) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

من الأساليب الفكرية الأساسية التي سنبحثها ونضفي عليها شروحاتنا النقدية، في خلق ذهنية أسلوبنا الخاص، هي الأديان التوحيدية بشكل أساسي. ' للأسف، فإن التعصب (عدم التسامح) الذي تطور كخاصية للأديان التوحيدية، ومهما يكن قبولنا له في يومنا هذا، وبقدر أننا لا نراه موجهاً ضد الآلهة الأخرى فإنّ هذا الأمر سيصبح موقفاً عدائياً جديداً' هذا التعصّب والقبول المتضمّن في هذا التثبيت الموجود في كتاب كارين آرمسترونغ باسم تاريخ الآلهة، جعلنا ندفع ثمناً غالياً في حياتنا، وهذا الثمن أصبح على مر مئات السنوات أكثر ثقلاً ومايزال كذلك. وقد أحدث هذا الدين العديد من التخريبات في ذهن الإنسان، بجوانبه الدوغمائية والقدرية والمحددة والضعيفة والغامضة، والقانون الصارم الذي يقول بأن كل شيء محدّد ومقدّر مسبقاً من قبل الله. وقبل كل شيء، تم وضع الكثير من الحواجز والحدود على الفكر الحر. فهناك إله قد فكر بكل شيء عوضاً عن الإنسان، وهناك القوانين التي وضعها. لكن هذا الأسلوب لا يتوافق ومرونة وحيوية وتنوع الإنسان.

طورت الأديان التوحيدية ثقافة السقوط الجنسي الثاني الكبير وفرضته على المرأة، لذا ينبغي أولاً على كل امرأة أن تبحث في جميع الأقسام المتعلقة بالعلوم الاجتماعية بخصوص هذا الموضوع بشكل معمق ومفصل. فقد قامت الثورة المضادة للسقوط الجنسي الأول بالميثولوجيا، وأصبحت بالأديان التوحيدية أمراً إلهياً نافذاً بحكم القانون. هذا الأمر الذي يحاصر المرأة بثقافة العيب (الحياء) والتشويه والكراهية، هو نتاج إبداع أسلوب الفكر الديني. وهو أحد تلك المواضيع التي سننظر لها بشكل نقدي. كما أن العداء الفلسفي، للأفكار المختلفة التي تطور الشروحات والاعتراضات ونتاجاتها، هو موضوع نقدي آخر. وفي هذا الاتجاه فإن حرق كل عالمة، سلخ الجلود، اقتلاع الألسنة، الشنق وطمس ومحو كتبهن، جرت بأريحيةٍ كبيرة كأوامر من الله. وهذه إحدى أكبر الآلام في وجدان الإنسانية. ومن نتائجها الأكثر أساسيةً، بقاء ذهن الإنسان محروماً من الفكر الفلسفي والعلمي.

يتحقق الدين مع دوغمائية الميثولوجيا. ويكتسب التدين القيمة من ناحيتين. ففي المنطق يفتح الطريق أمام مصطلح ' الفكر المضمون'. ويتحد القانون الإلهي مع القانون الطبيعي شيئاً فشيئاً. يتم إعاقة فكر الحركة الديالكتيكية في الطبيعة

والمجتمع قبل خروجها، ويفتح الطريق أمام التفكير المثالي. ينقطع الفكر، عن الظواهر إلى أبعد حد، ويتطوّر بمفرده دون تحكم. يدخل الفكر المثالي، ضمن تجربة وخبرة لا نهائية، ويُبعد الذهنية الاجتماعية عن عالم الحقائق بدرجة أخرى. إن تطور الفكر الديني في الكثير من الميادين الأساسية مثل الحقوق والسياسة والاقتصاد والأخلاق والفن يتحوّل مع الوقت إلى قوالب صلبة. الجانب الإيجابي الوحيد فيه هو أنه يفتح تصدعات كبيرة داخل المجتمع خلال التقدم غير الملموس للفكر، وتضغط على الفكر الفلسفي والعلمي، وتحضر له الأرضية المناسبة بشكل غير مباشر. ويتطور الفكر العلمي والفلسفي مع الفكر الديني ضمن علاقة دياليكتيكية.

هذه المواضيع التي يلفت القائد عبد الله أوجلان النظر إليها، بخصوص تطور الفكر الديني وتأثيراته في الحياة الاجتماعية لكي يقوم بالتحليلات بطريقة سوسيولوجية فإنه يقدّم أطروحات مهمة إلى أبعد حد. سهلت القوالب الدينية، قيام طبقة الدولة إلى حدٍّ بعيد. لأن الدولة وقادة الدولة، يمثلون ظل الله على الأرض، بناءً على القواعد الدينية التي هي في حكم القوانين. وقد تم تكليفهم حتى النهاية لقيادة المجتمع باسم الله. فإن تم تقديس الفكر الديني إلى هذا الحد، فالسبب هو لأنه مناسبٌ جداً للبناء الفكري لمصالح الحضارة السلطوية والدولتية. والأصح هو أنه صُنع بيد الأشخاص الذين جعلوا قيادة هذه الحضارة هدفاً لهم. والذين أوجدوا صيغة هذا الفكر النظري، قد صنعوا أدواته لكي يؤمن بها الشعب كحقيقة. وقد أنجحوا هذا الفكر بذهنية الله الذي يخيف المجتمع، ويعاقبه، ويحرقه في عالم الآخرة بنار جهنم، أو يجازيه ويكافئه بالجنة الموعودة.

تركت صيغة الفكر الديني، ضمن عالم الإنسان الذهني، وضمن الحياة المعنوية والمادية، وفي كامل التاريخ وفي يومنا هذا، آثاراً عميقة ومؤثرة إلى حدٍّ كبير. إحدى المسؤوليات الأساسية للجنولوجيا التي تقوم بمهمة علم الحياة الاجتماعي، هي إضفاء المعنى على هذا الشكل(الصيغة) وتناوله بالتحليلات والشروحات السوسيولوجية. إن مقاربة الجنولوجيا للفكر الديني الذي يمثل شكلاً متجذراً للذاكرة والوجود الاجتماعي، ليست كرفض المذهب الوضعي، وليست كمقاربة المادية

المتدرّجة وليست مثل التقديس وعدم المسائلة الجامدة للمثالية. إنّ ظاهرة الدين أي اللاهوت بالمعنى العام، التي تناولناها في هذا الكتاب ضمن مواضيع الأسلوب ومقاربات وجود المرأة بشكل جزئي، ستصبح في المراحل القادمة من الميادين التي ستتقرّب منها الجنولوجيا بالبحث والاستكشاف. تتناول الجنولوجيا الأسلوب الديني من ناحية إضفاء المعنى للطبيعة الاجتماعية، وذاكرتها وتاريخها بأهمية كبيرة.

الأسلوب الديني، وإلى جانب أنه مهّد الطريق أمام تطور الفكر الفلسفي والعلمي، فإنّ جانبه الإيجابي الآخر، هو أنه سرّع تطور ظاهرة الأخلاق في المجتمع. حيث يتم شرح أعمال الإنسان ضمن توجّهات الخير والشر ويتم ربطها بالقوانين الأخلاقية. وعندما نفكر بدور الأخلاق المهم جداً في وجود وتطور المجتمع، فإننا نستطيع أن نفهم بعمق المعنى الذي سيساهم به الدين إيجاباً في هذه الظاهرة. ولأنّ الجنولوجيا ترى وجود الأخلاق ضمن الأساليب التي ستطورها، شيئاً أساسياً لا غنى عنه في الحرية الاجتماعية، فإنها تتقرب باحترام من المساهمة الدينية في هذا الميدان. وعندما يتم بحث تاريخ الأديان بعين المرأة بشكل مفصّل ومعمق، فإنّ مشاركة وتأثير وأدوار المرأة في هذا الميدان ستنضم إلى تحليلاتنا السوسيولوجية كاختلافات مهمة جداً.

ضمن ميراث الشرق الأوسط بشكل خاص، يعتبر هذا الموضوع مهماً جداً. فعندما يبحث المرء في الأديان التوحيدية التي أصبحت أو التي جعلها رسمية وضمن المذاهب التي يراها شرعية فقط، فإنها ستكون خسارة كبيرة باسم المجتمع الطبيعي. وإلى جانب استكشاف هذه الأديان، فمن الضروري أن يتوقف الإنسان عند العقائد التي هي نتاج فلسفة تفكير وحياة الشعوب ويضفي عليها معنىً. كحركات ماني وميترا التي كانت نشطة في بدايات المسيحية. ماني (216-276 م) الذي أراد تطوير انطلاقة بناءً على أطروحة جديدة ناتجة عن مزج المسيحية والزرادشتية والهيلينية، في وجه عقدة الحرب العمياء والظلم الذي فرضته امبراطوريات روما والامبراطورية الساسانية على الشعوب. وتم قتله على يد المحافظين ضمن الحضارة الساسانية. وبعد موته تم النظر إليه بخوف وكراهية كبيرة من قبل المسيحية التي أصبحت مع الوقت الديانة الرسمية. كانت أفكار ماني ذات خصائص

فلسفية وفنية أكثر من كونها أفكاراً دينية. أديان المجتمعات التي لم تكن تنكر ذاتها. واستطاعت أن تكون بديلاً عن الدوغمائية الدينية والحقائق الجامدة التي تفرض على المجتمع.

وبحسب هذا التوجّه، فهناك عقيدة ينبغي أن يتناولها الإنسان، وهي عقيدة الكرد القديمة، المازدائية. وضمن هذا الموضوع، فإن النقاشات والطروح التي يقدمها القائد عبد الله أوجلان في تقييماته جديرة بالبحث والاستقصاء، ' بقدر ما تقدمت الهرميّة والتحالف مع الحضارة، فإن ثقافة القبيلة انقسمت على بعضها، وحدث تمايز الشيء-الموضوع عن بعضهما ضمن حركة وفهم وإدراك القبيلة. وتطوّرت حركة العقيدة العصرية المازدائية مع ثقافة الآلهة الأم التي بزغت من شعائر (ثقافة الإلهة عشتار/ستار) ، ضد حركة الإدراك التي تشير إلى الهيمنة الإيديولوجية السومرية. نظام العقيدة المزدائية يستند إلى ازدواجية قوى النور والظلام. وتبلغ ازدواجية ديناميكية بحد ذاتها. وتشير إلى أن هذا المعتقد قد نشأ في نطاق الحركة الديناميكية الأطروحة – الأطروحة المضادة الضروري لنشوء الكينونة. وفي هذا الجانب، فهي تعدّ حركة أكثر تقدماً من ازدواجية الإله الخالق والعبد المخلوق التي تعتبر إحدى اكتشافات الميثولوجيا السومرية. فالمعتقد المزدائي يجعل الجدلية الكونية أساساً له. فإيديولوجية الإله الخالق والعبد المخلوق، العبد-المفعول به لا تعبّر عن الحقيقة الكونية، بل وأبعد من ذلك فقد فتحت في عقيدة الإنسان، الطريق نحو قلب وعكس الحقائق التي بات تصحيحها صعباً جداً. وتركت هذه الحركة الإدراكية بصمتها على جميع الأديان، وخاصة الأديان التوحيدية، ووضعت أساس الحركات الذهنية التي تستند إلى التمييز بين الشيء والموضوع والتي تستمر في وجودها إلى يومنا هذا.

وإلى جانب الطاوية في الصين وبعض الأشكال الأخرى التي في الهند، فإنّ شكل المعتقد المزدائي(المازدكي) يمثل نوعاً مختلفاً من الذهنية. وهي بهذه الذهنية، تفتح الطريق للتقدم الجدلي الذي يشكل نفسه بنفسه، في مكان ازدواجية الخالق-المخلوق.

خرجت الحركات التصوفية في القرون الأولى لتطور الإسلام، لذا تجدر دراسة وبحث دور المرأة في الزهد والتزهد التي هي من أولى فروع التصوف. تبدأ من تلك القرون وتستمر حتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر، فالدور الذي لعبته المتصوفات النساء في تلك الفترة في تدريب وتعليم المتصوفات والمتصوفين، والبوابات التي أسستها لاحقاً ضمن توجهات الخدمة الاجتماعية وأدارتها، والعديد من المواقف النسائية ضمن هذا الميدان، هي معطيات سوسيولوجية ملموسة يجب أن تُبحث من مصادرها. وتم معايشة هذا التطور ضمن التأثير المتبادل بين الإسلام وتركيبة الأديان القديمة للشعوب. لهذا السبب، فأسلوب الفكر الديني ووفقاً للرؤى الشاملة والتي لا تتناوله بشكل وضعي – استشراقي، ضرورة للانتصار في الطريق المؤدي للحرية الاجتماعية والفردية.

إذا ما كان " العلم الذي له تاريخ قديم بقدر التاريخ الديني، ويستطيع الإنسان اعتباره كبدايةٍ للفلسفة. [23] 'مهنة العلم والفلسفة بحد ذاتها هي فن البحث عن الحقيقة الاجتماعية.'[24] فإن النساء هن العالمات الأوائل ضمن التاريخ الاجتماعي. فقد اكتشفن في الأوقات الأكثر صعوبة ضمن تاريخ التكون الاجتماعي، الحقائق الأساسية التي يستطعن بها خلق المجتمع وضمان استمراره. وتخضِع الجنولوجيا حقيقة العلم الذي فقدته تحت مسمى الفلسفة للمُسائلة، أثناء تطوير أسلوبه وبناء نظام الحقيقة. وتأخذ بعين الاعتبار جوانب الفلسفة الإيجابية والسلبية ضمن التطوّر الفكري، على امتداد التاريخ الاجتماعي. وضمن عملية البحث عن الأسلوب، ترى أسلوب الفلسفة مهماً جداً من حيث أنّ تركيب هذا الأسلوب يفتح آفاقاً جديدة للإنسانية، وأصبحت متنفساً مقابل القوالب الدينية والمثالية وهي بهذه الطريقة شكلت ثورة فكرية كبيرة. واحتوت الفلسفة بداخلها عن طريق المراقبة المادية الملموسة والذكاء العاطفي وخلقت قوة معنوية(نظرية) عالية. وهي الصيغة الفكرية التي أعطت المساهمة الأكبر للعلم. وتستند جميع ميادين الحياة، وكافة ميادين العلم، وجميع مكونات المعرفة، وكتابة التاريخ، إلى الفلسفة. لا تتفق الجنولوجيا والنظرة الغربية هذه، التي بحسبها لا تكون الحياة بلا أسلوب الفلسفة ولا يمكن شرحها أيضاً،

(23) الحضارة الرأسمالية- عصر الحكام العراة والآلهة غير المقنعة / عبدالله أوجلان
(24) الحضارة عصر الأمراء خلف الستار والآلهة المقنعة / عبدالله أوجلان

حيث بدأ هذا الأسلوب في اليونان. بل تؤمن بأن بدايات المعرفة الفلسفية، استمدّت من تراث الشرق الأوسط ومن فكر الإلهة الأم. وتتخذ الجنولوجيا، مراحل خروج وتطور الفلسفة من مصادر متنوعة ومختلفة للبحث أساساً لها. وبقدر خاصيتها التي شكّلت قفزة في الفكر، فإنها ترى خصائصها التي تجعل الإنسان غريباً عما حوله وعن مجتمعه، وتتركه ضمن نخبةٍ مختارة وممزقة أيضاً.

بقدر ما تطوّر الفكر الفلسفي، إما باسم الدين أو باسم العلم، إلا أن إسقاط كرامته على الدوام وإبعاده عن الحياة، جعله غير ملموس وأنزلوه إلى سوية دنيا من انشغال طبقة مختارة به. من الأهداف الأساسية للجنولوجيا أن تُكسِب الفلسفة القيمة التي تستحقها في خضم البحث عن أسلوب ومعنى ونظام الحقيقة. 'إفناء(تصفية) الفلسفة كعلم الحقيقة وسقوطها هكذا من الناحية المعنوية، يمهّد الطريق أمام كوارث بقدر الإبادات المادية والفيزيائية للمجتمع. فالمجتمع بدون فلسفة هو المجتمع الذي قطعت صلته بالحقيقة. بهذا المعنى يصبح المجتمع عبارة عن مجموعة وحزمة من الأشياء فقط. والمجتمع الشيئي هو المجتمع الذي سقطت جميع إمكانياته الدفاعية ككومة من الأدوات المفتوحة لكل أنواع الاستعمار. ولا يستطيع الإنسان 'أن يفكر بكارثة أكبر من مجتمع فقد إمكانيته الذاتية في الدفاع'[25]. وبهذا المعنى فإن انعدام الفلسفة، تعني انعدام الحماية. أي في مستوىً أقل من عشبةٍ، في حالةٍ من انعدام المعنى ما بين الوجود واللاوجود ، كطاقةٍ سائبة بلا شكل أو هدف لا تذهب أبعد من الدوران حول نفسها. ترغب الجنولوجيا كعلم أن تتخذ من فلسفة الحرية أساساً لها وتتطوّر على هذا الأساس، وتهدف إلى تجاوز انعدام فلسفة الحياة بالمرأة. تلك المقاربات التي تتخذ من الرفقة الغريزية مع المرأة أو بناءً على الزيادة الفيزيائية فقط أساساً، هي مقاربات بعيدة عن المعرفة وتعريف الأخلاق والجمال والوحدة والنمو الفلسفي، وهي بعيدة عن تطويّر نضال وكدح رفقةٍ من هذا القبيل، ومن الواضح جدّاً انعدام الفلسفة في تناولهم لموضوع المرأة. وانعدام الفلسفة منفتحٌ لكل أنواع القذارة. في الحقيقةً فإنّ علاقات المرأة والرجل، اليوم وفي كل بلدان العالم، لا تتجاوز ثنائيات

(25) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان

إما الموت والقتل أو البيع والشراء. فهذه العلاقات هي في مستوى الجنون بالأكثر. ونصيب إلغاء وتدمير الفلسفة هنا واضح للعيان.

عندما تبحث الجنولوجيا، في الأسلوب الفلسفي وتضمّها لثراء وغنى الأسلوب، فإنها تتخذ من بحث ودراسة العلماء والفلاسفة الذين عاشوا على امتداد التاريخ وتعلّم الفلسفة منهم أساسا لها. وتتقفى بشكل خاص أثر الفيلسوفات النساء اللاتي يتم إفنائهن وطمسهن بإصرار من قبل الحركات الفلسفية التي تخدم القوى الدولتية والسلطوية ويتم التعامل معهن وكأنهنّ غير موجودات. إذا كان العلم، و 'وحدة الفلسفة والسوسيولوجيا وحالاتهم متداخلة مع الحياة'، فإن المرأة هي من تلك الهويات الأساسية التي ينطبق عليها هذا التعريف. واليوم فإنّ المعرفة وجدلية الحياة العائدة للمرأة وبالأخص الأمهات تثبت هذه الحقيقة. وتنقش معارفها التي انتقتها واصطفتها في الحياة. ولهذا السبب الأساسي، أي بسبب معرفة المرأة يتم نسج المجتمع السياسي والأخلاقي حول المرأة. وتتخذ الجنولوجيا ضمن أساليبها البحثية وأدواتها ومواقعها من عمل ونقش هذا العلم أساسا لها.

ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ فلسفة هيغل التي تعتبر فلسفة سلطة الحداثة الرأسمالية "مازالت تعتبر وظيفة أساسية ويومية فكرية لكي يتمكن الإنسان من فهم هيغل ويحاسب الهيغلية. ورغم الفائدة المكتسبة من نيتشه والمدرسة الفرنسية، فهناك حاجة بأعمال فلسفية أكثر إبداعاً."[26] وينبغي أن يتم بحثها أيضاً. وعليه فإنّ دراستها وبحثها، قد حللت وكشفت دور هذه الذهنية الفلسفية التي فتحت الطريق أمام الوضع الحالي للمرأة. وتظهر المساعدة المقدّمة من أجل تطوّر أعمال الفلسفة ضد – الهيغلية، في بناء أساليب البحث الجديدة كمقياس ومعيار.

يدّعي العلم أنّه قوة معنويّة أعلى، في وجه الميثولوجيا والدين والفلسفة، لكن في يومنا هذا أصبح سلطوياً وفقد حريته واستقلاله. لذا يتوجّب مُسائلة العلم الذي يعرّف نفسه كشرح وتفسيرٍ أكثر تقدّماً للمعنى، والذي توحّد مع السلطة بهذه السرعة. وعلم كهذا لا يستطيع ذكر ادعاءه في أنه الشرح الأكثر سعة لمعنى الطبيعة الاجتماعية،

(26) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان

ولا يستطيع أن يمثلها بشكل لائق. وقد قدّست المجتمعات وجودها لآلاف السنين بمذهب حيوية المادة (الأرواحية)، وفي الميثولوجيا بالآلهة، والفلسفة والعلم. وخلقت عقيدة اجتماعية عميقة. ولا يمكن إسكات هذه العقيدة اليوم باسم العلم، وفوق ذلك بامتداح السلطة.

خضعت الفلسفة والفكر العلمي الوضعي، للتحقيق والمساءلة منذ سبعينيات القرن الماضي. يعمل العلم الوضعي، بوصفه مكوّناً فكرياً كدعامةٍ للسلطوية والنزعة السلطوية لدى الرجل، والجنسوية والتعصب العرقي. مُساءلة هذا العلم، خلقت فرصة كي نتوجه نحو الصيغ الفكرية اللامتناهية الموجودة ضمن خزينة الذاكرة الاجتماعية، وكذلك نحو العلم وشكل المعرفة. وجعلنا نشعر بسرعة حاجتنا له بقدر حاجتنا للخبز والماء. وبات ذلك العلم الذي سُلّط فوق رؤوسنا كديانة عصرية، ويتهمنا مثل سيف ديموقليس (سيف التهديد بالخطر) بالخروج عن العلم واللاموضوعية، ويهاجم قيم الفرد والمجتمع المعنوية التي أتى بها نحو الهاوية، يخضع للمحاكمة. ويُتّهم بالمشاركة في العديد من الجرائم ضد الإنسانية أو بعدم التوقف عن ارتكاب تلك الجرائم. وستلتحق الجنولوجيا بهذه المحاسبة من جبهة المرأة، كعلم جديد للحياة الاجتماعية والحياة، وبدون إنكار الجوانب التي تطوّرها في الفكر العلمي، وتسهّل الحياة والتطور، وتفتح آفاق الحرية والمساواة وتضفي معنىً لكلا الطبيعتين بالمراقبة والتجارب. وبلا شك ستكون حريصة لكي تكون أساليب البحث علمية، لكن هذا الحرص لن يكون وفقاً للعلمويّة الوضعيّة.

تعتبر خصائص أسلوب العلم الوضعي التي تقسّمه على أساس الاختلاف بين الفاعل والشيء (المفعول به)، وتجعله مميّزاً وجنسوياً وقومياً، ضمن البحث عن أسلوب الجنولوجيا، من الأساليب الأساسية التي تخضعها للنقد بالأطر العامة. فالأسلوب العلمي الذي خرج كأسلوب بديل للميثولوجيا والدين يملك قوالب قاسية في أصله. وبالأخص تحت مسمّى الموضوع والشيء. والعلمويّة حتمية في أساليبها. لكن الحياة متدفقة.

ذهنيــة العلــم الوضــعي للحداثــة الرأســمالية، تســتخدم أخطــاء ونــواقص الــدين والميتافيزيقيا وتنظم نفسها كدينٍ جديد، لكن هـذا الأسـلوب لـن يكـون مـا تسـتند إليـه الجنولوجيـا. لأن الوضـعية، تسـتند إلـى ' القـوانين العلميـة (!)' التـي هـي فـي حكـم القـانون وتعلـن نفسـها رسـمية ومشـروعة. وتتـرك العديـد مـن المـدارس الفكريـة وحركات الفلسفة والأخلاق الإيديولوجية ضمن التاريخ الاجتماعي بلا قيمة. وتتـرك شكل التفكير المستقل لأولئك الـذين لا يقبلـون المنظومـة الرأسـمالية ويبحثـون عـن بدائل لها، وبحوثهم وتطورات منظومتهم، بلا فعاليـة. وكـذلك تسـتند إلـى الاخـتلاف والتمييز بين الموضوع والشيء، وتقسم ميدان العلم الى فروع كثيـرة جـدّاً، وتطـوّر التجزئة والتقسيم. فالعلم الوضعي الذي يخدم النظام الرأسمالي والـذي تطـوّر كبنيتـه التحتية الفكرية، قطع هدف التعلم والمعرفة ورابطتها مع الحياة والمجتمعية. ونتيجـة لذلك جعل المعرفة والمجتمع غريبين عن بعضهما.

لا تصنّف الجنولوجيـا، فـي خضـم البحـث عـن الأسـاليب الجديـدة وفـي نسـج نظـام الحقيقة والمعرفة، الفكر والذهنيات كدينية ولا دينية. وتحاول أن تضفي المعنى على أجوبة ومقارنات أنواع المعارف الميثولوجية والدينية والفلسفية والعلمية، في الجانب الاجتماعي. وتتناول كل واحدة منها بتحليلات سوسيولوجية. وتحاول أن تفهم دورها ضمن تاريخ الطبيعة الاجتماعية وفي تناول الطبيعـة الأولـى، وأيضـاً ضـمن تطـوّر طبيعتها الثالثة على أساس الوحدة المتناسقة لكليهمـا. وفـي الوقـت نفسـه تهـدف إلـى شرح علاقاتها وتناقضاتها مع بعضها بالمصـادر التـي تسـتند إليهـا. وتـؤمن بأنـه إذا تطـورت لغـة الخطابـة المشـتركة للأسـاليب الميثولوجيـة والدينيـة والفلسـفية التـي تخاطب الاحتياجات المختلفة لطبيعة الإنسان والمجتمع، لكي تنتهي أزمات وكوارث المجتمع والفرد فستؤثر عليها إلى أبعد حد.

ستكون الجنولوجيا، ضمن عملية البحث عن الأسلوب وفقاً لاستقلالية كل علم ضمن توجهه، إلى جانب المبـادئ أو ذهنيـات المبـادئ العامـة التـي توضـحها ولا تتناولهـا بشكل ثابت. وتعطي أهميةً للعلوم الطبيعية أيضـاً، وتتابعهـا عـن قـرب، وتعبّـر عـن انتقاداتها ورؤاها في التغيّر وتغيير المقاربة، والأسلوب والباراديغما اللازمـة ضـمن هـذه العلـوم بنظـرة المـرأة. لكـن لا تتناولهـا بالحقـائق الطبيعيـة أو بأسـاليب العلـوم

الطبيعية والعلوم الاجتماعية. وتخرج ضد الذهنية التي تقلص الطبيعة الاجتماعية وفقاً لهذه المبادئ. وتطوّر المقاربة، والأسلوب، والمكتسبات بحسب ميدان العلوم الاجتماعية. على سبيل المثال، فإنها تتخذ من مبدأ فرناند براودل في البحث والاستقصاء التاريخي أساساً لها " يجب جعل التاريخ اجتماعياً (سوسيولوجياً) وجعل السوسيولوجيا تاريخية".

ترفض الجنولوجيا النظرة الوضعية للتاريخ والحتمية التي ترى الدولة، والطبقة، والظلم كمراحل أساسية لا بد منها لتطور التقدم الاجتماعي. بينما تقبل التناول الجدلي (الديالكتيكي) للتاريخ كحضارة ديمقراطية وحضارة دولتية تتدفقان كنهرين رئيسيين. وترفض أيضاً، الأسلوب الذي يصوّر الجوانب الزمانية والمكانية كأحداث غير اعتيادية، ضمن السرود التاريخية. وتبحث في التاريخ الاجتماعي ضمن وحدة متراصة. ولا ترى "أساليب التاريخ الميكرو وضعية التي أدّت دور المجزرة المعنوية بشكل تام"[27] ذات معنى بمفردها. وتعطي أهمية لوحدة سرود التواريخ الجزئية ذات العلاقة بسرود التواريخ الكونية. وتتناول الانتقادات الواسعة الموجهة لذهنية التاريخ القائمة على أيديولوجية الرجل المتسلط الرسمية، تلك الذهنية التي تلجأ للكثير من الحيل والألاعيب كي لا يُكتب تاريخ المرأة. "التاريخ هو الآن، والآن هو التاريخ"[28] في أساس هذه الفلسفة التاريخية، فإنّ أثر تاريخ المرأة والتاريخ الاجتماعي في يومنا هذا، يبحث عن آثار وشيفرات اليوم ضمن التاريخ وتحاول أن تخرجها من بعضها وتوجد الحلول لها.

عندما تطور الجنولوجيا أساليب بحثها، فإحدى ظواهرها التي ستكون حريصة عليها هي خصائص مكان البحث. وتمثل أماكن بداية وتطور الجنولوجيا، بمفردها، موقفاً وانتقاداً واسعاً موجهاً لاستيعاب المكان الذي اعتادته، بقدر الحافظات العامة لذهنية العلم الكلاسيكي. وتتقبّل الجنولوجيا، كما أثناء المراحل التي صُنع فيها العلم بيد وعقل المرأة، جميع ميادين الحياة الاجتماعية، كمكان للتطوّر وهكذا تتطور.

([27]) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان
([28]) سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

ولا تـرى الجامعـات والأكاديميـات ومعاهـد البحـث الرسـمية فقـط كأمكنـة البحـث الأساسية. هذا المكان والأمكنة التي تم استبعاد العلم فيها عن الطبيعة الاجتماعية وعن الطبيعة الأولى أيضاً وجعلته غير ملموس وغريباً وسلطوياً، وأصبح وحشياً وبلا ضمير بقدر التوحش الذي خلقته إبادات ومجازر اليهود وقذائف هيروشيما وناغازاكي، حيث تتذكر الجنولوجيا هذه الحقيقة دائماً وتترك مسافة فاصلة معها.

وهي على يقين بأن البحث والتطور، والشغف العلمي، يجب أن تملك على الدوام روح الهواية والهوس، وبكلام آخر أن تحمل الضمير والوجدان فيها. وكي لا يفقد العلم علاقته مع المجتمع الأخلاقي والسياسي، والعشق والحب، وموروث وقيم الإنسان، وبالجوانب الميتافيزيقية للإنسان وبالحقيقة، ولا يبتعد عن فائدة المجتمع، فإن اختيار أماكن البحث مهم جداً. ويجب على العلم أن يصون حريته وهويته، ويطورها دائماً، كي لا يُستخدم ضد المجتمع – مثلما حصل في الحروب العالمية وبالأخص في المراحل المُعاشة لاحقاً-في تأسيس السيطرات الفردية والاستعمار. ويجب أن تكون مبادئ اختيار وتطوير أمكنة البحث، مساعدة من أجل شخصية علمية حرة وأن تطورها لمصلحة المجتمع وفائدته وتسهّل عملها.

العمل الجدي الذي أمامنا والذي يجب أن نطبقه كأسلوب هو أن نتخلى عن نظام " الحقيقة هذا. والأصح ينبغي أن يعلن الإنسان موقفاً سلبياً: يجب أن يتقرّب الإنسان بشكل سلبي من نظام حقيقة المنظومة ومن جميع نواحيه! ولا أتطرّق هنا لموقف قاس وجامد. بل أقول، يجب أن يقوم الإنسان بحلها. ليس فقط ضد أنسجة وشبكات المتسلطين الحاكمين، وإنما يجب الخروج بموقف ضد مراكز المستعمرين أيضاً. ومتى ما وجدت هذه المراكز في كل مكان نضالاً ذو معنى ضدها، وتم تسيير الكفاح لأجل بناء المجموعات، حينها ستُضبط المنظومة وتبدأ بالانهيار والتهاوي. "ولكي نطور هذا 'الموقف السلبي' الذي يوضحه القائد عبد الله أوجلان، فإن الجنولوجيا ستتحمّل دائماً حساسية اختيار الأساليب الصحيحة.

وعلى هذا الأساس ستكون الجنولوجيا ضمن الفكر المتدفق والمتنوع والمتعدد الجوانب والمرن وقابلية تغيير الحياة، وستطبّق الأساليب وفقاً لهذا الفكر. كما أنّ

الجنولوجيا تتناول جميع الأساليب المطبقة، التي لا تأخذ في الاعتبار الفروق والاختلافات، والتي تنتقد وتحلل النساء والعبيد المنغلقين لتجارب الأطراف الاجتماعية لعناصر العصرانية الديمقراطية وتمثل أساليب نمطية مقولبة. وبهذا التحليل، فإنها تقبل الأساليب الصحيحة التي تأخذ بعين الاعتبار المكان والزمان والمحلية ورصانة الحدث والأشخاص والأشياء الأخرى المتغيرة، وتتقبّلها ذهنية لأسلوب ديناميكي. النقطة التي تتخذها أساساً في خضم البحث عن الأسلوب، هي أنها أية حاجةٍ حياتية تلبي، وهل هي أخلاقية أم لا. لأنه "ليست كل الطرق المؤدية للهدف مباحة".

فالأساليب التي لن تخرّب رصانة وأصالة منابع المجتمع الأخلاقي والسياسي الذي نريد تطويره، بل تكبّرها وتحافظ عليها سليمة وتطوّرها وتوسّعها ستصبح مقبولات الجنولوجيا. وعمل الجنولوجيا هو إيجاد أساليب معرفة أشكال الأفكار التي نسجت النساء بها المجتمع لآلاف السنين وحمته وخلقته. فحبس ذهن الإنسان الحي والديناميكي والمرن ضمن ثباتية أسلوب واحد هو إنكار لإمكانيات ذكاء الإنسان. لهذا السبب، في خضم البحث ضمن أسلوب الجنولوجيا، ستكون الخاصية التي تخاطب بها الكون واضحة. ويجب أن تجد الجنولوجيا الخاصية المحلية أيضاً وتفكر بها.

وينبغي أن تبحث وتستكشف جميع أنواع الأدب والميثولوجيا والفن وكل ميدان حياتي. ويجب أن تتمكن من احتواء طاقة النساء المتدفقة في هذه الميادين. ويجب أن تنسج قصة النسوية بقصة ملايين النساء. على سبيل المثال، إذا تم إعداد أطروحة حول المرأة والألم، فيجب أن تصبح الدم المتدفق من القلوب التي عايشت مختلف الآلام. وأن تدور في شراييها واحداً تلو الآخر، لكن ليس من جانب واحد. ويجب أن تستوعب وتحس وأن تشعر بالآلام التي لا يمكن الإشارة إليها، وأن تسمع صوت الصمت من داخل النظرات. وستكون السوسيولوجيا والرؤية السوسيولوجية، ممكنة للجنولوجيا، بأسلوب بحثٍ واستكشاف من هذا القبيل.

تناول حقيقة المرأة في أسلوب البحث والاستكشاف، لن يتوافق نوعاً ما مع حقائق العالم المعروفة. ومن أجل روح بحث وأسلوب استكشافٍ خارج عن المنظومة، بميل شخصيات خلاقة ومبدعة وبناءة. فإن الجنولوجيا ترفض التمييز وتفريق الفاعل عن الشيء، والتشيؤ (التحويل إلى شيء)، لأنها أسلوب الرجل المتسلط والمستفرد، وتجزئ الحقيقة. وتريد تجاوز أحادية الاتجاه لأنها أُخرجت الذكاء العاطفي للمرأة ومهاراتها الحسية الشعورية من العلم. وتعتقد، بأنّ تجاوز أساليب بحث عقل الرجل المتسلط والحاكم، سيخلق معه غنىً وثراءً في الأسلوب أيضاً.

وينبغي أن نفرّق في الحياة الاجتماعية بين العوالم المظلمة التي تم خلقها على المرأة وتدمير هذه العوالم المظلمة. وسنسأل الأسئلة ونبحث في هذه المواضيع التي ستصبح حاجاتنا إضافة إلى مواضيع لامتناهية متعلقة بهذه الحاجات. لأن المرأة عندما تدمر قوالبها الذهنية وسجونها لمرةً واحدة، فستمتلك جناحين وتطير بهما حينها. والشيء الذي ستقوم به هو هذا. ولا يكفي أن تخرج جناحيها فقط لكي تستطيع الطيران. يجب أن تكبر هذه الأجنحة وتقوى. وعليه يجب أن تدرب المرأة نفسها. ولكي تستطيع النساء خلق بحثٍ عن المرأة فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

لأنه وبعد احتلال التاريخ من قبل عقل وروح الرجل المتسلط، تم تشغيل وإعمال أسلوب البحث والهدف والأدوات ونتائجه بشكل منظم ضد النساء دائماً. وتم إيجاد عالم للمعرفة يدعم الأبحاث التي أجريت بطرق ميثولوجية، دينية، وفلسفية، خلقت عوالم بدون نساء أو عوالماً أبيدت فيها النساء. لهذا السبب لا يستطيع الإنسان أن يذكر حقيقة بحث عن فضل المرأة أو علم حيادي تم بناؤه على هذا الأساس. ولهذا السبب تحديداً فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

ويجب أن تتطور حقيقة بحث وأسلوب علم تكون النساء موجوداتٍ فيه بكل الأشكال، وأن يطورن وجودهن ويجعلوه محسوساً للآخرين. مثلما يقول القائد عبد الله أوجلان: ' وفقاً لفلسفتنا، بدءاً من نقطة إيجاد معنىً في عين حصان حتى استخلاص المعنى الموجود في صوت عصفور تحسّ المرأة بالحياة كوحدةٍ متكاملة. فلسفتنا وبقدر ما تكون حاملة للمعنى، تبدأ من احترام المرأة العارفة، وتحاول أن

تعثر على الأجوبة ضمن البحث في عين فتاة شابة كغزالة خائفة. وأساساً فهناك وعي جنسي أسوأ من الإبادة، وكنتيجةٍ لهذا الوعي فهناك جهلٌ كبير في إنجاب الأطفال. فلسفتنا تجعل علماً كهذا أساساً لها بحيث تبحث بعمق وتفصيل أسباب هذه الجهالة الموجودة في الإنسان والأنظمة المهيمنة وتحاول أن تميز جميع نقاط الفلتان في نفسها وإيجاد الحلول لها.

ونستطيع أن نطور ذهنية علم كهذا فقط بأسلوب بحثٍ ضمن إطار المرأة، ويتضمن حقيقة المرأة ويستند إليها. وينبغي أن يضع أسلوبنا في البحث، على جدول أعماله، العديد من المواضيع التي هُمّشت منذ آلاف السنين إما عن جهل أو عن معرفة، وتم اعتبارها غير موجودة. كما ينبغي أن تصل العديد من ميادين العلم التي جعلتها الفلسفة الوضعية بلا قيمة، إلى الجهد والعلاقة والأهمية التي تستحقها. فالجنولوجيا لازمة من أجل أخلاق واتجاه هذه المواضيع، ومن أجل أن يبني طرقها وأساليبها. العديد من فروع العلم الاجتماعي التي تدّعي أنها تقسّم المجتمع تحت مسميات متنوعة حتى الآن، وأطلقت التسمية عليها، وإن لم تكن قادرة على إغلاق الطرق في حل المشاكل الاجتماعية ولو بمثقال ذرة، فإن المشكلة هي في التعريف والتسمية. ووضعوها على الطريق الخاطئ بحيث لا تتقدم ولو خطوة صحيحة إلى الأمام. حيث تتزايد المشاكل وتتعمّق أكثر فأكثر. وأينما توجهنا في العالم فالحياة مسدودة ومتأزمة وفي حالةٍ لا تُعاش فيها. وإن كانت كذلك، فالمشكلة أساسية ومتجذرة. عندها نحتاج لطريق وبحث يجلب لنا تغييراً أساسياً ومخرجاً جذرياً. وإحدى هذه الطرق هي علم المرأة العائد للعصرانية الديمقراطية. إنها الجنولوجيا.

صلة الحياة المتأزمة في بحث المسائل الاجتماعية متعلقة بعدم النزول إلى مصدر هذه المسائل. وما لم ننزل إلى منبع المشكلة فإنها ستستمر، وستزيد نفسها وتتضاعف درجة بدرجة. حيث يتم تغطية وإخفاء منبع المشكلة منذ خمسة آلاف سنة. لكن لم تعد هذه المشكلة تتحمل قناعاً ولا كذبة ولا لباساً آخر. وباتت هذه المشكلة تفرض علينا إيجاد الحلول لها. ولهذا تضطرنا إلى تسميتها وبحثها بالشكل الذي تستحقه. وتطالب بحقها.

ويعبر القائد عبد الله أوجلان عن هذه الحقيقة بطريقة لافتة للنظر "الأم المقدسة، الشرف الأساسي، لا يمكن التخلي عنها، الزوجة التي لا يمكن الاستمرار بدونها" أخرجها وكجميع الفواعل والأشياء وتجمع العلاقات الاجتماعية، ابحثها واستكشفها. وينبغي على الإنسان أن يبحث في إمكانيات ومجالات تنوير وتحرير المرأة، أبعد من مجرد أداة جنسية، بل كجوهر وكبقايا للمجتمع. وبلا شك ليس فقط في ميادين العلم الوضعي التي تطورت بباراديغما الرجل، بل وأيضاً ضمن الميادين الدينية والفنية والفلسفية التي بُنيت بنفس الباراديغما والذهنية. فكسر وتحطيم العمى المطبّق بخصوص المرأة وتنويرها هو بمثابة تقسيم الذرة. تحطيم هذا العمى هو محاولة فعلية كبيرة وتستلزم تدمير الرجولية.

ومهما يكن العمى المتعلق بالمرأة صعباً بقدر صعوبة تقسيم الذرة فيجب تحطيمه. فالذي قسّم الذرة أيضاً كان إنساناً تلقى دعماً وعقلاً وقوةً لا محدودة من امرأة. مهما أنكر ذلك ولم يعترف به. أي أن مساهمتنا موجودة في تقسيم الذرة. إذاً والحال هذه فلما لا نمزق العمى المطبّق على المرأة؟ ومجدداً سنجد مساهمتنا في تطوير أبحاث المرأة، وفي مدى تعميق هذا العمى. ولكي نرى، وتتم رؤيتنا، ونظهر، ونشير إلى العيون العمياء، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

7- لإيصال "انتفاضة المُستعمَرة الأقدم" إلى النصر

إنّ عدم مقدرة الحركات الفامينية على إيجاد الأجوبة عن حالة الانسداد والانغلاق التي بلغها المجتمع ومتطلبات المجتمع، هو سبب أساسي لتطوّر الجنولوجيا التي ظهرت كحاجة رئيسية. هذه الحركات التي كان ينبغي لها أن تكون الأكثر راديكالية في وجه النظام. حالة الانغلاق التي وصلتها الفامينية، في الكفاح ضد الأنظمة الاستبدادية، هو بقاء جبهةٍ مهمة دون تأثير. وبالأخص فإن الفامينية كانت في السنتين الأخيرتين ديناميكية مهمة للغاية ضمن الكفاحات الاجتماعية والمكونات المعرفية وفي شكل حياة النساء. وما زالت كذلك بجميع القيم والإمكانات التي تحتويها. لهذا السبب فإن الفامينية التي هي ثورة النساء المستعمَرات البدائية

والأخيرة، ولكي يتم تصفيتها من أخلاقيات الحداثة الرأسمالية وتصل إلى قيمها النهائية، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

ستتوجّه الجنولوجيا بانتقاداتها نحو الحضارة والحداثة الرأسمالية، سابقة بذلك حركات النساء، وعليه ستطوّر تحليلاتها وتقييماتها وبحوثها بصددهما، باعتبارهما العدوين الأساسيين للمرأة. انتقاداتنا الموجهة للفامينية والحركات النسوية، هي بسبب بحثنا عن الحلول للمشاكل التي نعدها مشاكل خاصة بنا. وكيف أننا نتقدم بنقدنا الذاتي عن الاختبارات التي خضناها ونؤمن بأن هذا النقد الذاتي سيؤدّي بالمرأة إلى انطلاقة جديدة، فنحن على ثقة تامة بأنّ انتقاد الفامينية أيضاً، سيمهّد الطريق للتجدد ولديناميكيات انطلاقة جديدة وستبدأ معها مرحلة النقاش. هناك حاجة ملحة لهذا الأمر. وإننا نعرّف النقاش، والبحث والحركة الفكرية التي بدأناها بالجنولوجيا، كانطلاقةٍ داخلية نراها حاجة ملحة لنا. ومن ناحية أخرى فإننا نؤمن بأن الجنولوجيا ستصبح أرضية لإيصال حركتنا بحركات نساء العالم بطريقة أكثر قوة. نريد إيصال تجارب واختبارات الحرية وكفاحات حركات النساء بتجربتنا. ونعلم بأن هذا اللقاء والتقابل فيما بيننا، سيقرّبنا جميعاً من إظهار حقيقة المرأة، وحل قضية حرية المرأة، وإيقاف الإبادة الاجتماعية التي حولت عالمنا إلى مكان لا يُعاش فيه أبداً.

إنّ تناول الإنسان للجنولوجيا بعلاقتها مع الفامينية ومناقشتها هو موضوع مهم. ومهما تكن الفامينية ظاهرة غربية أوربية، فهي في العالم أجمع وبالأخص في المئتي سنة الأخيرة، حركة وذهنية مهمة لظاهرة فكرية ومحاولة مهمة في هذا الصدد. أهمية الحركات الفامينية، لا تقتصر فقط على أخذ مسألة المرأة بعين الاعتبار، ووضعها ضمن البرامج اليومية، وتطوير بعض السياسات لحل هذه المسألة، ولا تعني ممارسة أي ضغط أو ظلم في هذا الخصوص. وفي الوقت نفسه، هناك مشاركة ومساعدات مهمة جداً قدمتها الحركات الفامينية، في مناقشة مشاكل البيئة والسلطة والحداثة والعلم الجنسوي وأشكال المعرفة الذكورية والنظريات المستندة إلى الذهنية الديكارتية، وذهنيات التاريخ، وفي انتقاد العديد من المواضيع.

في الباراديغما الجديدة والناقدة التي قدمها القائد عبد الله أوجلان لأجل الحركة الفامينية، يعرفها مثل " انتفاضة أقدم مستعمَرَة"ويقول " ستعمل الحضارة الديموقراطية لتجعلها عنصرها الأساسي"، بمعنى أنه يُعرّفها كشيء لا بد منه (لا يمكن بدونه)، للحداثة والباراديغما والحضارة الديموقراطية. وتعتبر الفامينية، في تاريخنا القريب، حلقة مهمة للغاية ضمن ميدان النضال والتنوّر. ونفكر جيداً بأنها كيف تطورت في مواجهة الصعوبات، وبأي جهود وآلام كبيرة تم خلقها. ورغم كل هذا الجهد، وتعاوننا الكبير، فلما لا نزال مجزأين بهذا القدر؟ ألم يكن مكر ذاك العقل الذكوري المتسلط، هو الذي فرقنا وجزأنا؟ ألم يكن ذلك هو نفس سيف العصر الأبوي الذي مزّقنا؟ ألم نكن تلك الملايين من الساحرات، وتم حرقنا بنفس مطرقة الساحرات؟ ألم نكن نحن تلك اللواتي قطفن نفس التفاحة من شجرة المعرفة؟ ألسنا نحن المطرودات من الجنة نفسها وبنفس الأمر الإلهي؟ ألسنا نحن اللواتي كنّ صديقاتٍ وشريكاتٍ لنفس الشيطان؟ ولكي نسأل أنفسنا والفامينيات، والحركات النسوية،" رغم كل هذه المشاركات، فلماذا يوجد هذا القدر الكبير من اللاتنظيم؟ " فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

قامت الفلسفة الوضعية والحداثة الرأسمالية والليبرالية والعلم الجنسوي بتجزئتنا بشكل كافي. لماذا بنينا بأيدينا هذا القدر من النظريات المعرفية؟ منذ بداية تطوير الجنولوجيا ونحن نستخدم المصطلحات " أبْعَدُ من الفامينية، التي تتجاوز الفامينية، اجعل الفامينية متضمنة فيك، وقم بمساعدة الفامينية". السبب الرئيسي لاستخدام هذه المصطلحات هي أننا لا ننضم لنظريات المعرفة المجزأة هذه. ويمكن أن يتطور ادعاؤنا بإضافة نظرية معرفية إليها. وفقاً لدعوتنا إلى علم المرأة، بلا شك ستكون هناك النظريات التي نستند إليها، وكمثال عليها تعتبر الحياة التشاركية الحرة إحدى هذه النظريات. وبلا شك سنقترح أساليب البحث وطرق المعرفة التي تحتوي حقيقة المرأة ضمنها، وتتطور حول المرأة. وفي هذا الإطار فكلمات من قبيل 'التجاوز'، ' الاحتواء ضمن ذاته'، هي ليست في معنى المنافسة والتعارض التي فرضتها علينا ذهنية الرجل المتسلط.

وتثبيت القائد عبد الله أوجلان في هذا الموضوع هو هكذا: " مصطلح الفامينية هو بالكردية التعصب النسوي. وهو يعتبر ناقصاً لتعريف كامل لقضية المرأة. وعلى العكس من ذلك، لأنه يتم تعريفه كتعصب رجولي فيمكن أن تؤدي بها إلى السوء. ويظهر معنى مثل المرأة الخاضعة (الأمَة) للرجل المستبد بشكل جلي. في حين أن علم المرأة يحتوي الفامينية ضمنه ايضاً. ومن الوضح أنّ حركة حرية المرأة والمساواة والديمقراطية التي تستند إلى هذا العلم، ستقوم بالدور الرئيسي في حل المسائل. " وفي خضم هذا التقييم فالكلمة القائلة' تحتوي ضمنها' استذكرت بمعنى، التبني والتطوير المتبادل لبعضهما لبعض. وإذا ما كنا اليوم في بداية نقاشات الجنولوجيا، فما هي حصة التعاليم الكلية للفامينية، ضمنها؟ أو بمعنى، أي قيم المرأة سنضعها أولاً ونطورها ببناء علم المرأة؟ ماذا نقصد بالتطوير؟ الجواب الوضعي المشترك لهذه الأسئلة، هو الموروث والقيم التي خلقتها تجارب النساء حتى الآن، هي التقدمات الحاصلة بالجنولوجيا وتجاوز حالة الانسداد المُعاشة. وكذلك وبحسب رأينا، فلا ينبغي أن تجعل الحركات النسائية التجاوز، والاحتواء ضمنها عقدة ومشكلة.

هناك حاجة للنساء بتجارب بعضهن وفهمها المتبادل، والبقاء في نفس الوجهة، وتجاوز بعضهن والتقدم أيضاً. وإذا ما وجدت داخل الكون أكوان موازية، فلما لا تتقدم معارف المرأة الموازية لبعضها والتي تقوي بعضها الآخر، لما لا تكون في نفس المسار والوجهة؟ ليس بمعنى التهميش والتقسيم والتضاد والإفناء. الاحتواء المتبادل والتوازي. المهم، هو الالتزام والتعامل المتبادل. لذا يجب أن نتمكن من جعل قوتنا مشتركة ضد فكر وتكوين العصر الأبوي لكي نحقق نضالاً ناجحاً ومتعدد الجوانب. وفي هذا الصدد فإننا نأخذ الانتقادات التي نوجهها لوجود النظريات المعرفية الفامينية المجزأة، بأنها ليست نتاج حدثٍ يجعل فكرة ما مثل أخرى. بل على العكس من ذلك، فالجنولوجيا، كعلمٍ للحياة، تأخذ التنوع والتعدد في الكون والحياة أساساً لها. لكنها في الوقت نفسه واثقة بذلك الذكاء الكوني الذي يسيّر التنوع ضمن تناغم واتحاد. وبلا شك فإننا على علم بأن أياً من النظريات المعرفية الفامينية، تضع يدها على الألم، الفراغ والمشاكل المختلفة للحياة. لكننا ندرك جيداً بأن هذه الميزة الجميلة لا تكفي لوحدها لكي ننجح ضد العالم الكبير للعصر الأبوي،

لا تكفي ولن تكفي. لهذا السبب، وضدّ الحاجات الأساسية للحياة والمسائل التي تستلزم كفاحاً منظماً، ينبغي أن نعيد النظر في هذه الحقيقة التي تظهر مجزأة وواجبها الحياتي المحدود جداً. ويجب أن يخضع تنوعها واختلافها هذا لغربال قيم المرأة ومعنى الحرية الاجتماعية، وأن يتم حمايتها بهذه الطريقة. وأن نتمكن من تطوير معارف المرأة التي يمكن أن تكون تشاركية، وكذلك علوم وفلسفة المعرفة، بهذا القدر فيما يتعلق بموضوع نضال حرية المرأة.

يتضح بهذا الشكل أنه وفيما إذا دخلت الجنولوجيا إلى جدول الأعمال وتم مناقشتها، ستظهر أسئلة العديد من الحركات النسوية المختلفة. وستكون هذه الأسئلة وأجوبتها مشاركة ومساهمة للحركات النسوية في تطوير الجنولوجيا. وستحثنا ضمن مطلب وادّعاء تطوير علم للمرأة يخاطب جميع نساء العالم، وفي خضم تطبيقها الوضعي، وتشكل دافعاً لنا. المهم هو أنه وخلال محاولتنا فهم بعضنا البعض، أن لا نتطور وفقاً للمقاربات التي تضع الحدود وتفرض الأحكام المسبقة بيننا. إن إخضاع نظريات المعرفة (الأبيستومولوجيات) المختلفة التي ضمن الحركات الفامينية لمصفاة النقد، سيجعل حياة النساء القاسية للغاية، مريحة وخفيفة وجيدة، وكذلك فإنّ التفكير في بعض جوانبها كاستقبال للثورات الأساسية، سيكسب حركات النساء، الديناميكية وقوة التغيير وإيقاعاً للتطور قوياً للغاية. وفي خضم هذا الموضوع فإن فلسفة المعرفة البديلة وتقديم المشاريع على أساسها، ستوصل هذا الإيقاع إلى الجذر والشكل والأسلوب الصحيح. وهكذا يُفهم بأنه بقدر ما تدخل الجنولوجيا ضمن جدول الأعمال وتصبح موضوعاً للنقاشات، فستتم مناقشة العديد من المواضيع والحدود التي لا تتم مناقشتها ولا يتم تجاوزها أيضاً.

وينبغي أن تفهم المرأة بعمق هذه المقولة التي تقول،' كل سلطة ودولة هي عقل جامد'. فلنمنع عقولنا من التجمد والتحول إلى سلطة. لتكن عقولنا متدفقة، وتنساب إمكانياتنا. وما تجمّع معنا فليخضع للحركة مجدّداً. ما هو، هذا القدر من معارف المرأة، ورفع سوية حكمة المرأة، وتنوير النساء من أجل البناء؟ فإن لم نستطع أن نوقف موت النساء، وننهي أشكال العنف اليومي الذي تواجهه النساء، وما لم نقف في وجه الحرب والجوع والفقر الذي يضرب النساء كل يوم ويقودها نحو مستنقع

الفاحشة، وأن لا نكون مناضلين، فمن الأفضل ألا تكون كل هذه الكليات والنتاجات والآداب والنظريات المعرفية، موجودة! فإن لم تكن موجودة على الأقل سنقول بأننا جهلة، ولا نفهم وسنشرح عدم كفاحنا بهذه الطريقة. لكن مشاهدة هذا الكم من التراجيديا، في خضم معمعة هذا القدر من المعارف، هو شيء آخر.

بانتقاداتنا هذه بخصوص النظرية والتطبيق العملي والتنظيم الفاميني، وبالدروس التي استخلصناها من تجاربنا، فإننا نملك ادّعاء تشكيل انفتاح ضمن الحركة الفامينية أيضاً. كتنظيم المرأة الذي يحارب منذ عشرات السنين ضمن أقسى الظروف من أجل حرية المرأة، نستطيع أن نُظهر العلوم الاجتماعية والعلم والسوسيولوجيا التي تستحق هذا الاختبار أو تجده ضرورياً وأن نسميها ونطورها. وفي الوضع الموجود حالياً، فإننا لا نجد الفامينية ضمن عدواة راديكالية في وجه منظومة الحداثة الرأسمالية وعلومها، وطرق حياتها وأفكارها. والسبب الرئيسي هو، أنه ومهما تكن النظرية الفامينية قد طورت انتقادات مهمة للحداثة الرأسمالية، فهي لم تتجاوز الذهنية الوضعية والاستشراقية بالقدر الكافي والمطلوب. وستكون هذه إحدى النقاط الأساسية التي ستقوم بها الجنولوجيا لتشكل من الفامينية مخرجاً، وتطوّرها وتفتح عليها ميادين جديدة.

لا تناضل الجنولوجيا فقط مع الاستشراق الذي يحتل مكانه ضمن الحركات الفامينية. وتناضل أولاً ضمن الشرق الاوسط، مع كل فكر وصرح متأثر بهذه النظرة والرؤية. وتقيم هذا النضال كمقياس أساسي لكفاح تحرر المرأة. يتم تعريف مشاكل الشعوب الأساسية وبالأخص مشاكل النساء في الشرق الأوسط كعدم حداثة. إن عدم رؤية ديناميكيات المجتمع الأخلاقي والسياسي في الشرق الأوسط. والتأثير الاستشراقي على هذه الذهنية قوي جداً. كما أن سبب عدم رؤية العراقيل التي لا تسمح لها ببلوغ تاريخها الاجتماعي، هو تأثير حاكمية هذه الرؤية الاستشراقية. إنّ الأوربيين وبالأخص المثقفين والساسة والأكاديميين والناشطات الفامينيات في الشرق الأوسط، الذين يشرحون الشرق الأوسط وفق هذه الرؤية، هم السبب في عدم فهم الشرق الأوسط. وينبغي تغييرها وتنحيتها بحل المشاكل وفق رؤية المرأة ومنظورها، والنضال بالشكل الصحيح ضد السياسات الإمبريالية الممارسة على

الشرق الأوسط، وبتحليل هذه المواقف. وعندما تقوم الفامينية بتحليل الثقافات المحلية، الرصينة والأصيلة بشكل أكبر، وتعزّز الجانب التحرري (المطالب بالحرية) والمناهض للنظام، فستُفهم تأثيرات الاستشراق بشكل أوضح، وسيُبذل نضال أكبر وفق هذه النظرة.

تتطور الجنولوجيا كعلم اجتماعي يجب أن تدعمه كافة الحركات النسوية. لا يوجد حتى الآن فرع علمي تناول وجود المرأة وبحثها. ولأنّ الجنولوجيا هي علم المرأة وتتطور ضمن العلوم الاجتماعية والسوسيولوجية، فإنها تتكفل وتحتضن الفامينية وكل الحركات النسوية الفكرية والسياسية المنظمة. ومن المهم أن يتمكن المرء من استيعاب مقولة القائد عبد الله أوجلان هذه " الجنولوجيا هي مشاركة للفامينية أيضاً". إنّ فهم العلم الاجتماعي، هو شرط لكي نفهم الإبادة الاجتماعية التي تُعاش اليوم. والأمر ينطبق على كافة الحركات التي جعلت من المسائل الاجتماعية علة ومعضلة لها، وكذلك على الحركة الفامينية أيضاً. مقولات القائد عبد الله أوجلان التي أشار فيها لحزب النساء، هي مقولات تعليمية ومواعظية لكل شخص ولكل الحركات التي تأمل الوصول لمجتمع تسوده الديمقراطية والحرية والسلام وتحارب لأجل تحقيق هذا: "الذهنية، هي قوة المعنى للحزب. من الواضح أنه يجب أن تستوعب ذهنية الحزب العلم الاجتماعي بشكل جيد جداً. لكنني أتحدث عن علم اجتماعي حقيقي وصحيح، عن السلطة وعن الحرب التي تستند إليها وتمهّد الطريق لها وتحلّل الصروح الاجتماعية. يحتضن العلم الاجتماعي ضمنه كل التقدم العلمي، وكآخر مكمّل للعلوم، فإنّ العلم الاجتماعي هو قوة تنوير المجتمع المُراد تغييره. فهم المجتمع بطريقة علمية يعطي قوة كبيرة. ضمن هذا الجانب ومهما كان محدوداً فإن فهم السوسيولوجيا هو الجانب الأكثر قوة للتغيّر الاجتماعي".

الجنولوجيا هي علم المرأة الذي تجده حركة تحرر المرأة التي تناضل منذ سنوات من أجل التغيير الاجتماعي، ضرورة ملحة، حتى يومنا هذا في تحويل القيم النضالية إلى قيم أكثر اجتماعية. وضمن المرحلة التي ستبدأ من الآن وصاعداً، وبتعريف وإضفاء معنىً أقوى للطبيعة الاجتماعية، وللمسائل الأساسية التي تخرج "المرأة التي تحقق القسم الأكبر من الطبيعة الاجتماعية من الناحية الفيزيائية ومن

الناحية المعنوية أيضاً"[29] وتخلق لها الحلول الأساسية بعقلها ويدها وأخلاقها وجمالها، ستتطور الجنولوجيا كمصدر قوة مهم لنا. الجنولوجيا التي ستتطور على هذا الأساس، ستتمكن من خلق فرص تجاوز الاستعصاءات التي لم تتجاوزها الفامينية حتى يومنا هذا. من المهم جداً بالنسبة لنا أن تصبح هذه الاستعصاءات موضوع النقاشات بشكل جريء. لأنها إجابة أساسية عن سؤال 'لم الحاجة للجنولوجيا؟'، وهي تجنيب بعض الاستعصاءات الأساسية للفامينية التي مضى عليها وقت طويل دون أن تتجاوزها الفامينية. وتتم إعاقة العديد من القيم التي خلقتها وطوّرتها الفامينية كي لا تذهب سُدىً، ولا يتم ضربها ضمن كمائن الحداثة الرأسمالية. وتُبرز هذه الحاجة نفسها ضمن النقاشات الداخلية للحركة الفامينية أو الحركات الفامينية حتى مستوى معين.

تبقى الفامينية هامشية، ولا تستطيع أن تصبح اجتماعية، ولا تقوم بدورها ومسؤولياتها في التغيير والتغيّر الاجتماعي، بسرعة ووفقاً للتوجّه الذي تحتاجه المجتمعات، رغم المعارف غير المحدودة التي خلقتها. ولهذا السبب لا تعتبر الحركات الفامينية في نظر المجتمعات أو في نظر الأنظمة الدولتية والسلطوية " الحركة الرئيسية البديلة". ويتمّ النظر إليها ك "حركات الأمل" بشكل أكثر. وبحسب اعتقاد المجتمع، فيمكن أن يكون تطوّر "حركة رئيسية بديلة" مساندة ودعماً له. وإلى جانب هذا القدر الكبير من العلم، فمن المؤسف حقاً ألا تملك الفامينية بمفردها مكاناً كهذا ضمن المجتمع.

تقول بعض الحركات الفامينية " التنظيم ليس مهمة الفامينية، الفامينية تخلق الفكر، والآخرون يستطيعون تطبيقها". أو تقيّم تنظيم المجتمع ويقظته كطريقة من طرق الهندسة الاجتماعية. الكثير من البشر يدركون جيداً بأننا نعيش ضمن عالم من الأنظمة السياسية التي تنمو على أساس السلطوية والدولتية والمظالم. حتى أننا نعيش ضمن عالم المرتزقة الذين هم شركاؤهم. هم يريدون أن يحددوا كل شيء، الحقوق، العدل، الحياة والموت أيضاً. وعندما يقومون بهذا فإنّهم يريدون أن يشوّشوا المجتمع ويبعدوه عن الحقائق ويخدعوه. يريدون أن يقدّموا عالماً خيالياً (افتراضياً)

(29) سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

على أنّه عالمٌ حقيقي. وعندما يكون الإنسان شاهداً على هذه الحقائق ضمن المجتمع الذي يعيش فيه ويسكت عنها، ويخلق فقط معرفة الجانب الذي له علاقة به والذي لا علاقة له به، لا يستطيع الإنسان أن يعبّر عن هذا الأمر كمناهضةٍ للنظام. لكن الفامينية وبسبب خاصيتها هي حركة مناهضة للنظام. وحتى أنها إحدى القوى التحريضية والدافعة لمناهضة النظام. لأن الفامينية وبسبب خاصيتها تلك، مناهضةٌ للعسكرة ومناهضةٌ للسلطوية والجنسوية والفاشية. حركة تحتوي هذا القدر من المناهضات (الجوانب المضادّة)، والحقائق المضادّة لها، وعندما يتخلص المجتمع الذي يحتويها من الإبادة، ويدخل بالأكثر في خضم خلق المعرفة، حتى وإن طبّق جانبها العملي بشكلٍ قليل، فإنه متناقض مع خاصياتها وشخصيتها.

حتى وإن وُجدَت العديد من العناصر المهمّة ضمن محاولات الفامينيين، فهي لا تستطيع إلى الآن تجاوز آفاق الديمقراطيات التي مركزها الغرب. وبالأساس لنترك جانباً تجاوز طريقة الحياة التي بنتها الرأسمالية، فلا يستطيع الإنسان أن يقول بأنه قد فهمها جيداً. وتعيد إلى ذاكرتنا حالة شبيهة بذهنية لينين أثناء الثورة الاشتراكية. فعلى الرغم من كل تلك المحاولات الكبيرة والعديد من حروب الجبهات التي تم كسبها، لكن في النتيجة فإنّ اللينينية لم تستطع أن تحرر نفسها من المشاركة والمساهمة ضمن الرأسمالية. والنتيجة نفسها يمكن أن تحُلّ بالفامينية أيضاً. فالحرمان من أساس تنظيمي قوي، وعدم تطوير فلسفتها بشكل كامل، والشدائد والصعوبات المتعلقة بعسكرة النساء، تضعف ادّعاءاتها كثيراً. حتى أنهم لا يستطيعون أن يحققوا 'الاجتماعية الواقعية' ضمن جبهة المرأة. لكن ولكي يلفت النظر إلى المشكلة، فالأصح أن يقيّمها الإنسان كخطوةٍ جدية. " ويجب أن تتم مناقشة هذه الانتقادات التي يوجّهها القائد عبد الله أوجلان للحركات الفامينية، ضمن منصّات جيدة ومشتركة. ولتتجاوز الحركات الفامينية هذه الانتقادات والكثير من الانتقادات التي يتم تطويرها هكذا " فيجب أوّلاً أن تتمكن من تحليل نفسها بقوّةٍ بناءً على نظرةٍ جديدة للعلوم الاجتماعية والسوسيولوجية. ونحن نقول بأنّ هذه النظرة ستكون جنولوجية. ونقول بأنّ العلوم الاجتماعية "بالعلم الذي سيتطوّر حول المرأة" ستعيش تجديداً أساسيّاً ومُداخلة وتغييراً. وبلا شك فإنّ النتاجات الكليّة الفامينية

ستكون مُساعِدة ضمن هذا التجديد. لكن التجديدات التي سنخلقها ونطورها ستشارك وتساعد النتاجات الفامينية.

نحن نرغب أن نعبّر عن انسدادات الحركات الفامينية، التي نراها في أي من النقاط الأساسية بشكل واضح بعض الشيء. ولنقُل بوضوح لكي نمهّد أرضية للأعمال المشتركة، بتطوير الجنولوجيا. قبل كل شيء، فإنّ تحديد الوضعيّة النسائية على الفامينية وفرضهما على بعضها البعض سيتحوّل إلى كارثة. تاريخ المرأة يملك إرثاً نضالياً لآلاف السنين، بينما الفامينية ظهرت في المئتي سنةٍ الأخيرة من هذا التاريخ. وإذا أظهرنا جميع قيم المرأة باسم الفامينية، فسيكون هذا الأمر ظلماً بحق تاريخ المرأة الممتد لآلاف السنين. وستحاول الجنولوجيا أن تكون جزءاً ذي معنى ضمن هذا التاريخ. ويمكن أن يكون هذا الاسم قد وضع بصمته في مرحلةٍ من تاريخنا. ويمكن أن تكون هذه الحركة قد لعبت دوراً ريادياً ضمن بعض الجغرافيات. لكن العالم كبير والثقافات والشعوب التي تعيش فيه مختلفة ومتنوعة. خاضت النساء منذ آلاف السنين تجاربها واختباراتها بحسب أماكنها وأطلقت التسميات عليها. لكنها سمّت قيَمها المشتركة بطريقة ما أيضاً. فالنساء اللواتي شيّدن بعض القيم الأساسية، فتحنَ الطريق أمام بعض المراحل الاجتماعية. وهناك العديد من المعطيات الأثرية والعلمية التي تثبت هذه الحقيقة. وبحسب اعتقادنا، فبعض الحركات الفامينية ينبغي لها أن تبحث هذه الأمور مجدداً وتحللها برؤيةٍ علمية. ونحن نرى هذه النقطة مهمة جداً.

وتستمر تجارب النساء المحلية في يومنا هذا بشكل متعدّد وبحسب أصالتها. وعندما ينظر الإنسان إلى جانب واحد فقط من هذه الشروط الذاتية لتجارب النساء، ويقول الفامينية ما بعد الاستعمارية، الفامينية المتنوعة، الفامينية الكردية، الفامينية الإسلامية، فهل يتم توضيح كفاحهم الذي مرّ بآلاف المصاعب، بحق؟ برأينا يجب أن تسأل الفامينية هذا السؤال. لأنّ قسماً مهمّاً من النساء اللاتي خُضْن هذه التجارب لا ترَيْن أنّه من المناسب أن يُعرفن بهذه الأسماء. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ استمرار إطلاق هذه التسميات، وعدم إفساح المجال لإطلاق التسميات التي يردنها على تجاربهن ضمن الأدب الفامينيي، هو تقصير مهم ينبغي أن تأخذه الفامينية بعين

الاعتبار. قوى الحضارة الديمقراطية التي لم تبني منظومتها حتى الآن، لكنها مثلت القيم الاجتماعية وكانت تناضل على الدوام ضد الحضارة الدولتية. ونحن واثقون بأنها يجب أن تخلق باراديغماتها بذهنيةٍ علمية ضمن إطار المرأة. وكذلك إذا نظر الإنسان كيف تقوم النساء اللاتي يناضلن في كلّ مكانٍ من العالم بتسميّة اختباراتهن وتجاربهن، سيتمكن من تقديم مساعدةٍ ذات معنى أكبر لنضال تحرر نساء العالم.

انتقادنا الآخر الذي نوجّهه للفامينية، هو أنّ الحركات الفامينية، لا تستطيع بمواقفها الحالية أن تنقطع عن الليبرالية وتصبح قوىً مناهضة للمنظومة. وتبقى الفامينية ليبرالية إلى أبعد حدّ في تحليل الطِراز وتعاليم الحياة والفكر والمشاعر. لا يستطيع الإنسان أن ينظر للعيش اليومي مع حضارةٍ عدوة للمرأة ومع حداثتها، كحالةٍ خفيفة. ولأنّ الفامينية لم تتجاوز نظام الرجل المستبد، ومرتبطة بالذهنيّة الدولتية، ولم تتخلى عن النظرة والرؤية الاستشراقية الوضعية التي مركزها أوربا، فإنها لن تستطيع أن تضفي معنىً على حقيقة النساء في الشرق الأوسط والميادين الأخرى أو تشير إلى قوة الحل. ولهذا السبب وضمن الانتفاضة المهمة المسمّاة 'المرأة هي المُسْتعمَرة الأقدم' يتم فهم استعصاء الفامينية ضمن إطار تهميش المرأة. تحليل الفامينية، يأتي في موقع متخلف، فيما يتعلّق بالتزامات مشكلة المرأة مع المجتمعيّة. حيث تقيّم المجتمع ضمن شخصية الفرد أو تحلّل الإنسان خارج أطر المجتمع، وبهذا الشكل لا تستطيع أن تتجاوز حدود الحداثة الرأسمالية. يمكن أن تكون هناك حاجة إلى طريقة ذاتية لتناول ظواهر من قبيل الطبَقة والجنس والذهنية والخ. لكن في بلوغ حقائق الحرية الأساسية، فمن المهم أن يتمّ تناول المشكلات الاجتماعية بشكل موحّد. لكن الفامينية لم تتمكن من إنجاح هذا التناول الموحّد.

تطوّر الفامينية التحليلات الأكاديمية ضمن ذهنية النضال، وتجعلها مركزاً للنضال. ومع ذلك، فهي تبقى ضيقة ضمن الحياة ومجزّأة في تناول مشكلة المرأة إلى أبعد حد. انعدام التنظيم، وفقدان أرضيات التشارك والهروب من كل أنواع المشاركة والتنظيم، هي من المشاكل الصعبة للفامينية. هذه المشكلة، هي من المواضيع التي يجب أن تضعها الحركات الفامينية في برنامجها وعلى جدول أعمالها وأن تناقشها بإصرار وعزيمة وتطوير الحلول الأساسية لها.

ومهما تكن التحليلات النقدية لذهنية الرجل المتسلط متقدمة في الأدب الفامينى فإن الحل بقي محدوداً بتعليم المرأة فقط. ولم تنظر إلى تغيير وتغيّر الرجال، بتطوير عقلية الجنس والحرية، وتنظيمهم كمسؤوليةٍ تقع على عاتقها، بقدر الدور الذي تلعبه ضمن الحرية الاجتماعية. وفي سياق مرتبط، نعتقد بوجود فراغات وأخطاء وانعدام جدّي للحلول ضمن الفامينية فيما يتعلق بموضوع الحياة التشاركية الحرّة. ومهما تكن النقاشات الجريئة والانتقادات الموسّعة قد تطوّرت ضمن هذا الميدان، فإن منجزات ومكتسبات الفامينية فيما يتعلق بموضوع الحياة التشاركية الحرّة لم ترقى لمستوى سياسةٍ جنسية تتجاوز سياسة المنظومة. فتناول الحرية الجنسية يكون فردياً. وفي النتيجة فإنها لم تستطع أن تطوّر ثقافة جنسية حرّة لا تحوي ضمنها السلطة والعبودية. وينبغي أن يتم تحليل فيما إذا كان إخراج الرجل والتشارك الجنسي معه، من الناحية الفيزيائية من حياة المرأة، وإعطاء هذا الدور إلى جنسها، يُعتبر مجرد ردّ فعل أم هو حرية؟ وكم تعتبر هذه العلاقة متحررة حقاً من العلاقات السلطوية والعبودية؟ بينما لا توضع علاقات الاستبداد مجدّداً ضمن جنسية المثليين؟ كيف يتم عيش الجنسوية الحرة حقاً؟ كيف سيُبنى دور المرأة التعريفي ضمن هذا الإطار؟

وعندما تتم الإجابة عن هذه الأسئلة المهمة، يرى المرء بأن الفامينية لم تطوّر سياسة جنسوية تحرّريّة، تستطيع تجاوز سياسة العصر الأبوي الجنسوية وتجد لها بديلاً. ولم تستطع أن تخلق أملاً أو حلاً للحياة التشاركية المتأزمة، فهي بحد ذاتها مختنقة ضمن مصائب مختلفة. العامل الأساسي هنا في موضوع الحياة التشاركية أيضاً، هو أنّ الفامينية وفيما يتعلق بموضوع الحياة التشاركية لم تستطع أن تتجاوز آفاق النظام البارادايغمائية والأيديولوجية والتاريخية والنظرية والاجتماعية والسياسية. لم تحقق انقطاعاً وانفصالاً أساسيّاً عن الحداثة وقوالب النظام الرأسمالي وتعاليمه في الحياة والعلاقات. ولم تستطع الفامينية أن تتجاوز السياسات الجنسوية الحالية في مستوى النظام، بل بلغت حالة تضيف فيها المزيد لهذه السياسات. كما أن الفامينية ارتكبت أخطاءً جديّة وتركت فجواتٍ فيما يتعلق بتعريف علاقات المرأة والرجل خارج الميدان الجنسي، وطرحها النظري والحل العملي وأسلوب المقاربة بخصوص شكل العلاقة التي ينبغي لها أن تكون مع الرجل خارج هذا الميدان. نقد وتحليل المشكلة

الموجودة والتعبير عن الحل النموذجي هو أحد جوانب هذه المشكلة. لكن هناك حقيقة واقعية نعيشها فيما يتعلق بالنساء والرجال. وفي مقابل هذه السياسة التي انبثقت هنا، والتي تُعتبر بناءً لميادين وجبهات النساء ظهرت سياسة تلغي وجود الرجل هنا، فتتركه بحاله كما هو. وهذا متناقض مع الانتقادات التي توجّهها الفامينية للمنظومة الأبوية أيضاً. في هذا الصدد، فإنّ النضال والجهد الذي تبذله الفامينية ناقصٌ فيما يتعلق بتغيير وتغيّر الجنس الحاكم، وخلق الرجال الذين ينظرون لوجود المرأة ومطالبها وإرادتها ومشاعرها وأفكارها ويتناولونها بجدية. ولا تتجاوز صورة نمطية قائمة على أساس ردّ الفعل والرفض والعداء. لهذا السبب وفيما يتعلق بموضوع الحياة التشاركية، فإنها لا تستطيع أن تكون قوة الحل لحالة الأزمة والإبادة والفوضى المُعاشة.

تعتبرالفامينية ضمن هذه المرحلة متحفظة فيما يتعلق برؤية نواقصها والقبول بها. يُقال من طرف بعض الفامينيات " الفامينية هي انتقادٌ عظيم للسلطة" فانتقاد السلطة بشكل قوّي هو البديل عنها. تعمل المنظومة اليوم بدقةٍ كبيرة بحيث تزيل احتياجات المعارضة من الوسط وتنتقد جوانبها التي ينبغي أن تُنتقد، بواسطة مؤسساتها. ولم تعد المشكلة مقتصرة على الانتقاد النظري وحتى على المستوى الباراديغمائي للنظام. فالمشكلة هي في تجاوز باراديغما النظام وفي إيجاد البديل لها.

في هذه النقطة بالذات فإن ّإحدى انتقاداتنا الأساسية للحركات الفامينية هي عدم خروجها وعدم تجاوزها للنظام. البقاء ضمن النظام أو خارج النظام، مرتبطٌ قبل كل شي بمدى إظهار أو عدم إظهار نظريات المعرفة التي خلقها النظام، لآفاق فكرنا ومسارنا. لكي يُفهم معنى البقاء خارج النظام، من ناحية الفكر والشعور والحياة والإحساس، يتطلب الأمر أحياناً أن يخرج الإنسان ولو يوماً واحداً خارج الحدود المادية للنظام. فالحياة، ما عدا التي تقدّم لنا في المدن، غنية وجميلة جداً. وإن لم تشعروا بعدم الراحة من ارتياحكم في عالم يتم فيه حرق الأطفال والنساء والحياة الشابة والدنيا بصوت عالي، فلا بد من وجود مشكلة في فلسفة الأخلاق والحرية خاصتكم.

عندما يفكر الإنسان بالحرية، يجب أن يجرب الحدث الذي يتم تناوله خارج النظام ويُرى بالعين ويُعاش بالروح. عندما يتسائل الإنسان "هل أي شيء خارج النظام ممكن؟"، لكنه يقوم بتجربة النظام بكل دقائقه وتفصيلاته يومياً، فحتماً ستكون النتيجة هي التحوّل إلى النظام. كم الحياة ممكنة خارج النظام؟ ومهما يُقال فإن عدم القيام بالأبحاث البديلة، وتشويش هذا المفهوم، تعتبر علامة وإشارة للإخلاص ضمن البحث خارج أطر النظام. وبلا شك فهناك إمكانية لوجود شيء خارج أطر النظام. لكن لتكن لدينا فقط جرأة التجريب. ويعتبر هذا وضعاً ينبغي تطوير استيعابه بسرعة من أجل النساء وبالأخص للفامينيات اللواتي حَلمْن بيوتوبيا المرأة (المجتمع المثالي المُتخيّل) لعشرات السنين.

تبحث حركة تحرر نساء كردستان، بناءً على قيم النساء ومشاكلها وحلولها التي أخذتها الفامينية بعين الاعتبار، في القيم والموروث وتجارب نساء الشرق الأوسط وإفريقيا والشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية وفي الكثير من الثقافات المختلفة. وبتحليل تجاربهن أيضاً، ستطوّر الجنولوجيا كعلم بناء لوجود المرأة وتعريفها واستمراريتها. ولأن وجود المرأة وجودٌ اجتماعي، فسينسج هذا العلم في الوقت نفسه علم الحياة الاجتماعية أيضاً. كما أن مرحلة البناء هذه ستصبح المرحلة التي ستتحرر فيها الفامينية من تأثير وحدود النظام الحاكم وتبني نظام حرية المرأة البديل. وضمن هذا المعنى فإن الجنولوجيا هي انطلاقة جديدة. وكل انطلاقةٍ هي بديل. علم المرأة الذي سيكون إجابة هذا القرن من ناحية التوسع والجوهر، سيتطوّر في الوقت نفسه كعلم اجتماعي أيضاً. بفتح جذور الفامينية التي بقيت هامشية ومسدودة، لكي يُبنى التحرر الاجتماعي ويتم تنظيمه حول المرأة، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا!.

ومهما تكن الفامينية قد أخذت حقيقة المرأة بعين الاعتبار، فهي لم تتجاوز آفاق الديمقراطيات التي مركزها الغرب. وضمن هذا الأساس فإن الفهم غير الكامل وعدم تجاوز شكل الحياة الرأسمالية جليٌ جداً. فإن لم يقطع نضال المرأة نفسه عن الحداثة الرأسمالية فلن يستطيع أن يطوّر الحرية. المجتمع بحاجةٍ إلى عقل المرأة وطبيعتها لكي يستطيع أن يرفض الرأسمالية ويخلق بدائلها. لأن طبيعة المرأة هي الوحيدة

القادرة على إعادة خلق الطبيعة الاجتماعية التي تم تخريبها وإبادتها. لتهب الحياة لهذه الطبيعة وتجلب معها الحياة للطبيعة الاجتماعية فإنّنا ندعو إلى الجنولوجيا.

وبلا شك يجب أن تصبح الحركة الفامينية الحركة الأكثر راديكالية في وجه النظام. من أجل حرية ومساواة المرأة، التي جعلوها أمَة (عبدة) وأخضعوها لأكثر أشكال العبودية عمقاً، ليس فقط في فترات الحداثة الرأسمالية بل في جميع فترات التسلسل الهرمي وحضارته ضمن كافة النسج الاجتماعية من النواحي العقلية (الذهنية) والجسدية، هناك حاجة لنشاطاتٍ نظرية موسّعة لديمقراطيتها، والنضالات الأيديولوجية، والنشاطات المنظمة والمبرمجة، والأهم من ذلك هناك حاجة لنشاطات وفعاليات قوية. بدون هذه النشاطات فإن الفامينية والجهود المبذولة في موضوع المرأة، لن تأخذ معنىً أبعد من النشاطات الليبرالية للمرأة التي تحاول أن تريحها بشكل منظم.

هذه الخصائص والانتقادات التي يلفت القائد عبد الله أوجلان النظر إليها، نفهمها من أجل كل النساء اللواتي يعملن لحرية المرأة. لأن كمائن النظام ترى حركات النساء التي تتطور خطراً عليها وتستهدف ضرب النساء بشكل أكبر. وما لم يبذل نضال وكفاح واسع، فلن يكون بالإمكان تجاوز هذه الكمائن والمصائد بالرؤية النقدية للنظام أو التحليل النظري له فقط. وما لم يتم تجاوز هذه الكمائن، فلن تتحقق حرية النساء ولن تكون الحياة آمنة ضمن عالمنا.

تعتقد الجنولوجيا أن ديناميكيات نضال المرأة الكونية (العالمية) والمحلية تتأثر ببعضها البعض. إعطاء مكانةٍ للنضال والحركات النسوية العالمية ضمن الكفاح التحرري للنساء الكردستانيات والإثراء المتبادل معها يعتبر شرفاً وفخراً لها. وترى جميع المقاومات ضمن النظام القائم وتعطيها قيمة. ضمن حركات المجتمع المدني وضمن البيت والعائلة، وفي الحقول والمعامل وداخل الأحزاب وضمن الحركات البيئية وفي الميادين الصحية والتعليمية وفي الأوساط الأكاديمية، دائماً تبحث عن الكيفية التي ستساعد بها نضال النساء الكادحات. لهذا السبب، ولكي توفّر المساعدة والمشاركة الجديدة لميراث الحركات النسوية العالمية، ولكي نتجاوز الانسدادات

التي تعيشها الفامينية وجميع الحركات النسوية في شخصنا، ونؤسّس تلاقياً قوياً مع تنظيمات ومؤسسات المرأة حول العالم، ولتحقيق قفزةٍ قوية نحو مرحلة حرية وتحرر النساء فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

في خضم هذه الفوضى المُعاشة في يومنا هذا، تزداد فرص تغيير وتغيّر العديد من الميادين ذات المشاكل والأحداث أيضاً. وضمن حقيقة الفوضى هذه، فنحن كحركات المرأة وإذا ما أسّسنا وخلقنا، التنوير والتنظيم المطلوب، فسنخطو خطواتٍ قوية باتجاه فائدة الحرية والسلام والعدالة. ونستطيع بقيمنا التي جمعناها لآلاف السنين بالنضال والكفاح والصعوبات التي خضناها، أن نبني من الأزمة الموجودة يقظة وتنظيماً كبيراً بالمستوى الذي يمكننا من إنجاح ثورات المرأة. ونستطيع توليد عالمٍ جديد في كل مستويات التاريخ الاجتماعي، وفي الحياة المتأسّسة حول المرأة.

لا توجد أية فرص بالحياة لأي تكوين نظري أو باراديغمات لا ترى حرية المرأة وتحترمها في يومنا هذا. نحن نعيش عالماً يعرف ويدرك جيداً حرية ونضال المرأة. ولأننا لم ننجح فيها بشكل كامل، فنحن مازلنا ضمن حرب بلا أمان مع سلطة الذكر. ولكي نكسبها، يجب أن نحرّر جنسنا من بين براثن الرأسمالية التي تجعله مُلكاً لها، وأن نتحرّر من الرجعية الإقطاعية والدينية. ويتعدّى نجاحنا هذا الشرط الأساسي إلى التخلي عن أخلاق وحب وثقافة زواج الرجل المتسلط. لذا ولإتمام جميع مهامنا غير المنتهية وإنجاحها، بالحركات الفامينية والنساء التحرّريات اللواتي يُسيّرن النضال في أرضيات مختلفة، وحركات تحرر المرأة لدى الشعوب المختلفة وبناء تنظيم مشترك معها "بالحماسة والانتفاضة الكبيرة للمرأة، وكسب القضية الكريمة للشعوب"[30] فإننا ندعو إلى الجنولوجيا.

8- الجنولوجيا لمناهضة الجنسويّة التي هي إيديولوجيّةٌ سلطويّة

يعطي القائد عبد الله أوجلان التثبيت التالي "تم إضفاء المعنى على الجنسويّة كذهنيّة سلطويّة منذ ظهور الهرميّة، ويقول في الوقت نفسه "يمكن أن تصبح الجنولوجيا

(30) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

انطلاقة أساسية". فهل نستطيع أن نتناول هاتين الانطلاقتين كمناهضةٍ ديناميكية وحلٍّ ديناميكي؟ إحداهما، أصبحت ذهنية(أيديولوجية) تمثل مخرجاً لجميع القوى السلطوية على مدى خمسة آلاف سنة، ذهنية أوصلت المرأة من كافة النواحي إلى عتبة الطمس والإبادة. وأوصلتها بشكل أيديولوجي إلى حافة الإمحاء. والأخرى، أنها انطلاقة تعهّدت ببحث كافة تخريبات هذه الذهنية، ومقابل هذه التخريبات تدّعي بأنها تمثل الحرية والسلام والحب والعدالة والجمال وبناء عالم المرأة الذي يستند إلى العديد من القيم. إننا ندعو إلى الجنولوجيا، في قرن أفلست فيه الجنسوية. 'يمكن أن نصبح انطلاقة أساسية' في العصر الذي تلوّثت فيه الجنسويّة.

تعطي الذهنية الجنسوية حقوقاً بلا حدود للرجال بما فيها حق قتل النساء. وضمن هذه الحقيقة السوسيولوجية في عالمنا، فإننا نعيش مع الرجال الذين يطبّقون هذه الحقوق اللامحدودة يومياً. حينها فأية حرية وأية قيم نسوية مُعاشة نستطيع أن نذكرها؟ ضمن حقيقة العلاقات التي أكثرها عبارة عن تجاوزات وتحرّش وتهجّم وإهانة وعدم احترام، أين وكيف نستطيع أن نجد الحب والعشق؟ فهل توجد في الحقيقة ثورة نسويّة نفرضها على هذه الحقيقة؟ وجوابنا هو 'يوجد'!

لكي يتم تحليل الجنسويّة الاجتماعية بشكل موسّع ويتم تجاوزها وإزالتها، ولكي ننجح في محاسبة الخمسة آلاف سنة، فإننا ندعو إلى الجنولوجيا. في عصرنا، وبشكل لم يحصل في أيّة مرحلةٍ تاريخيّة، يتمّ استخدام المرأة كأداة استغلال، وتمرّ بلحظاتٍ صعبة للغاية مثل 'المستعمرة الأولى والأخيرة'. منذ آلاف السنين تتم إبادة وإفناء المرأة بشكل أيديولوجي وذهني، وفي يومنا هذا تتم إبادتها بطريقةٍ منظمة من الناحية البيولوجية. فوجودٌ لا تُعطى له أيّة قيمة، لا يبقى له أيّ معنى ليستمر في وجوده بشكل طبيعي. فالجنولوجيا ضرورة من أجل الوجود، مقابل اللا اعتبار الأيديولوجي والإبادة البيولوجيّة.

تم إعمال وتطوير الإبادة الفكرية (الإيديولوجية)، كمرحلة ناتجة عن الذهنية الجنسوية. هذه الإبادة الفكرية هي إحدى أكبر الذنوب الإنسانية التي ارتكبت بحق المرأة. وفي الوقت نفسه هي إحدى أكبر الذنوب الفكرية، ولها تاريخ ممتد لخمسة

آلاف سنة. وفي ارتكاب هذا الذنب تم استخدام الميثولوجيا، والدين، والفلسفة، والعلم، كلّ حسب دوره وبشكل متداخل ومتتالي وبمساندة بعضها البعض. وجعلوا الإنسانية كلها شريكة في ارتكاب هذا الذنب. وزرعوا العديد من المعتقدات والأفكار الخاطئة في عقل الإنسانية -وضمنهم غالبية النساء – من قبيل أنّ المرأة ضعيفة، وهي الجنس الثاني، وحتى أنها ليست إنساناً، مجرمة بالفطرة، تنبغي تربيتها بالعنف والعقاب على الدوام والخ. وهو في الوقت نفسه ذنبٌ أخلاقي ووجداني يخدع الإنسان. والآن لكي نحاسب هذه الذنوب ونطهّر المشاركين في هذا الذنب، فإنّنا ندعو إلى الجنولوجيا.

يجب أن نطوّر نضال الوجود والبناء الفكري الذي نبذله منذ سنوات ضد الإبادة الفكرية، ونجعله مستمراً لكي نزيل الإبادة الفكرية بالكامل. ولهذا السبب يجب أن نحاسب جميع المشاركين في ذنب ارتكاب هذه الإبادة الفكرية. بأي حجج وكيف استطاعت الميثولوجيا أن تدمرنا أيديولوجياً؟ وكيف استلم الدين هذه الإبادة واستمر بها؟ ومن بعدهما، كيف استمرت الفلسفة والعلم بذلك؟ كيف تداخلت جرائم الميادين الأربعة وتضاعفت في أيامنا وفي أي الميادين تستمر هذه الجرائم؟ بآلاف الأسئلة يجب أن نُخرج هذه الجرائم ونكشفها ونحاسبها. ولأننا بحاجةٍ إلى تعزيز وجودنا بشكل أيديولوجي بقدر حاجتنا للطعام والماء، فينبغي لنا أن نطوّر الجنولوجيا.

ونستطيع أن نحاسب الميثولوجيا التي اختزلت جميع القيم الإلهية بشكل يومي. ونستطيع محاسبة الأديان التي لا تضع أي اعتبارٍ للمرأة، بتنظيم قوّة إيمان قلوب النساء اللواتي يؤمنّ بدون مصلحة. ونستطيع أن نحاسب الفلسفة بتجاوز عقلية الرجل المتسلط في الفلسفة اليونانية التي تقول بأنّ 'المرأة، هي رجل خلق ناقصاً' السائدة على عقلية الغرب والعالم. ونستطيع أن نحاسب العلم بأن نزين أنفسنا بالإيمان والجرأة والجمال وبعقل هيباتيا. إنّ توضيحات القائد عبد الله أوجلان التي تقول، "عندما يقوّي الإنسان، المرأة من الناحية الفيزيائية والروحية والذهنية، فربما تكون هذه المحاولات الثورية الأكثر قيمة. وضمن ثقافة الشرق الأوسط التي مثلت مركزاً لثقافة الإلهة الأم لوقت طويل، فإنّ إيصال المرأة مجدّداً الى قوتها يتطلب

قيماً اجتماعية متطوّرة ومستقلة وعزيمة اتخاذ القرار وقدرة على الترجيح، ومشاركة في العطاء، وبطولة حريةٍ حقيقية." تعزّز جرأتنا في هذا الموضوع.

لكي يظهروا المرأة بلا قيمة وبلا فائدة وبلا عقل وبأنها ذات ضرر وخطرة، ويقنعوا المجتمع كله بهذا الأمر، تم استخدام العنف والأدوات الفكرية بشكل متداخل مع بعضها لآلاف السنين. وكانت النتيجة أنهم حوّلوا هذا الأمر إلى عقيدةٍ وثقافةٍ راسخة. ويطلق القائد عبد الله أوجلان على هذه المرحلة ضمن ثقافة الشرق الأوسط التي تطوّرت بالمقولات الميثولوجية تسمية، **الثورة المضادة للانكسار الجنسي الأولى**. ويُطلق على التطوّرات الحاصلة ضمن تاريخ الأديان التوحيدية، والتي تحققت حول المرأة، **ثقافة الانكسار الجنسي الكبير الثانية**. وتتحوّل ثقافة الانكسار ضمن الزمن الميثولوجي والثورة المضادة، إلى قانون على شكل أمر إلهي. وتتخذ جميع هذه التطورات، من الإيديولوجية الجنسوية التي تُعاش كإيديولوجية سلطوية، أساساً لها. يقول القائد عبد الله أوجلان، "شعارنا من الآن وصاعداً هو تحقيق الانكسار الجنسي الكبير الثالث ضد الرجل. بالانكسار الجنسي الكبير الثالث، يجب أن تُعطى مكانة لمسيرةٍ كبيرة مع المرأة، ولنقاء المرأة اللائق بتاريخها. فالنهوض من السقطات الكبيرة كبيرٌ أيضاً. وعلى هذا الأساس، فإذا تقرّبنا كمؤمنين بدين جديد للإلهة، نستطيع بلوغ الأمومة المقدسة التي أصبحت حقاً ونصل إلى نسوية العشق." في الوقت نفسه فإنّه يعبّر عن هدف آخر للجنولوجيا، وهو بناء الانكسار الجنسي الثالث ضد الرجل. ولمناقشة الانكسار الجنسي الكبير الأول والثاني وكافة تأثيراتهما، والأشياء التي سلبها منا وكيف سنستعيدها، وكيف نبني ونؤسّس الانكسار الجنسي الثالث ونجعله معاشاً فإنّنا ندعو إلى الجنولوجيا.

9- لدفاعٍ جوهريٍ لا يتقهقر

لتعزيز وتقوية الدفاع الجوهري والمشروع للمرأة والذي تم كسره وإضعافه وكذلك كي لا يتمكن أحد من هزيمة هذا الدفاع الجوهري فإنّنا ندعو إلى الجنولوجيا. ربما ينبغي لنا وقبل كل شيء فهم الجنولوجيا كعلم دفاع جوهري ومشروع حتى يكون أصح. في عموم الطبيعة، فإن آليات الدفاع الجوهري وحكمتها هي تلقائية. وعلى

الرغم من أنّ هذه الآليات عند النساء كانت قوية جداً في بداية التاريخ، وبقدر ما تم إضعاف استيعابهن ومعارفهن فيما يتعلق بطبيعتهن، فقد حمل دفاعهن الجوهري جراحاتٍ عميقة للغاية. لم تتحقق هذه المرحلة بشكل طبيعي هكذا، فالنساء لم تتقبلن الخضوع والعبودية بشكل تلقائي وبمرونة. بل تمّ تطويرها إلى جانب الحروب العنيفة بأدوات الظلم والاستبداد الفكري وعن طريق الخداع. ولم تعد المرأة مُلكاً لنفسها ولا لمجتمعها ولا للطبيعة ولا للكون، وتم إبعادها عن هذه المكونات خطوة بخطوة. وأصبحت محكومة بالاغتراب عن نفسها بأشكال مختلفة ومتنوعة. الاغتراب الذاتي هو بحد ذاته دمارٌ للدفاع الجوهري، وإبادةٌ لها. وكلما زاد هذا الاغتراب وتعمق أكثر، كلما ابتعدت المرأة عن ذاتها بشكل أكبر. بإنشاء المرأة العبدة (الأمَة) والمستسلمة، ظهر الرجل الأفندي والحاكم والدولة والسلطة، وفي مقابل أسلحة هؤلاء، أصبح دفاعها ضعيفاً جداً وغير منظم. الجانب الأكثر تقدماً هنا، هو الاستعمار الممارس على المرأة والذي كان يطبق بطريقة ذهنية. النساء تماماً مثل الشعوب، وبسبب الاستغلال الذهني، أي بمعنى الاستسلام الأيديولوجي أو الانهزام تركت بدون حماية من الاستغلال.

تملك النساء إمكانيات وقدرات استيعاب وردود فعل قوية جداً للحماية الجوهرية والتي اكتسبتها من الطبيعة. ولأنّ الاستغلال الذهني قد أبطل كلّ هذه الإمكانات، فقد تم عيش ضعف كبير في المرأة من ناحية الفكر والمعتقد والثقة بالنفس. وهذه إحدى النقاط التي كسِرَ فيها الدفاع الجوهري. وعلى هذا الأساس فإنّ الجنولوجيا تبحث نقاط انكسار الدفاع الجوهري من ناحية التاريخ واليوم. متى وأين وبأية أساليب تم كسر وتحطيم ذهنية الدفاع الجوهري والمشروع للمرأة واستجابتها وروحها؟ كيف جرح هذا الانكسار عالم مجتمع المرأة والرجل؟ هل سيستمر هذا الإنكسار كمصير حتمي؟ كيف ستستعيد المرأة مجدّداً تلك الذهنية والاستجابة وروح الدفاع الجوهري والمشروع؟ ستتابع الجنولوجيا في هذا الجانب وتتعقب الكثير من الأسئلة الأخرى؟

الدفاع الجوهري هو مسألة حياتية وعاجلة للنساء. فإذا كنا في القرن الحادي والعشرين نُعرض للبيع والشراء كعبيد في الأسواق، ويمارسون علينا الاستعباد الجنسي والفاحشة، ونتعرّض للقتل على يد الرجل أو العائلة، ونُقتل في الحروب،

وتتمّ تربيتنا بالتهجير والتجويع، ويتم تشغيلنا بأجور رخيصة، ويتم اعتبار التعذيب الذي نتعرّض له بشكل لا يمتّ للإنسانية بصلة مشروعاً، والسبب الأساسي لهذا هو كسر وتحطيم آليات الدفاع الجوهري للمرأة والمجتمع. ولكي يتم إنشاء هذه الآليات مجدّداً وبشكل صحيح، يتوجب وجود ذهنية قوية لتناول المرأة. فتطوير علم المرأة الذي يأخذ تاريخ المرأة والمجتمع وحقيقة المجتمع ضمن مساره مهم للغاية. ومقابل عسكرة العنف للإيديولوجية السلطوية، يتوجّب تأسيس عسكرة مضادّة على أساس الدفاع الجوهري. فبناء حكمة المرأة وعلم المرأة هو دفاع جوهري.

لولا تدمير حكمة النساء الجوهرية، ولو لم تُترك مفتوحة بهذا القدر أمام الاستغلال الذهني، لما كانت آلياتهن للدفاع الجوهري قد أضعفت إلى هذا الحد. ولكي يأخذ الإنسان هذه الحقيقة بعين الاعتبار، فإنه وقبل كل شيء، ينبغي أن تبني المرأة مفاهيمها ونظرياتها ومؤسساتها الجوهرية الفكرية. وينبغي أن نرى حماية هذه الأمور تحت سقف الحماية الجوهرية. ليس فقط من الناحية الفيزيائية بل من الناحية العلمية والفكرية أيضاً يُعتبر الدفاع الجوهري ضرورة لا بد منها. ومقولة القائد عبد الله أوجلان "لا يمكن التفكير بكارثةٍ أكبر من ضياع وفقدان الدفاع الجوهري الاجتماعي. فإذا ما أبعدت الدولة القومية المجتمع عن العلم والفن والحقيقة وتركتها بلا دفاع جوهري، فإن هذه إحدى أهم العوامل الأساسية للمسألة الاجتماعية." تشير إلى هذا الموضوع بشكل لافت. وتستطيع المرأة بفن وحقيقة وسِعة علم المرأة، أن تمدّ يدها إلى كلّ ميدان ترى فيه المجتمع والنساء متروكيْن بلا دفاع جوهري. وتستطيع النساء التنبؤ بالكوارث التي تفرض على المجتمع. وبالتالي يستطيعون رؤية الكوارث التي تُفرض على المجتمع بشكل مسبق. وتستطيع الجنولوجيا ضمن ذهنية الدفاع الجوهري، أن تتناول جميع الميادين التي تُخرج المجتمع من مجتمعيته، وأن تطوّر المخارج البديلة والحلول الواسعة. وتستطيع بناء الأجوبة عن كلّ التقييمات والبحوث التي تمّ تطويرها في الميدان العلمي والتي لم تكن وفقاً لرؤية ومنظور المرأة. إذا تمّ بناء علم المرأة، وبقدر ما يكون العلم أخلاقياً ومرتبطاً بالحقيقة، فإن دمقرطة العلم وبقائه ديمقراطياً هو نشاط دفاع مشروع. وستقوم الجنولوجيا بتنظيم هذه النشاطات ضمن المجتمع، عن طريق أكاديميات المرأة.

الفصل الثاني

- **ما هي المرأة؟ وما هي الجنولوجيا؟**

لفهم وحل المسائل المتكوّنة حول الوجود، فتعريف الوجود واضح. وإذا لم يكن تعريفنا جيداً، فكلّ طريق نحو فهم الوجود وحل مسائله سيكون خاطئاً منذ البداية. فالتعريف الصحيح بخصوص الوجود يوصلنا إلى الحقيقة. وبالأخص عندما يتم العمل بعلم الوجود هذا فإن التعريف السليم والجيد سيكون بمثابة أساس جيد. فلا نستطيع أن نبني علماً لشيءٍ لا تعريف له. وهذه القاعدة سارية للجنولوجيا أيضاً. فما لم يتم تعريف المرأة جيداً فلن تتطور جنولوجيا صحيحة.

في أساس الأزمات الأساسية في العالم، فإن الأجوبة التي تعطى أو لا تعط لهذا السؤال، أو تُعطى بشكل خاطئ، فتوضع بناءً على فكر ثابت ومنحرف، تقوم بدور واضح. وتوضح ماهية وجود المرأة، وما ليست ماهيتها، ما هي الحياة والمجتمع، وما هو غير ذلك. والصحيح أنّ سؤال ' ما هي المرأة؟ يعني 'ما هي الحياة؟' و 'ما هو المجتمع؟' يتضح دور المرأة الريادي في تاريخ الإنسانية ضمن الحياة الاجتماعية، بشكل جلي يصل حتى 98%. ولم يعد هذا زمناً تنسى فيه الذاكرة الاجتماعية هذه الحقيقة بسهولة وتعتبرها غير موجودة. وفي يومنا هذا فإنّ علاقات المرأة والحياة والمجتمع هي ظواهر تؤثر ببعضها وواضحة للعيان. ولا يحتاج مستوى تأثير المرأة على كلتا الظاهرتين إلى إجراء النقاشات عليه. سواء أكان على أساس صحيح أم خاطئ، أو بإرادتها الجوهرية، أو باستخدامها كأدة نظام. وفي النتيجة تقوم المرأة كوجود، بدور المفتاح في الحياة الاجتماعية. والصحيح " ما هي المرأة؟" وعن ماذا تعبّر من الناحية الوجوديّة؟" هل توجد طبيعة للمرأة؟" تُعتبر هذه التساؤلات المطروحة منذ أزمنة ذهنية الرجل السلطوية وإسقاط المرأة بيد مؤسسات هذه السلطة وحتى الآن، الأكثر صعوبة وقساوة.

ومنذ ذلك اليوم " فالوجود الذي لفق الرجل الأكاذيب حوله بأكبر شكل هي المرأة"[31] إنّ المرأة ضمن الميثولوجيا والدين والفن والفلسفة والعلوم التي وضعها عقل الرجل المتسلط كانت على الدوام وجوداً للخوف، كما تمّ تعريفها بتعاريف

(31) الدفاع عن شعب \ عبدالله أوجلان

أيديولوجية رخيصة رغماً عنها. لدرجةٍ تطورت حولها نقاشات من قبيل هل هي موجودة أم غير موجودة، هل يوجد لها روح أم لا، هل هي إنسان أم لا. وعندما نتناول وجود المرأة ضمن الجنولوجيا، فنحن على يقين بضرورة وجود بحث موسع وجدي لهذا الميدان. وكلما تطوّرت الجنولوجيا بجميع ميادينها فسنصل إلى معلومات وجوديّة أكثر جودة بخصوص المرأة. وهناك حاجة ماسّة ببحث مرن ودقيق وعميق لهذا الموضوع بدءاً من تناول كلمة المرأة بشكل اشتقاقي، وتناول معنى المرأة بشكل وجودي.

- **المرأة في اللغات الأخرى**

نحن على يقين بأنّ وجود المرأة الذي لا يُؤخذ في الحسبان وكذلك تظهر الرغبة في إزالتها من الوجود وإنكارها من ناحية المعنى، يبدأ بتسميتها. ووفقاً لهذا التوجّه، فالمرأة التي يتم تعريفها في القواميس التركية كـ ' جنس الأنثى الكامل، المقابل للرجل'، نستطيع النظر في كيفية تسميتها في اللغات الأخرى.

ففي اللغة الكردية، ژن، وفي اللغة الهورية آشت، وفي اللهجة الدملكية جَن (وجمعها جَنِي)، وفي باللهجة الصورانية آفرات، وبالسومرية نيتا، وبالفارسية زَن، وبالأرمنية گِن، وفي الرومانية گيما، وفي الألمانية فراو، وباللاتينية فامينا، وبالعربية امرأة (وجمعها نِساء)، وبالفرنسيّة فامينا، وبالصينية گين، وباليونانية گينو، وفي العبريّة إيشّا، وفي التركية كادن (من كلمة خاتون التي استخدمها الشعب السوگدي الذي يندرج ضمن الشعوب الإيرانيّة الأصل).

إنّ جذر كلمة 'امرأة' والحياة، الطبيعة والحرية هي نفسها في اللغة الكردية وبعض اللغات الأخرى. كما أنّ كلمات جين، جيان، شين، كيان، جيهان، جه (المرأة، الحياة، الحيّ، الروح، العالم والمكان الكردية) تأتي من نفس الجذر اللغوي. وكلمات جيندار، جينداري، جيندا، زندي وجن وجيان (حي، حيوية، مانح الحياة، والحيّ

والمرأة والحياة) لها نفس الجذر اللغوي أيضاً. كلمة الحياة في اللغة السومرية هي ته وتي. وكلمة آماركي السومرية التي تعني الحرية، تأتي بمعنى العودة للأم أيضاً.

في اللغة العربية الحياة هي 'عيش'. واسم عائشة مشتقٌ من هذا الجذر. ومن الكلمات الأخرى التي تأتي بمعنى الحياة/جيان، هي كلمة 'حياة' وهي كلمة مؤنثة واسم من أسماء النساء. ومن اللافت جدّاً التشابه الكبير بين كلمتي 'نساء' في العربية والتي هي جمع كلمة امرأة وكلمة 'الإنسان'. وفي اللغة العبرية وعلى عكس اللغات الأخرى فإنّ كلمة 'إيشا' التي تعني امرأة هي مشتقة من كلمة 'إيش' التي تأتي بمعنى الرجل، ونستطيع هنا رؤية مدى تأثير ذهنية الرجل السلطوية على اللغة. وفي اللغة الإسبانية كلمة 'لا فيتا' بمعنى الحياة، هي كلمة مؤنثة. وفي اللغة الفارسية فإنّ جذر كلمتي الحياة 'زنداكي' والمرأة 'زَن' هو نفسه.

وبلا شك فمن المهم أن يطوّر الإنسان هذا البحث في العديد من اللغات. لكن بقدر ما يعرف الإنسان من أيّ جذر اشتقت كلمة المرأة في كل لغة، فإنّ معرفة الأسماء والتعاريف التي أطلقت على المرأة في المراحل المختلفة للتاريخ الاجتماعي مهمٌّ بنفس القدر. لأن الاصطلاح هو إشارة التعبير عن الحياة وعملٌ مهم للغاية. ومهما تكن الحياة فاللغة تشير إليها. وسيكون بحث ودراسة المفاهيم والمصطلحات التي استخدمها كل مجتمع للتعبير عن وجود المرأة في مراحل ما قبل تطوّر الجنسوية الاجتماعية والاختلاف فيما بينها، خطوات مهمة لبلوغ حقيقة المرأة.

- **الرحلة نحو ذاتها**

في العالم الذي نعيش فيه، فوجود المرأة يتجسّد على شكل حرب، هجرة، فاحشة، دعارة، فقر، بطالة، سياسات التربية والتعليم والصحة للمؤسسات الأبويّة، وتوحّش الزوج والعشيق والخ. وتبقى مهدّدة بمواجهة مخاطر لا حصر لها. 'وأساساً فإنّ حقيقة وجودها وجهاً لوجه مع الطمس والإمحاء، لا تجعل الحرية مسألتها الأولية، فأولاً وقبل كل شيء يجب أن تحمي وجودها وبقدر ما يكون هذا الأمر ممكناً، فستتحقق هي والحرية بشكل متداخل مع بعضهما البعض. فالشيء الذي لا وجود له لا حرية له، أي أنّ الشيء غير الموجود، فحريته غير موجودة أيضاً. فالحرية ممكنة بالوجود فقط.'[32]هذا التثبيت مهم جداً للعلاقة ما بين الوجود والحرية. يوجد اليوم نظام مهيمن يريد أن يفني وجود المرأة من الناحية الفيزيائية والإيديولوجية. ولهذا فإننا بداية سنتعلم حماية وجودنا بالإمكانات الموجودة لدينا ضد هذا النظام. ولكي تتمكن امرأة من حماية وجودها يجب أن تُدرك وجودها وتعرّفه. وينبغي أن تسمّي تكوّنها ووجودها بالمفاهيم والتعاريف الخاصة بها وتضفي عليها المعنى.

سيمون دي بوفوار التي بدأت حركة الفامينية الوجودية، في كتابها باسم الجنس الثاني (الآخر) (1949) تعبّر عن منبع المسائل الاجتماعية بهذه الطريقة: "هي متعلقة بطريقة تناول وجودها... لأنّ المرأة مثل الأخرى، والرجل أيضاً تم وصفه ك أنا، وحتى تعرّف المرأة نفسها في علاقتها، وضمن علاقة الأشياء التي هي لا شيء، يعني مثل الأخرى، فمصيرهن أن يتم تعريفهن ارتباطاً بالرجل.

لكي نتحرر من "مصير التعريف بالآخر" فيجب أن نضع تعريفنا بأنفسنا. لأنّ التي لا تعرّف نفسها، سيعرّفها آخرون. 'ومن أجل حياة حقيقية وصحيحة، التي هي أساسها، يجب قبل كل شيء أن يعرّف الإنسان المرأة ويوضح دورها ضمن الحياة الاجتماعية. نحن لا نعطي حكمنا هذا لأجل الصفات البيولوجية وبناء المرأة الاجتماعي. فمفهوم المرأة كوجود هو مهم جداً. وبقدر ما يعرّف الإنسان المرأة، فإنّ

(32) الدفاع عن الكرد في قبضة الإبادة الثقافية – مسألة الكرد والحل / عبدالله أوجلان

تعريف الرجل أيضاً يصبح ممكناً.' إنّ تقييمات القائد عبد الله أوجلان هذه، هي توضيحاتٌ لافتة جداً لضرورة تعريف المرأة.

لمعرفة وتعريف وجود المرأة بطريقة صحيحة، فالجنولوجيا هي انطلاقة ومخرج أساسي يجب أن تبحث وتحلل بشكل موسع الذهنيات الميثولوجية والدينية والفلسفية والعلمية لأن معرفة وتعاريف وبحث هذه الذهنيات غير صحيح. وهي تغيير أخطائها الموجودة ضمن تعريفات وجود المرأة. ونقطة الخروج الأخرى، هي تعريف ذاتها بنظرة الأنثى ومحاسبة كافة العقليات السلطوية التي تعرّفنا بشكل مضادّ لنا. أي بمعنى رفض التعريفات الخاطئة والمنحرفة التي فرضوها علينا وتطوير تعاريفنا الخاصّة على أساس تجاربنا الجوهرية وفهمنا الجوهري. بالمعنى الصحيح ورغم التسميات الخاطئة على مدى آلاف السنين، ستكون هذه إشارة ذات معنى بأننا لم نُفنى بعد. فالتسمية هي خاصّية خاصّة بالآلهات. عندما أطلقنا التسمية على أنفسنا وأقمنا علاقة ارتباط لأطول وقت مع الإلهة بهوية المرأة للتاريخ الاجتماعي، عندها ندرك أنّنا على الطريق الصحيح في تعريف وجودها، أي أنّنا باقون على أصلنا وجذورنا.

وتكشف الجنولوجيا، رغما عنا، وعن تعريفنا، ووفقاً لهذه التعريفات، شيفرات حياتنا وتظهر مدى العنف واللارحمة فيها. هي خمسة آلاف سنة، يُمارس فيها هذا العنف بلا رحمة، وهي كأولى خطوات إفناء وجودنا، وتعاريف خاطئة وظالمة ومناهضة لجوهرنا، تُعتبر هجوماً فكريّاً موسّعاً على هوية المرأة. وسنبحث بيد أي رجل متسلط بدأ هذا الهجوم وفي أي نسيج تم نسجه والتخطيط له. فبأي معنىً تخرج هذه الحقيقة في كامل التاريخ، وفي الحياة الاجتماعية للمرأة؟ وكجواب لهذا السؤال، يجب أولاً أن ننظر إلى فهم وتعاريف المرأة التي تم تطويرها عبر الأزمنة المختلفة. ضمن الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم، ما هي المرأة؟ وينبغي لنا أن نفهم هذا الأمر بشكل جيّد جدّاً. فإذا لم ندرك ونكشف تلك التعاريف التي وضعوها لنا، وحياتنا التي سجنوها، وأجسادنا التي قتلوها، فلن نتمكن من إيجاد تعاريف جيدة بخصوصنا.

تقول ماري دالي من الفامينيات المتطرفات، " تتّبع رحلة المرأة من ميدان مزوّر وغير أصيل، طريقاً نحو ميدان الحقيقة ... فمن ناحيةٍ ينبغي أن يطلق عليهم المسافرون مسمّيات العصر الأبوي، ومن ناحية أخرى سيرون بأن إنكار السلبيات بهذا الشكل سيفتح الطريق أمام الإيجابيات. وتمّ تعريف تلك الإيجابيات بطريقة العصر الأبوي خارج الكينونة والعالم السابق، وهي حركة تذهب أبعد من مكان العصر الأبوي، نحو وجودٍ جديد وعالم التكوّن والوجود... " ومن أجل تطوير علمنا الوجودي نستطيع أن نقوم بهذه الرحلة.

الهدف الأساسي من هذه الرحلة هو فصل المرأة عن تعريفات وجودها التي تم فرضها عليها لآلاف السنين بطريقة مجحفة. هناك طبيعة حقيقية وحرة عائدة للمرأة. وكذلك توجد طبيعة أخرى تم بناؤها تحت هجمات النظام الإيديولوجي والمتسلط التي لا يأخذ وجود المرأة في الحسبان. لكن ومهما تكن هذه الطبيعة غير معبّرة عن جوهر المرأة فهناك طبيعة وهوية للمرأة بقدر ما يكون هذا الأمر وجوداً للمرأة. تقوم العديد من المؤسسات وتقاليد النظام الدولتي، السلطوي والجنسوي بوضع العراقيل والعقبات بالقوة الإيديولوجية وبممارسة ضغوطها العلنية، كي لا تحيا المرأة وجودها الجوهري.

وعندما تقوم النساء بتعريف وجودهن، فيجب أن تأخذن هذه الحقيقة دائماً بعين الاعتبار. ونستطيع بقوة عقلنا وإحساسنا ومشاعرنا، رؤية أيّ من خصائصنا العائدة لطبيعتنا ووجودنا. ونستطيع بأحاسيسنا أن نكشف أيّ من خصائصنا تتبنّى الجمال، والأخلاق، والمجتمع والشخصية الحرّة. فمثلاً العنف في جوهره ليس من خصائص المرأة. وحقيقة المرأة التي تدمّر وتقتل ليست سائدة. لهذا، يجب علينا نحن النساء أن ننزع عن أنفسنا جميع الألبسة الإيديولوجية والاجتماعية والسياسية والجنسية والخ التي ألبسونا إياها بالقوة ولا تليق بأجسادنا وتخنقنا. حتى نصل إلى حقيقتنا العارية المجردة ووجودنا الجوهري. ونستطيع أن ندعوها الرحلة نحو الذات، أو نستطيع القول بأنها الرحلة من الوجود الذي جعلوه عائداً لنا، نحو وجودنا.

عندما نتناول " ما هو وجود المرأة؟"، نستطيع أن نسير على طريقين. الأول، هو أن ننتقي ونقوم بتعريف الوجود الاستغلالي المتحقق على مدى خمسة آلاف عام وتم فرضه على النساء، وقبلته النساء رغماً عنهن. ' كان يجب أن يكون اليقين من جميع مضامين وأشكال مستوى العبودية الذي دخل حياة المرأة لآلاف السنين بعقل ويد الرجل المستعمِر والظالم، كان يجب أن يكون الخطوة الأولى لاجتماعية الحقائق. [33]'وبكلمة أخرى، يجب أن نخطو " الخطوات الأولى" التي بقيت متأخرة. لكي توصلنا هذه الخطوة إلى وجود المرأة الجوهري والطبيعي وعلى أساس جنولوجيتها، ينبغي أن نسير على الطريق الثاني. يجب أن نكشف الطبيعة والوجود الحقيقي للمرأة. وفي خضم هذا الموضوع فميّزتنا أنها صاحبة تاريخ طويل جدّاً. والتجارب التي خاضتها في الماضي، ووجود النساء في المجتمعات الطبيعية والنيوليتية، هي من تلك المراحل التي تمنحنا القوة.

سنسير في كلا الطريقين وسنظهر بوضوح المعاني والأوصاف الحقيقية لوجود المرأة من خلال اكتشافاتنا حول وجود المرأة. ضمن مسيرتنا على هذا الطريق، لن ننسى أبداً، سواء أكان على أساس الحرية، أو على أساس العبودية، فالمرأة هي ظاهرة الاستمرارية للوجود الاجتماعي. وجود المرأة والرجل، وكذلك التعريف الجيد للطبيعة الاجتماعية، متعلق بفهم هذه الحقيقة. تم عيش مراحل المجتمع الطبيعي المُعاشة لعشرات آلاف السنين، ضمن إطار المرأة أي المرأة الحرّة، وعندما تم تدمير هذه المجتمعات، بُنيت الحضارات الدولتية مكانها وشيّدت حقائقهم الاجتماعية أيضاً بشكل مقلوب ومعكوس ضمن إطار المرأة، أي في إطار المرأة المستعبَدَة. ومهما جرى استعبادها وتغريبها، فلولا وجود المرأة لما استمرت الحضارة الدولتية المعمّرة خمسة آلاف سنة في الوجود. ' إذا ما قمتم بسحب المرأة والعائلة بنماذجهم الموجودة حالياً من تحت النظام الحضاري، ومن السلطة والدولة فستبقى تابعة لقليلٌ من الأشياء فقط باسم النظام... فقد حمّلوا المرأة أثقل الأعباء فيما يتعلق بسحب عبء الرأسمالية. لكن بدلاً من النموذج الحالي الموجود، فهناك شكل

(33) الدفاع عن الكرد من قبضة الابادة الثقافية – مسألة الكرد والحل / عبدالله أوجلان

وطراز المرأة المتألمة، الضعيفة والمنهارة والمستسلمة، الموجودة في ظل حالة الحرب المستمرة في العمق، الذي لا ينتهي"[34].

النسوية ليست حدثاً فيزيائياً ولا اجتماعياً... والواجب الأكثر أساسية للعلوم الاجتماعية، في خضم النزول إلى منبعها هو إزالة التشويهات والانحرافات التي حصلت لهذا الحدث." وإذا ما حققت الجنولوجيا الثورة العاجلة التي تتطلبها العلوم الاجتماعية، ومثلما يوضح القائد عبد الله أوجلان فيجب بداية أن تحقق "الواجب الأكثر أساسية". فظاهرة النسوية ليست بيولوجية، هي كظاهرة اجتماعية، وما لم يتم إيجاد التعريفات الصحيحة لها، ودعْكَ من حلّ مشكلة حرية المرأة، فإنّنا لن نستطيع أن نحللها أيضاً. ما ينبغي إنجاحه في هذا الأمر " النزول إلى منابع الانحرافات الممارسة على المرأة، هو لإخراجها للعيان"[35] لهذا، ولكي نتمكن من النزول إلى منبعها، يجب أن نسير على الطريق الأول الذي أوضحناه سابقاً.

(34) سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان
(35) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

الفصل الثالث

- **تنقيب أثري (أركولوجي): 9 طبقات في 9 آلاف سنة**

نستطيع ضمن هذه الرحلة الاستفادة من توضيح القائد عبد الله أوجلان القائل، "يجب أن يتمّ تنقيب المرأة من الناحية الأركولوجية" ونستطيع أن نستفيد من توضيحه هذا،" تستطيعون أن تبحثوا الشكل الأول للمرأة، بمقارنة البحث عن المرأة ذات الطبقات التسع ضمن 9 آلاف سنة، وتاريخها الشخصي." هذه الاقتراحات التي تعبّر عن أحد جوانب الجنولوجيا، ستؤدّي دور القيادة لنا فيما يتعلق بموضوع الطرق والأساليب. بهذا المعنى فإنّ الجنولوجيا هي العلم الذي سيبحث في أركولوجية المرأة. كما يبحث نيتشه عن الحقيقة وفق مفهوم شجرة الأخلاق، وميشيل فوكو بناءً على أركولوجية المعرفة، فنحن النساء أيضاً نستطيع أن نطوّر مفهوم أركولوجية المرأة.

مقصدنا بهذا المفهوم، هو تطوير علم التنقيب بخصوص وجود المرأة وهويتها وتاريخها ويومها الحالي وصَرْحِ مشاعرها وأفكارها وجميع الأحداث المتعلقة بالمرأة. هو إخراج وجود المرأة من تحت بقايا حُطام خمسة آلاف سنة. هو اتباع الحياة التي مركزها المرأة، والمدينة والقرية وثقافة العصر الأمومي التي بُنِيت في وقتٍ من الأوقات بيد المرأة وبعقلها وذكائها العاطفي، لكن تم تدميرها فيما بعد بهجمات الرجل الحاكم. لهذا السبب فإن إخراج التاريخ يتطلب البحث في قوالب عقل الذكر الحاكم. بمعنى أنّ الوصول إلى حقيقة المرأة هي كما إزالة التراب عن الأموات. ما هي هذه الحقيقة التي يطلق عليها اسم طبيعة المرأة لكن يتم حجبها كسر؟ ما هي الخصائص الأساسية في وجود المرأة؟ للرد عن هذه التساؤلات والكثير من الأسئلة الأخرى بشكل موضوعي، يجب أن يصبح تطوير مفهوم أركولوجية المرأة أسلوباً مطبّقاً. ويجب أن يكون تطبيق أركولوجية المرأة مساراً لتطوير علم المرأة الوجودي. ويكون بالمقدور فتح العديد من المسارات الجديدة أمامنا فيما يتعلق بهذا الموضوع لأجل فهم وجودنا نحن النساء والحياة بحرية.

فلنتناول حقيقة ماري دالي التي تطلق عليها " ينبغي أن نطلق على المسافر، تسميات العصر الأبوي من ناحية". ويُقصد من هذا القول، معرفة وتحليل واستيعاب أسماء

العصر الأبوي تلك التي أُطلقت علينا رغماً عنا. أي بمعنى ما هي الأسماء التي أطلقها علينا عقل الرجل المتسلط في الميثولوجيا والفلسفة والدين والعلم؟ هناك تعاريف وضِعَت للمرأة، ضمن المراحل الواضحة من التاريخ وفي يومنا هذا. والقليل منها تلفت النظر إلى الخصائص الإيجابية. والعديد منها هي تعاريف وجود المرأة التي وجدها نظام العصر الأبوي مُناسِبة لنا، انطلاقاً من قناعة أنها موجودة في المرأة أو أنّ الله خلقنا نحن النساء بهذا الشكل. هناك العديد من الأسماء التي أطلقتها علينا الحضارة الطبقية والدولتية. وسبب فرض كل هذه التعاريف علينا، هو إيصالنا إلى وضع لا نستوعب فيه حقيقتنا، ولا ندركها ولا نذكرها. وأن لا نستطيع تعريف ذاتنا. لكن من المهمّ أن نعرف هذه الأسماء، لأنّها ستساعدنا في تعريف ذاتنا مع يومنا وماضينا ومستقبلنا.

حلّ المسائل، متعلقٌ بتعريفها الصحيح عن قرب. ويتحوّل اختلاف الوجود الذي أصبح موضوع المسألة والوجود الذي تم تحليله أو الشيء الذي يتحقق بمشكلة إلى شيءٍ مُحلل.' ويوضح تقييم القائد عبد الله أوجلان هذا، كيف ستساعدنا معرفة وتحليل هذه التعاريف التي أطلقتها علينا الحضارات الدولتية بعقل الرجل المتسلط. إنّ الإشارة إلى 'الوجود الذي أصبح موضوع المشكلة' بخصوص موضوع وجود المرأة تتقابل والمشاكل الموجودة حول المرأة. بمعنى أنه إذا كان عنف الحضارة الممارس علينا أحد جوانب المشكلة، فإن التعاريف الخاطئة لإخفاء هذا العنف وجعله غير قابلاً للفهم هو جانبها الآخر. وحتى أنه أحد أشكال العنف الأشد وطأة. ولهذا السبب فإن "وجود موضوع المشكلة" تعبّر عن إخفاء الاستغلال المفروض على عالم المرأة، بالنساء اللواتي تم استعبادهن وإطلاق التسميات الخاطئة عليهن. وكذلك عندما يعرف الإنسان تلك الأسماء التي أطلقتها علينا الحضارة، فإنه يُعتبر تطوّراً نحو " الوجود الذي تم تحليله ". إذا قمنا بتحليل هذه الأسماء، نستطيع أن نفرّق ونميّز العبودية التي فُرضتْ علينا. وبهذا التحليل نستطيع بلوغ "ذاك الشيء الذي بناه بطريقة إيجابية". بتعريف وتحليل العبودية التي فرضوها علينا سنبني الاختلاف بينها، وبوجودنا الحقيقي ... سننتقل من الشيء ذي المشكلة إلى الشيء الذي تمّ تحليله وسنعيش بهذه الطريقة، بمعنى أننا سنعيش انتفاضة "نحن لسنا هؤلاء". ومع هذه الانتفاضة، سنشيّد وجودنا وهويتنا وحياتنا الحرة.

عندما نذكر ونحصي بعض الأسماء التي رأتها الحضارة الدولتية لائقة بنا والتي أصبحت سبب انتفاضتنا "نحن لسنا هؤلاء" فسيجعل الموضوع أكثر قابلية للفهم والنظر: "الشيطان، الساحرة، العفريت، الأفعى العملاقة المخيفة متعددة الرؤوس ، تخلق قوة الفوضى والظلام ، صديقة الأفعى، المخلوقة من ضلع الرجل، جارية القصر، التي تخرج الرجل عن الطريق القويم بجمالها وجنسها، وتدفعه نحو الخطيئة وتتركه بلا قيمة، التي تثيره وتحرّضه، ' زوجة رجلها'، التي تحرّضه وتغريه بالجنس، اللعوبة والمخادعة، النمامة، الفسادة، الحسودة، الجنس الضعيف، الجنس الثاني، الرجل الناقص، الضلع القاصر، العبدة(الأمَة) الأقدم، أمَة أسواق التجارة، أداة الزينة والبهرجة، الحقل الذي يزرعه الرجل على هواه، البزق الذي يعزفه على هواه،".... التي يجب ألا يفرغ بطنها من الجراء".

سبب تعدادنا لهذا الكم من الأسماء التي تعتم قلب الإنسان، هو أن مسار الرحلة نحو الذات يكون هكذا. كخطوة ثانية لهذه الرحلة، فإننا سنعيش "الإيجابية" التي توضحها مقولة دالي " تلك الإيجابية، تم تعريفها خارج العالم والوجود السابق بطريقة العصر الأبوي، تذهب أبعد من مكان العصر الأبوي، هي حركة تذهب إلى وجود جديد ونحو عالم الوجود"، يعني سنعيش ضمن هذه الحركة. وبمجرّد إنكار تسميات العصر الأبوي يعني السلبيات. فعلى ماذا سنستند؟ بلا شك سنستند إلى تاريخنا وعقلية التاريخ. سنستند إلى المجتمع النيوليتيي الذي وجد قبل الميلاد بين سنوات 10.000 و4.000 ووصل إلى مستواه الأكثر تقدّماً بقيادة الإلهة الأم. سنستند إلى "السلطة الاجتماعية التي تكوّنت حول المرأة بشكل عضوي"[36] التي كانت رئيسية لوقت طويل جدّاً في حوالي 98% من التاريخ الاجتماعي. وقبل أن يقوم العصر الأبوي والحضارة الدولتية بتدمير هذه السلطة الاجتماعية، ماذا كنا نمثل ضمن فهم الطبيعة الاجتماعية؟ وكيف كان يتم تعريفنا؟ ومن قِبَل مَنْ؟ فهل تشابهت ألوان وأسماء وجود المرأة وتلك الأوصاف التي تعتم قلب الإنسان، التي ذكرناها سابقاً؟ عندما نعرف هذه الأمور سنقارنها مع تسميات العصر الأبوي. وعندما نرى الاختلافات الموجودة بينها، فإنها ستوصلنا إلى تعاريف بحسب تحليلنا

(36) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان

لمراحل تكوّن وجودنا. ولهذا السبب، سننظر في تلك الأزمنة قبل أن يقوم عقل الرجل الحاكم والمتسيّد بتدمير "السلطة الاجتماعية التي تحققت حول المرأة بشكل عضوي".

1- الطبقات الثلاث الأولى: عصر الآلهات

ظهرت هوية المرأة الأساسية ضمن الطبيعة الاجتماعية على شكل ألوهية، وتظهر المرأة بشكل كبير بهويتها الألوهية ضمن الوثائق التي ظهرت حتى الآن وكذلك ضمن الكثير من آثار ذلك الزمن. وقد تمّ التعبير عن وجود المرأة في العديد من الميثولوجيات، على الدوام بالآلهة المختلفة والقوية جداً. "لأن المرأة، هي القوة الرئيسية النيوليتية، وثورة الزراعة، فإن جميع الآلهة التي استمدت القوة منها هي على شكل امرأة. في العصور الأولى للسومريين والمصريين والهنود، فإنّ الألفاظ الألوهية كانت تُسبَق بسابقة لغوية أنثوية. بينما الجانب الرجولي فسيظهر متأخراً جداً." [37] وقد أصبح دين الإلهة تقديساً للمجتمعيّة المتكوّنة في إطار المرأة. "والأصح إنّ دين الإلهة، هو سمو كبير للذهنية، وتقديس إنتاجية المرأة. وجميع النتاجات الباقية من ذلك الزمن تظهر هذه الحقيقة بوجهها الأصح." [38] الطبقات الأولى العائدة ل "حقيقة المرأة ذات الطبقات التسع ضمن 9000 سنة" هي أزمنة الألوهية. يتألف هذا الزمن من 9 طبقات ثلاثة منها هي الأولى. الطبقة الأولى، هي المرحلة التي كانت فيه الإلهة متربّعة بمفردها على قمّة قوتها. والثانية هي الأزمنة التي تشاركت فيها قوتها مع الابن-الزوج-الأب الخ. وتشاركت قوتها مع إله رجل مساعدٍ لها، واستطاعت أن تبقى في توازن ضمن نضال غير آمن.

هويّة الأم/المرأة، الإلهة في عصور نينهورساغ والموجودة قبلها، هي الطبقة الأولى ضمن طبقات 9000 سنة. يعني أنها هويات المرأة الطبيعية تلك، التي تقود الحياة الاجتماعية وتخلق الأجوبة لجميع احتياجات المجتمع. 'عبادة الإلهة في العصر الحجري القديم حيث كان الانتاج الإلهي يتطوّر فيه، كانت تشير إلى أنها البركة التي

(37) من دولة الرهبان السومرية نحو المجتمع الديمقراطي / عبدالله أوجلان
(38) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

تنقل حياة الإنسان إلى التقديس. قام الفنانون بتصوير تماثيلها كامرأة عارية وحامل، رآها ونقّب عنها علماء الآثار في كامل أوربا والشرق الأوسط وشبه الجزيرة الهندية. هذه الأم الكبيرة التي استمرت أهميتها في عقل وخيال الإنسان لمئات السنين..." [39]

في الألوهية، الصحيح أن المرء يستطيع أن يطلق اسم عصر الأم/المرأة على العصر ما بين 6000 و4000 ق.م. حيث يتم تقديس التكوّن الاجتماعي الذي تحقق حول المرأة بآلاف الاكتشافات. ويطلق السومريون على هذه الإلهة اسم نينهورساغ، والبابليون يسمونها گولا باو، إنها الإلهة الأم **ستار** التي يسمّيها الكرد في ميزوبوتاميا العليا ب **ستيرك**. وفي السومرية نين= اسم الإلهة، هور= جبل أو تلة، ساغ= جزء، منطقة. وبالنسبة لميزوبوتاميا السفلى، أسفل زاغروس وسلاسله الجبلية، فإنَّ اسم نينهورساغ هو دليل على أن ثقافة الإلهة قد انحدرت من الجبال.

عندما كانت نينهورساغ إلهة منطقة جبال زاغروس كانت مرتبتها أعلى من آنكي. لكن بعدها تصبح مع الإله آنكي المخادع الذي كان بالنسبة للسومريين رمز الطبقة الحاكمة والحضارة الدولتية، واحدة من الآلهة الخالقة الأربعة (آن، إنليل، نينهورساغ، آنكي). وتمثل دور الأم التي طوّرتها الحضارة النيوليتية. المجتمع الذي يبرز حول الأم، هو اكتساب الهوية برمز الآلهة"[40] وعندما ننظر في السرد الميثولوجي السومري، نرى بأنّ المرأة التي هي الهويّة الأولى لعصر ثورة الزراعة، تمّ إمحاؤها من الأساس في شخص نينهورساغ وبعدها إنانا. "في لغة الآريين وقبل نزولهم إلى سهول فرات ودجلة، فإنّ تمثيل الإلهة التي اسمها ستار (من ثمّ عُرفت في اللغة الأكادية بعشتار)، تبرز الحقيقة التاريخية الموجودة في منبع ومصدر الميثولوجيا السومريّة. وتذكرها بوضوح كنِتاج الثورة الزراعية النيوليتية العائدة لثقافة الإلهة وقوتها، وكيف قاموا بتغييرها باللغة السومرية"[41].

([39]) تاريخ الآلهة / كارن آرمسترونغ
([40]) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان
([41]) من دولة الرهبان السومرية نحو المجتمع الديمقراطي / عبدالله أوجلان

هناك العديد من خصائص نينهورساغ: أم الآلهة، بادئة عصر الإنتاج، صانعة الأدوات، التي تعيش في مركز الكون في الجنة التي توجد فيها الشجرة الكونية، كالإلهة الأم الخالقة التي تُحيي الموتى، وتحكمها بالمصير، سيدة الأماكن البرية مثل البراري والجبال، آلهة الشجر التي شاهدوا علاقتها القريبة مع الأفاعي، سيدة المكان والحياة، إلهة البركة، قوة الولادة، الشفاء والخلود، ولدت الآلهة الثمانية التي يحبها الإنسان، ملائكة الجبال، أفندية مدينة كاش، إلهة الميادين الجبلية في الشمال والشرق، المُتحاربة على الدوام مع آنكي، بغضبها ولعناتها أحلّت ثمانية أمراض خطيرة بآنكي ولكي تشفي كل مرض من أمراضه كانت تشترط عليه خلق إلهة تحددها هي.

المرحلة ما بين سنوات 4000 و2000 قبل الميلاد هي عصر بيني وفاصل، هو العصر الذي كانت فيه قوة الرجل وقوة المرأة في توازن. وإن لم تكن آلهة هذا العصر متربّعة على قمّة قوتها بقدر الآلهة التي سبقتهم، فمازالوا يملكون الهويات الواضحة التي تعبر عن النساء. هذه هي ثاني طبقة من الطبقات التسع. في هذا العصر لم يعد رمز الآلهات التي تعتلي عرشها بمفردها يُشاهد كثيراً. وبعدها فإلى جانب الآلهات سيتم بناء إله في صورة الزوج-الأب-الابن-الأخ أو العشيق. وأزواج أفروديت-أدونيس، عشتار-دوموزي، آستارتا – بعل، هيبات-هيباتا، كيبال-آتيس، إيسيس – أوسيريس هي من أفضل الأمثلة المعروفة. لكن هذا التغيير، لا يغيّر حقيقة الإلهة الأم التي كانت لوقت طويل بقوّتها الإبداعية، المنبع الرئيسي للحياة. وتستطيع الآلهة الرجال التي اكتسبت معنىً بالأم الإلهة فقط لقرون عدّة كحقيقةٍ "بمرونة الأطفال" أن تبني ذاتها. بعض الآلهات المهمّة التي عاشت في هذا العصر البيني هي:

في هذا الوقت كان اسم الرمز الأكثر ظهوراً هو إنانا. وفي الميثولوجيا السومرية مع السنوات 3000 ق.م، فإنّ الإلهة السومرية الأولى إنانا ظهرت كتابع ل ستار إلهة الجبال التي سبقتها، على مسرح التاريخ. فالمرأة المتجسّدة في شخصية الإلهة المبدعة للزمن النيوليتيي، يُراد ابتلاعها من قِبل مجتمع سيطرة الرجل المجسَّد في شخصية آنكي. "لكنّ إنانا بنضالها الذكي لا تستسلم بسهولة وتترك الإنسان مرتبطاً

بها." [42] والصحيح أنّ إنانا، هي هوية وقوة المرأة التي كانت لدى السومريين في توازن مع الرجل، وتأخذ " إنانا" مكانتها القوية في المجتمع السومري، بعناد من متابعة دورها الرئيسي المستمد من المجتمع النيوليتي"[43]. وفي ميثولوجيا إنانا لكي يصبح الراعي دوموزي والفلاح آنكو مدي المساعد الرئيسي لها يدخلون في سباق ومنافسة. والدور الريادي الذي تستمر إنانا به واضح جداً.

كان السومريون يقبلونها كإلهة حامية لمدينة أوروك. وإنانا في الوقت نفسه هي إلهة العشق، وإلهة الحرب التي كانت أول من يحمل الفأس، وكانت مُرشدة الزواج، وهي رمز الانفراج والبركة، الجمال، الجاذبية، القوة والعلم، الرحيمة، التي تعاقب على الأخطاء، لم تكن مكانتها أقل من مكانة الرجل في الديوان الإلهي، تزيل الأمراض والشر والموت أيضاً يكون بيدها. في ديوان الآلهة، مكانة الإلهة إنانا ليست أدنى من مكانة الرجل. وخاضت مع الإله المخادع آنكي حرب ال 104 قانون التي تمثل أدوات التطور الحضاري وتمنحها قوة التحكم بالنظام الكوني، والتي هي بحد ذاتها من اكتشافاتها، (أي تقنية العصر النيوليتيي التي خلقت بجهد المرأة) وتسيّرها، ونتيجة هذا النضال تكسبها مرة أخرى.

في عصر التوازن السومري، حارسة العدالة الاجتماعية الإلهة نانشا، كانت وظيفتها محاكمة البشر مرة في السنة على أساس حركاتهم الجيدة والسيئة، وتصدر الأحكام بحقهم وتعاقبهم. نانشا في الألواح السومرية هي إلهة "اليتامى والأرامل، وتعرف ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، أم اليتامى، تحمي الأرامل، وتعرف حق الفقراء، مهما كان من يلجأ إليها فبابها مفتوح لهم، ولية أمر كل الضعفاء. وأيضاً يُقال أن الإلهة نانشا كانت تعرف الذين يخالفون القوانين، ولا يتبعون التقاليد، ويخرقون المواثيق، وينظرون برغبة إلى أماكن السوء. ويتم تعريفها بالتي لا يعجبها الذين يضعون الأوزان الصغيرة بدل الأوزان الكبيرة ضمن مقاييس الوزن، ويستخدمون المقاييس القصيرة في مكان الطويلة، ويأكل ما ليس له ولا يقول " أنا أكلت"، ويشرب ولا يقول " أنا شربت".

([42]) من دولة الرهبان السومرية نحو المجتمع الديمقراطي / عبدالله أوجلان
([43]) من دولة الرهبان السومرية نحو المجتمع الديمقراطي / عبدالله أوجلان

هذا التوازن الموجود في المجتمع السومري، انهار مع مرور الوقت ضد المرأة، لكن حتى سنوات 2000 ق.م، فإن النضال بين الإلهة والإله كان في حالة تكافؤ. في تطوير أركولوجية المرأة، سنبحث كل عصر بألوانه الخاصة. هذا العصر الذي هو عصر المرأة بالمناصفة، يملك العديد من الخصائص الخاصة.

إحدى هويات المرأة في هذا العصر، ضمن الميثولوجيا الأكادية هي الإلهة عشتار. هذه الإلهة كانت الأكثر مكانةً وقيمة لدى الآشوريين والبابليين. وعشتار بالأساس هي إلهة الجبال والزراعة في العصر النيوليتي. ومهما تكن إنانا في الميثولوجيا السومرية فإن عشتار تضاهيها في الميثولوجيا الأكادية. وتُعرف **عشتار** بـ **ستيرك** و**ستار** أيضاً. هي إلهة الحرب والعشق التي في السماء. وبعض صفاتها المعروفة هي، ربة بيت الآلهة، إلهة البركة، وإلهة القوة الجنسية. هذه المقولات التي قيلت في عشتار 2000 ق.م تفسّر بوضوح وإلى أبعد حد معنى الإلهة في الحياة الاجتماعية، **"** الإلهة**!** تملك حق اتخاذ القرار، مصير كل الأمور بيدها، صُنع من نظراتها، الفرح والسعادة وحماسة الحياة والحشمة وقوّة الخلق والإبداع في المرأة والرجل.**"** (44)

ميترا من الآلهات الأقدم لدى الآريين، هي إحدى أكثر الآلهات التي تمّ تقديسها. يتناول زرادشت في كتابه زند آفستا، الإلهة ميترا في ياشتا طويلة جدّاً . وتُذكر صفات ميترا كالتالي، إلهة الشمس، تحمي المواثيق والمعاهدات التي بين القبائل والجماعات وتعاقب كل من يحاول خرق هذه المواثيق، واهبة الحياة، المحاربة، التي تعبّر عن معنى الخير، الصديقة، وحامية السلام. هي التي ترى كل شيء، حامية الحقيقة والحيوان والحصاد والماء.

ساوشكا، هي إلهة الحرب لدى الهوريين وكان يتم تصويرها بالفأس أو بالرمح. كما أنّها الإلهة القديمة في إيران أو الإلهة الرئيسية في زمن العقيدة الزرادشتية، **آردفي سورا آناهيتا** التي كانت تأتي بمعاني السامي والعالي، القوي، الغامض أو الروح البطلة التي لم يتم تلويثها. كانت تُسمّى بهويتها الدفاعية كـ ماء الحياة، والأم الذهبية لتدفق الحياة. وامتلكت أهمية كبيرة. الإلهة التي كانت تحمي الأبطال والقادة، تهبُ

(44) المرأة أمام الأديان التوحيدية / فاطمة غول باركتاي

الحياة والنصر، كانت تركب عربة بأربعة أحصنة ترمّز للريح والمطر والغيم والبَرَد. كانت على علاقة مع الشجرة السماوية التي كانت تنمو في بحر فوراكاشا. **هاومايا**[45] المنبع الذي يهِبُ الحياة والخلود الأبدي الذي كان يأتي من هذه الشجرة. والإلهة التي كانت تعطي في الوقت نفسه الإلهام الروحي والقوة والانتصار. بعض رموز **آردفي سورا آناهيتا** التي كانت تتناوب على الخلق هي الثور، المشعل والنار.

وفي الهند الإلهة **ساراسفاتي** هي زوجة الإله **براهما** روح وجوهر الكون، هي إلهة البحيرات والمياه. وهي في الوقت نفسه على علاقة بالموسيقا وعالمة أيضاً.

گولا كانت لدى الآشوريين إلهة الشفاء. وكانت تُعتبر كإلهةٍ للموت وإعادة الإحياء.

كيبالا: وبالأخص في منطقة الأناضول الوسطى والبحر الأبيض، هي إلهة البركة والولادة، الإلهة الرئيسية، الإلهة الأم، المثلية الجنس، الجذابة، ربة الحيوانات، وإلهة الحرب والسِلم، ورمز الوصف الكوني للطبيعة وكامل الأحياء والبرية.

هاتور، نجد آثارها في الأماكن الأكثر قدماً في مصر. لهذا السبب يُعتقد بأنها من الإلهات الأقدم في مصر. يُعتقد أنّها كانت تُعبَد في إطار قدسيّة البقرة أو الثور حتى 2700 ق.م، وفي زمن الملكيّة الثانية وحتى زمن ملكيّة العقرب (الملك العقرب- الذي يمكن أن يذهب حتى 5000 ق.م). هاتور هي إلهة البرية رمز العشق، والجمال، والخمر، والموسيقا، والجنس والحرب والقوة. وهي في الوقت نفسه حامية المناطق البرية. السيّدة الأولى لمدينة دندرية، وهي عين الإله **رع**، التي تجول كامل الوطن، وتقوم بالحراسة، وهي مُساعِدة **رع**.

إيسيسا ابنة إلهة السماء **نوت** وسيّدُ المقولات الإلهية **توت**، ويُقال بأنها كانت موجودة قبل أن يوجد أي شيءٍ آخر[46] الإلهة الأكبر في مصر. أسماء **إيسيس** في

(45) المرأة أمام الأديان التوحيدية / فاطمة غول باركتاي
(46) يوم كان الرب أنثى / مارلين ستون

اللغة المصرية القديمة هي، آسيت وآسي. اليونانيون القدامى أطلقوا عليها اسم إيسيس. في الكتابة الهيروغليفية الرمز التصويري (ايدوغرام) لاسم إيسيس هو لوح. إيسيس هي في الوقت نفسه خالقة، وشقيقة وزوجة الإله الرجل **أوسيريس**. هي رمز وحامية الأمومة ومؤسسة العائلة. هي سيّدة الأقوال الإلهيّة كوالدها. وحاكمة على قوى الطبيعة، وتدبرها، وسيّدة النتاجات الخضراء ورمز السماء... نحن نتعلم من الميثولوجيا أنّ علم الطب لدى **إيسيس** كان قوياً وعلّمته لابنها **حورس** أيضاً. وتُعرف بالأم المانحة للحياة، وآكلة الموت، وتُعرف بأنها الساحرة والمحبّة لجميع الأحياء. **إيسيس** هي التي تحكم الريح والمطر والأنهار والسفن والقوارب، وهي حاكمة المياه كلها.

الإلهة الأخيرة في زمن التوازن هي **تيامات** رمز استصغار المرأة، وتشويهها، وإظهارها بدون فضائل، وإبراز هويتها بشكل سيء. اسمها الآخر هو الأم هوبور. إلهة البحر تيامات، موجودة قبل كل شيء، تتواصل مع إله الماء العذب آبسو، ويولدون كل شيء وضمناً الآلهة. والدة الأفعى متعدّدة الرؤوس والمخيفة التي تريد أن تخرّب نظام الكون، وقوة مظلمة تنتج الفوضى، خالقة وأمّ كلِّ شيء في الكون، خلقت الآلهات وقوة الكون برمته، بما فيها الأرض والسماء.

تمّ قتل تيامات من قبل مردوخ 2000 ق.م. بهذا الشكل وبعدما كانت الإلهة متربّعة بمفردها في قمة قوتها، انتهى عصر التوازن ذاك الذي حققته الآلهات بنضال كبير. بعد موت تيامات، تتطوّر المرحلة التي يعتلي فيها الآلهة الذكور بمفردهم عرش ألوهية الأم خطوة بخطوة. ولم يعد ممكناً أن يرى الإنسان الإلهات بمفردها. وباتت تُرى كإحدى أعضاء مجمع الآلهة (البانتيون) إلى جانب العديد من الآلهة التي تتم عبادتها وتقديسها، لكنها فاقدة للكثير من قوّتها وجمالها واسمها ومعانيها. في مقابل محاولات تأسيس السلطة الأحادية للآلهة الرجال، ومنذ 2000 ق.م وحتى الميلاد، ناضلت النساء بشكل كبير خلال2000 سنة. ويعبّر هذا العصر عن الطبقة الثالثة. إنه العصر الذي تكافح فيه النساء في وجه سلطة الذكر، وفي النهاية تنهار إما بالقتل أو بإبعادها عن قوّتها وهويتها.

في يومنا هذا، ضمن مرحلة إنشاء عبودية المرأة التي يتم فرضها كوجود للمرأة، رغم الطبيعة والهوية الحقيقية للمرأة، فإنّ رغبة تقبّل هذه العبودية التي أُرْغِموا عليها تحققت في الطبقة الثالثة. واضحٌ أنّ أركولوجيا المرأة ينبغي لها أن تبحث هذا العصر بشكل مفصّل. فهذه الطبقة الثالثة هي العصر الأخير من عصور الآلهات، إنّها بداية انهيار الهوية الاجتماعية المتكوّنة حول المرأة، وكذلك إبعادها عن طبيعتها الجوهرية وتغريبها. يتم استلام الذهنية الحرة للمجتمع بالهجمات الفكرية، ومن ثمّ يتم أسر المجتمع بكافة مؤسساته. إنّ خسارة وفقدان الألوهية التي كانت رمز هوية المرأة الحرة، والاستيلاء على القيم الحياتية المتكوّنة حول المرأة قامت بالدور الرئيسي في هذا الأمر. وتمّ احتلال المجتمع القائم على وجود المرأة القوية والحرّة، بالبناء الاجتماعي على أساس هوية المرأة الأَمَة (العبدة). لأنّ وجود وهوية المرأة، تطوّرت بالأصل بشكل متداخل مع المجتمعيّة، فقد تم تغيير الوجود الاجتماعي مع وجود المرأة ضمن تأثير متبادل.

كما وُجدَت الآلهات التي خرجت ضمن هذه المراحل وكان لها تأثيرها الكبير في الحياة الاجتماعية. ومهما تمّ استبعادهن عن الخصائص الواضحة لقوتهن، وأرغمن على الزواج دون رغبة، وغضبن أحياناً لقلة حيلتهن وذرفن الدموع وأردن أن تُحطّ من هويتهن بإصرار وينتقص جمالهن الفيزيائي والأمومي والجنسي، فإنّ هذه الآلهات، كان لهنّ أكبر الأثر في الحياة الاجتماعية. وكنّ محبوبات وتمت عبادتهن. "خلال سنوات 500 م، وحتى عندما أغلقت الامبراطوريات المسيحية لروما وبيزنطة المعابد الأخيرة للآلهات، فلم تُقمع هذه العبادة بشكل كامل." [47] أراد المُعتقد الاجتماعي تبنّي الأم الإلهة بمحبة هذه الآلهات.

ديمتر، في الميثولوجيا اليونانية هي إلهة الزراعة والبركة والفصول وحب الأم، وربّة المنزل ذات الضفائر الجميلة، التي علمت البشر زراعة الأرض.

أفروديت، لم يتم إيجاد مراكز العبادة الأقدم لأفروديت في القارة اليونانية. فقد خرجت أفروديت بعد الجيل الأول لِزيوس. وهناك شكّ فيما إذا كانت أفروديت

(47) يوم كان الرب أنثى / مارلين ستون

يونانية أم لا. وتُعتبر الرؤية التي ترى بأنّ ديانة أفروديت هي تحميلٌ لديانات عشتار وإنانا عن طريق الفينيقيين نحو الحضارة اليونانية، منطقية أكثر. يعني هناك احتمال كبير أن تكون إلهة يونانية من أصلٍ شرقي. والرؤية التي تذكر أنّها إلهة الطروادبين تؤيّد هذه النظرة. ويُطلق عليها، إلهة العشق والجمال التي صُنعت من زبَد البحر في سواحل قبرص. إلهة الحيوانات البرية، التي تحكم الأرض والسماء والبحار، وفي كلِّ مكان تخطو فيه تتفتح الزهور في دربها، كما تُسمى بالسبب الأول لبركة النباتات.

نينهورساغ، إنانا، عشتار، تيامات، كولا، كيبالا، إيسيس، هاتور، ديمتر، أفروديت، آستارت، آناهيتا، أفراكات، يامانجا، أويو، ماو-ليسا، أولوكون، العزة، آرينا، هيبات، باندبس، ساراسفاتي، كالي، تارا، كوان، يين... تصِفُ كلّ واحدةٍ منهن وتعبر عن حقيقة حرية وجمال المرأة. وتتحكمن بالنظام الكوني، وقوى الطبيعة، والنمو والإنتاج، والولادة، والموت والولادة من جديد بأجسادهن. ومن غير الممكن كثيراً أن نقيّم هنا حدث الألوهيّة المُعاش خلال كامل تاريخ الإنسانيّة، في خضم جغرافيا وثقافات مختلفة، كرمز لهويّة المرأة القويّة وصاحبة القيم، التي خلقت موروث المرأة، وتملك مكانة دائمة وخالدة في الذاكرة الاجتماعية.

وسط هذا العدد الكبير من الآلهات، التي تملك كلّ واحدة منهن عدداً كبيراً من الأسماء والهويات، فمن الصعب جدّاً أن نعطي مكاناً لها هنا، كما لا توجد حاجة ملحة لذلك. لكننا أعطينا الأسماء والألقاب الأكثر وضوحاً بالخطوط العامة والتي ستعطي فكرة بخصوصهن جميعهن. وهدفنا من التعبير عن هذه الأسماء، هو إنكارنا بخصوص التسميات الأبوية التي أوضحناها في الأعلى وتطوير الإيجابية من السلبية، هو تحقيق أفق. ورغم الأوصاف والصفات، والأسماء والتعاريف اللا محدودة، فقد أنزلونا إلى عددٍ محدودٍ من الأوصاف وأسماء وتعاريف تتعارض مع أوصافنا. لذا أردنا أن نشير إلى هذا الظلم الكبير. وهو في الوقت نفسه فكر وذهنية قتل الغنى والتنوع والحيويّة. وكلّ اسم يطلق على الآلهات، يُعبّر عن خصائص الحياة والكون والطبيعة الاجتماعية وأوصاف العلاقة الدياليكتية فيما بينها. وتشير إلى عمق وجذور علاقة الحياة والمجتمع والمرأة. فما هو رابط هذه الحقيقة بوجود

وهوية المرأة؟ ما هي مكانتها ضمن الرحلة التي نقوم بها نحو الوجود الحقيقي للمرأة؟

تُعتبر هوية الألوهية مهمة ضمن بحث ومحاولات تعريف وجود المرأة. لأن الثقافة الألوهية قد أعطت الشكل لوجود وهوية المرأة لوقتٍ طويل جدّاً. وقد أصبحت الشكل الأكثر وضوحاً لوجود المرأة. ولم تخرج من ذاكرة المجتمع حتى يومنا هذا. "الألوهية هي في الأساس التعبير عن خصائص المرأة التي أنجحت الثورة النيوليتية. المعرفة الأساسية للإنسانية مخفية في أعماق النيوليتية حيث خرجت من هناك وتطوّرت... هي المنطقة الأكثر أساسية من أجل ظهور ثقافة الأم والإلهة."[48] وتسرد هوية الإلهة، التي هي إشارات تلك الأزمنة إلى مكانة المرأة ضمن المجتمع وكيف صانت نفسها ومجتمعها وولدته وتبنته، وجعلت الحياة موجودة، هي رمز الإثمار والإنتاج وقوة المرأة. " يقول البرفيسور هنري فرانكفورت في كتابه المسمّى (قرَابَة الآلهة) الذي نُشر في 1948 "الآلهة هي الوجود الأكثر بروزاً في ميزوبوتاميا' وتستمر بهذا الشكل ' لأنّ المرأة كانت تعتبر كمنبع ومصدر الحياة. وكذلك فإنّ الله يأتي من عرقها وأصلها، وكان يتم تعريفه كابن لها. وضمن مراسم الزواج المقدسة فإنّ القيادة كانت من بدايتها وحتى النهاية بيد الإلهة. وفي الحالة التي يكون فيها كل شيءٍ في الكون في فوضى عارمة، فإنّ تيامات المرأة هي الرائدة، وآبسو هو مكمّلها الرجل. "[49].

لهذا السبب، فإنّ تاريخ المرأة ذي ال 9 طبقات، التي أرادوا أن يبقوها في أسفله ويجعلوها منسية، تم إنكاره، لذا فإنّ إظهار الهوية الألوهية التي هي البداية السليمة للتاريخ النسوي، هو أمر مهمٌّ جداً. وإنه لمن المهم جداً أن يعرف الإنسان بأنّ عصر الآلهات لم يكن أسطورياً ضمن التطور نحو وجود وهوية المرأة الحرة. حيث توجد الحرية والمقاومة والمآسي والجهد الخلّاق ضمن الطبقات الثلاث للآلهات. ويستطيع الإنسان أن يقرأ هذا الأمر من الميثولوجيا ومن الكتب المقدّسة للأديان التوحيدية. فكلّ مرحلةٍ مختلفة من مراحل هوية المرأة هي موضوع بحث معمّق ومفصّل.

([48]) من دولة الرهبان السومرية نحو المجتمع الديمقراطي / عبدالله أوجلان
([49]) يوم كان الرب أنثى/ مارلين ستون

واعتباراً من سنوات 2000 ق.م فإنّ ثقافة الخجل وتشويه حقيقة المرأة بدأت تنتشر. " فيما يتعلق بالمرأة ضمن ثقافة الشرق الأوسط يُعتبر هذا التغيير الكبير الأوّلي، ثورة الانكسار الجنسي الكبير الأول المضادة".[50] وضمن هذا الزمن فهناك آثار خلقها الانكسار الجنسي الأول في هويات المرأة. وبعد هذه المرحلة، ستقوم السلطة القاسية جداً للعصر الأبوي، برمي النساء خارج الحياة وكافة الميادين الاجتماعية، عبر ترميز الآلهة الرجال. "لم يكن ظهوره تلقائياً كاسم ظهر حسب جميع التخمينات في سنوات 2000 ق.م، بل هو نتاج الثقافة المشتركة والعميقة الموجودة في أساسها. وعن طريق الترميز (تم الاستيلاء على اقتصاد البيت العائد للمرأة الأم من قبل الرجل الظالم والمخادع) جعلوا ثقافة الرجل المتسلط إلهية. وباتت أسماء الأم الإلهة الرئيسية التي تسمّى ستار باللغة الآرية، وإنانا بالسومرية، وكيبالا بالحيثية، وعشتار بالسامية، وكالي بالهندية، تنطفئ رويداً رويداً وتنمو الآلهة الرجال وتكبر أسمائهم. خلال سنوات 2000 ق.م وعندما حطّوا قيمة المرأة من الناحية الاجتماعية، فإنّ هزيمتها واستصغارها ظهر من الناحية الثقافية واللغوية أيضاً. وتأتي عبودية المرأة كجنس قبل عبودية الرجل والقبائل في الثقافة المادية والمعنوية للحضارة. والأصح فقد تم فرض عبودية عميقة ومفصلة على المرأة وباتت محكومة بمكانةٍ منهارة ومستصغرة ومحتقرة ومقطوعة الأنفاس وملعونة وموبوءة كعبوديةٍ في أسفل طبقات المجتمع"[51].وتترك هذه المرحلة، آثاراً عميقة في تشكيل وجود المرأة. ومع تطوير أركولوجية المرأة، سيصبح بحث هويات المرأة خلال مرحلة ال 2000 سنة هذه، أي الطبقة الثالثة ضرورة ملحّة.

2- الطبقة الرابعة: ليليت

أثناء خوض غِمار مرحلة التغيير السلبي هذه، فإنّ المحاولات المنظمة للأديان التوحيدية، لجعل المجتمعيّة المتكوّنة حول المرأة منسية، أصبحت مؤثرة بشكل كبير. وهكذا تم عكس وقلب الآثار والرموز المتبقية من تلك الحِقب وتشويهها وأرادوا أن يزيلوها من جذورها. هذه المحاولة هي في نفس الوقت تخريبٌ للذاكرة

([50]) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان
([51]) الحضارة الرأسمالية- عصر الحكام العراة والآلهة غير المقنعة / عبدالله أوجلان

الاجتماعية أيضاً. وفي النتيجة ما أرادوا أن يجعلوه منسياً بالنسبة للإنسانية هي تلك الأزمنة والحِقب التي أصبحت فيها المرأة قوية بقدر دخولها الطبقة الإلهية. تتبع أهمية مراحل الأديان التوحيدية ضمن تاريخ المرأة، من أنها قامت بعد زمن بنسج ثقافة المنع والعيب والتعتيم والتشويه حول هوية المرأة. وقد جعلت هوية المرأة بحد ذاتها موضوعاً يُسْتحى منه. وجعلت الهوية النسوية المصدر الأساسي لجميع الهجمات المنظمة والمؤدلجة. وربطت العبودية التي فرضتها على المرأة بالأوامر الإلهية، وطوّرت مفاهيم استسلام المرأة بشكل فكري، وكذلك زرعت ضمن المجتمع الإيمان بأنّ المرأة ضعيفة وسيئة وصديقة الشيطان. ويُعتبر دور الأديان التوحيدية هنا هامّاً للغاية.

بعد هدم دين الإلهة، وُجِدَت هويتان واضحتان للمرأة في المصدر الديني ضمن مرحلة خلق الأحكام المسبقة. وتُعبّر هذه الهويات في الوقت نفسه عن الطبقتين الرابعة والخامسة ضمن الطبقات التسع. وهاتان الهويتان هما من إبداع عقل الرجل المتسلط. وضمن الطبقة الرابعة فأوّل ما تم خلقه من هذه الهويات هي ليليت، فإحدى هويات المرأة التي يُكتب عنها بشكل كبير، ويتم إعطاء الشروحات بصددها ويريدون إخفاءها هي هذه الهوية. وُجِدت ليليت للمرّة الأولى في ملحمة كلكامش، على شكل روح شريرة مسيطرة على الليل والعالم السفلي تحت الأرض. وفي الميثولوجيات السومرية والبابلية والفارسية كانوا يعتقدون أنها مصّاصة دماء، ونهاية جميع الأجساد، وهي البومة التي تنعق، والأفعى والكلب. كانت ليليت في العصور الأولى حسب الاعتقاد السومري اليد اليسرى للإلهة إنانا، ووظيفتها جلب الأفاعي لمعبد الآلهات. لتتحوّل ليليت فيما بعد ضمن الميثولوجيا السومرية إلى لاماشتو. وهو عفريت ذو ريش وجناح ومخلوقٌ مرعب، يقتل الأطفال والنساء الولودات حديثاً، ويجهض النساء الحاملات، ويشرب دم الرجال ويأكل لحمهم. هو حيوان يعيش في جذر شجرة إنانا (هولوبا)، هو عفريت يُذكر باسم ليلاك أيضاً، ويأتي كلكامش للتدخل في أمرها أيضاً. في 2400 ق.م، وتُعرف ضمن شعوب ميزوبوتاميا باسم الإلهة لِيل، إلهة الريح والعواصف المدمّرة، وتُعرف لدى البابليين بأنها روح الريح والشهوانية.

وتُعتبر ليليت حسب الاعتقاد اليهودي والمسيحي، المرأة الأولى التي تم خلقها مساوية لآدم. هي أنثى متمرّدة لأنها ادّعت بأنها مساوية لآدم، لذا رفضت خدمة آدم، وإما أنها طُردت من الجنة أو هي تركت الجنة من تلقاء نفسها. هي المرأة التي لم تتنازل لآدم ولله، هي متحدة مع الشيطان واختارت أن تكون شيطانية. يقوم الله، بناءً على طلب آدم، بدعوة ليليت إلى الجنة مجدّداً، ويهددها بقتل أولادها ما لم تأت. لكن ليليت لا تتخلّى عن عنادها وتصرّ في قرارها فيقتل الله أولادها. ولكي تنتقم ليليت فإنها تدفع بحواء نحو الخطيئة وتجبرها على أكل الفاكهة المحرّمة، لهذا يقطع الله يديها ورجليها. لكنّ انتقام ليليت لم ينتهي بعد، فتأكل أولاد آدم وحواء، وتؤذي النساء الحائضات، وتغوي الرجال عن طريق الجنس ومن ثم تقطعهم إرباً إرباً.

وتحتل ليليت مكانها ضمن العديد من ثقافات الشعوب وبأسماء مختلفة حتى يومنا هذا. هي إحدى هويات المرأة التي يُهاب منها ويحمون أنفسهم منها بأشكال عديدة. هذا الدفاع الأكثر تأثيراً ومهما يكن رمزياً فهو كاستخدام المواد الحديدية وبالأخص الإبرة. وتشير جميع هذه المقولات إلى أنه وخلال حِقبة الرغبة بتدمير الإيمان الإلهي، فإن ليليت امتلكت الخصائص الأكثر قوة لهوية المرأة الإلهة المناضلة والمقاومة. وهي كذلك رمز حقيقة الدفاع عن الهوية النسوية، ولا تخضع لتهديدات وهجمات سلطة الرجل المهيمن، المؤسَّسة بشكل قوي، وتم لعنها من قبل النظام الأبوي بالشيطانية، كما تُركت خارج النظام بهوية مخيفة جداً. ومهما كانت ليليت ضعيفة في حقيقتها، فهي هوية رمز طاقة الأنثى المستمرة إلى يومنا هذا. والتي طوّرت خصائص هوية المرأة المتمرّدة، المقاومة، والمميزة لجنسيتها ودفاعها الجوهري. وسبب إظهارها مرعبة بهذا القدر، هو رفض اقتراحات قوة الرجل المتسلط للوفاق معها، بقدر مشاركة السلطة معها ضمناً، ورغم بقاءها وأولادها خارج النظام وكذلك رغم أنها تعطي المقابل وتدفع الثمن لكنها لا تتنازل أبداً وتبقى بشجاعتها وقوانينها.

واضحٌ للعيان أن العصر الأبوي يريد بواسطة المسارات الميثولوجية والدينية والفنية والتخمينات، بخلق شخصية ليليت أن يؤكد تلك الرسالة ويثبّتها في الذاكرة الاجتماعية، وعليه وضمن النظام الجديد فإما أنكن ستبقين الجنس الثاني بعد الرجل،

وتتقبلن العبودية، و ترموا من ذاكرتكن ذكريات تلك الحقب القديمة، أو ستصبحن شيطان هذا النظام. كم هو لافتٌ مدى التشابه مع ما يحدث في يومنا هذا. " فأنتِ إمّا ضمن النظام أو أنتِ إرهابية!" وتكتسب هذه الذهنية جذورها من الحرب الدائرة بين الله وليليت. والأصح هو أنّ المشكلة بين الله وليليت. لكن الزمن تغيّر، خلق الله إنسانين، امرأة ورجلاً، واعتلى عرشه في السموات في منزلة لا يمكن الوصول إليها. وخلق البشر الذين ينفذون الأوامر الإلهية واحداً واحداً من التراب. لكنّ الصحيح هو أن انتفاضة ليليت هي في وجه هذا الخلق، للإله الذي أدار هذا الخلق. لأنها هوية للمرأة التي تحمي حيوية الهوية الإلهية. هي إلهة بقدر رفضها لوجود المرأة المتشكل بأمر إله ذكر. أساساً وقبل ظهور الأديان التوحيدية، فقد كانت ضمن الثقافات المختلفة إلهة الريح والعواصف المدمّرة. لكنّ ليليت في أصلها، ورغم هزيمتها وخسارتها للألوهية، فهي أيضاً رمز مقاومة المرأة التي تريد أن تحمي قوة هوية المرأة، ولا تريد أن تُخضع وجود المرأة لأمر الإله رمز عقل الرجل المتسلط.

في العصور التي تم إضعاف قوة الإلهة فيها وخُلِقت الآلهة الرجال، ووُجدَ التوازن فيما بينها، فإنّ عقل الرجل الحاكم استهدف خلق العنف والتناقضات ضمن هوية المرأة. وتتطوّر آثار هذه البداية في الميثولوجيا. الإلهة إنانا وأختها أراشكيكال هن رائدات ثنائية ليليت وحواء. أراشكيكال، في الميثولوجيا السومرية هي إلهة البداية التي يتم اغتصابها ورميها تحت الأرض، وتتضارب خصائصها وأختها أم الإلهة إنانا. أراشكيكال لم تكن تقود الخير والفضيلة أو النقاء، بل تقود الموت والألم، كانت تعيش تحت الأرض وكانت مخيفة، ولم يحبّها أحد، ولم يعبدوها. وخلال هذه الأزمنة كانت ليليت اليد اليسرى لإنانا، ومن ثم يتم تعريفها كحيوان وحشي أو جن يعيش في جذر شجرتها، ويتم طردها بمساعدة رجل هو كلكاميش. ثنائيات إنانا وأراشكيكال، إنانا وليليت، ليليت وحواء، هي أسماء رمزية للنظام الأبوي والتي تم فرضها على هوية المرأة في أزمنةٍ مختلفة باستراتيجيات متعددة الجوانب. والأصح أنها تُعبّر عن الانكسارات الجنسوية المطبّقة ضد المرأة، على أساس إظهار جسدها وجنسيتها بشكل سيء. الأولى هي تلك الأزمنة التي كانت الميثولوجيا حاكمة وسائدة فيها، والثانية هي هويات المرأة التي أخرجت تلك الانكسارات مع ظهور الأديان

التوحيدية. ليليت وحواء ومن قبلهن إنانا وأراشكيكال. لأن إنانا كانت قوية، لذلك تطوّر الشر بالأكثر على أراشكيكال، ومن ثم على ليليت.

شخصية المرأة هذه التي خلقها عقل الرجل المتسلط، أخذت مكانها ضمن ميثولوجيات العديد من الشعوب وبأسماء مختلفة ووصلت إلى يومنا هذا. ففي ميثولوجيا الكرد هي الملاك، والساحرة، وجاثوم الليل، ولمياء وليلى. وفي الميثولوجيا التركية هي آلتاي، تتار، ياقوت، وعند المغول هي آل آنا وكونجولوسو أو كول إلهة الشر. والتي ترتبط بها أباليس روح الشر. وفي اعتقاد الشعب التركي فإنّ آل تعبّر عن رمز الشر، الحرق، الخداع، المراوغة والتضليل. وتمتد جذورها حتى عصور ما قبل التاريخ. وفي ثقافة السلافيين تظهر باسم آلا (هالا)، وهي شيطانة أنثى، تدمر الكروم والحقول بالبرق والغيوم، وتبرز كلمة آل ضمن ثقافة شعب القفقاس والفرس والكرد والروس أيضاً. وفي اللغة الأرمنية فإنّ ألكا، تعرف كشبح غاضب. وتُعرف آل كما في اعتقاد شعوب الأناضول، في الكثير من الميثولوجيات كوجودٍ (كائن) يسبّب المشاكل المتعلقة بالولادة، وللحماية منها يضعون إبرة عند رأس الأطفال والنساء الولودات حديثاً.

في الكثير من الصور التي توجد فيها ليليت، يتم إظهار جزءٍ من جسد ليليت كأفعى. أو كأفعى كبيرة ملتفة على جسدها. في الميثولوجيا فإن الأفعى هي رمز العديد من الآلهات ومن ثم أصبحت رمزاً لربات البيوت. وعندما نأخذ هذا بعين الاعتبار، تظهر الكثير من الدعائم والأدلة التي تجعلنا نفكر بأن علاقة المرأة والأفعى ذات معانٍ مختلفة. وضمن هذا الموضوع توجد شخصية مهمة سنتناولها وهي شاهماران (ملكة الأفاعي). وهي رمزٌ بالغ الأهمية في الثقافة الكردية. الجزء الأعلى من جسدها امرأة، والجزء الأسفل منه هو أفعى. هي ملكة كل الأفاعي. هي شخصية ذكية ومحبة للخير ورئيسة الحيوانات والمخلوقات الخارقة للطبيعة التي لا تشيخ أبداً. وهكذا يُعتقد أنه حين موتها تنتقل روحها إلى ابنتها. وإنّ صفاتها المعرفية العلمية وخصائصها الشفائية والتي تحفظ التوازن الطبيعي والرحيمة واضحة للعيان في الكثير من القصص الكردية. وداخل كل بيتٍ كردي توجد صورة لشاهماران، وهذا يدل على المعنى المهم الذي تمثله لهم. تعتبر الأفعى السوداء مقدسة ضمن

المعتقدات العلوية والإيزيدية لدى الكرد، ويمكن أن تكون هذه القدسية متعلقة بشاهماران. تعيش شاهماران بعيداً عن نظام الحضارة وعن الإنسان المتعلق بها. ويتم قتلها بخيانة الرجل الذي شاركته علومها وأسرارها. لذا فهناك حاجة ماسّة لأن يتم تحليل هذه البطلة الميثولوجية الكردية، والمتعلقة ب ليليت، بشكل معمّق على أساس إضفاء المعنى على علاقة المرأة والأفعى.

3- الطبقة الخامسة: سيدة الضلع

تبدو ليليت، كهوية للمرأة التي لا تفلح، وتظهر بأنها لا تستسلم للنظام، لهذا وضدّ ليليت التي رفضت دعوة العودة إلى الجنة، وكي لا يبقى آدم بمفرده، فقد خلق الله له من ضلعه شخصية حواء. ردَّ الله على انتفاضة ليليت بمعاقبتها وجميع الإناث اللاتي تخلقن نساءً. المرأة "تم نسيانها وكأنّ الله لم يخلقها"[52] ولا خُلقت من تراب، بل خُلقت من جزء من جسد الرجل، من ضلعه الأعوج. وبعد تجربة ليليت ذات المشاكل، فقد تمّ النزول بالمرأة ليس أدنى من الله فقط، وبل وإلى منزلةٍ أدنى من الرجل، وأصبحت إنساناً من الطبقة الثانية بحيث تكون أنثى منسجمة ومطيعة. وقد أوجد عقل الرجل المهيمن، شخصية المرأة هذه في ظل عدم التطاول على الأمر الإلهي. لكنّ هذا الوضع وكما يُظن ليس بداية تاريخنا النسوي، بل هي الطبقة الخامسة.

ليليت التي جعلت روح الألوهية مُعاشة، تجدُ طريقاً أخرى وتحقق انتفاضة جنسها في وجه الله. تتحالف مع الشيطان على شكل أفعى وتجعل التفاحة المحرّمة تؤكل. وهذا ما جعل حواء وآدم يأكلون من شجرة المعرفة ويتعرّفون على ذواتهم وجنسهم. والصحيح في هذا السرد يشير إلى انتفاضة هوية وثقافة الأم الإلهة في وجه جميع صيغ وأشكال الهوية والوجود والإبداعات التي فرضتها عليها السلطة الذكورية، رغم الهجمات الفكرية والجسدية التي استهدفتها. وفي كلِّ فرصةٍ تراها أيضاً فإنها تريد تفعيل ذاتها مجدداً برموزها وقيمها (الأفعى والشجرة، رمز الألوهية) وجنسويتها وقوة عقلها. لا تتنازل الآلهات بسرعةٍ لله وللعقائد الإلهية التي انبثقت

(52) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

منها. لهذا السبب فإنّ عقل الرجل المهيمن الذي يرى بأن شكل الفكر الميثولوجي يبقى ناقصاً، سيخلق الأمر الإلهي لكي يُخضع وجود المرأة لاختبار صعب، وليقوم باستغلالها وإظهارها من كافة الجوانب. لذا فإنه يجعل من النتائج التي تتمخض عن كل انتفاضة للمرأة أساساً له. ويطوّر مقولات، المرأة ضعيفة عقلياً وروحياً من ناحية الخلق، ولم تستخدم فرصتي الخلق التي منحهما إياها الله بشكل جيد بل قامت بتضليل الرجل، كسردٍ مقدّس. وتؤسّس ذهنية الجنس السيء على أسس سليمة. وعندما تعارض المرأة هذا الأمر، فإنه سيعني أنها عارضت الأمر الإلهي. إنّ هذا الوضع المستمر لآلاف السنين، قد كسر مقاومة المرأة الداخلية من ناحية خوفاً من اعتبارها معارضة لله، ومن ناحية أخرى قدّمت للرجل استمرارية الواجبات اللامحدودة بدافع الخوف.

لهذا السبب فإنّ مراحل الأديان التوحيدية، هي مرحلة يجب أن نتناول فيها تحليل وجود المرأة من نواحي كثيرة. حيث يتم خلق عداء المرأة بشكل منظم وممنهج، ضمن جميع قصص الخلق والطرد من الجنة الموجودة في الأديان التوحيدية. وفي تاريخ الأديان هناك أمثلة لا حصر لها بخصوص الإشارة إلى هذا العداء بشكل لافت جدّاً. إحدى مقولات توماس الأقويني هي " لا يجوز أن تكون المرأة من الآلهة الأولى... هي رجلٌ خُلق بالخطأ... الشيء الذي يخلق بالخطأ أو يخلق ناقصاً لا يمكن أن يكون من الآلهة الأولى. الله كان يعرف مُسبقاً بأن المرأة سترتكب المعاصي. فالمرأة هي نتاج ارتكاب خطأ كبير أو استخدام أداة خاطئة." توجد مقولات أخرى أيضاً مثل تعريف عزيز طارطولياني المسيحي:" المرأة هي بوابة مرور الشيطان إلى نفس الإنسان. هي التي تُبطل قوانين الله، وهي مخلوق مكروه يُفسِد وجه الله." كما ويقول القديس سانت باول:" كان عيسى على رأس كل رجل، وكان على رأس كل امرأةٍ رجلاً. والله كان رأس عيسى. الرجل هو شرف ووجه الله. لكن شرف الرجل هو المرأة. وينبغي أن تعتبر المرأة نفسها أَمَة (عبدة) باسم المسيح." وقديسوا المسيحية يقولون "باستثناء أم سيدنا عيسى فلا تستطيع أية امرأة أن تتخلص من عذاب جهنم." وعلماء المسلمين أيضاً لا يختلفون بشيءٍ عن القديسين المسيحيين عندما يعرّفون المرأة: حيث يقول البخاري "المرأة ناقصة عقلٍ ودين". ويقول مسلم الترمذي " تأتي المرأة وتذهب في هيئة شيطان" والإمام

الغزالي يقول " المرأة كالشهوة إذا ما أرخيت لجامها تتمرد وتجرك خلفها، وإذا ما أحكمت عليها ستصبح مالكها ". كما أنّ بوذا الهندي بمقولته " لو لم أقبل النساء في ديني، لاستمرّت البوذية بشكل نقي وطاهر لوقت طويل جدّاً. واليوم لم أعد أظنّ أن يستمر هذا الدين لوقت طويل. لأن المرأة اعتنقت هذا الدين"[53] ينضم أيضاً لسباق تصغير هوية المرأة. كما أنّ اليهوديّة أيضاً وإن لم تكن بقوتها السابقة في عصور الألوهية إلا أنها مازالت تعيش بقوة، والتي ظهرت كأول دين توحيدي، قد قامت بدور سلبي جدّاً في تناول هوية المرأة واستعبادها منذ ظهورها وحتى يومنا هذا. حيث منعت عقيدة الآلهات، ودمّرت ميادين المعتقدات التي تتواجد فيها الآلهات مادياً، وحوّلت استصغار وجود المرأة من لسان الرجل إلى دعاءٍ لأول الفجر " إلهنا الأبدي، ملك الكائنات، الحمد لك أنك لم تخلقني امرأة".

وأصبحت هوية المرأة المتمثلة في حواء ركيزة ودعامة لهذا التصغير. ووفقاً لهذه الهوية، فإنّ المرأة هي مسؤولة عن جميع المصائب والكوارث التي حلّت بالبشرية، وتسبّبت بطرد البشرية من الجنّة بالذنب الأول الذي ارتكبته، هي المرأة التي آمنت بالأفعى وأكلت من شجرة المعرفة التي حرّمها الله. ويسرد الكتاب المقدس في هذه القصة، كيف دُمِّرت هويات الآلهات ورموزها وسُوِّيت مدنها بالأرض. والأصح أنّ سردهما بشكل متداخل، هو إيصال رسالة للنساء بعدم بقاء مقدّسات المرأة التي هي منابع قوتها وياهوفا "الحسود" لا يتحمّلهن مطلقاً. والصحيح أنّ اليهودية قد وجّهت ضربة قوية للألوهية التي هي الهوية الأقوى لوجود المرأة. لهذا السبب فإنّ المرأة أضحت دون مصدر للقوة، ضعيفة ومستسلمة. ويستطيعون أن يلقوا عليها كل الذنوب والمعاصي. وبهذا الشكل سيكونون عائقاً كي لا تظهر المرأة وجودها بشكل قوي ولن يسمحوا لها تذكر أنها كانت تعتلي طبقة الألوهية في زمنٍ ما . ولكي يتم إلغاء جميع خصائص المرأة المتشكلة خلال حقبة الألوهية، فإنّ هذا "الذنب الأول" الذي ارتكبته ونقاط ضعف المرأة التي تشكل مصدر هذا الأمر، أصبحت ذريعة جيدة. وبات بمقدورهم معاقبة وجودها الذي يمثل منبع الذنوب والخطايا ويخضعوها للفحص والاختبار. ومن بعدها الأفعى التي تمثل رمز القوة الجنسية والمعرفية

(53) أديان الهند 72

للمرأة. ولم يعد بالإمكان أن يتخلص وجود وهوية المرأة من هذه القصة المقدسة، وسيذكرونها بالمرأة في كلّ خطوة يخطونها، وسيساوون المرأة مع الأفعى والشيطان. وسيسمّى هذا الأمر لعنة الله على المرأة. إنّ الأديان التوحيديّة، تستند في قوانينها بخصوص طبيعة المرأة، مكانها ودورها في المجتمع، إلى الأوامر الإلهية، وفي المجتمعات الطبقية الأبوية التي تطوّرت فيها هذه الأديان وتمّ قبولها بعد فترة، سيستخدمون القيم التي طوروها قبلهم ضد المرأة.

4- الطبقة السادسة: الآلهات المصنوعة بيد الرجل

كلما تطورت وتنظمت عقلية الرجل الحاكم، فإنه يريد طمس هوية الإلهة التي تصل جميع الخصائص الاجتماعية والحياتية ببعضها ضمن ذاتها خطوة بخطوة، بواسطة خلق العديد من الأساطير والميثولوجيات. ويتم تجزئة كافة قيم وخصائص الإلهة الأم، و توزّع كل خاصية من خصائصها على الآلهات المختلفة. وباتت هويات الآلهات الأم لكل الآلهة والتي تحوي جميع السلطات الاجتماعية ضمنها، معدومة. وإنّ معنى هذا الأمر ضمن الحياة، هو تجزئة وجود المرأة. حيث تم تدمير هويتها المتحدة والمؤمنة والجريئة والجميلة والمناضلة والتي تحمل الوجود الجدلي للنساء. "عندما انتقلن من عصر المرأة إلى عصر الرجل، فإنهنّ تعرضن لخسائر كبيرة ضد النساء"(54)

تم اقتسام المرأة بين بيوت الدعارة والبيت الخاص. وجعلوا كل قوى وخصائص الطبيعة الاجتماعية عائدة للرجل، والقليل جداً منها – وبالأخص الخصائص التي تُفهم كضعف-تم توزيعها للمرأة. وتمخضت هذه الحالة، أولاً عن طريق الميثولوجيات التي هي الصيغة الأكثر قدماً في ذهن الإنسان، عن بناء حقيقة الإلهة المجزأة التي تخوض حرباً فيما بينها ولا تثق ببعضها.

ومن الأمثلة الأساسية على هذه الحالة في الميثولوجيا، هي إنانا وآراشكيكال. فبعد أن تتزوج إنانا من دوموزي، فإنها تذهب لزيارة أختها آراشكيكال إلهة ما تحت

(54) من دولة الرهبان السومرية نحو المجتمع الديمقراطي / عبدالله أوجلان

الأرض. وتقول آرشكيكال، كأنما تريد إنانا أن تصبح إلهة للعالم السفلي، وتحوّلها إلى جثة بحسب قانون العالم السفلي. وتمرّر إنانا عبر سبعة أبواب وفي كل مرة تأخذ منها رمزاً من رموز قوتها وجمالها. خلال هذه الفترة ولكي تضلل زوج أختها دوموزي ترسل له فتاة إلى وجه الأرض. الشيء اللافت للنظر هنا، أنه و رغم جميع نوايا إنانا الحسنة، فإنّ من يُحلّ الشرّ بها هنّ النساء. آراشكيكال التي لا تصدق زيارة إنانا لعزائها وتقول " ستأتي إلى عرشي منحنية " وستتهمها بالطمع وتحولها إلى جثة. وستسلب إنانا قواها، باسم آراشكيكال. وتم تكليف نينتو بتضليل دوموزي زوج إنانا. لكن الذين يحررون إنانا ويرْثونها هم رجال، وبالأخص والدها آنكي. وفي النهاية ترسل إنانا في مكانها دوموزي الذي خانها وتتحرر من تحت الأرض، لكن هذا الأمر يتحقق مقابل بعض البدائل. حيث تقوم إنانا بقتل الفتاة التي خدعت زوجها وضللته. وفي النهاية ترسل إلهة آخرى، كاشتينانا أخت دوموزي، لكي تبقى ستة أشهر تحت الأرض مكان زوجها.

ويريدون تطوير قصة الميثولوجيا السومرية هذه التي تجزّء هوية المرأة وتجعلها تعادي بعضها البعض، في الأديان التوحيدية حول ازدواجية وتناقض ليليت وحواء. ومقابل المرأة "السيئة" التي خلقت في البداية والتي عصت أوامر الله، يتم خلق شخصية حواء. لكن الأمر لا يكون كما يُتوقع، حيث تُطرد حواء من الجنة وتتسبّب بطرد الرجل أيضاً.

ويتم حَبْك هذه القصة في الميثولوجيا اليونانية حول دميتر. عندما يخطتف هادس برسفونا ابنة دميتر، فهي جرأة تُعادِل جرأة تركها لأوليمبوس. لكن زيوس يتدخل بين هادس ودميتر ويُصلح بينهما. فعندما تدخل دميتر حالة الرثاء، فإنّ كل الطبيعة تذبُل، وتيْبس المحاصيل، وتصبح الحياة وكأنها متوقّفة. لكن هادس يقاوم كي لا يعطي الفتاة. ودميتر التي لا تريد أن تفقد ابنتها كلياً ترضى بأن تبقى ابنتها مع هادس ستة أشهر تحت الأرض، وأن تعيش ستة أشهر فوق الأرض. وعندما تخرج ابنتها إلى سطح الأرض يبدأ الربيع.

ثنائيات ليليت وحواء، إنانا وآراشكيكال، دميتر وبيرسفونا، هي أسماء رمزية قامت عقلية الرجل الحاكم في أمكنة وأزمنة مختلفة بتجزئتها ضمن المرأة بكامل جدلية الوجود وجعلها معادية لبعضها البعض. وهذه القصص الأولية للعقلية الأبوية، تشير في الوقت نفسه كيف طبّقت استراتيجية ضرب المرأة بالمرأة. المرأة تخون المرأة، المرأة تقتل المرأة، المرأة تحسد المرأة. ذلك الزمن الذي كانوا يصالحون فيه النساء مع بعضهن، العصر الذي كانت فيه المرأة والرجل في توازن، وكانت النساء والرجال آلهة. لكن وما أن ينهار توازن القوى ضد المرأة، فإنّ مهمة مُصالحة الآلهات التي تُضر ببعضها أي النساء، يقع في يد الآلهة الرجال والرجال الذين يمثلونهم على وجه الأرض.

وخصوصاً في الميثولوجيا اليونانية فإننا نرى، بأن الآلهة حتى وإن كانت نساء فإنهن يرتكبن النميمة. وحسودات، ويشاركن في المؤامرات. ويكذبن ويؤذين البشر، ويُمطرن المصائب على رؤوس البشر بفضولهن الزائد. وإلى جانب هذه الخصائص السلبية، هناك بعض الآلهات التي لها خصائص إيجابية أيضاً، ولكن توجد حرب بينهن وبين الآخريات. إذا ما فكرنا بالميثولوجيا كالذهنية الأطول زمناً للذاكرة الاجتماعية، فإننا نستطيع أن نضفي معنى أفضل على دور فتح ذهنية الإنسان وإعدادها وتعليمها لعبودية المرأة وما حولها، وعبودية الرجل والمجتمع. وعندما نتناولها وفقاً لهوية المرأة ذات ال 9 طبقات، هويات المرأة هذه التي صُنعت بيد الرجل وتضعف بعضها البعض، نستطيع أن نسمّيها بهويات الآلهات المهزومة لكنها ماتزال تقاوم، وتشبهن الرجال في رغبتهن في الحماية الذاتية، واللاتي لا يبقى لهنّ أي تأثير مع الوقت. وهذه هي الطبقة السادسة.

هناك ظهور لبعض الآلهات ضمن مرحلة إضعاف عصر ألوهيّة المرأة الذي أصبحت فيه هوية المرأة تحت سيطرة الرجل وتم بناؤها بعقلية الرجل الحاكم المتسيّد. من هذه الأمثلة الأكثر وضوحاً، هي أثينا التي خُلقت من جبهة الرجل أي من عقل الرجل. ماتيس إلهة الحكمة والمعارف والعلوم، هي الزوجة الأولى لزيوس. حَمِلَتْ ماتيس. ويخشى زيوس أن يكون طفله ذكراً فيُسقطه عن عرشه. وعندما تكون ماتيس حاملاً فإنه يبتلعها. وتكبر أثينا كعقدةٍ في رأس زيوس. وتخرج

من هناك مصفحة ومدرّعة. الفطنة والبراعة هي من خصائص هذه الإلهة التي اكتسبتها حسبما يقال من أمها. وهي في الوقت نفسه إلهة الفن والاستراتيجية والإلهام والسلام. وفي المراحل اللاحقة ستصبح بدرعها إلهة للحرب وستساعد الآخليين في حرب طروادة. وتحمل أثينا درعاً خاصاً. مزيّناً بالرموز المختلفة وتوجد على هذا الدرع صورة رأس مادوساي. وتنهار الجيوش الأكثر قوة أمام هذا الدرع، يعني أمام الشرق والغرب. وخصائصها الأساسية متعلقة بالمدنية. وقد استمدّت مدينة أثينا اسمها من هذه الإلهة التي كانت الحامية والإلهة الرئيسية لها. في مكان آرَس إله الحرب في ميثولوجيا اليونان الذي توجد له جوانب حرب قوية ووحشية، فأثينا تمثل الجانب الاستراتيجي وجانب الفطنة والبراعة. لم تحبّ أثينا أو تتزوج من أحد. لهذا السبب يطلقون عليها أثينا العذراء.

إلهة أخرى خلقها عقل الرجل الحاكم، هي زوجة زيوس "المرأة البقرة" والثرثارة والفسادة، إنها هيرا. هيرا هي أخت زيوس وزوجته أيضاً، تُعرف بكبيرة الآلهات وربّة الزواج. وحسب الاعتقاد السابق فهي تحمي النساء أثناء الزواج وفي وقت الولادة. ورغم معرفتها بأنها ثاني أجمل امرأة بعد أفروديت، فإنها رفضت كل الرجال الذين عشقوها، وكانت على الدوام تعرض نفسها على زيوس. هي مخادعة ماكرة وحاقدة جداً، مائيا التي على علاقة بزيوس تزعجها وتغضبها كثيراً، وتجعل من لميا وحشاً. وتوقع ساماليا في فخ، وتؤخّر إنجاب آلكمانا للأطفال، تتبع لاتو وتجرّها، وتحوّل كاليستو إلى دب، وتدفع بذبابة الحصان نحو إيو. ولأن باريس لم يخترها كأجمل الآلهات، فهي تحمل حقداً كبيراً على الطرواديين.

آرتاميس هي إحدى الآلهات التي خلقها عقل الرجل الحاكم. ويتم تعريف هذه الإلهة بأسماء الصيد، الطبيعة، إلهة القمر، الجميلة، ممشوقة القوام، العذراء الإلهية، صاحبة الوجه الجدّي، إلهة النور الصافي، وتجعل الرجال الذين يقتربون منها فريسة صيد. وتقتل النساء اللواتي تفقدن عذريتهن بسهمها، لأنها رمز العذرية. ويُعتبر اسمها رمزاً في عالم الميثولوجيا، لأنها كانت تمثل فكر حقيقة المرأة التي فقدت جنسيتها لحساب الرجال. وبعد مئات السنوات من تطوّر الفكر المسيحي تقول وكأنها سلف الراهبات أو هي القديسات حواريات عيسى. هنّ أخرجن الرجال

والجنسوية من حياتهن بشكل كامل، لكنهن بقين محروماتٍ من قوة الإلهة التي تحوّل الرجال الذين يقتربون منها إلى حيوانات صيد أو تقتل النساء بسهامها.

باندورا هي ليست إلهة، بل يتم تعريفها في الميثولوجيا اليونانية كـ " شيطانة جميلة". بروميثيوس الذي سرق النار من الآلهة وأعطاها للبشر، أغضب زيوس كثيراً. ويقوم زيوس بخلق باندورا كـ "الجزاء الأكثر شيطانية للرجل". وبالرغم من أن بروميثيوس كان قد أرسل مسبقاً تنبيهاً لأخيه بأن لا يستلم أية هدايا من الآلهة، إلا أن أخاه يقع تحت تأثير باندورا الجميلة ويتزوج بها. أعطى زيوس لباندورا علبة أخفيت فيها كل الشرور. ولكي يثير فضولها أكثر يوصيها ويؤمّنها على عدم فتحها أبداً. لكن باندورا التي هي امرأة شديدة الفضول، لا تتماسك وتفتح العلبة. وبذلك تتحرر كل شرور البشر والصعاب والموت من العلبة، ولا يبقى فيها سوى الأمل.

إنّ إبداع الميثولوجيا التي خلقت هذه الآلهة في اليونان ليس تلقائياً، لأن أساس فلسفة البناء الفكري للسلطة الرجولية والذهنية العلمية الوضعية في عالم الغرب الذي هو مركز الرأسمالية، خرج من اليونان. نظام السلطة الرجولية الذي هو القوة السياسية وراء الميثولوجيا اليونانية، تقول إذا ما كانت الآلهة أيضاً تعطي للنساء مهمات، فهي بالأكثر متعلقة بالجمال الجسدي والجاذبية الجنسية والأمومة. وتدعم هذه الميثولوجيا تناقضات رسالة القصة الدينية لحواء وآدم التي أحلّت المصائب على رأس البشرية، وتخلق المرأة الفضولية، التي لا تفي بوعودها وتُعارض الأمر الإلهي. ويريدون أن يرسّخوا في ذهن الإنسان الاعتقاد بأنّ هذه الخصائص موجودة في طبيعة المرأة.

الشيء الذي نجده كنتيجةٍ ضمن هذه الطبقة، هو أنّ هويات المرأة تتقاسم قوة السلطة مع الرجل وتصبح رجولية. وهناك حرب بين هويات المرأة اللاتي سُلّمت لسلطة الرجل وأصبحت عبدة (أمة) له، ويتم استخدامها من قبل الرجل ضد جنسها وضد الرجل الذي لا يتخلّى عن الحرية وبين النساء اللواتي تحاربن ضد قوة الرجل السلطوية ويريدون حماية جوهرهن. وأصبحت الآلهة الرجال على قدر من القوة بحيث لم يعودوا يجدون حاجة لأن يقوموا بأنفسهم بمحاربة الآلهات أو محاربة

النساء والرجال المؤمنين بهن. وبواسطة الكائنات التي خلقتها من عقلها أو من يدها، تدفع إلى محاربة النساء بالنساء أو النساء بالرجال الذين كانوا يؤمنون بمجتمعية الآلهات والبشر. في خضم هذه الحرب، فإنهم يُفقدون وحدة وجود المرأة وجمالها ووجودها الجدلي ضمن طبيعة الرجل.

5- الطبقة السابعة: الجذور المقاوِمة للإلهة – السيّدة (ربّة البيت)

مهما تكن ثقافة الآلهات ونظام مجتمع المرأة الأم قد اندحرت وتقهقرت، لكن تأثيرها استمر لآلاف السنين. وأوضح هذا التأثير هويات المرأة أيضاً ضمن الحياة الاجتماعية. آمنت النساء في صميمهن بالأم الإلهة وقيمها وفي كل فرصة أُتيحت لهن لم تتخلين عن الحياة حسب إيمانهم. ضمن الممالك أيضاً كانت النساء أمهات، وزوجات وبنات وأخوات الملك، وبتأثير استمرارية التعددية الإلهية، أمثلة عن هوية النساء القويات. وأكثر الأمثلة المعروفة في التاريخ هن: نفرتيتي[55]، كليوباترا السابعة[56]، بودوهيبا، سميراميس، بلقيس، زنوبيا، ديدو[57] ونساء الأمازون المقاتلات[58]. تلك السيّدات والعديد الأخريات والتي لا يسعنا أن نذكر أسمائهن جميعاً، هنّ استمرارية لعقيدة وثقافة الأم الإلهة.

([55]) الربة المصرية التي عاشت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. بقيت على العرش مع أمنحوتب الرابع (آخنتون) الفرعون المصري زوجها. هي المرأة الأولى في تاريخ مصر تصبح فرعونة. تصدر قانوناً بأن تتمكن الفتيات أيضاً من أن تصبحن فراعنة. يلقون مع آخنتون رد فعل كبير بسبب رغبتهم أن يطوروا عبادة الإله الواحد آتون (إله الشمس) مكان آلهة مصر. ويوضح من البحث الذي أجري على عظام نفرتيتي التي تم اكتشافها بأنه تم ضربها على رأسها وهكذا قتلوها.

([56]) الربة المصرية التي عاشت في الفترة بين 69 و30 سنة قبل الميلاد. لكي تحمي بلادها وتقودها تتعاون مع سيزر، وبعدها مع قائد روما آنتونيوس. كيليوبترا كانت تعرف 9 لغات وكانت ذكية جداً. عندما تقاتل لأجل وطنها وتنهار أمام روما فتسمم نفسها بأفعاها (كوبرا).

([57]) اسم آليسا لربة مدينة سورا عاصمة الفينيقيين. اسم ديدو بمعنى المتحركة اسموها بها كتاب التاريخ اللاتيني. مؤسسة مدينة قرطاجة في شمال أفريقيا في القرن التاسع قبل الميلاد.

([58]) قومية تتألف من المقاتلات النساء يوجد احتمال كبير بأنهم عاشوا في سارماتيا. من أشهر رباتهم بانساسيليايا التي احتلت مكانها في حروب طروادة وأختها كانت هيبوليتا. بقدر ما تتوفر معلومات مختلفة حول وجودهم والأماكن التي عاشوا فيها وحياتهم، فإن المقاتلات النساء لدى

وفقاً لنظرة الرجل المهيمن الذي كان مسيطراً على كتابة التاريخ الاجتماعي، فقد أراد أن يترك هذه النساء القويات ضمن هالة من الضبابية. لكن ومهما كانوا يريدون إخفائهن وعكس حقائقهن، إلا أنهنّ تركن لنا الآثار السليمة التي تمكننا من رؤيتهن. سنسلك هذا المسار وسنعثر على هويات النساء المفقودة أو التي جعلوها منسية، ونستطيع أن نقول أنه يقابل الطبقة السابعة ضمن هوية المرأة ذات التسع طبقات. وسنتناول هويات نساء هذه الطبقة، بناءً على معرفة أنّ ذهنية تاريخ العصر الأبوي، تفسّر المعلومات المتعلقة بهذه النساء بشكل معكوس، ولا تتشارك ببعض المعلومات. وعندما نقرأها، سنتعلم قراءة نظام معلومات المنظومة بشكل معكوس. وسنتناول هوية النساء ضمن كل طبقة، وفقاً لاستقلالية وخصوصية زمان ومكان كل منها. وسنأخذ دائماً بعين الاعتبار حقيقة أنّ ثقافة وعقائد الرجل الحاكم، و الأيدي التي كانت متحكمة في زمنهم أيضاً، حاولوا كثيراً أن يزيلوا هذه الخصوصيات من الوسط.

بودوهيبا، هي زوجة الحاكم الحثي هاتوشيلي الثالث. التي عاشت في القرن 13 ق.م وهي سيّدة الإمبراطورية الحثية[59]. كان والدها في كيزوفاتنا، لاوانزانتيا (ألبستان) وراهباً في معبد عشتار/ سوشكا. بودوهيبا كانت ترى نفسها خادمة للإلهة الهورية هيباتا. وفي الوقت عينه، كانت تسمّي نفسها كمحبوبة إلهة الشمس آرينا. وأعادت تأسيس المساواة بين الآلهات وآلهة كلتا الثقافتين في مجمع الآلهة الحثية. قامت بودوهيبا بدور رئيسة الراهبات، وبرؤيةٍ جديدة، بتنظيم كافة الممارسات والتقاليد الدينية الحثية. وساوَت رئيسة الآلهات الحثية، وإلهة الشمس آرينا، مع إلهة الشمس الهورية هيبات.

بودوهيبا هي أكثر السيّدات الحثيات اللاتي دخلن الحياة السياسية. ويتضح من الرسائل التي وُجدت بأنّ بودوهيبا كتبت مخطوطات ومكاتيب رسمية للعديد من

السارماتيايين سوابق أمازون هم حقيقة. الحقيقة الأكثر أساسية التي تؤكد هذا، في الأبحاث الأثرية بالأخص في قبور نساء سارماتيا أخرجوا منها أسلحة بنسبة 25%. وشوهدت هذه الحالة أيضاً في إيسكيتيان من المؤكد أنهم جاؤوا من أمازون.

([59]) تافانا يعني الربة الحاكمة

ملوك وسيّدات ذلك العصر. وكما أثناء حكم الملكات/تافانّانا اللاتي سبقنها، ففي حقبة ملكية بودوهيبا فإنّ اسمها كان موجوداً على العديد من هدايا المملكة أو أنّ ختمها وتوقيعها كان موجوداً بقدر وجود ختم الملك. وإحدى الصفات التي كانت بودوهيبا تستخدمها في توقيعها هي " العزيزة على قلب إلهة الشمس آرينا، وخادمة الإلهة" وتولّت بودوهيبا الحكم بعد هاتوشيلي الثالث، في زمن حكم ابنها توتهاليا الرابع باسم الملكة/تافانّانا 'السيّدة الأم'. لأنّ حكم الملكة في القانون الحثي لا ينتهي بموت الملك الزوج، بل هو حقٌّ يستمر حتى موت الملكة/تافانّانا. هذا القانون الحقوقي بحد ذاته، يدلنا إلى أن ثقافة الإلهة الأم كانت ما تزال تُعاش بقوة خلال عصر بودوهيبا.

إحدى واجبات بودوهيبا هي رئاسة هيئة المحكمة. حيث قامت بالتحقيق بخصوص بعض الموظفين ذوي الرتب العالية بسبب سرقتهم لبعض الحيوانات والمعادن الثمينة والأشياء من داخل القصر الحثي. ويُفهم من الوثائق المتبقية من تلك الحقبة بأنها كافحت ضد التجاوزات الحاصلة في زمنها. كانت بودوهيبا في نفس الوقت صاحبة معرفة عالية في اللاهوت كما كانت صاحبة موروث قوي في الميدان الديبلوماسي. وقد استخدمت توقيعها على العقود والمواثيق والرسائل التي أرسلتها إلى ملوك وسيّدات الدول الأجنبية. قام الحثيون في وطنهم كيزواتنا، باستنساخ جميع المخطوطات الكتابية الموجودة والعائدة للدين والثقافة الهورية، وقد تم تأسيس أرشيف خاص ب كيزواتنا في هاتوشا. هذه الخصائص القوية، تشير إلى أنها خضعت لتدريب جيد، وأنها صاحبة موروث ثقافي غني.

توجد رؤى متناقضة ومستندة إلى مصادر مختلفة فيما يتعلق بملكة سبأ، بلقيس، ابتداءاً من اسمها وحتى هويتها، ومن أي قوم هي، وعقيدتها وحتى ما إذا كانت شخصية كهذه قد عاشت أم لا. حسب بعض المصادر فهي ليليت. وحسب البعض هي ابنةٌ لوزير وسيّدة. ، وحسب البعض الآخر فإنّ أمها من الجن وهي نفسها ساحرة. يُقال بأنها بقيت على العرش مدة 40 سنة، بقيت ست سنوات عذراء ولم تتزوج، وجودها وحياتها مخفية خلف ستار سري كأسطورة. هناك رؤى مشتركة تفيد بأنها حكمت في أثيوبيا أو في اليمن الحالية، زنجيّة، حيث قادتها بعلم ومعرفة. ويُدّعى في القرآن والتوراة بأنها ذهبت لزيارة سيدنا النبي سليمان وتأثرت به

وتقبّلت الدين التوحيدي، وحتى أنها تأتي من نسل النبي إبراهيم. وهذا يعيد إلى ذاكرة المرء بأن ملكة سبأ كانت في عصرها[60] رمزاً لهوية امرأة صاحبة ميدان واسع وغني وقوي وذات تأثير كبير إلى أبعد حد.

تم ذكرها في التوراة والقرآن وإنجيل مسيحية أثيوبيا كبرا ناكاست أيضاً. ومهما يظهر في العديد من الكتب المقدسة للأديان التوحيدية[61] وفي بعض المصادر القديمة بأن بلقيس قد ذهبت لزياة النبي سليمان، إلا أنّ بعض الآراء تعتبره غير صحيح. حسب التوراة فهي "ملكة سبأ". تسمع باسم النبي سليمان فتريد الذهاب إليه. وهدفها أن تختبر هذا الملك العالم ببعض الأسئلة الصعبة. عندما تلتقي الملكة بسليمان،" تتحدث معه بخصوص كل الأشياء التي تريدها وتأخذ أجوبة عن كامل أسئلتها، وهكذا لا يتبقى للملك أي شيء مخفي لم يجب عنه لامرأة"[62].يتضح أنه وبعد عودة ملكة سبأ إلى وطنها، فإنها تقنع شعبها بالإله العبراني كإله قانوني، وتتخلى عن عقيدتها القديمة طواعية. و يذكر القرآن أنّ الملكة ترضخ لتهديدات سليمان وتقبل بوجود الله.

ووفقاً لكبرا-ناكاست، فإنّها قد سمعت بصيت سليمان من تاجر يهودي أتى إلى وطنها. ويدعو هذا التاجر الأم الملكة (بلقيس) إلى وطنه. فتذهب السيّدة إلى القدس وتبقى هناك لسنة. يتأثر سليمان بالسيّدة لكنها لا تريد أن تنكث عهد عذريتها. لكنّ سليمان يجعلها تنكث عهدها بحيلةٍ. وتُرزق بولدٍ من هذا الزواج. ويظل ابنها لا يعرف أباه حتى بلوغه سنّ ال 18، وحتّى عندما يعرف الولد بأنه ابن سليمان فإنه يبقى في وطن أمه. وملوك أثيوبيا ينحدرون من عرق هذا الولد.

([60]) لدى الحوريين شاوشكا كانت آلهة الحرب كان يشار إليها بالفأس والرمح. الأصح هي من الآلهات البداية للآريانيين هي انعكاس ستار لدى الحوريين. كما يوضح في القرن العاشر قبل الميلاد بحسب كابرا ناكاست، هي الربة باسم ماكادا ولدت في أوفر في 1020 قبل الميلاد.

([61]) في سورة النمل في القرآن 22-44، في التوراة الحكام 1.10: 1-13 والتواريخ2.9: 1-12، الحكام 1.10:10، مقولات سليمان، في إنجيل متى " ربة الجنوب، اليوم الذي يصعد فيها حكمها مع هذا الجيل وتحكمه، لأنها، لكي تسمع حكمة سليمان أتت من الطرف الآخر من العالم وها هي، هي الأكبر من سليمان هنا"-12:42، عيسى في إنجيل لوقا، يوضح بأن ربة سابا ونينوى ستحاكم معاصريها الذين رفضوها.

([62]) الحاكم 10:3

يجب أن تُبحث هذه القصة وأن يتم تناولها مجدداً بشكل كامل، بدقة وبمنظور المرأة. تطوّرت اليهودية ضمن جغرافيا وفي زمن كانت فيه المجتمعية الأمومية وحاكمية الأم الإلهة قوية جداً. عندما نأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار، يُفهم لماذا أرادوا أن يكسبوا هذه النساء القويات وصاحبات السلطة السياسية، ويؤثروا عليهن، إلى أن يجعلوهن يؤمنّ بدينهم، ولهذا يعطون أهمية لهذه الشخصيات في كتبهم المقدسة. بلقيس، الأم الملكة(ماكادا) أو باسم آخر، هي رمز هوية المرأة القوية التي نهلت من ثقافة الإلهة الأم في عصرها.

عندما يتم تحليل الطبقات ضمن أبحاث تاريخ المرأة، فإن هذه الشخصية لها تلك الخصائص التي يجب أن يتم تناولها ضمن طبقتها بشفافية وحساسية ويتم فهمها. نستطيع أن نعيد النظر في التوراة والقرآن وفي كبرا ناكاست أيضاً وفي كافة المصادر التي بحثت حول هذه الملكة، وأن نزيح عنها سِتار السريّة.

سميراميس: هذا الاسم هو أحد أسماء عشتار. الأصح وبخاصية التناسخ الموجودة في الميثولوجيات، يتم تبديلها دائماً بتغيير الاسم والإله والإلهة. ووفقاً لهذا، فإنّ سميراميس في بابل هي الإلهة التي سبقت عشتار. سميراميس هي إلهة وسيّدة السماء وتُعتبر الأم المقدسة. هي زوجة نيمرود (وبعده زوجة مردوخ – بعل). ويُفهم ميلاد سيّدةٍ بنفس الاسم (عاشت في 810 ق.م حسب هيرودوت) على هذه الأرض في القرنين الثامن والتاسع ق.م. وأساساً فعشتار تظهر بشكل جلي في أسطورة ولادة سميراميس[63]. وهو ذو مغزى كبير بأنّ معنى سميراميس "التي تأتي من الحمامة" والطائر المقدس لدى عشتار هو الحمامة أيضاً.

ويُقال بأنّ "الحدائق المعلقة في بابل" التي تندرج ضمن عجائب الدنيا السبع، قد شيّدتها السيّدة سميراميس التي قادت الإمبراطورية الآشورية مدة 42 سنة. وحسب رأي آخر، فإنّ ملك بابل شيّد هذه الحدائق المعلقة كي لا تشتاق زوجته سميراميس

(63)آلهة دارجاتويا ابنة البحر التي تعيش في آشكالونا تغضب عشتار. وعشتار كي تعاقبها تجعلها تعشق واحداً محكوماً بالموت. تلد بنتاً من هذا العشق، دارجاتو تقتل زوجها وترمي بابنتها إلى البرية. عشتار لكي تتبنى هذه الفتاة ترسل الحمامات وبعدها يرى الرعيان هذه الفتاة.

لوطنها. توجد الكثير من الأساطير والأقاويل بخصوص سميراميس، لكن جميع هذه السرود تتشارك في بعض النقاط أو إنّ الفكرة التي تتفق عليها هي، هوية المرأة القوية، المحاربة، الجميلة، والواثقة بنفسها، وجانبها الاجتماعي البارز هو الآتي من عصر عقيدة الأم الإلهة. تحارب لجمال وطنها، وتمثّل خصائص قيادة المرأة ذات السلطة الإيجابية، تم تأليهها من قِبل مجتمعها وكانت محبوبة لديهم. من المؤكد بأنها حفيدة الألوهية المدمرة لكن ذكرياتها ما تزال قريبة جداً! المقولات التي يتم سردها عن عرقها، وموتها الذي لم يكن كموت إنسانةٍ، بل طارت كحمامة مقدسة وطائر الإلهة، وقيام الشعب بجعلها أسطورة، هو بمثابة قبولٍ لهذه الحقيقة.

إذا أراد الإنسان الحقيقة، فإن سميراميس وعلى عكس الشروحات التي طرحتها رؤية العصر الأبوي كمريضةٍ للسلطة، هي رائدة الشخصية المناضلة التي تحاول أن تؤلف وتركّب كافة الخصائص القوية لهوية الأم الإلهة في ذاتها، وتثبت بشجاعة المرأة التي تحارب من أجل وطنها، كيف أنّ النساء تستطعن أن تصبحن بارعات في التكتيك الحربي عند الحاجة[64].

فيما يتعلق بموضوع سميراميس نستطيع القول، هي شخصية رمزية تنشأ من عصور سلطة الرجل، لكنها تبقى تقاوم وتكافح في سبيل استمرارية وإحياء عقيدة الأم الإلهة. وعندما يتطور حولها غضب السلطة، ويرغب ابنها أن يقتلها بمساعدة الرهبان، تبتعد عن السلطة وتصبح حمامة تحلّق نحو الأماكن الحرّة، نحو البراري التي أتت منها. هذه الحقيقة تشير إلى أن سميراميس هي رمز روح المرأة وبحثها اللانهائي، والتي لا تتخلى مطلقاً عن مجتمع العصر الأمومي.

زنوبيا

([64]) تنتصر على كل بلد تحاربه، فقط أمام الهند تواجه الصعوبة فتستخدم الفيلة في الحرب. سميراميس تغير أمام هذا الدمار مئات من الثيران وتلبسها للجمال وتظهرها كالفيلة. تصنع قوارب وتقطع الأنهار والسواحل التي تعيق أمامها. تحقق انتصاراً مهماً بالتكتيكات القوية الغنية والخلاقة.

عاشت زنوبيا ما بين سنوات 240 و274 م، كانت ملكة(سيّدة) إمبراطورية تدمر التي حكمت في سوريا. وُلدت وترعرعت في مدينة تدمر. ويُقال بأنها وملكة مصر كليوباترا السابعة هما من نفس العائلة الملكية. عُرفت زنوبيا بجمالها وفطنتها. يُقال بأنها كانت تعرف اللغات اليونانية القديمة والآرامية والعربية واللاتينية وكانت تهتم بالتاريخ أيضاً[65].

خلال حياة زوجها كانت تساعده بشكل كبير، في سنة 267م وبعد موت زوجها وابنها هايران تتولى القيادة بنفسها. قامت بتوحيد القبائل العربية كي تحرر تدمر من سيطرة روما. وسُمّيت باسم " السيّدة المحاربة" لأنّها كانت تمارس الفروسية مع الجنود وتسير مسافة كيلومترات. واستطاعت خلال فترةٍ قصيرة توسيع مناطق نفوذ امبراطورية تدمر. وضمّت سوريا، لبنان، فلسطين، مصر ومناطق جنوب وشرق الأناضول إلى مناطق سيطرتها. وبهذا الشكل استولت على كافة الطرق التجارية التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية وضمتها لامبراطوريتها. ثمّ تعرضت للهزيمة في حربها مع الامبراطور الروماني أورليان. وحسب بعض المصادر يُقال بأنه تم أسرها وابنها من قبل أورليان امبراطور روما، وأجبَرت على الإقامة في مدينة تيبور (تيفولي) الإيطالية. وحسب بعض المصادر الأخرى يُقال بأنها سمّمت نفسها مثل كليوباترا.

شيّدت زنوبيا حضارة متقدمة في تدمر حيث كانت تعيش. فقد عُرفت تدمر كمدينة المثقفين، اختارت مستشاريها من الفلاسفة وأحياناً من مفكري روما أيضاً. عاملت العديد من اليهود المتواجدين في حدود امبراطوريتها والشعوب المختلفة بشكلٍ مُتسامح وقادتهم على هذا الأساس.

وإلى جانب انهيار عقيدة الإلهة الأم منذ مئات السنين، كانت زنوبيا من معتنقي هذه العقيدة. مساعدتها ودعمها لماني الذي عاصرَ حكمها وكان ذو تأثير كبير، هو أمرٌ لافت للنظر بخصوص زنوبيا. وهذا متعلقٌ بعقيدة ماني، فهذه العقيدة تتقرّب من العقائد الأخرى على أساس التسامح وتقول بأنّ الإنسان يستطيع أن يعتنق المانية

(65) العائلة الحاكمة آماسا

دون أن يترك دينه وعقيدته السابقة. وهو في نفس الوقت متعلقٌ بالقوة الفكرية لدى زنوبيا التي لم تتخلى بعد عن إيمانها بعقيدة الإلهة الأم. ويوجد دليلٌ آخر على وفائها وإخلاصها لعقيدة الأم الإلهة وهو تسميتها لأحد أبنائها باسم (وهب الله) بمعنى "هدية الله". هذا الاسم، هو اسم جد زوج زنوبيا الملك أوديناسوس (أذينة). ويستطيع المرء أن يقيّم هذا الأمر كإشارةٍ على استمرارية عقيدة الإلهة الأم في تدمر.

6- الطبقة الثامنة: المرأة النبية

استمر الضياع والسقوط في المراحل التالية لهذا. وتمتلك هويات النساء في الأديان التوحيدية دلائل مهمة لإضفاء المعنى على مرحلة الضياع هذه. في أولى الأديان التوحيدية اليهودية فإن سيدنا إبراهيم وسارة يظهران على قدم المساواة مع بعضهما البعض. لكن ومهما تكن ثنائياتهما بالقوّة نفسها، إلا أن أخت سيدنا موسى المتجسدة ضمن ثنائية موسى ومريم بشخصية مريم تفقد بعضاً من قوتها. وتُعتبر المرأة لدى سيدنا داوود وسيدنا سليمان مجرّد أداةٍ للمتعة الجنسية بجانب واحد وأداةٍ لاستمرار النسل، ولا تمتلك أية سلطة. حتّى وإنْ ظهرت بعض النساء مثل استير[66] ودليلة[67] فلم يقمن بأي دورٍ أبعد عن تحوّلهما لأداةٍ للسلطة. وضمن ثنائية سيدنا عيسى ومريم، تقبع مريم في صمتٍ عميق، وكأنما ضمنوا صمتها بالقداسة.

([66]) هي بطلة اليهود، حررت اليهود من إبادة جماعية كبيرة، يُخمن بأنه كان في القرن الرابع قبل الميلاد أو الثالث عاشت في زمن الامبراطورية الفارسية. حسب المعلومات التاريخية، في كتاب اليهود آستار يذكرون زوج آستار آهاشفاروش من الامبراطورية الفارسية، هذا في الحقيقة هو آرتاسارهاس الأول. يُقال بأن آستار ايضاً هي جارية الإمبراطور البابلي والدة داريوس الثاني كوسمارتيدانا. في هذا الموضوع توجد شروحات مختلفة. آستار هي امرأة قوية تأثيرها كان كبيراً على شعبها عندما حررتهم من الإبادة الجماعية.

([67]) بحسب الأسطورة في التوراة، إسرائيلي باسم مانواه لا ينجب الأطفال أبداً. في النهاية يهبه الله شيشمون. مهمته في التاريخ هي الحرب مع الباليشتينيين حيث أنهم يحكمون اليهود. وكشرط يقول يجب ألا يقص شعره أبداً لأنه يستمد قوته من شعره. داليلا هي حبيبة شيشمون، يشترونها الباليشتي، فيتعلمون منها سر قوة شيشمون وتصبح سبب انتصارهم على الإسرائيليين. مهما تسرد القصة أيضاً في شخصية داليلا يجب أن نقرأ عقل الأنظمة الدولتية بالعكس ونعرفه.

في هذا العصر، مريم التي تقاوم في وجه سيدنا موسى لكنها تُهزم فيما بعد وتصبح بلا تأثير، وماريا المجدليّة التي ترتكب الفاحشة وتصبح المرأة التائبة فيما بعد. وأم مريم التي تبكي على الدوام وتبقى بلا حيلة، سيدتنا خديجة الزوجة الأولى لسيدنا النبي محمد، وزوجته الثانية عائشة، ابنته فاطمة هنّ أمثلة عن شخصيات النساء التي تستحق البحث والتمحيص. مرحلة الأديان التوحيدية التي جعلت الانكسار الثقافي الثاني مُعاشاً ضمن هوية المرأة، وهويات المرأة الموجودة في تاريخ المرأة ذي الطبقات التسع، هي مرحلة ينبغي أن يتم بحثها بعمق وتفصيل هويات النساء المختلفة في هذا الزمن. ونستطيع أن نصنّف هذه الهويّات بشكل تدريجي مجموعة بمجموعة، من حيث قبولها الأعمى للأديان، التي انضمت إليها من ناحية لكن من الناحية الأخرى بقيت ضمن تناقضات، وحاربت ضد هذه الأديان، وأسّست توازناً بين هذه الأديان وبين عقيدتها الماضية وأخذت موقعها ضمن الطرائق والعقائد. وفي كل مجموعة توجد آلاف هويات النساء المختلفة المتأصلة والتي تمتلك موقفاً خاصاً بها. ولم يتم حتى الآن تعريف ومعرفة هذه القيم منقطعة النظير في الشرق الأوسط بالشكل اللائق بها.

هدف الجنولوجيا، هو خلق طرق وأساليب الوصول إلى هذه المنابع والمصادر، على طريق بحث تاريخ تشكيل هوية المرأة ووجودها. لأنه هذا الثراء، هو اليوم مصدر جميع خصائصنا المقاومة. ونستطيع أن نبحث في هويات النساء ضمن هذا العصر بشكل ملموس أكثر. وعلى سبيل المثال فشخصية السيدة خديجة هي شخصية مهمة جداً. في الوقت الذي ولد وترعرع فيه النبي محمد، وطالما تم عيش ثقافة الإلهة الأم بشكل قوي ضمن شبه الجزيرة العربية حول العزة والمنات واللات، فمن غير الممكن أن لا تكون السيدة خديجة قد تأثرت بها. وتسمية أحد أبنائها عبد العزة هي إحدى التعبيرات الملموسة عنها. ضمن ظروف وشروط ذلك العصر، وطالما وُجدت كأمرأةٍ غنية وواثقة بنفسها وتدير تجارتها بنفسها، فحتماً هناك علاقة وثيقة بهذه الثقافة. هي شخصية لها استقلالها الاجتماعي والاقتصادي. فبعد زواجين سابقين لها، فإنها تختار بنفسها محمداً زوجاً لها. ولا يتزوج النبي محمد بامرأة أخرى حتّى تُتوفى خديجة.

هي شخصية تجعل نبوءة النبي محمد ممكنة، وتقوم بتمثيل ثقافة المرأة الإلهة حسب ظروف عصرها، وتملك قوة مادية ومعنوية في مستوى هام للغاية. لكن خديجة هي تاجرة في نفس الوقت، تتزوج بمحمّد الفقير وتخرجه إلى طبقة أعلى للبرجوازية الوسطى. ويدخلون في خلافات وتناقضات مع الجوانب الأخرى لارستقراطية عشائر قريش في ذلك الوقت، وتحارب مع محمد ضمن حرب تجارة الطبقة الوسطى. وتتطوّر كلّ هذه التناقضات والحروب المتعلقة بالسلطة السياسية. وتستخدم السيدة خديجة القوة التي استمدتها من ثقافة الأم الإلهة في هذه الحرب. وبقدر الخصائص الإيجابية للسيدة خديجة، يجب أن نرى أيضاً خصائصها السلبية التي تتغير بحسب السلطة وتضعف هوية المرأة.

شخصية أخرى مهمة ضمن هذا العصر، وهي السيدة عائشة التي تُعرف بـ " أم المؤمنين". هي إحدى الشخصيات الأكثر جدلاً ضمن تاريخ الإسلام. لها خصائصها القوية إلى أبعد حد، السيدة عائشة، هي المرأة التي لا تتنازل أو تخضع للنبي نفسه. نزلت آية خاصة على النبي محمد في ادعاءٍ بخصوص الاتهام الذي وُجّه للسيدة عائشة أثناء رحلة في الصحراء، وبحسب هذه الآية فإن ذلك الاتهام باطل. ويُقال بأن معارف السيدة عائشة كانت قوية جداً بخصوص اللاهوت والطب والشعر. وخصوصاً بعد وفاة النبي محمد، تنخرط في صراع السلطة الدائر بين الخلفاء وتُهزم بهذا الشكل. وحين تدرك قيمة النسوية بألم كبير، تقول " ياربي، حتى وإن خلقتني امرأة، فيا ليتك جعلتني حجراً". الأمر الصحيح هو أنّه ضمن الأديان التوحيدية وفي علاقة موسى ومريم، فقد جُعلت سلطة الرجل أمراً إلهياً وكان من الواضح بأنه لا يوجد مكان للمرأة ضمن السلطة. وقد أدركت السيدة عائشة هذه الحقيقة بتجاربها وأضرّت بتأثيرها المعنوي في العالم الإسلامي. ومقولة السيدة عائشة "حتى وإن خلقتني امرأة فيا ليتك جعلتني حجراً" لم تكن موجهة ضد ظلم الرجل فقط، بل ضد الألاعيب السياسية التي وجدتها في ذلك الوقت أيضاً. وإن كانت الزوجة المحبّبة للنبي، فقد عانت صعوبة النسوية حتى النخاع ضمن الزمن والمجتمع الذي عاشت فيهما. وفي نهاية المطاف بقيت كما في هذا التقييم الذي يقول

"عائشة الطفلة، هي شاكية كبيرة مقابل سلطة الإسلام الاقطاعي "[68] بقيت 'طفلة' مقابل حقيقة السلطة. لكن لم يبقى لديها شيء تستطيع فعله، ضد تأسيس ذهنية الرجل السلطوية في الإسلام الذي هو آخر الأديان التوحيدية. ومهما تكن إحدى النساء ذات الخصائص المهمة لهوية المرأة مقابل هذه الذهنية، لكنها في النتيجة بقيت بلا تأثير. ابنة النبي محمد وزوجة سيدنا علي، هي السيدة فاطمة. وكان زواجهما مشروطاً. حيث تستطيع السيدة فاطمة أن تترك سيدنا علي متى ما أرادت هي ذلك. وكذلك قطع سيدنا علي على نفسه عهداً بألا يتزوج من امرأة أخرى طالما سيدتنا فاطمة موجودة.

التصوف هو أحد أهم الميادين التي تطورت فيها هوية النساء في زمن الإسلام. ورابعة هي إحدى تلك النساء، قالوا لها " وزعوا جميع الفضائل على الرجال، ووضعوا تاج الشجاعة والبطولة على رؤوسهم، ولفوا حزام الكرامة عل خصرهم، ولم تُبعث أية امرأة كنبية، وإذا ما كانت هذه هي الحالة فكيف تستطيعين الكلام؟ " وكان ردها هكذا " نعم، كلامكم صحيح، لكن أن تكون نفسك، معجباً بنفسك، وأن تطور نفسك وتقدّسها لنفسك، ومقولة 'أنا ربكم الأعلى' لم يصفنا بها نحن النساء". توجد فلسفة عميقة لرابعة، لكن هوية المرأة هذه بقيت محدودة التأثير مقابل شخصية الرجل المتسلط والقوالب الموجودة ضمن الإسلام.

في مرحلة تطور وانتشار الإسلام، في المجتمعات المهاجرة حديثاً، فاحترام المرأة فيها أكبر. لكن المدينة كميدان تأسست فيه واجبات الذكر، جعلت هوية المرأة تعيش العبودية الأعمق. وفي هذا الوقت ضمن تطور الكثير من الانتفاضات ضد الإسلام، فهنّ النساء ذوات الأدوار المؤثرة، والمنحدرات من تلك المجتمعات التي تسودها خصائص المجتمع الطبيعي أي ثقافة الإلهة الأم. بخصوص هذا الموضوع، فهناك أمثلة قوية في البلاد العربية أيضاً وفي إيران وكردستان. هويات المرأة هذه، هي ظواهر مهمة ينبغي لنا استذكارها، وفهمها، أي ينبغي أن نتعلم منها ما يتعلق بنسج وجودنا. والأكثر ظهوراً ضمن هذه الهويات، هي خوريما زوجة مازداك. فبعد قتل مازداك، تتابع خوريما الكفاح والنضال وتؤسس الحركة الخورمية حيث تنضم

(68) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

النساء إلى هذه الحركة. لكن هناك الآلاف من النساء اللواتي تُعرف أسمائهن أو لا تعرف، واللاتي تركن آثاراً مهمة في المجتمع، خارج ميادين الدين الرسمية، وبالأخص ضمن الخدمات الاجتماعية، وأخذن مواقعهن بفعاليةٍ ضمن التصوف. هذه هي هوية النساء المقاومات، واللاتي استمرين في وجودهن بالرغم من الانكسار الجنسي الثاني الذي صنعته الأديان التوحيدية. هذه الهويات تكوّن **الطبقة الثامنة**.

يستمر تأثير عصر الإلهة حتى مريم أم عيسى في العصر البابلي، وبعد تهميش البقايا الأخيرة لثِقل آلهات الثقافة السومرية، فالإلهة القديمة، أصبحت سيّدة بيت، مرنة ومطيعة عفيفة وشريفة. ودعك من مساواتها مع الآلهة، فهي في حالة كهذه لا تستطيع أن تخرج صوتها أو تكشف وجهها. ورويداً رويداً يتم حجبها خلف قِناع، ويتم أسرها كحَرَمٍ مطلق للرجل القوي"[69]. ولم تعد قادرة على أن تذكر الألوهية أبداً. ولا تستطيع أن تلعب أي دور اجتماعي سوى أن تكون ربة بيتها. إنّ هويات المرأة الحاكمة التي تطورت مع الأم مريم في مرحلة العصر الأبوي، تمت تسميتها كهوية المرأة الضعيفة، وهوية الفحش، وكزينة القصر والحرملك، وهوية المرأة التي لا تنسى الأم الإلهة وما تزال تقاوم بموتها، المرأة الأم، والمرأة الصيادة، الحورية أو الملك، أو الجنية المخيفة. وتحوّلت من قدسية " حقبة حقيقةٍ ميثولوجية ودينية وفنية التي تطوّرت حول المرأة الأم بشكل خاص"[70] نحو حقبة لعينة، تطورت من البناء الأخلاقي والسياسي للحياة الاجتماعية المتكوّنة حول المرأة، وكأنّما وقعنا ضمن بناء مزيف ومهترئ. ولكي يفهم الإنسان كيف تشكلت هويات المرأة ووجود وطبيعة المرأة، ضمن هذه اللعنة والاهتراء، ينبغي أن يقف علم البحث بحساسية على هذه العصور والأزمنة.

7- الطبقة التاسعة: السيّدة المَتاع

نستطيع أن نتناول الثلاثمائة سنة الأخيرة من تاريخ الإنسانية كتاسع طبقات هوية المرأة. في هذه المرحلة تطورت الرأسمالية كأشرس وأعنف عدو للإنسانية وللمرأة

([69]) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان
([70]) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان

وبنى سلطته على كافة مناهل حياتنا. وبكلمةٍ أخرى، قامت الكارثة الأكبر على رأس الإنسانية. ما الحالة التي خاضها تشكّل وجود المرأة ضمن كارثة كهذه؟ ومهما وُجدت جوانبها المقاومة على الدوام، فأي انكسار واجهته هوية المرأة المهزومة والمستسلمة، التي ترسّخت ضمن شخصيتها بألف طريقة؟

الطبقة التاسعة، هي الطبقة الأخيرة، الأعلى والأوضح، ولهذا يستطيع الإنسان أن يرى هذه الطبقة بسهولة كونها ماثلة للعيان. وكنا قد أوضحنا بالخطوط العريضة الطبقات الثمانية التي تؤسّس لهذه الطبقة. وبتنا ندرك بأنّ الطبقة التاسعة تقوم استناداً إلى هذه الطبقات الثمانية. وتعبّر الطبقة التاسعة عن هوية حقيقة " تاريخ الحضارة، وفي الوقت نفسه تاريخ انهيار وزوال المرأة"[71]. وهي شكل الوجود أو اللا وجود. بانهيار ألوهية الأم، فإنّ جذور المقاومة والاستسلام، العبودية والحرية، تسير بشكل متداخل مع بعضها البعض ضمن تاريخ المرأة. هويّة المرأة الطبيعية والتحررية والعبودية التي تم تعميقها، تسير سويّة إلى يومنا هذا. إنّ الهوية التحرّرية، ومهما أرادوا طمسها وإفنائها بالحيل أو بالظلم، إلا أن الجذور القوية لهويتها التي عاشتها لفترة طويلة لم تُفسح المجال لهذا. وبقدر ما تأخذ أركولوجية المرأة هذه الخصائص الثنائية للطبقات الثمانية بعين الاعتبار، فإنها تستطيع أن تحلل بشكل أسهل الطمس والإمحاء الممارس على وجود وكيان المرأة ضمن الطبقة التاسعة. لكن أولاً ينبغي أن نفهم بشكل أوسع ماذا جلبت هذه الطبقة التاسعة معها بشكل ملموس بخصوص وجود المرأة وأي الهويات التي تحتويها ضمنها.

يستمر الانكسار الجنسي الثاني الذي تطوّر على يد الأديان التوحيدية، في وقتنا هذا خلف ستائر وأقنعة مختلفة، هذا الانكسار الذي يبدأ من وقت سابق ويستمر إلى وقتنا هذا، بدعم من الفلسفة والعلم. لكنّ خلال هذه القرون وصلت المرأة إلى حالة بحيث يتم التعامل معها كجزءٍ من آلة الطبيعة الوحشية. وسادت ذهنية "علمية" بحيث يستطيعون حسب اعتقاد هذه الذهنية أن يكسبوا أسرار الطبيعة والمرأة بالقوة والتعذيب. وتمت حماية الذهنية التي تستوجب التعذيب كي يقتطعوا الأشياء عن هذا الجزء. "باكون" الذي هو بحد ذاته صياد هذه الذهنية هو نفسه قاضي صيد

(71) سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

الساحرات. لكي يتعلم أسرار النساء الساحرات كان يعذبهن. وكانت النساء تنضمن إلى الهرطقة بشكل كبير جداً، الهراطقة الذين لم يقبلوا الظلم الممارس على النساء وانتقدوه، وادعوا بأن المسيحية لم تكن هكذا في بداياتها، بل عاشوا معاً وأنشأوا الأولاد معاً، واختاروا أسلوب الحياة معاً ضد زواج المرأة والرجل، أصبحوا منحرفين ومضلّلين في نظر المسيحية السلطوية وتمت مهاجمتهم. وإذا ما انتبهنا جيداً إلى هذه الخصائص، سنجد أنها خصائص مجتمعيّة حقبة الأم الإلهة. والهراطقة هم بأصلهم عناصر المجتمع الطبيعي الذين لم تتقبلهم المسيحية. هم تلك الجماعات الوثنية التي كانت ما تزال تعيش في المجتمعات الأوربية حتى ذلك الوقت.

عندما جعلت الرأسمالية من نفسها النظام الحاكم، فإنها أحرقت 'الساحرات' اللواتي كن آخر من يمثل عصر الآلهات، وبنوا حداثتهم. هذا الحدث يجعل الإنسان يفكر إلى حدٍ كبير ويتعلم منه"[72]. وضمن هذه المراحل فإنّ العلم الوضعي بريادة باكون ورينيه ديكارت، يعرّف نفسه كالحقيقة الوحيدة الصالحة، وتترك الميثولوجيا والدين والفلسفة خارجاً. لكن معتقدات وافتراضات الدين والفلسفة التي استصغرت طبيعة المرأة لعبت دورها في ذلك. وبحسب ذهنية العلم الجديد، فإن المرأة والطبيعة متوحشين ومبهمين ينبغي أن يبقوا تحت السيطرة وكان يجب فتح رمز روح الأنثى. وكان يتوجب على الجميع أن يخضعوا لعقل الإنسان. وكان مقصدهم بعقل الإنسان هو عقل الرجل. لأنه لا عقل للطبيعة والمرأة وإنسان العالم الثالث والسُود. خلال هذه الأوقات، كانوا قد ألبسوا لباساً 'علمياً' للتعاريف الميثولوجية والفلسفية والعلمية التي طوروها من قبل، ذات الصور النمطية والعدائية بخصوص وجود المرأة. جميع الشخصيات المعروفة حينها كانت تتحدّث بصدد طبيعة المرأة "النساء مصدر اللا انتظام الممكن، والتي ينبغي للعقل أن يروّضها. فلم يُبَد شعب أو يَفنى بسبب الشراب الزائد، فالذين أبيدوا كانوا بسبب عدم تقيّد النساء بالقوانين". (روسو) "تعمل مرحلة إنسانية الطبيعة من أجل الرجال فقط. ولأنّ المرأة لا تستطيع أن تُخرج طبيعتها وتنقلها من وحدة العائلة وتنضم إلى المجتمع المدني وكذلك الدولة، فهي

(72) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان

تبقى خارج سيرورة التاريخ."(هيغل) وهناك العديد من الفلاسفة والعلماء الرجال الآخرين، الذين كانوا يرون هذا المنطق وهذه الذهنية 'العلمية' التي مثلت استمرارية ثلاثمائة سنة من صيد الساحرات، أمراً مشروعاً.

على مر آلاف السنين من الهجوم الإيديولوجي والمادّي ضمن ثقافة الإلهة الأم، كانت توجد ملايين النساء ومختلف هويات المرأة التي كانت تقبل الموت بدل الاستسلام للرجل. إحدى هويات المرأة هذه كانت 'الساحرة'. " النساء الساحرات" كنّ نساءً بهوية حرّة. وكانت الرأسمالية في تلك المرحلة التي تريد أن تبني سلطتها وحكمها، تقوم بحرق تلك التي تعتبر إحدى الهويات الاجتماعية الأساسية. بإحراق تلك النساء المقاومات والعالمات جسدياً، كان يتم طمس وإفناء جزء قوي من البناء الاجتماعي. كانت "النساء الساحرات" تابعات للأم الإلهة، وكنّ "الممثلات الأخيرات" لهن. ويقيّم القائد عبد الله أوجلان العلاقة الموجودة بين صيد الساحرات الذي طورته الرأسمالية ووجود المرأة العبدة اليوم هكذا: " إحدى الركائز الثلاثة الأساسية لملحمة الحداثة، فالرأسمالية بحد ذاتها عندما ضبطت فرصة التنظيم، بدأت العمل بتصفية المجتمعات الرئيسية التي كانت بداية ونهاية التاريخ. فسابقاً تم حرق قوة مجتمعية المرأة التي كانت تحاول الصمود تحت شعار 'صيد الساحرات'. ولا يستطيع الإنسان أن يفكر بصيد الساحرات بشكل مستقل عن الرأسمالية. فمَشاهِد الإحراق هذه تواءمت حتى النهاية وحساباتها في بناء هيمنتها على المرأة كعبودية عميقة. وفي يومنا هذا فإنّ تصغير المرأة بهذه الطريقة ووقوعها في خدمة النظام، مرتبطة عن قرب بعمليات الإحراق هذه التي تمّت ضمن مرحلة ظهور الهيمنة الرأسمالية. فالذكريات المرعبة لعمليات الإحراق، وضعت النساء في أوربا في خدمة الرجل بشكل لا محدود."

على هذا الأساس تم الحصول على طبيعة وجود المرأة في المجتمعات الحالية، بشكل كبير من قِبل ذهنية غريبة، ويُراد إفراغها من مضمونها. وفي هذا الجانب نستطيع أن نُظهر هويات المرأة في الطبقة التاسعة التي هي في حالة وجود ويريدون جعلها خاصةً بالمرأة، أو التسميات المبنية على أساس مواقفهن: 'عبدة الأعمال المنزلية، الأداة الجنسية، الفاحشة العالمية التي أصبحت عامة، أداة رأس

المال والسلطة التي تم تطويرها بأكبر شكل، متاع بلا قيمة والأكثر قيمة، التي تصنع النسل، المرأة الولود والأداة الأساسية لاستمرارية العرق البشري، العاملة بلا أجر، صاحبة الأعمال الأكثر صعوبة، العبدة الأكثر إذعاناً، أداة استمرارية الغريزة الجنسية، الأداة الإعلانية، سيّدة المتاع، هي أداة للتحرش الدائم، المصنع الذي يحقق سلطة الرجل، المُداومة المعنوية للمجتمع الذكوري، الأُمّة المُستعمَرة للمجتمع التاريخي، شكل العبودية الأشد خطراً الذي تم تأسيسه، الإنسانة التي تخوض أشد الصعوبات، أم العائلة التي تشكل أساس استمرارية النظام، عاملة وأداة الصرف النهائية، والتي تلعب دوراً استراتيجياً في الاحتلال وزيادة السلطوية.

وتسرد كل واحدة من هذه التعاريف، جانباً من الظلم الذي يمارسه الفكر السلطوي المبني على أسس الجنسوية. "تم تطوير واستخدام التعصب الجنسوي في التاريخ كعنصر فكري بأكبر شكل ضمن عصر الليبرالية. واستولت ليبرالية المجتمع الجنسوي، ولم تُبال بالمرأة فاستخدمتها فقط كعاملة بلا أجر ضمن البيت. بل ومارست عليها تجاوزات أكثر، حيث جعلتها متاعاً وأداة جنسية وقدمتها كسلعةٍ للتجارة. وبهذا الشكل استولت عليها بشكل أكبر. فيما يتعلق بالرجل فإنّ جهده فقط يصبح متاعاً، لكن بالنسبة للمرأة فكامل جسدها وروحها تصبح متاعاً. لكن أن يصبح الإنسان متاعاً بكامل شخصيته، فهذا يعني أنّ الإنسان يصبح عبداً أسوأ من عبودية فترة الفراعنة. وبدل أن يصبح الإنسان عبداً لشخص أو لدولة ما، يصبح عبداً لكل شخص فهذه تهلكة مضاعفة. وهذا هو فخ الحداثة الموضوع أمام المرأة. فالمرأة منفتحة على الحرية بالشكل الظاهر، لكن بهذه الطريقة تقع المرأة موقع الأداة الاستثمارية الأكثر انحطاطاً. وابتداءً من كونها أداة الإعلانات وصولاً إلى الجنس والدعارة، فالمرأة هي الأداة الاستثمارية الأكثرُ أساسية.

ضمن إشارة القائد عبد الله أوجلان هذه في صنع "الكمائن التي وضعتها الحداثة للمرأة" هناك دورٌ للعديد من الأطراف. ونظرة التحليل النفسي التي تقول بأنه لا يوجد جوهر للنسوية، وأنّ النسوية "بإمكانية رؤية قوة الرجل التي تضفي عليها المعنى، وتصحّحها وتتقبلها"، مسؤولة عن هذا الوضع. المسؤول عن هذا هو فرويد الذي بحسب اعتقاده فإن طبيعة المرأة هي مازوشية من الداخل ويقول " المرأة هي

عبدة بطبيعتها وهذه حقيقة لا تتغير" وبعد هذه المقولة فإنّه يموت ويرحل بسؤال" ما هي المرأة. وماركس أيضاً مسؤول حيث يقول في كتاباته "المرأة، ضمنياً هي ذاتية انثروبولوجية (الكيان-الوجود الفردي والمستقل، الوجودي، العنصر والركيزة) وصنف اونتولوجي (وجودي) غير ملموس إلى أبعد حد" وحرية هذه "الصنف الوجودي غيرالملموس" مرتبطة بتحرر البروليتاريا. عصر فيكتوريا في القرن التاسع عشر، أيضاً مسؤول عن هذا الوضع، عندما تطوّر استراتيجية النسوية كي تجذب الرجال نحوها وتبهج قلوبهم وتتزوج بهم، ولهذا الأمر تُذعن لفاتورة الجمال وتعرّفها. وجميع المؤسسات الفكرية وصروح القرن العشرين، التي تمنح هوية للمرأة على أساس عمل أو صنعة، وتراها مهنة فوق الكثير من الأشياء، وتتقبل استراتيجية الرجولية، وتخضع لنموذج قوة الرجل المتسلط، مسؤولة أيضاً.

والحداثة الرأسمالية مسؤولة، بالكامل عن وجود المرأة الذي أوصلته إلى حالةٍ غير معروفة، عن حقيقة عبودية المرأة تلك التي لم يتركوا فيها مقدار خلية إلا وجعلتها متاعاً، وحوّلتها إلى عبودية تجارية تم تعميقها، والتقرّب من المرأة كصناعة إعلانية أو تقليدية، كفرض شكل الوجود. والحداثة الرأسمالية مسؤولة عن أزمة هويات النساء التي يتم خلقها في يومنا هذا وعن قتلها في كل لحظة. يريدون أن يُبقوا المرأة في المرحلة التي وصلنا إليها اليوم ضمن ثقافة جنسية تحت سيطرة الرجل، بالتجاوزات التي طوّرها عقل وثقافة الرجل، وبالمكتسبات الناتجة عن الظلم والهجمات وبالإكراه.

عندما تخلق الحداثة الرأسمالية هذا، فإنها تريد أن تجعل ميراث الصداقة أحادية الجانب جزءاً من وجودية المرأة، وتبارك دفن المرأة حيّة مع الرجل الميت أو حرق الزوجات والجواري الذي يُمارس منذ آلاف السنين. ومن ناحية أخرى فإنها تبني حرية الفرد ضمن إطار الحرية الجنسية وتروّج لها على مدار 24 ساعة وتفرضها على المجتمع. وتحرّض في العديد من مناطق العالم التقاليد التي ما تزال سارية والتي تربط معنى وتكوين وجود المرأة ببقائها مخلصة في كامل حياتها لرجل واحد. ولا تحارب بشكل جدي ضد الأفكار والظواهر التنظيمية للذهنية التي تقول بأنّ المرأة هي ملكٌ للرجل، وبعد موته لا تبقى لها أية قيمة. ومن الناحية الأخرى تمتدح

نموذج المرأة الحديثة-الحرة. وفي هذه الحالة مهما يكن ما تقبله المرأة، فهي تُدرك بأنّ مصيرها هو الحرق. وحتّى لو فصلت بينهما آلاف السنين، فإن الذهنية التي تستند إليها الدعايتان هي لنفسها، خرجت من مصنع الإيديولوجية الجنسوية. تعطي هذه الإيديولوجية للمرأة فقط، حرية اختيار طريقة الحرق والتمزيق والمعاناة، وأحياناً لا تعطي هذا أيضاً. بخصوص هويات هذه الطبقة التاسعة التي هي موضوع جدلٍ فيما يتعلق بتشكّلها وأزماتها ومن المسؤول عنها وكيف، كما تأخذ العديد من الخصائص القوية والضعيفة للطبقات الثمانية الأخرى أيضاً في حوضها الجيني. ومهما تم إنجازها بضعف، إلا أن الجذور الثورية، والمقاومة، والموت في سبيل مجتمعيتها وحريتها أي هذه الجينات الواضحة، ماتزال حيّة أيضاً.

لقد رموا هذه الجذور بقوة، التي أرادت بناء هويات المرأة في الطبقة التاسعة خلال الثلاثمائة سنة هذه. وبدون أن ننسى آلاف الأبطال الذين لا أسماء لهم، نستطيع أن نقف هنا عند بعض الهويات المعروفة. أوليمبا دي كوكاسا ضمن الثورة الفرنسية لأنها دافعت عن حق جعل المرأة سياسية ودفعت ثمن ذلك بنفسها على المشنقة، روزا لوكسومبورغ وكلارا زاتكين حاربتا ببطولة ضد الفاشية الألمانية، النساء الرائدات في الثورة الروسية، الكساندرا كولونتاي، كروبسكايا، وفي إسبانيا دولوراس إيباروري، وفي جمهورية الدومينيكان هناك الأخوات ميرابل (الفراشات)، النساء الثوريات ضمن النضال التحرري الوطني، بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر واستمرين في كامل القرن العشرين، وفي الجزائر جميلة بوحيرد وجميلة بوباشا، وفي فلسطين سناء مُحيدلي، وفي فاس دلال المغربي، وفي سوريا حميدة طاهر، وفي كردستان باسيه، ظريفة، الأم كولناز، ليلى قاسم، رندة خان، قادم خير، ابنة ناخادايي، باسيه آنوش، دجلة كوباني، خانم ياوركايا، عزيمة دميرتاش، ساكينة كرمزتاش، بنفش آكال، كلناز كاراتاش، زينب آردم، زينب كناجي، سما يوجا، ساكينة جانسيز، آرين ميركان، وفي تركيا نزيهة محي الدين، فاطمة عليا، وفي أميريكا إيما كولدمان، آنجيلا دافيس، وفي بريطانيا آليس باول، لوسي بورنز، إيميلي دافيسون، وفي ألمانيا أولريكا ماينهوف، وفي أفغانستان مينا كَشوار كمال... وآلاف النساء الموجودات ضمن كفاح الكريلا .

الفامينيات اللاتي ناضلن ضد الجنسوية الاجتماعية والعسكرة والحرب والدمار البيئي، والأمهات اللواتي لم تنقطعن عن ثقافتهن ومجتمعهن وقيمهن رغم كل الأمور المفروضة بعنف الرأسمالية.... والهويات اللامحدودة للنساء المقاومات اللواتي لا نستطيع أن نحصيهن هنا.

رغم دمار وخراب آلاف السنين الذي تركونا تحته، وإذا ما كنا اليوم مانزال نستطيع أن نكافح في سبيل تحرر المرأة ونعبّر عن أنفسنا بأننا قوة الحياة الأكثرُ أساسية ونذكرها، فهو بفضل هذه الجذور المقاومة. إنها الجذور التي لن تتوقف عن الانهمار والتدفق من أجل وجود المرأة، هذه الجذور المقاوِمة، وضعت بصمتها على وجودنا بحيث ما تزال "المرأة هي قابلية الرؤية التي ترى جميع نواحي الحياة بعيدة عن الزيف والازدواجية بشكل نقي وصافي"[73]. هويات النساء المقاوِمات هذه، هي إحدى تلك النقاط التي تمنحنا الأمل في تطوير الجنولوجيا وأركولوجية المرأة. وبهذا الأمل نستطيع أن ننتقل من الطريق الأول للرحلة نحو ذاتنا إلى الطريق الثاني. أي بمعنى، بناءً على المعطيات التي وصلنا إليها بأركولوجيا المرأة، فإننا نعرّف علم المرأة، وعلم وجودها، ونبدأ السير في طريق تطوير رحلتها. كيف ستقيّم الجنولوجيا جميع هذه الأشياء التي تعلمناها في بناء وجود المرأة، وخلق الفكر والمشاريع، وتخيلها وتطبيقها.

المحاولات الفكرية التنويرية والأعمال التي ينبغي تطويرها على العلم والمعرفة في إطار المجتمع الأخلاقي والسياسي لشكل الوجود الأساسي للطبيعة الاجتماعية. لقد تم قطع كامل تاريخ الحضارة عن هذه الحقيقة الاجتماعية الإنسانية واهترأت هذه الحقيقة، وتم تمزيق هذه الحقيقة الاجتماعية في العصر الذي وضعت الحداثة الرأسمالية بصمتها عليه، وتُركت تواجه الاهتراء وجاءت بها نحو الدمار والفناء. حينها وقبل كل شي يجب أن يكون هدف المحاولات التنويرية هذه، والأعمال التي تجري على العلوم والمعارف، هو إيقاف هذه السيرورة. فلا علم لشيء تم طمسه وإبادته. ربما يتم استذكاره، لكن الاستذكار لا يُعدّ علماً. فالعلم مرتبطٌ بالشيء الموجود الذي يعيش. المجتمع الموجود في هذا الوضع، وما لم يرد أن يُدمّر

(73) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

بالكامل، فيجب أن يناضل بكافة عناصره ضد الحداثة الرأسمالية. وباتت المقاومة على الطريق نفسه ومتساوية مع الوجود." إنّ توضيحات القائد عبد الله أوجلان هذه تشير إلى مقدار صعوبة العمل الموجود أمامنا. ونحن النساء، ذاك القسم الاجتماعي اللاتي يتم النقاش بأكبر شكل حول وجودهن ومعرّضات لتهديدات كبيرة. لهذا السبب فإن الجنولوجيا هو إدعاء وتعبير عظيم. ومقابل سياسات وممارسات النظام التي تأتي وتذهب بنا على خط الوجود واللا وجود، فإنّ بذل مقاومةٍ متعددة الجوانب، وخوض حياة مستمرة، ورفع سوية معرفة وجودها وتطوير علمها، هو مهمة صعبة جداً ولكنها حياتية، وواجبٌ مشرّفٌ.

الفصل الرابع

- **"تكوين الذات" عبر الجنولوجيا**

عندما تسير الجنولوجيا في الطريق الثاني من الرحلة نحو ذاتها، أي في الطريق الذي سنطلق فيه اسماءنا على أنفسنا، فأول ما ستفعله مقابل وجود تلك المرأة التي تم إخراجها من ذاتها، وشتتوها وأصبحت تشبه نقيضتها، هو إبداء رد فعل عدم القبول الطبيعي. فالهويات التي يريدون جعلها عائدة لنا ومهما قاومناها فإنها هوية تقبّلناها بصعوبة. الخطوات التي سنخطوها في البداية، هي أن يعرف الإنسان بأنها غير طبيعية ويتخلص من هذه الهوية ويطوّر وجود المرأة على هذا الأساس . ومن أجل هذه الخطوات يجب أن نخلق جدالاتنا وبراهيننا الفكرية بشكل سليم. وسنتحرك بناءً على معرفة وجود تاريخ ثقيل في منبع مشاكل وجودنا. وسنميّز بأن كل مشكلة قد تمخّضت ضمن مرحلة تاريخية معينة.

و في الرحلة على هذه الطريق الثانية، سنتحرك وفقاً للمقياس الذهبي الذي يقول،" الشيء المبني بيد الإنسان يمكن تغييره بيد الإنسان أيضاً". وسنبدأ بالتغيير الذي تم بناؤه، بتحطيم الاستسلام الإيديولوجي المفروض على المرأة. وإذا ما عرفنا هذا الاستسلام المبني فعندها نستطيع أن نغيّره وندمّره. وسنحرّر أنفسنا من التسميات الخاطئة التي أطلقت علينا بالهجوم والتعنيف الفكري الجدي ونسمي أنفسنا بأنفسنا، وكذلك سنبدأ بالتغيير. كما أنّ ثقافة الحياء والشرف والمنع والإبادة التي تم تطويرها حول هوية المرأة، هي هجوم إيديولوجي موسّع وطويل ممارس على وجودنا. ونستطيع أن نفهم عمليات هذه الهجمات الممارسة على هوياتنا، وأن نطوّر حماية وجودنا الجوهري بثقةٍ كبيرة بالذات. ونستطيع أن نوقف التصغير، وتحويلنا إلى متاعٍ، والتجارة المفروضة أولاً على جنسويتنا وقوة جسدنا ومشاعرنا. وأن نكتسب هذه القوة. وأن ندمّر النظريات التي تفرّق جسد وعقل المرأة، روحها وقلبها عن بعضها، وتمزّقها وتحوّلها إلى نقائض لبعضها البعض. ونستطيع أن نتجاوز الازدواجية التي تُرى فيها المرأة والرجل أبعد من كونهما ثنائيات جدلية للطبيعة الاجتماعية، بل تظهرهما كضدين ونقيضين بشكل أكبر.

الوجود الاجتماعي الجيد يمر من وجودٍ جيد للمرأة. وإذا ما قدّمنا التعاريف الصحيحة بخصوص وجودنا في الطريق الثاني من الرحلة نحو ذاتنا، فعندها نستطيع أن نشكل انطلاقة لمجتمعيتنا. وينبغي أن ندرك في هذه النقطة، أنّ قوة أمنا الإلهة تعيش في جينات كل واحد منّا. وقبل كل شيء يجب أن نؤمن بأنه من المهم في يومنا هذا أن تُعاش هذه الثقافة. ويجب أن نعرف اليوم بأننا بالطبيعة والفطرة نمتلك مقدراتنا تلك العائدة للعصر النيوليتيي والتي تُشبع المجتمع، وتحميه وتضمن استمراريته. "رغم جميع محاولات الإنهاء والقتل الممارس عليها، فالمرأة تمتلك إمكانية الإشارة إلى أمثلة الحياة بجرأة ونضالية وكرامة. ورغم جميع المحاولات فلم تؤسّس ذهنية المجتمع الجنسوي. وفي بناء المجتمع الديمقراطي الذي تُعتبر المساواة (باختلافها) وحرية المرأة المقاييس الأساسية فيه، فإنّ هذه الخصائص الثقافية الغنية التي تعيش ضمن بعضها البعض، تحوي ضمنها إمكانية كبيرة "[74] هذه الإمكانية اللامحدودة، يمكن تنشيطها فقط بإيمان وثقة سليمة بنفسها. لأنه وقبل كل شيء فمصدر القوة الأكثر أهمية للنساء، هو القوة الداخلية للمرأة. وإنْ لم توجد ولم يتم خلقها خطوة بخطوة، فإنّ الإيمان بها سيذهب سُدىً. ففي مصدر ثقافة الأم الإلهة ومواقف النساء القويات اللواتي عشن في المرحلة التاريخية، هناك ثقة جوهرية سليمة. وهناك إبداع قوي يخرج عن هذا الإيمان. وفي الرحلة نحو وجودنا، يجب أن تكون هذه الثقة وهذا الإيمان مصدرنا الأكثر قوة والذي سيصبح ركيزة ودعامة لنا.

هناك قدسية، في إبداع ثقافة الأم الإلهة المتكوّنة بالثقة والإيمان الجوهري حول جسد وجنسوية المرأة. إنّ المرأة وجسدها كلٌّ لا يتجزأ، وخصوبة جسدها، وجمالها وجنسويتها التي تقدّس وينظر لها كمنبع البركة، تم خلقها من القيم الأساسية لهوية المرأة في ذلك الزمن. لم يكن يُستصغر لا جسد المرأة أو جسد الرجل، ولم يكن الجنس محرماً أو ذنباً. بعدها تطور عقل الرجل المتسلط واتخذ كامل السلطة الفردية بيده، وفي هذه النقطة هاجم وجود المرأة بشكل كامل. عرّف المرأة وجسدها كضدين ونقيضين لبعضهما البعض، وفرض تجزئة أساسية على وجود المرأة. فلو

(74) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان

تُركت المرأة بلا جسد وجنس ففي ذلك الوقت لاستطاعت أن تبقى بعيدة عن الذنوب. جمالها كان مصيبتها، وجنسويتها كانت مخادعة بالقدر الذي تفصل به الرجل عن أعماله الجدية والمهمة. ولأن كامل جسدها كان رجلاً ناقصاً، فالمرأة ناقصة العقل والمُعاقة، وما لم تكن تحت ناظر الرجل الذي يمثل الله على وجه الأرض، فستكون خطراً كبيراً. واستُخدمت بعض الخصائص الأساسية لقوة وهوية المرأة، في ضرب المرأة. فالثقافة الأبوية طوّرت مع الوقت ثقافة الحياء حول النساء ونظمتها. وتم إظهار النسوية، وبالأخص فيما يتعلق بجسدها وأحاسيسها كوجودٍ مثيرٍ للخجل. ومع الوقت فإن الأوامر الإلهية في الأديان التوحيدية أمّنَت لهم القدسيّة اللازمة. وتم فرض حالة العبودية والتصغير هذه والمفتوحة لكل أنواع الهجوم على المرأة كطريقة وجودٍ مزيفة. وتركوها وجهاً لوجه أمام كل أشكال ممارسات الإبعاد عن الذات، وتشييئها، وتم كتابتها كمصيرٍ محتّم على جبهتها بواسطة الأيادي التي يقودها عقل الرجل الحاكم. وأتوا بالهوية التي تطوّرت حولها بقدسيّة، إلى حالة العقدة العمياء، المحظورة والمذنبة والمُعيبة.

يتم تعريف الاونتولوجيا كـ " علم جوهر ما هو موجود". وإذا ما تطوّرت أونتولوجية (علم وجود) المرأة، فينبغي لها بداية أن تفك هذه العُقد عن بعضها. لتطور أنتولوجيا المرأة. وإذا ما كان وجود الإنسان يأتي أولاً، ومن ثمّ يعرّف نفسه ويخلق جوهره، فالمرأة سوف تقوم بتعريف وجودها البيولوجي (الحيوي) وتعريف ذاتها وتبدأ بخلق جوهرها من هذه العقد العمياء. وستنزل إلى مصدر كل عقدة عمياء تكوّنت منذ آلاف السنين. وسيتم تطوير أركولوجية المرأة أيضاً، لكي تفك هذه العقد العمياء. "ليصبح الوجود موجوداً، فيجب أن تُعبّر عن المعنى كموجودٍ حصل على هويته وحريته"[75]. وتظلّ المرأة أيضاً مثل الموجودات الأخرى، ضمن تكوّنٍ مستمر طوال حياتها. وإذا ما وصلت إلى معلومات جديدة، وأصبحت يقظة، وتناولت ظواهر جديدة ضمن مسارها وتوجهها فيما يتعلق بوجودها، فستبدأ بنسج مرحلةٍ نحو وجودها خطوة بخطوة. وستفكر بأنها ليست شيئاً أُخرج من وجوده، وتم تمزيقه، وتصغيره، وتعييبه واستعماره. وستكون صاحبة إدعاء وطريق وأخلاق وأسلوب تطوير الشخصية الجماعية وهويتها. وبهذا الشكل ستطوّر التعبير عن

(75) الدفاع عن الكرد في قبضة الإبادة الثقافية – مسألة الكرد والحل / عبدالله أوجلان

مقدراتها وحمايتها، وكذلك حياة حرّة. ومع الوقت ستنزع عن نفسها التعريفات المزيفة التي ألبسوها إياها وستصبح حقيقتها وجوداً من الناحية الاجتماعية. ستواجه المرأة بعض المصاعب في مرحلة خلق وجود هويتها وحياتها الحرة. لكنها ستتعلم بناء نفسها، وأن تصبح موجودة وتصون وجودها بذهنية وحكمة وجودها. باختصار، ستصحّح وجودها مجدّداً وتتجاوزه، بحسب عالم الذهنية الذي ستكتسبه. ضمن هذا الاكتساب فإنّ الجنولوجيا مؤهلة لتقوم بدور مهم جداً.

المطلوب هو ذهنية جديدة للنساء والرجال على حد سواء. لأن الذهنية التي تُسند إليها جميع أفكارها وأبنيتها هي المسؤولة الأساسية عن المآسي الاجتماعية. " أتت العلوم الاجتماعية الموجودة، بالمجتمع متجسّداً في شخصية المرأة إلى حافة الفوضى. وبدل أن يعرّفوها كعضوةٍ بدأت ببناء المجتمعية، عرّفوها كعضوة المجتمع الأضعف، التي لا قوة لها. في هذا الإطار، في المجتمعات الحالية، تم رؤية المرأة كمصدر جميع المشاكل، ووُضعت في عزلة شديدة. في المشاكل التي تعيشها المرأة ضمن المجتمعات الحالية، وما لم تقم العلوم الاجتماعية بدور قوة الحل، فإن هذه مشكلة أساسية. " تثبيتات القائد عبد الله أوجلان هذه تعبّر عن ماهية الجنولوجيا التي ستطور ذهنية جديدة أو ما الذي يجب أن تكون. هي علم يرفض تعاريف المرأة الخاطئة الموجودة في أساس المشاكل الاجتماعية! وستُخرج الجنولوجيا هذه الأخطاء للعيان بشكل علمي وتطوّر التعاريف التي ستأخذ المجتمع والمرأة نحو الحقيقة. ستُخرج للعيان حقيقة الحياة والمجتمع والمرأة التي لا يجب تفريقها عن بعض. وستكشف العبودية العميقة التي تفرض على المرأة كصيغة وجودية والمراحل الأساسية لهذا الفرض. وفي الوقت نفسه ستبحث طرق وأساليب تطوير هوية المرأة الحرة والمستقلة وفضائل الإلهة بحسب تجارب النساء. وستعرّف وجود المرأة والتاريخ وتشكل المجتمع وحريتها وفقاً لنظرتها. بدون أن تنقطع عن الحياة والمجتمع والمرأة، ستقوم مع النساء والمجتمعات بإنتاج الفكر العلمي، لأجل المرأة والمجتمعات وستبدأ ببناء الأكاديميات الاجتماعية. وستناقش جيداً علم وجود المرأة على هذه الأرضية. وستجمع كل الموروث المتشكل بخصوصها ومجتمعيتها وتحللها. وعندما تتوقف عند المسائل اليومية وتبحث في حلولها، فستأخذ بعين الاعتبار الخلفية التاريخية لها بشكل دائم.

حتـى الآن فقد تناولنـا تعـاريف المـرأة التـي خرجـت مـع قصـص وجودهـا، ووفقـاً لتعريف المرأة الذي سنأخذ فيه هوياتها بعين الاعتبـار ونبنيهـا، فإننـا سـنتقدم بعلمنـا للمرأة. أي مهما يكن تعريفنا لهـا فسـنطوّر علمنـا بحسـبها أيضـاً. وقـد أوضـحنا فـي طريقنا الأول ضمن رحلتنا أية ذهنية أو فهم لن نبني تعريفنا للمرأة وفقاً لـه. أي أننـا سننزع عن أنفسنا هـذه الأسـماء والهويـات. وقـد قلنـا أنّ أي فهـم وخصوصـيّة وقـيم سنطوّر عليها تعريفنا للمرأة ووجودها، سيكون طريقنا الثانية. مـن هنـا فالجنولوجيـا هي العلم الذي سيجمع الرحلتين مع بعض.

- **علم المرأة: الجنولوجيا**

الجنولوجيا، هي مصطلح أصيل وأصلي. تم اشتقاقها من تركيب كلمة JIN الكرديـة التي تعنـي المـرأة وLOJÎ اللاتينيـة التـي تعنـي العلـم. وتوجـد ثـلاث كلمـات تشـبه الجنولوجيـا ويـتم الخلـط بينهـا أحيانـاً وهـي Jinekoloji وJeneolojî و-gyn ecology.

Jinekoloj: هي بمعنى علم المـرأة. فـي اللغـة اليونانيـة جينايكـا (gyne) تعنـي المرأة، وloji تأتي بمعنى العلم. الجنوكولوجيا (Jinekoloji) هي فرع علمي يتعلق بأعضـاء التكـاثر لـدى المـرأة. (هـي بالانكليزيـة: gynaecology أو gynecology). ويتم استخدام الجناكولوجيا بالكرديـة بمعنـى " أمـراض النسـاء". وضـد الجناكولوجيـا، الأنـدرولوجيا هـي فـرع علمـي متعلـق بأعضـاء التكـاثر لـدى الرجل.

JENEOLOJÎ: (Gens :Geneology (عِرْق)) ومعنى الكلمة هـي السـلالة والذُريّة. وفي العموم يتم تناولها متعلقاً بنيتشـه. وتشـير إلـى تتبـع مصـدر الحـدث أو ظاهرة ما. تناول نيتشه التطبيق العملي لجينيولوجيا فـي كتـاب جينيولوجيـا الأخـلاق (1887). الجينيولوجيا التي صنعها نيتشه على أسئلة، مَن أنا، وكيـف وصـلت إلـى وضعي الحالي، مـن وضـعي الحـالي إلـى أي وضـعٍ أسـتطيع أن انتقـل، تحـاول أن توضح للإنسان من هو وكيف وصل إلى حالته الموجودة وأصوله الحقيقية.

المصدر الوحيد للأسلوب الجينيولوجيكي هما فوكولت ونيتشه. ويتم تعريفها كالأسلوب الأكثر ملائمة الذي طوره ميشيل فوكولت بخصوص موضوع المعرفة والسلطة. ويستخدم فوكولت بالأساس الجينيولوجيا كأسلوب تحليل جوهر وتطور أشكال السلطة الحديثة. يرى فوكولت التاريخ كقصة التحكم والتعلق. ويبحث الفرد ضمن مشروع الجينيولوجيا نتائج السلطة والمعرفة الحديثة بطريقة الشيء والموضوع، وكيف تم بناؤها وتأسيسها.

GYN-ECOLOGY: تم استخدام هذا المصطلح في سنة 1978 من قِبل الفامينية المتطرفة ماري دالي. تمت كتابتها باسم "امرأة -بيئة: أخلاق ومتاع الفامينية المتطرفة". في الأدب الفامينى، يتم شرح الكيفية التي استخدمت بها دالي هذا المصطلح هكذا: " تبني دالي، الرؤية الايكولوجية/المرأة، مثل غزل الخيط، على المجازيات والاستعارات المستنبطة من نشاطات النساء. ويتحوّل غزل الخيط إلى مجاز رحلة بناء الانحلال/البنّاء. معرفة غزل الخيط ليست ثابتة، وتستمر بالتغيير والتدفق. هناك وهنا، وبين أقسام الحقيقة غير المرتبطة ببعضها، تصنع الخيوط والحبال. تبني الشبكات الجديدة والروابط الجديدة التي ليست وفقاً للطرق الأكاديمية التقليدية. وتدور بها وتشدّها بحسب خيط المرأة/الايكولوجيا الموجود حولها، والمستقبل وفي الميادين المجاورة، والتابوت/ الصناديق التي يتم حماية 'المعرفة' فيها، يتم حمايتها/ تخبئتها مجدداً، وتعني أنّه سيتم إخفاؤها عن حراس القبر التقليديين.

JINEOLOJÎ: تُشرف على معارف وأساليب بلوغ المعرفة ومصدر المعرفة، وفقاً لنظرة المرأة. وتبني ميادين العلوم في الحياة الاجتماعية، بهدف الفردية والمجتمعية الحرة. إنّ المعارف المتعلقة بالمرأة تشرح، المجتمع والكون وكامل الحياة مجدّداً، بوجهة نظر المرأة. وتستفيد من المصطلحات التي تشبه بعضها التي ذكرناها في الأعلى والطرائق والعلوم، في تطوير هذه الشروحات. وكذلك من العديد من الفروع العلمية، ومن النتاجات الكلية الفامينية، ومن التجارب الشفهية والكتابية للعديد من النساء اللواتي قدن حروب الشعب الثورية. وترفض التعصب العلمي الذي يطوّر التجزئة والانقسام في فكر وذهنية الإنسان والميدان العلمي. ولا

تقبل فروضات حركات المرأة النظرية التي تعلن نفسها مركز ونظرية المعرفة (أبيستمولوجيا) لجميع النساء بدون نقاش. وفي نفس الوقت ترفض النظريات الاختيارية، المقولبة، والمجرّدة. وتهدف إلى تحليل طبيعة المرأة والرجل، والطبيعة الاجتماعية ضمن البناء الفكري، وبدون أن تقطع روابطها بالتجارب التاريخية واليومية.

في يومنا هذا، فإنّ حالة الوجود التي يريدون جعلها عائدة للمرأة، وهوية المرأة الموجودة بين فروضات عقل الرجل والمقاومة التي يبديها وجود المرأة، هو وجود متأزم ومُنهار. تطوّر الجنولوجيا، نظرياتها ونقاشاتها وأبحاثها، على أساس البحث المعمّق لهذه المراحل، و "كيف تصنع وجود وهوية المرأة الحرة من وجود المرأة المتأزم هذا؟". وتمتلك المرأة وحركات النساء، أجوبة مختلفة بخصوص تساؤلات وجود المرأة، وجوهرها. وتوجد ضمنها رؤى مختلفة جداً خذ من 'طبيعة المرأة التي لا تثبت' وحتى 'طبيعة المرأة الموجودة'. البعض منّا يقول بأنه توجد طبيعة مختلفة للمرأة، والبعض الآخر يقول لا توجد. وبعضنا يصون اللاجنسية. وبعض الحركات الفامينية تقول بأنه يوجد في تاريخ المرأة عصر بعِرق الأم (العصر الأمومي)، والبعض الآخر يقول بأنه لم يتم تثبيت هذا الزمن وبأنها ذهنية تاريخ رومانسي. تتفق الحركات الفامينية على أنه توجد مشكلة في الساحة، لكنها تقدم مقاربات مختلفة بخصوص سبب المشكلة. ترى بعض الحركات الفامينية، أنّ أساس المشكلة هي الرأسمالية، والبعض يراها في العصر الأبوي والبعض يرى بأنها الأديان. إنّ الأكاديميات النساء، والحركات النسائية المستندة إلى تقاليد مختلفة، والنساء المنضويات ضمن الحركات الاشتراكية، والعديد من النساء من الأقسام المختلفة، ومهما اتفقن في بعض النواحي بخصوص طبيعة المرأة، لكن هذه الرؤية تبقى مقسمة إلى أبعد حد. ومن ناحية أخرى، عندما تُدخل هويات المرأة، الخصائص التي يعولونها على وجودنا والتي يفرضها النظام علينا ضمنها، فإنّ هذا الانقسام يتعمّق أكثر ويصبح أكثر تعقيداً.

وينبغي أن نخضع تأثيرات تقسيم هذه الفوضى، على حدث وجود المرأة، وضد الفكر والحياة المنظمة لذهنية العصر الأبوي، وعلى الموقف الإيديولوجي للمرأة،

للتحقيق برؤيةٍ شعورية وواعية. إنّ ثقل الخراب الموجود لآلاف السنين والذي كان في بعض الأوقات حياتنا المهيبة وتاريخنا واقتصادنا وفننا وتدمّر فوق رؤوسنا، قابعٌ علينا. ويجب أن نستطيع كشف الطريق نحو كل طبقة، بدون أن نعلق بالمعارف التي خلقتها الليبرالية. نحن القسم الاجتماعي الأكثر أساسية الذي يوضح على تاريخ اليوم. لهذا السبب لا نستطيع أن نناقش مسائل وجودنا، يوميّاً بشكل ضيّق ومُلحق، وأن نجعل ذهنيتنا مضطربة. ويجب أن نتوقف على تاريخ وجودنا بشفافية وبناءً على الحقيقة الذهنية، وأن نصل إلى الأمور المشتركة في تعريف وجودنا. لذلك يجب أن نضع مرآة أمام وجودنا الحالي.

الجنولوجيا هي مرآة لداخلنا. وهي الإصغاء لهذه الأسئلة الخام التي تُرى من تلك المرآة: ' فعندما أقصد وجود المرأة، ماذا أكون؟'، 'أين أنا من الهوية النسوية؟ '، 'في أية لحظة من نضال إثبات وجودنا، وطبيعة المرأة، وهوية المرأة الحرة، أكون؟'، 'أية مرحلةٍ هي الجنولوجيا ضمن قصة وجودي النسوي؟'، ' مقابل أية مراحل نضالنا من أجل حرية المرأة تأتي الجنولوجيا؟'، 'لماذا يجب أن نطوّر علم المرأة الآن ؟'، فالجنولوجيا هي وضع الأجوبة الحياتية عن هذه الأسئلة. وهي مثالٌ من أجل نسج عالم الذهنية الجديدة التي يجب أن تطوّرها المرأة.

كأسلوب أساسي لاكتساب عالم الذهنية الجديدة هذه، في رحلة نسج وجودنا، ينبغي أن نزيد القراءات الوضعية وجمع المعلومات بخصوص طبيعة المرأة. ولهذا نستطيع أن نبدأ من علم تشريح المرأة، أي من الجانب الجسدي للوجود. يفكر عقل الرجل المتسلط بجسدنا ويبني النظريات عليه منذ آلاف السنين. وهو بهذه النظريات يطوّر عمليات الإبادة والاستعباد. وتحت هذه الشروط ينبغي بدايةً أن نستطيع الوصول إلى حقيقة جسدنا. ذلك الجسد الذي يُرى عقله صغيراً بشكل دائم، ومرغوبٌ جنسيّاً بشكل دائم، ويتم استخدامه ضدنا في تقسيم وجودنا. إنّ قراءة السياسات الجسدية للأنظمة الاستبدادية السلطوية ومعرفة الحقيقة الجسدية لوجودنا هو أمر هامّ إلى أبعد الحدود. ما هي مكانة الخصائص الأساسية لعلم تشريح (أناتومي) وبيولوجية المرأة في وجود المرأة، وما تأثيراتها في توضيح هوية وطبيعة المرأة؟ وإحدى المواضيع الأساسية لأنتولوجيتنا (علم الوجود) هو إجابة هذا

السؤال. وهذا هو الموضوع الذي يجب أن نزيد فيه القراءات الإيجابية. اليوم وفي العديد من الميادين العلمية توجد النساء اللواتي يأخذن مواقعهن فيها برؤية المرأة. والأبحاث العلمية تجعلنا نتعرف على تشريح المرأة بشكل أوسع. وبتقييم ميزاتٍ كهذه، وبحث النتاجات الكلية الفامينية بشكل موسّع، نستطيع أن نخلق ميراثاً وننظمه.

النظريات المتعلقة بجسد المرأة، بدأت من الميثولوجيا وحتى العلم، وأصبحت الذخيرة الأساسية للهجمات على وجود المرأة ضمن التاريخ الفكري. في المرحلة التي نحن فيها، جميع الميزات بيدنا ونستطيع أن ننهي الضرب الممارس من قِبل عقل الرجل المتسلط على جسدنا. وينبغي أن نستطيع تسليط الطاقة الإيجابية الموجودة أساساً في جسدنا، على طريقة التفكير ضمن هذا الميدان. ولكن ليس بمعنى خداع الذات. بل لكي نستجمع القوة ضد الطاقة السلبية الذكرية التي يفرضونها علينا 24 ساعة في اليوم. ببحث كافة الخصائص القوية لطبيعة المرأة، نستطيع أن نقوى في موضوع معرفة الذات.

تقول مارغريت فولر، توجد في المرأة مقدرة خاصة، طبيعة كهربائية، وكثافة كهربائية. لا يمتلك الرجل هذه المقدرات ونظام الرجل لا يسمح لها بالظهور. فمن يعرف كم يستحق جسد المرأة من البحث والاستكشاف، ذلك الجسد الذي كان يُنظر إليه باستصغار لآلاف السنين، وكم توجد فيه من الخصائص المختلفة، القوية والعائدة للأنثوية. وإذا ما كانت هذه الخصائص قد شيّدت نظام الأم الإلهة، وتجاوزت الظروف الصعبة لعشرات آلاف السنين وبدأت بتكوين المجتمع، فإنها اليوم أيضاً تستطيع أن تصبح منبع ومصدر قوة أساسية في طريق تحرر المرأة. إنّ البدء بالتفكير بهذه الطريقة يعني بأننا بتنا على طريق رحلتنا نحو وجودنا. في سيرورة هذا الطريق، فإننا نكشف قوتنا التعاطفية ومقدراتنا العظيمة للتناسق. بأصغر تفاصيل الحياة، خذ من الحسرة الموجودة في نظرات الإنسان، وحتى بحواسنا التي نرى بها إشارات الغضب والفرح من حولنا وبالعديد من خصائصنا الجميلة هكذا، يعني نتعرف على معارفنا مجدّداً. كما أنّ وعي عقلنا المختلف عن عقل الرجل الذي " يأخذ مساراً 'منظماً' أكثر بناءً على التحليل والكشف"، يمتلك

"شخصية 'متعاطفة' تتعلم بأن هذا العقل يفهم من الأرواح التي حوله. وبفضل هذا الاختلاف، نُدرك بأننا نستطيع أن ننظر إلى الموضوع من عدة جوانب. ونُدرك بأنّ غرائزنا التي أصبحت مصدر استصغارنا لآلاف السنين، هي طريقة عمل معطيات عقلنا، التي يتلقاها من المحيط بحواسه الخمس وتتطوّر بمستوى هرمون الاستروجين لدينا. وكذلك نصل إلى تلك المعرفة بأنّ "دوراتنا الشهرية" هي من التزاماتنا الرقيقة التي لا تنقطع عن الطبيعة".

تثبت العديد من نتائج علم الأحياء التي ظهرت بخصوص طبيعة المرأة، بأنّ جسد المرأة يحوي الرجل ضمن وجهته، لكن جسد الرجل لا يحوي المرأة ضمن مساره. وعلى عكس ما يرد في الميثولوجيا والكتب المقدّسة، فإنّ المرأة لا تأتي من جسد الرجل. والصحيح هو أن الإنسانية عاشت لعشرات آلاف السنين وفقاً لهذه المعرفة. ويثبت العلم في يومنا هذا، بالعديد من التطورات الحديثة بأنّ هذه الحياة التي كانت تُرى مصغرة لمئات السنين تمتلك فلسفة أكثر صحة. المعطيات العلمية التي ظهرت حديثاً، تشير إلى أن طبيعة المرأة هي المركز والرجل هو وجودٌ يولد من المرأة ولا يستطيع أن يقطع روابطه بالمرأة خلال كامل حياته.

وفقاً للأبحاث العلمية الأخيرة، فإنّ بدايات الكروموسومات (الصبغيات) X وY هي واحدة وأتيا من زوج من الأوتوزومات (الصبغيّات اللاجنسية) المتناسقة. ويوضح العلماء بأن قسماً مهماً من DNA الذي يركب الكروموسوم (الصبغي) Y، يتكوّن من DNA غير الفعال. هذه المنطقة التي تشكل نسبة 95% من الكروموسوم (الصبغي) Y، يوجد لها أزواج في الكروموسوم X. وهذا يُقبل كإثبات بأنّ الصبغي Yأصله من X. الكروموسوم X أغنى جينياً، وبحسب الأبحاث العلمية التي يخرج بها العلماء، فهي المسؤولة عن عمى الألوان، وتشكيل العضلات وعن أكثر من 200 من الوظائف الذهنية. وفي هذه الحالة يتم التفكير بأن الكروموسوم X يمتلك تلك الجينات التي تؤثر على الوظائف الذهنية والذكاء، وتنقل الذكاء من الأم إلى الطفل.

إحدى نتائج الأبحاث التي توصلوا إليها في هذا الموضوع، هو أن الكروموسوم Y أصغر من X بنيوياً وتحمل جينات أقل ب 2000 و 3000 جين من الجينات التي يحملها الكروموسوم X. ونتيجة أخرى هي، بأن الكروموسوم X مثل الاوتوزومات (الصبغيات الجسدية) الأخرى يحمل العديد من الجينات، لكن الكروموسوم Y و رغم أنه يحوي أكثر من 60 مليون نيكليوتيد ضمنه، فهو الكروموسوم الذي يحوي أقل عددٍ من الجينات مقارنة بالكروموسومات الأخرى. لكن يتضح بأنّ هناك جيناً مهماً جداً على الصبغي Y، وهو SRY. يقوم الجين SRY بالدور الأول في تحديد الجنس. أي أننا نستطيع القول بأن الكروموسوم Y يأخذ دور المحدِّد الجيني للخصائص الشخصية للرجل. فالبحث بحساسية كبيرة ومتابعة الاكتشافات البيولوجية والعديد من العلوم المتعلقة بالمرأة، والتحوّل لأساسٍ سليم من أجل علم وجود المرأة، هو من مهام الجنولوجيا.

تقول سيمون دي بوفوار " الفرد، لا يولد كامرأة لكنه يصبح امرأة". تؤثر سيمون دي بوفوار بإثباتها هذا في كتابها المؤلف من ثلاثة مجلدات باسم الجنس الآخر، كثيراً في نظرة وتشكيل الحركة الفامينية. وتسرد فيها كيف صُنع الإنسان كجنس أنثى، وكيف يتم تدريبها مع الوقت لتصبح 'امرأة'. وتعطي في كتابها مكاناً للمعرفة والتجارب التي تثبت بأن الأدوار الجنسوية هي غير طبيعية، بل تمّ تلقينها وتعليمها. بنظريتها هذه، تتسبّب بظهور مصطلحات الجنسوية الطبيعية (Sex) والتي تظهر مع الولادة، والجنسوية الاجتماعية (Gender) التي تتشكل بعد الولادة بتأثير العائلة والمجتمع. هذه التشاركية التي صنعتها سيمون مازالت مهمة. لكن تطوّرت استيعابات مختلفة لهذا الإثبات من طرف النساء والحركات النسائية. الشيء الذي سنتناوله هنا بهذا الإثبات هو النسوية أو الناحية الإيجابية للنسوية. أي استيعاب وتعريف هوية المرأة الجنسوية التي تتحدد بالولادة بإرادتها الجوهرية، وما شكل المرأة الذي تريد أن تصبح عليه، ومعرفة واستيعاب تاريخ النسوية من كافة النواحي وأن تستطيع اتخاذ القرار وفقاً لها. بمعرفة وتفكير هويات المرأة التي شيّدت الجنسوية الاجتماعية وبوعي أنه لا يمكن أن توجد أية هوية للمرأة خارج المجتمعية، نسأل أنفسنا "كيف يصبح الإنسان امرأة؟" نحن النساء المناضلات ضمن حركة التحرر الكردستانية لعشرات السنين ندرك بأن الإنسان يصبح امرأة حرّة

بجهدٍ كبير جداً. ونعلم أنّه ما لم يُبذل نضالٌ قوي في وجه كافة القوى السلطوية والدولتية والاستعمارية والأبوية فلا يمكن تحقيق النسوية. علمتنا تجاربنا الحياتية بأن النسوية هي هوية اجتماعية والنسوية ممكنة بمرحلة تقدّم اجتماعي. النسوية هي مرحلة بناء اجتماعية ستبدأ بالمرأة وبريادتها وتستمر هكذا. وهكذا اتخذت هوية المرأة شكلاً منذ بدء التاريخ الاجتماعي. الذي يوضح هذا الشكل، هو طبيعة وخصائص وجود المرأة.

لن تتناول الجنولوجيا، الخصائص الإيجابية في هوية المرأة، في زمن الإلهة الذي بقي في الماضي فقط. وستوضح الطاقة المتدفقة الايجابية التي تؤمن بوجودها في طبيعة المرأة والخصائص الأخرى. هذه من الأساليب الأساسية لكسر الهجوم الفكري والاستسلام المفروض على المرأة. وستعرف الجنولوجيا ضمن تطوير هذا الأسلوب الاستفادة من جميع العلوم والحياة والنظريات التي تم إنتاجها والتي تفكر بإيجابية بخصوص طبيعة المرأة. كمثال عن معرفة القائد عبد الله أوجلان التي تقول " المرأة هي الجزء العاطفي الذي هو الأكثر عملاً ضمن الطبيعة... فكلّ شكل مادي حصته مختلفة من الطاقة. وأساساً فإنّ اختلاف الطاقة هذا يُظهر اختلاف الشكل والأبنية المادية. فالطاقة الموجودة في شكل ومادة المرأة مختلفة عن الطاقة الموجودة في مادة الرجل. فالطاقة التي تحملها المرأة هي أكثر من ناحية، ومن ناحية أخرى فخصائص طاقتها مختلفة أيضاً. شكل المرأة يفتح الطريق أمام هذا الاختلاف. وفي الطبيعة الاجتماعية فإنّ طاقة الرجل التي تتحول إلى آليات سلطوية، تتجسّد بصيغ وأشكال مادية. إنّ الأشكال في كامل الكون هي بمثابة طاقة جامدة. فحكم الرجل في المجتمع، هو شكل السلطة. وفي هذه الحالة فإنّ الطاقة التي يحملها أصبحت بصعوبةٍ ذات صيغة. فالطاقة التي لا تتحول إلى صيغة قليلة جداً وتتحقق لدى القليل من الشخصيات. والطاقة الموجودة لدى المرأة لا تصبح صيغة ولا تتخذ شكلاً. بل تبقى طاقتها في حالتها المتدفقة. وإنْ لم يتم سجنها في صيغة وقفص الرجل، فإنها ستتابع تدفقها كطاقة للحياة. إنّ مهارة إضفاء المعنى والشاعرية وجمال المرأة الذي لم يتم تجميده وتجفيفه، متعلقٌ عن قرب بحالة الطاقة هذه التي لها ثقلها."، من التوقع العميق الموجود ضمن أفكار روزا لوكسمبورغ التي تقول " ما لم يصبح المجتمع غير الرأسمالي، رأسمالية، فإنّ جمع رأس المال

والاحتكار لن يتحقق"، ومن قرار زينب كناجي التي تقول " أريد أن أصبح صاحبة حياة ذات معنى" وحققت فدائية البحث، ومن ثقة ماري دالي بنفسها التي تقول " المادة السحرية التي تصنع المرأة "جن انيرجي" أي طاقة المرأة"، ومن معرفة رابعة العدوية لذاتها التي تقول " أن تكون ذاتك، الإعجاب بالذات، وتقديس الذات وجعلها معبودة، ومقولة 'أنا ربكم الأعظم' التي لم يروها لائقة بنا نحن النساء" ، ومن رؤية مارغريت فولر التي تقول، "حواس المرأة أسرع وأصح. وبالعموم نرى كيف أنّ النساء العاديّات يحسسن بجميع هذه الأشياء، ويقارننها ويستوعبنها ويتصورنها. كافة الرجال العقلاء جدّاً، يفقدون وعيهم مقابل التغييرات الحاصلة من حولهم ولا يستطيعون أن يميزوا الروابط التي تربط أشكال الحياة من حولهم ببعضها البعض."، ومن نداء فاريس داري التي تقول بأنّ العنف الأكثر ظلماً وبلا رحمة على جسد المرأة، كان ختان المرأة، " لسلامتنا وصلاحنا جميعاً، تعالوا لنغيّر معنى النسوية."، ومن أمل سما يوجا التي تقول،" ستُبعث النساء وتخرجن من رمادهن مجدداً "...

ستقوم الجنولوجيا، ببحث وتحليل أونتولوجيا المرأة في حركة تحرر المرأة الكردستانية التي تناضل ضمن ظروف وشروط الحرب الأثقل وطأة التي تواصلت قرابة الأربعين سنة في المناطق المختلفة لنضال الحرية الاجتماعية، بالتجارب الغنية جداً والمتنوعة التي راكمتها وبالملاحظة والرصد والمعطيات متعددة الجوانب التي ظهرت للعيان. وستبحث بخصوص هذا الموضوع بمعرفةٍ وميراث لا يستند إلى نظريات العصر الأبوي والدولتية والعلموية والوضعية والتعاليم الدينية والسرية. وستحاول رؤية الميراث العظيم لتاريخنا النسوي، بالمعطيات وبتجاربه الأصيلة. كما تقرأ تجاربها الأصيلة بهذا الميراث التاريخي المعظم وتضفي عليها معنى معمّقاً. وبشكل خاص ما هي المرأة كوجود؟ كيف تم تشكيل وجود المرأة؟ أيّ أشكال التفكير أثرت بشكل ما على المرأة؟ حركتنا لها قسمة كهذه حيث قامت في مراحل وتفاصيل النضال القاسية بمراقبة ومتابعة هذه الأسئلة والعديد من الأسئلة الأخرى أيضاً. وفي هذا الصدد، فأسلوب تحليل الشخصية الذي نطبقه منذ سنوات على وجود، وهوية وطبيعة المرأة، وكذلك على هوية ووجود وطبيعة الرجل، هي حقيقة أنتجت معطياتٍ قوية وتحليلاً مهماً. منذ عام 1987 وإلى الآن، هناك نتاج

كتابي هام للغاية للقائد عبد الله أوجلان بخصوص جميع النساء وفي مقدمتهن ضمن حقيقة كردستان والشرق الأوسط. وتوجد تحليلات هامة جداً للمرأة ضمن هذا الكتاب. وهو بقدر جهد كبير جداً لقائدٍ حيث يقول "كنت أريد أن أعرّف كلاً من الرجل والمرأة خاصةً بوجودها الإنساني الصحيح وحريتها." كما أنها خزينة كبيرة لنا نحن النساء أيضاً. ومقابل أسئلة 'كيف يتم العيش مع المرأة؟" و " وكيف لا يتم العيش مع المرأة؟ " فإنها تحوي تجارب مهمة جداً ضمنها. وضمن هذه التجارب والتحليلات، تناولت تجارب النساء في الكفاح، ووضع النساء في ثورات العالم، النساء والرجال الذين تشكلوا ضمن المجتمعية الكردية، علاقة المرأة والرجل، العائلة والصورة النمطية للمرأة والرجل في كل منطقة أيضاً. وقد اختبرت النساء الرجال الذين حللتهم، في كفاحات تنظيم الشعب، في الجيش، في القرى والمدن، في الميادين الثقافية والإعلامية والفنية والديبلوماسية والاقتصادية. وقد أخذت معطيات هذه الاختبارات بعين الاعتبار، وطوّرت تحليلاتها السوسيولوجية على هذا الأساس. وقد عثرت على التناقض والتشكلات الأساسية في كل رجل وامرأة، ووضعتهم في تلك الميادين التي يميزون فيها اختلافاتهم ويحلونها بأنفسهم. وجعلت انتصاراتهم وفشلهم القائم على هذا الأساس، اجتماعية بالتقييمات الجماعية بقدر الحوارات الفردية.

يقول القائد عبد الله أوجلان مدعوماً بهذا القدر من التجارب والتحليلات " لا يستطيع أحد في العالم أن يحلل اجتماعية المرأة أفضل مني. يجب أن يقوم الإنسان بتقوية المرأة. ورغم أنني أرى ألوهية المرأة لافتة للنظر وجذابة، إلا أنني أميّز بأن هذا العمل يتطلب بطولة وهو حدثٌ يصعب تطبيقه. لكنّ عمراً أكثر سلمية وجميلاً وشعورياً وكذلك مستحقاً للحياة، ما لم يستند في قوته إلى حرية المرأة وقوتها التي تجعل هذا ممكناً، فلا أعتقد بأنه سيُعاش." الشيء الذي يجعل القائد عبد الله أوجلان مختلفاً عن العديد من الفلاسفة والرؤساء الثوريين والسوسيولوجيين والعلماء الرجال الآخرين، هو وحدة حياته مع نظريته، بحيث يشكلان دعامة لبعضهما البعض. ولهذا السبب فنحن النساء اللاتي نأخذ مواقعنا ضمن ثورة حرية كردستان، نتناول الجهد المشترك الذي يستند إلى نتاج تحليلات القائد عبد الله أوجلان الذي اقترح الجنولوجيا

لنا، والنساء والرجال الثوريين الذين يأخذون مواقعهم ضمن كفاح الحرية والتجارب المُعاشة، هي مصدر أساسي في تطوير علم وجود المرأة وأركولوجية المرأة.

تخرج الجنولوجيا من هذا التراث والمصادر، وتستطيع أن تقوم بأعمال مهمة بخصوص انتولوجيا (علم وجود) المرأة وتشاركها مع الحركات النسائية وكافة نساء المجتمع. وتتناول عقل وشعور وجسد وإحساس المرأة وخصائصها وعالمها في العديد من الميادين، بشكل علمي وبهذا الشكل تصل إلى التعبيرعن المنبع الذي تستند إليه قوة وجود المرأة. وفي هذا الموضوع، فإنّ تقييم متابعة المعطيات التي تخرج بها العلوم الاجتماعية وتناول هذه المعطيات بعلم المرأة، مهم جدّاً في بناء هوية المرأة الحرة.

تعريف الدياليكتيكية الطبيعية للوجود ضمن المرأة، مطلوبٌ لتهميش ازدواجية البراديغما المسيطرة القاسية والقاتلة. ونستطيع القول بأنّه من المستطاع تعريف جوهر الدياليكتيكية الإيجابية والبناءة بالأكثر ضمن وجود المرأة"[76]. وتجري الجنولوجيا نقاشاتها في هذا الجانب بناءً على معرفة بأنّ طبيعتي المرأة والرجل طبيعتان مختلفتان عن بعضهما. وتاريخنا البيولوجي والسوسيولوجي أعطتها شكلاً هكذا. ومن الضروري أن يحلّل المرء هذه الاختلافات ويقيّمها ضمن الجدلية الطبيعية للوجود. لا يؤسّس أيٌّ من هذه الاختلافات بين المرأة والرجل لعلاقةٍ تستند إلى التحكم والسيادة. ولا يسيطر أحد على الآخر. الأنثى هي التي تطوّر، تنوع الطبيعة كإمكانية للحرية، وفي يومنا هذا، ترى المرأة ضرورة التمعّن بهذا التنوّع وتعريفه على أساس الحرية. وينبغي لنا أن نستطيع قراءة النسوية والرجولية كظاهرتين تم بناؤهما. لكن في الوقت نفسه ينبغي أن نكون واعين لهما كطبيعة وهويات وُجدت في بداية المجتمعيّة (تكوّن المجتمع) وتتمم وتتكامل مع بعضها، وتثري بعضها البعض. الكارثة التي تُعاش اليوم، هي وضع طبيعتي المرأة والرجل ضد بعض وتغريبهما عن بعض ضمن التاريخ الاجتماعي والتي تحققت بالتدخلات الفكرية والإكراه الموسّع. وتشرح إليزابيث بادينتر هذه الحقيقة في كتابها المسمّى 'واحدة أخرى' كالتالي:" الانقسام الخيطي للحالة الخنثوية (حالة الأنوثة والذكورة في

(76) تعميم الجنولوجيا- 2011

آنٍ معاً) التي يسردها أرسطوفانيس بشكل جميل: كانت الإنسانية في بدايتها تتشكل من زوج ينصهر ضمن بعضه البعض ويشيّد التكامل الأجمل الذي يتذكره الإنسان. لم تحتمل الآلهة الحسودة هذا الاتحاد القوي والجميل وجزّأته من المنتصف إلى جزأين متساويين وتقاسمتها فيما بينها. ومنذ ذلك الحين، أصبحت الرغبة الوحيدة للنساء والرجال الذين افترقوا عن بعضهم هي أن يصلوا لبعضهم مجدداً ويندمجوا ببعضهم البعض. وكجنسين افترقا عن بعضهما، فإنهما لا يرفضان فكرة التشاركية أو الرغبة بالآخر وحبّه. وعندما تكون حقوق وخصائص أحدهما مختلفة عن الآخر، ويستطيع أحدهما أن يفعل الأشياء التي لا يستطيع الآخر فعلها، فهذا لا يعني تضاداً، بل ينبغي أن يُرى كتعامل مع بعضهما البعض على أساس ألا يؤثر أحدهما على قيَم الآخر. فالانقسام الخيطي للحالة الخنثوية (ثنائية الجنس) تذكّر الإنسان، بأنهما عندما يصبحان واحداً لا يتجزّأ فسيصلان لبعضهما البعض، وعندما يبتعد أحدهما عن الآخر ويختلف عنه، فسيُجْرح ويبقى بلا فائدة. لكن لم يُفهم ما الفائدة المرجوّة من هذا الدرس، حيث وُضع اللا تناظر المُطلق بدلاً من 'التناظر' (التناسق) الموجود بين الأجناس، من قِبل الذهنية الأبوية. ويمكن أن لا تكون ذهنية العصر الأبوي قد استطاعت النهوض بطريقةٍ أخرى، سوى بفرض قوتها بتأثير ثقل مخاوفها، وكذلك لعدم رؤيتها بأنها ترمي بذور فناءها.

هذه الحقيقة التي تشرحها بادينتر، تُذكر في العديد من الميثولوجيات بطرق مختلفة. وحتى ضمن بعض شروحات الكتب المقدسة،" في الوقت الذي أُنزلت حروف أسماء آدم' كان الرجال والنساء في تكاملٍ وتوحّدٍ تام مع بعضهم البعض، إلى أن وضعه الله في نوم عميق. كان آدم يَرقد في مكان المعبد السفلي. والإله الكبير المقدس فرّق الأنثى عنه"[77]. ووفقاً لهذه المقولات، فالخنثوية، أي مُلازمة آدم وليليت، هي الشكل البدائي للبشرية. ويتم شرح ليليث كالنصف الآخر لآدم. كما أنّ العديد من آلهة البركة الكونية ضمن الميثولوجيا هي خنثوية، أو أنها أنثى في سنة وذكر في سنةٍ أخرى. العديد من آلهة النباتات (على سبيل المثال، آتيس، أدونيس، ديونسوس، نانا -بولوكو، ماو-ليزا) والآلهات الكبيرة (مثل كيبالا) هي مزدوجة

(77) زوهار 1:34 ب. زوهار كتاب كُتب في القرن 13 وتعتبر النتاج الأساسي ل كابالا

الجنس. وبحسب العديد من العقائد، فإن الخنثوية هي شكل الوجود البدائي للإنسان. والتغييرات الميثولوجية التي أتت لاحقاً، تذكر "الأزواج الابتدائية". ويُقبل هذا الشكل الابتدائي، في العديد من الأفكار والعقائد، كشرطٍ لكون الإنسان كاملاً. وفي العموم فإنّ الجانب اللافت للنظر ضمن هذه الشروحات، هي الثنائية الجنسية لآلهة النباتات. أي وجود كلا الجنسين في جسدٍ واحد. وهكذا هو الحال في نمو الكون أيضاً. وفي الميثولوجيات أيضاً هي أول شكل لتفكير الإنسان، ومن الطبيعي أن يبدو هكذا.

الرسالة الأساسية التي ينبغي أن نستخلصها من هذه الميثولوجيات، هو أنه من الضروري أن يتكامل الجنسان. " وفقاً لحياة لا يمكن أن تتم بدون امرأة (يمكن أن تكون الحياة بدون الرجل أيضاً ولكن حينها تصبح حياة عبودية)، فتحرير الحياة يستوجب تحرير المرأة. فثورة المرأة المتجذّرة، لا يمكنها أن تحرّرها بدون تحقيق تغيير ذهنية وحياة الرجل. لأنه بدون تحرير المرأة التي تشكل العنصر الأساسي للحياة، ستبقى الحياة تُعاش كسراب على الدوام. وستبقى السعادة خيالاً أجوفاً، ما لم يتصالح الرجل مع الحياة والحياة مع المرأة. " إنّه ضرورة لدياليكتيكية تطوّر الكون، وإثبات القائد عبد الله أوجلان هذا يظهر هذه الضرورة بشكل لافت جداً. عندما ينظر الإنسان إلى غيرة الآلهة الحسودة من هذا الكائن الحي الخنثوي في الميثولوجيات، نظرة إيديولوجية فالصحيح أنه مُحق. فإذا ما كان الرجل والمرأة سيكمّلان بعضهما الآخر ويعيشان مع بعضهما بشكل متحد، فسيخرجان قوة إلهية. أو ستحسدهم الآلهة على هذه القوة. ونستطيع القول بأن القائد عبد الله أوجلان يتناول طبيعة المرأة والرجل على هذا الأساس. ويُعبّر عن هذا الأمر في تقييماته بهذه الطريقة: "أحسست دوماً بشكل مفصّل ومعمّق بمعنى الحياة للزوجين الأكثر أعجوبة في الكون (بقدر ما تم معرفته). وتجرأت سابقاً أن أفكر مع المرأة وأن أتناقش معها قبل جميع علاقاتي، بمكان، وزمان وكم يوجد من السيئات، وأزيلها من الوجود. بهذه الطريقة وفقط عندما تمضي المرأة القوية، والمفكرة، والصالحة، والجميلة والتي تتخذ القرار الصحيح، أُعجب بها وتستطيع أن تصبح مخاطبتي، وبلا شك في خضم بحثي الفلسفي فهي حجر الزاوية. وآمنت دائماً بأن أسرار الحياة التي تتدفق وتنساب في هذا الكون ستكسب معانيها الأفضل والأجمل والأصح مع هذه المرأة".

لكي تقطع الحضارة السلطوية، "تدفق الحياة في الكون" بشكل تام وتصبح مسيطرة على كافة الأحياء وضمنها الطبيعة أيضاً وتقوم بالاستغلال، فإنها شيّدت لآلاف السنوات جروفاً كبيرة بين المرأة والرجل وعمّقت ووسّعت اغترابهما عن بعض. كما شكّلت جروفاً كبيرة بين الإنسان والطبيعة الأولى أيضاً. وأساساً فإنّ فكرة أن المرأة والرجل يكملان بعضهما بحد ذاتها، تستند إلى فكرة تكامل الإنسان والطبيعة. فقد خلقت إيديولوجية العصر الأبوي، العداوة والاختلاف بين الرجل والمرأة، وبين الإنسان والطبيعة – والكون. وتاريخ هذه الحالة، هو موضوع يجب تناوله وبحثه بشكل خاص من قبل المناضلين النساء والرجال الذين يسيّرون نضال الحرية. ومن الجلي بأنه عامل مهم جداً ضمن تاريخ تشكّل وجود المرأة وفي الوصول إلى هوياتها في يومنا هذا. فالميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم لم تقم بخلق الجنسوية الاجتماعية والمجتمع الأبوي بتصغير المرأة فقط. بل فصلت الرجل أيضاً عن الحقيقة الطبيعية والاجتماعية ورغبة الحريّة، وبقدر ما يضيّع ويفقد شخصيته فقد مُنح حِصّة من السلطة كرشوة. ويتم رؤية هذه الحقيقة في الميثولوجيات أولاً. فحقيقة الآلهة والآلهات التي لها علاقة مع البشر ضمن الميثولوجيات، يتم تغييرها في الميثولوجيا السومرية، ويصبح الله يخلق البشر من برازه. والآلهة التي تخلق نفسها من السماء والضوء والماء والقمر والشمس والنار والهواء، لا تقلق من خلق البشر من برازها. وتتحول طريقة الخلق هذه ضمن الأديان التوحيدية، إلى الخلق من الطين والوحل. وضمن هذا الخلق يتم تطوير هرمية مجدّداً. حيث يُخلق الرجل من الطين، والمرأة من ضلع الرجل الأعوج. والصحيح هو أن اختلاف الخلق ما بين المرأة والرجل، يبدأ من بعض الميثولوجيات والأديان التوحيدية. وبهذه الطريقة عندما يبقى الرجل صامتاً تجاه اختلاف طريقة الخلق هذه، فإنه يصبح شريك ذنوب القوى السلطوية. فقد أغرته السيطرة ومزاياها. ومن ناحيةٍ أخرى فبعد مدّةٍ طويلة من استمرار مُعتقد الأم الإلهة، فقد جعلوا الرجل شريكاً مخلصاً للآلهة خطوة بخطوة. ومكافأة هذا الأمر كانت ممارسة الربوبية على المرأة. ويستمر شكل العلاقة هذا بدون تغيير حتى اليوم. لكن خلال عصر الألفي سنة التي كان فيها الرجل والمرأة ضمن توازن، كانت الآلهة النساء والرجال تستذكر دائماً على شكل أزواج. تلك الأزواج مكمّلة لبعضها، وتمارس الزواج المقدّس، وعندما تصل لبعضها فإنها تجلب الربيع والسعادة للعالم. كشخصيات آستارتا وبعل، عشتار ودوموزي، هيبات

وهيباتا، كيبالا وآتيس، إيسيس وأوسيريس، أفروديت وأدونيس. لكنه ينهار لاحقاً أيضاً. وفي الميثولوجيا فشخصية بروميثيوس لافتة أيضاً. لأنه سرق النار من الآلهة وأهداها للبشر من ناحية، ولأنّه لم يقبل هدايا ورشاوى الآلهة من ناحيةٍ أخرى. وفي هذا الصدد فإنّه ينبّه شقيقه أيضاً،"مهما تكن الهدايا التي ستقدّمها لك الآلهة، فلا يجوز أن تقبلها!".

عندما نعرّف علاقات المرأة والرجل من ناحية وجود المرأة بشكل خاصّ، نستطيع أن نتناول هذه الشخصيات أساساً. ونستطيع أن نبحث بشكل موسّع، بروميثيوس والآلهة التي تكمل الآلهات، وتمنح معها في اتحادٍ وتكامل العديد من الفوائد للمجتمع. ونستطيع أن نحلل تجارب تاريخ المرأة، من أجل تدريب وتغيير وتحويل الرجل. وينبغي أن نبحث أيضاً التخريبات التي ألحقتها هذه الرجولية المشيّدة على الرجل وعلى المرأة على حد سواء، وأن نطوّر مرحلة بناء الوجود الجوهري لكلا الجنسين. كلّ هذه الميادين هي ميادين مسؤولية وأهداف الجنولوجيا. " من الضروري أن يتم استيعاب الألوهية التي يجب أن تكون موجودة بين المرأة والرجل. ومقصدنا من الألوهية، هو القصة الكونية للإنسان التي هي (حسب المعطيات العلمية) ذات عشرين مليار سنة، هي قوة المعنى التي تُدرك ذاتها في الذكاء العاطفي والتحليلي للإنسان، وتبدي حماسة كبيرة. إنها الطبيعة التي تُدرك ذاتها. تخوض المرأة ولادة قريبة من هذه أكثر من الرجل. والمعطيات العلميّة تشير إلى هذا الأمر. وعندما أقول أنّ المرأة كونيّة وإلهيّة فقصدي هو هذا المعنى. يكون هذا المعنى محسوساً أحياناً ضمن عالم الفن والسياسة والعلم والثورات، وعندما يظهر ضمن علاقات المرأة والرجل، يستطيع المرء أن يذكر ألوهية العلاقة. ومن الضروري أن يكون كذلك. وقد أدركت الأديان هذه الحالة. ولكن لأنّ هوياتهن الاجتماعية والفكرية مثقلة بالرجل، وعندما تركوا المرأة خارجاً، فقد ألحقوا ضرراً كبيراً بهذه الألوهية التي يدّعونها. ومحاولتنا هي إظهار الألوهية بين الجنسين بشكل متوازن وديمقراطي وحر ومتساوي." في أساس إثباتات القائد عبد الله أوجلان هذه، فإنّ مهمة الجنولوجيا هي تحديد، متى وبأية وسائل دُمّرت هذه الألوهية وكيف سيتم بناؤها مجدّداً، وتطوير البحث والاستقصاء والمحاولات. هي تضخيم وتنظيم هذه المحاولات بقوة المعنى وبالمقاربة العقلانية والفلسفية. إنّ جذر كلمة زنديق في

اللغتين العربية والفارسية هو من zen-dîn أي بمعنى دين المرأة. ترى المنظومة الأبوية (البطرياركية) بأنّ الإيمان بدين المرأة هو زندقة أي أنها انحراف وضلال. وبناء اتحاد المرأة والرجل ضمن هذه المنظومة هو واجب ثوري يتطلب الجرأة الأكبر. لكنه قبل كل شيء ضرورة الإنسان الكامل أو المتكامل. وينبغي على النساء والرجال الذين سيبدون هذه الجرأة، أن يوصلوا أنفسهم إلى القوة الذهنية العظمى وطاقة الحياة. لكن وقبل كل شيء يجب أن يؤمن الإنسان بها من قلبه ويكون ذا موقفٍ متماسك ضمن هذا التوجّه. ولكي يتم تعريف وجود المرأة جيداً، فإن قبول وعيش هذا الموضوع بقوّةٍ هو أمر حياتي.

كما يوضح القائد عبد الله أوجلان في تقييمه: " العدالة، والحرية والمساواة هي تطورات حدثية في طبيعة المرأة، يتم عيشها بشكل موسّع جداً. والأصح، إنّ جوهر مجتمعية المرأة هو على أساس العدالة والحرية والمساواة. كما أنّها سِلميّة إلى أبعد حد. وفي العموم فهي مُدركةٌ بأنّ حياة ذات معنى، ستتطوّر فقط بهذه المفاهيم الأساسية. إنّها حساسة وبارزة ضمن مفهوم الجمال. وإذا فرضت الحرب والظلم والإكراه واللا مساواة ضمن اختياراتها، فإنها تناهض طبيعتها وشكل مجتمعيتها أيضاً. وفهم جميع هذه الخصائص، مرتبطٌ بالفرص والإمكانيات الحرّة وبحركة المرأة. وبالقدر الذي تتمكن فيه من أن التحرّك بشكل حر، فإنها ستطوّر احتمالات الجمال والعدل والمساواة. وكذلك فإنّ معايشة مفاهيم الجمال والعدل والمساواة في المجتمع بشكل جيد جداً يمر بحرية المرأة." فطبيعة المرأة تظهر فقط في محيط اجتماعيٍّ حرّ، لكنّ الحرية الاجتماعية تتطور بتحرّر المرأة. وتؤدّي هذه العلاقة الجدلية دور المفتاح من أجل فهم وتعريف وتجاوز مسائل وجود المرأة. وتُبنى هوية المرأة كما في عصر الإلهة الأم بشكل اجتماعي. وتطوّر المرأة مجتمعيتها بخصائصها القوية جداً. نظام الرجل المسيطر على مدى خمسة آلاف سنة، وبقدر ما يقوم بربط وجود المرأة بتنظيمية فحصٍ معمّق ومفصّل، وبالاستعباد والاستعمار في كل ميادين وتفاصيل الحياة، فهو بسبب هذا الارتباط القوي بين المرأة والتكوين الاجتماعي. هذا الارتباط يبني الشخصية الأساسية لرحلتنا نحو ذاتنا، وينبغي لنا أن نستطيع التقدّم بهذه المعرفة. وعلى هذا الأساس، فإنّ إحدى قواعد الجنولوجيا في

تطوير أساس حرية وجود المرأة هي، إعادة تركيب خصائص الإلهة الأم القوية تلك والتي تم تشتيتها ويرغبون بتدميرها، ضمن هوية المرأة.

لكي نستطيع أن نتقدّم بإصرار وقرار ضمن نضال حريّة المرأة، يجب أن نؤلف ضمن شخصياتنا هويات المرأة التي تطورت عبر التاريخ بخصائص مختلفة وخصائص جميلة. وكذلك نستطيع أن نجمع ضمن هويتنا تركيب المرأة بجميع فضائل الآلهات، ونقاء الملائكة والقديسات والتي لم تكتسب شرور هذا العالم وقذارته، ورغبات وجمال أفروديت مع بعضها بعضاً ونطوّرها. ونستطيع أن نزيد على هذا التركيب العديد من خصائص المرأة التاريخية والقوية ونثريه. وذلك يتطلب الكفاح ضد التملك والمتاعية أو القتل المفروض على هوية المرأة. ونستطيع أن نجعل روح وذهنية تلك الحِقب التي سادتها هوية المرأة الأصيلة والثائرة والحرّة والتي كانت قوّة الحلّ، مُعاشة بشكلٍ يومي ضمن حقيقتنا الاجتماعية. ويعرّف القائد عبد الله أوجلان هذه اليومية من ناحية هوية الإلهة بهذه الطريقة: "الإلهة، المرأة الواعية لكونيتها، وتتربّع في مكانها بشكل كامل بتوازن القوة الديمقراطية، هي حرّة وتعبّر عن المساواة التي تطبّقها في علاقاتها الاجتماعية. من الواضح أن الرجل لن يتجرّأ أن يجعل من هذه المرأة خادمة ولا أن يُمارس عليها حكمه وسلطته، سيتمكن فقط أن يعبّر عن حبه واحترامه لها، ولن يُجبرها على تلك العلاقة الجنسوية التي يُؤمل منها الحب والاحترام بالإكراه." وإنْ أحيينا جميع الخصائص الجميلة والجوانب القوية التي بنتها في كامل تاريخ النسوية سنستطيع أن نشير إلى موقف المرأة هذا. ونستطيع أن نجمع قيمنا الإيجابية، القوية والتحرّريّة التي شهِدْناها عبر تاريخنا الممتد لآلاف السنين.

وسنستكشف من جديد حقوقنا التي سُلبت منا واحداً واحداً وخصائصنا بأركولوجية المرأة الموجودة في أنقاض ماضينا ونكسبها مجدّداً. وسنركّب هوية المرأة مجدّداً بالعديد من القيم القوية للمرأة والفضائل. وسنعطي الشكل لوجودنا بحسب متطلباتنا واحتياجاتنا، وليس بذهنية الجمال التي اكسبتنا إياها الحداثة الرأسمالية. وإنْ تمّ خلق وجود للمرأة على هذا الأساس، فإنّ ثقافة الرجل المسيطر ستتشتت وتجعل الرجل يتقرّب من المرأة بحب واحترام أكثر. وبقدر تعريف وجود المرأة، فإنّ خلقها

سيعطي الشكل للحياة الاجتماعية والطبيعة أيضاً، ونستطيع أن نجرّبها بهذا الشكل مرة أخرى. وستؤسّس هذا البناء الاجتماعي الذي واجه التآكل في العديد من الجوانب وتجعله أفضل. وهكذا نستطيع تجاوز الثقافة التي تجعل من المرأة أَمَة (عبدة).

لم تكن المرأة سابقاً بحاجةٍ إلى الرجل مطلقاً ولم تبقى مرتبطة به. اليوم في العالم هناك ملايين النساء اللواتي لا يستطعن السفر لوحدهن دون إذن والدهن أو أزواجهن. كانت المرأة سابقاً تملك القول والإرادة بخصوص جسدها واجتماعيتها وأطفالها وكامل حياتها. بينما اليوم فأغلبية النساء فقدن حقوقهن وقوة إرادتهن هذه.

هي معرفة أساسية للبيولوجيا بأن جسد الرجل لا يمتلك خصائص الولادة. هي طاقة الأنثى الكونية وهوية المرأة التي جعلت هذه الطاقة ماديّة وملموسة في الإنسان، المُنتجة من الناحية الجسدية والذهنية. ولا توجد أية هوية للمرأة تحتاج فيها إلى عقل ودماغ وجسد الرجل من أجل وجودها. وينبغي أن يتم تجاوز وإزالة وجود المرأة المُسيطَر عليه والذي استغلوا ضعفه وجعلوه عبداً للرجل والنظام. ومن أجل وجودٍ نسوّي حرّ ينبغي لنا أن نطوّر الذاتية بهذه الإزالة. هذا موضوع أخلاقي. سنقول ' أنا، وأنا' تعني أننا سنكون لذواتنا، أي بمعنى كون الذات! لكي يواجه المرء فرض الذهنية الثقافية على المرأة التي تقول 'ستكونين المُلك المطلق'، فإنّ تصعيد النضال والكفاح الأساسي وحل مسائل الوجود المتأزمة ممكنٌ بتكوين الذات. إنّ استذكار هذا المفهوم، ومعناه واحتياجاته في كل تفصيل حياتي، وتطوير قوّة الحركة المستقلة بالإيمان الجوهري والجريء، هو من تلك الخطوات التي يجب أن نخطوها بدايةً.

لاستمرارية هذه الخطوات، فإنّ أحد المواقف الذي سنحلله وننتقده هو النساء اللواتي يربطن طموحهن بالرجل ويتشبّهن به. تلك النساء هنّ على الأقل يشكلن تهديداً لطبيعة المرأة بقدر الرجل المتحكم. يتم رفض دور الجنسوية الاجتماعية، ولا تُقبَل المرأة التي تطبق الجنسوية بشكل معكوس، باسم الإرادة والفكر الحر. ولا تصبح حالة تنبغي حمايتها باسم الحرية الفردية. لأنّ أية هوية وموقفٍ تصبح وجوداً للمرأة، يجب أن تتجاوز ثنائية الحاكم والمُستَعبَد(العبد). لأنّ هذه الثنائية مخالفة

للطبيعة الاجتماعية. هي مخالفة ومضادّة لقواعد الحرية، والإنسانية، ومجتمع أخلاقي وسياسي وللديمقراطية. ولا ينبغي تناول النسويّة كحدثٍ فيزيائي فقط. فأنْ تكون امرأةٌ أنثى جسديّاً، لكنها ذكرٌ روحيّاً وثقافياً وفكريّاً، فهذا يعني قمّة الاغتراب. فالمرأة التي تعيش اغترابها كهوية لها وتصونها ليست لها أية فائدة لمجتمعيتها. وبحسب هذه الذهنية الأساسية، فإن الجنولوجيا ترفض رجولية المرأة وتشبهها بالرجل ورفضها لطبيعة المرأة.

ونستطيع تحقيق ثورات المرأة في الميدان الأيديولوجي والسياسي، بتطوير "الذهنية الطبيعية التحررية للمرأة "[78] ضد تشكيلات الأفكار السلطوية للمنظومة الأبوية. ونستطيع بناء ميثاقنا الاجتماعي، على أسس وجود وهوية المرأة التي سنطورها بشكل كامل. وفي الوقت نفسه، يُؤطّر هذا الميثاق مواضيع، ما هو شكل المجتمع الذي نريده، وما هو النظام الاقتصادي الذي نريده ضمن الحياة الاجتماعية، وما شكل العلاقة التي نريدها مع الطبيعة، وماذا نريد بصدد موضوع العائلة والأطفال، وماهي المقاييس والقواعد التي نريد ترسيخها في التشاركية والعلاقات مع الرجل. وبالقدر الذي طوّرنا فيه وجودنا بالدعائم السليمة بحيث نقوّي ونعزّز مجتمعنا أيضاً بهذه الطريقة، سنفتح هذا الميثاق لنقاشات أقسام المجتمع كافة. وسيكون هذا الميثاق ميثاقاً يكافح ضد قتل النساء، ختان النساء، الاغتصاب، الفقر، البطالة، الظلم الاقتصادي الذي يظهرها كقوةٍ رخيصة للعمل، العائلة، الحقوق والخ. النضال ضدّ كل هذه الأشكال، سيكون إظهاراً لإرادتنا.

ونستطيع أيضاً أن نناقش بشكل جماعي نظامنا الكونفدرالي، كوموناتنا، وإنْ لزم الأمر قرى ومدن النساء، وما شكل النظام الذي نتوقعه مستقبلاً في أماكن الحياة هذه. الشرط الأوّل لوجودنا هو التكوين الاجتماعي (المجتمعيّة). فإن لم توجد المجتمعية فلن توجد هوية ووجود للمرأة أيضاً. هذا القدر من تقييماتنا وأبحاثنا حول وجود المرأة، تكسب معناها فقط ضمن المجتمعية. لهذا السبب فكل نقاش حول هويتنا ووجودنا، وكيف نربطها بالحياة الاجتماعية، وكيف نجعل منجزاتنا والنتائج التي توصلنا إليها جمعيّة، وما هو شكل المجتمع الذي سنشيّده على هذه الأسس، هو

(78) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

موضوعٌ متعلقٌ بمسائل وجود المرأة وحلولها. تناول الموضوع ومناقشته وفقاً لهذه المعرفة، سيكون أحد العوامل الأساسية التي ستطورنا في رحلتنا التي بدأناها.

ونستطيع أن نضع شروطنا، في ميثاقنا الاجتماعي بخصوص الرجل أيضاً. وتستطيع النساء توضيح مقياس للرجال أو طلب الأجوبة منهم ضمن مواضيع "كيف تكون حياة غنية مع المرأة، وكيف يمكن أن تكون تشاركيّة، وما شكل السياسة التي تطبّق". وكذلك ما شكل الرجل الذي ترغبه المرأة أيضاً، وكيف تستطيع أن تعيش حياة تشاركية مع الرجل، وما الذي تستطيع فعله في السياسة والحياة الاجتماعية والفن؟ وتستطيع أن تحدّد إطاراً بخصوص هذه المواضيع. وتستطيع أن تعطي أفضلية لضرورة ومعنى "الانعتاق الأبدي" من الرجل وكذلك "الانعتاق الأبدي" من السلطة، من أجل الرجل والمرأة.

وتناضل الجنولوجيا على أساس هذا الميثاق، ضدّ هويات المرأة والرجل التي بُنيت وفقاً لموقف السلطوية الرجولية، بالباراديغما العلمية والقوة الفكرية للعصرانية الديمقراطية. وعن طريق الأبحاث والتحليلات تقوم بتقييمٍ قويٍّ فيما إذا كانت هذه الهوية التي هي من إبداع عقل المنظومة الأبويّة والدولتية، تخرّب الطبيعة الاجتماعيّة. إن خلق أثينا من جبهة زيوس بالنسبة للمرأة، أي خلقها من دماغ الرجل هو حطٌّ من قيمتها. إنها النسخة اليونانية من قصة خلق حواء من ضلع آدم الأعوج. والزيوسيّة أيضاً هي إهانة وحطٌّ من قيمة الرجل. وهي نسخة من قصة آدم الذي خُلقت المرأة من ضعله. فكيف يستطيع رجلٌ أن يعيش مع امرأة خُلقت من ضلعه؟ وإذا ما قارنّاها مع يومنا هذا، فكيف يستطيع رجل أن يعيش مع نسخته، مع امرأةٍ تشبه الرجل؟

يستخدم النظام السلطوي الرجولي، الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم أيضاً ويقوم بعكس هوية المرأة الموضّحة في الحياة الاجتماعية. ورأينا كيف أنّها تشير إلى المرأة كونها مخلوقة من الرجل وجسدها أقل قيمة من جسد الرجل. لكن كافة المعطيات العلمية قد أثبتت منذ وقت مبكر بأنّ هوية الأنثى هي التي تطوّرت مسبقاً وأنّ الرجل صُنع من جسد المرأة. ورغم هذا، فإنّ إصرار عقل الرجل المسيطر

بالحكم المسبق في عدم تغيير موضوع المرأة والمعتقدات التي لا أساس لها، متعلقٌ كلياً بالموقف الفكري. هو التحفّظ والاحتراز تجاه خوفه من فقدان سلطته. وستناضل الجنولوجيا بالعديد من الطرق الفلسفية والفنية والأدبية والخ، ضد هذا التحفّظ. وستعمل لكي تهدم هذا الموقف الأيديولوجي لعقل الرجل المتسلّط، وتعرّف طبيعة المرأة على أساس القبول الصحيح والعادل والأخلاقي. وستكون دعائمها الأساسية هي، الهويات التي تظهرها النساء في تطبيقاتها الحياتية، وميراث العلم الذي تطوّر على انتولوجية (علم الوجود) المرأة وستكون البحث التحرّري بخصوص وجود المرأة.

وتتخذ من خوض نضال فعّال، ومعرفي، ضد مواقف الرجل المناهضة لوجود المرأة الحر، وضدّ المعرفة أو التشكّل الثقافي الذي يعيقه، أساساً لها. عندما لا يتفاءل رجلٌ بقوة المرأة، ويرجّح استمرارية هوية المرأة العبدة، وأن يبقى بحد ذاته مسيطراً، فإنّه يشكل خطراً على وجودنا. إنها مقاومة ذهنية الرجل التي لا تتغير. وكذلك الحال فعندما يكون الرجل تحرّرياً في أقواله ولكنه مسيطرٌ في الحياة، فهذا تخريب لقيم الحرية. إنّه موضوعٌ يجب أن يتم تحليله واتخاذ موقفٍ حياله. إنّ النقطة الأدنى من الذل وانعدام القيمة هي عندما يخدع رجل امرأة بمكره الممتد لآلاف السنين ويغيّر لونه على الدوام. وتستطيع النساء أن تتخذن موقفهن تجاه هذا الوضع، وإن تطلّب الأمر أن يقمن بفعاليات. لا توجد أيّة علاقةٍ لرجل يقف باحترام وحبٍّ مقابل حرية المرأة ولكنه جاهل، سواء بالحرية أو بالجمال أو بالأخلاق. فهناك مشكلة تدريبٍ موسّع. لكنّ الرجل المتعلق بحرية المرأة والرجل، ويرغب بتجاوز ثنائيّة العبد والسيد، ويحاول أن يدرّب نفسه في هذا الموضوع، هو على درب الرفاقية مع المرأة. ويستطيع أن يتحرّك بشكل تشاركي ويستطيع المرء أن يدعمه في هذا الخصوص. ويستطيع الإنسان أن يزيد هذه الأمثلة. ويمكن ترسيخ المقاييس والقواعد الموجودة في هذا الموضوع ضمن الميثاق الاجتماعي للمرأة. المهم، هو أنّ المشاكل التي يعيشها الرجال والتي يجبروننا على عيشها بشكل مباشر أوغير مباشر، ومواقفهم المختلفة، والمستقلة والبعيدة تجاه مسائلنا الوجودية، هي عدم تناولنا. وإحساسنا في هذا الموضوع، يمكن أن يتغيّر حسب خصوصية المسائل، لكن لا ينبغي أن يضعف عزمنا وتصميمنا. من العسير إزالة وتجاوز الرجل الذي

شكّلته المنظومة الأبوية و الفكرية. لكن إنْ استطاعت المرأة أن تكون المدرّبة والمغيّرة، فهذه لا تشكل صعوبة لا يمكن تجاوزها.

أحد الأساليب الأساسيّة لتجاوز هذه الصعوبة هو أن يُخضع المرء طبيعة وأنتولوجية الرجل للبحث والاستكشاف. وهذا موضوعٌ يجب أولاً أن يُشرف عليه الرجال ويتشاركوه في خضم البحث عن الحرية وفي مسار الحياة التشاركية الحرّة. لكن توجد مشاكل ومصاعب جدية في استيعاب الرجل بخصوص معرفة مشكلته في الحرية. كما أنّ هذه المشكلة ليست مستقلة أو منقطعة عن تاريخ الرجولة التي انقسم وجودها بين العبودية والسلطة وتعيش التوحّش في يومنا هذا. وينبغي لكل امرأة موجودة ضمن البحث عن الحرية، أن تبحث وتحلّل بخصوص طبيعة الرجل وأنتولوجيته ومشاكله ووجود الرجل الحرّ، على الأقل بقدر علمها بخصوص طبيعة المرأة ومسائلها الانتولوجية وحقيقتها، وأن تكون مناضلة على أسس التغيير والتحوّل. وتحاول الجنولوجيا في هذا الموضوع أن تصل إلى نقاش وبحوث ومحاولات المرأة والرجل في العالم كلّه وأن تشارك معها، ومن ناحية أخرى أن تتشارك معها تجاربها والنتائج والمعطيات التي ظهرت. إنّ طبيعة الرجل، ومسائله الوجودية وموضوع قواعد نشوء وجود الرجل الحرّ الموجود ضمن توجّه هذا الكتاب، ضمن المواضيع الواضحة التي توقفنا عندها، تستوجب تناولاً مستقلاً كضرورةٍ ملحّة. وستتواجد أعمال الجنولوجيا ضمن هذا الموضوع. لأنّه ومنذ البداية كانت تجاربنا لحرية المرأة، هي كفاح بناء كلٍّ من الرجل الحر والمرأة الحرة. كما أنها هدفت وتهدف إلى المجتمع الحر، بحكمةٍ وفعاليّةٍ تحرّرية لكليهما وتكاملهما مع بعضهما وتأثيرهما المتبادل. ولهذه الأسباب والحقائق التي تهدّد حياتنا، إذا قام الإنسان بتصحيح مسار حقائق الرجل المتسلط والمتوحّش، فستتناول الجنولوجيا في المراحل التالية طبيعة الرجل من الناحية الأخرى أيضاً. وستتشارك وجهة نظرها بشكل أقوى بخصوص مراحل التشكل التاريخي والحالي، والتشكّل على أساس الحرية.

غالبية الهويات النسوية، تم بناؤها أولاً بحسب مطالب الأنظمة الاستبدادية والدولتية ومن ثمّ بحسب مطالب الرجل. فطبيعة نظام المجتمع الأبوي تترعرع على عبودية

المرأة. ولا بدّ للنظام أن ينتج عبودية المرأة، لكي يضمن استمرارية وجوده. ولهذا يعمل النظام بكل الطرق والوسائل ابتداءاً من الثقافة والفن وحتى كافة ميادين الإعلام، ومن الاقتصاد وحتى السياسة، لكي يتبنّى هذه العبودية. لأن جميع الأديان التوحيدية تطوّرت على أساس هدم ألوهية المرأة، وأساساً فإنها تعلن منذ آلاف السنين بأنّ عبودية المرأة هي هوية طبيعية. وكي لا يفكر المجتمع بطريقة أخرى ولا يتحقق، يتم تعميق هذا الاعتقاد بأن هذه هي طبيعة وجود المرأة. وعندما يكسب المجتمع ميادين الفكر والحياة الحرة، فإنّه سيدرك بتجاربه بأنها ليست هكذا. إنّ النساء اللاتي أخذن مواقعهن ضمن نضال الكريلا وبالأخص خلال القرن العشرين، ويقمن بدور الريادة في السياسة، ويعملن في كل ميادين العلوم نتيجة نضالٍ كبير، ويُنتجن كل متطلبات المجتمع بجهدٍ كبيرٍ منهن، يهزون هذا الاعتقاد وهذه الدعايات من أساسها. لكن ما يزال هذا يُعبّر عن بداية العمل فقط.

فهؤلاء النساء والرجال الذين يفهمون كفاح حرية المرأة، ويدعمونه، ومن أجل مرحلة البناء الحرّ لوجود وهوية المرأة، يجب عليهم أن يطوّروا كفاحاً متعدد الجوانب ومستمراً، والتدريب وإعادة البناء. ويجب أن يظهروا للعيان في الحياة، بأنّ طبيعة وهويات المرأة والرجل التي ليست على أساس التضاد والسيطرة المتبادلة، ويجب أن يجعلوا الدياليكتيكية الطبيعية للطبيعة الاجتماعية وتكاملهما معاً مُعاشة. إنه وقبل كل شيء عملٌ كبير لعلم الأخلاق والجمال والنضال. وينبغي أن تقوم طبيعتا المرأة والرجل اللتان خربتهما وشوهتهما ثقافة المجتمع الأبوي وغربتهما عن بعضهما، ببناء معتقد الجمال الذي من الممكن أن يتحقق فقط بالحرية التي يمكن خلقها بجهد وكفاح كبير، وتطوّرها على الدوام. وسيكون هذا الانتقام الأكبر من عقل الرجل الذي ترك المرأة ك "الجنس العبد" والرجل ك "الجنس السيّد" تحت تأثير الضغط والإجحاف آلافاً من السنين. ولهذا يجب أن نتذكر على الدوام بأنه في عصر الآلهات، كانت المرأة والرجل أيضاً كائناتٍ حرّة لتلك العصور الشاعرية، ونحن أولاد تلك الحِقب التي عاشوا فيها بشكل متساوٍ.

إنّ فرص تحقق آمالنا، وتشكل عالم "طبيعتنا المشحونة" التي نشير إليها في مقاربة المجتمع وكل أنواع العلاقات، هي متنوعة وغنية وأكثر من أي وقت مضى. ويعبّر

القائـد عبـدالله أوجـلان عـن إحـدى هـذه الفـرص بهـذه المقـولات:" العصـرانيّة الديمقراطية، وطبيعة المرأة وحركة الحرية، يجب أن تعرف إحدى قواها الأساسية وتراها من واجباتها من أجل التطوير ومـن أجـل التماسك أيضـاً وأن تقيّمها ضـمن أعمـال إعـادة البنـاء". وإحـدى تعـاريف الجنولوجيـا هـي، أنّهـا علـم العصـرانيّة الديمقراطية. وأن تدرك هذه الطبيعة، وتوضح مقاربة هذه الطبيعـة كقـوى التماسك الأساسي لباراديغماها، دون قول فيما إذا كانت طبيعة المرأة موجودة أم لا، نابعٌ مـن الإيمان العظيم الذي تحمله من المعرفة العميقة لطبيعة المرأة وقوة المرأة. إنّ إيقـاف إبادات المرأة المفروضة على عصـرنا، وتطـوير هويـة المـرأة علـى أسـس الحريـة والعشق والحب، ممكنٌ بإحياء هذه الطبيعة. وسيصبح تطـوير الجنولوجيـا، فـي هـذا الصدد مرحلة مهمة.

- **الجنولوجيا التي تنبع من تجربة بحثنا عن الحياة ذات المعنى**

الجنولوجيا مفهومٌ جديد. لكن بمعنى، ظاهرة جمعت كل نساء العالم في كافـة ميـادين الحياة، وفي ميادين الكفاح السياسي، وفي تجارب نضـال الكـريلا، وفـي المقاومـات الحاصلة عبر آلاف السنين. ولها باعٌ طويل من النضال. بعـض المفـاهيم يـتم خلقهـا وتعيش أحداثها ووقائعها، وبعض المفاهيم يتم خلقها مـن وقائعهـا. والجنولوجيـا هـي مفهومٌ من النوع الثاني.

انطلاقاً من الوقت الذي بقيت فيـه ثقافـة الأم الإلهـة وحيـاة المجتمـع الطبيعـي وجهـاً لوجه مع الدمار، إلا أنّ مقاومة النساء في حقيقتها لـم تنتـهِ مطلقـاً. وخـلال السـنوات الفاصلة مـا بـين 4000-2000 ق.م ومهمـا قـد تـم تقسـيم وتجزئـة مقاومـة النسـاء اللامحدودة وحبسهن ضمن البيوت الخاصة، لكن الصحيح أنّ هذه المقاومـة لـم تنتـهِ قط. لم تستسغ المرأة أبداً، الهزيمة، والاستعباد، وإبعادها عن عشرات الآلهـات الأم، والخضوع لإلهٍ واحد فقط. لهـذا السـبب ومتـى مـا وجـدت الفرصـة سـانحة أمامهـا، ناضلت في سبيل وجودها، أي في سبيل العيش بهوية المرأة الحرة. فميلهـا الطبيعـي والداخلي يستند إلى قانون الحرية الكونية. أي قانون طاقة الحريـة المتدفقـة، التـي لا تتجمد، ولا يتم حبسها، ولا توضع في قوالب. هذه الطاقة، ومهمـا حُبسَـت، ففـي كـل

مرة تجد طريقاً لتدفقها وتصل إلى الطبيعة والحياة والحياة الاجتماعية، أي توصل نفسها إلى طبيعتها. والتاريخ الاجتماعي مليءٌ بالأمثلة اللامحدودة عن هذا الموضوع.

نحن النساء الكرد، فتحنا الجنولوجيا اليوم للنقاش ونرغب وندعو جميع نساء العالم لتطوير الجنولوجيا بشكل مشترك. نحن النساء الكردستانيات، نستفيد من الأمثلة اللامحدودة التي أوضحناها في الأعلى، ونكتسب منها القوة، وبهدف زيادتها، فإننا نأخذ مواقعنا ضمن النضال التحرّري الكردستاني منذ ما يقرب الأربعين سنة. حاربنا كثوّار، ومررنا بتجارب واختبارات صعبة للغاية في جبالنا المخيفة في سبيل تقديم حياة نخلقها في إطار المرأة. وانتفضنا إلى جانب شعبنا المتعطش للحرية ضمن الميدان الاجتماعي، وقدناه، وتم رمينا بالرصاص في الانتفاضات. عملنا وجهدنا في العديد من الميادين الحياتية مثل التدريب، الثقافة والفن، الأدب، الإعلام والصحافة، الديبلوماسية، الاقتصاد، البيئة، والعدل، والحماية الجوهرية. جمعنا تجاربنا الذاتية بمراحل شاقة. ومع الوقت نجحنا بشكل أكبر ضمن جميع هذه الميادين بوعينا وإدراكنا لتاريخنا النسوي وبتبني هوية جميع النساء اللواتي لم تتخلين عن الحياة بحرية وكرامة. نجاحنا وانتصارنا هذا كان بتأييدٍ قوي وبآراء ومساعدات كبيرة من رفيق دربنا وقائدنا عبد الله أوجلان الذي يعيش حرية المرأة ويمهّد الطريق للمرأة الحرة، كقانونٍ للكرامة والحرية.

قام عقل الرجل المُسيطر عبر خمسة آلاف سنة، ببناء وتنظيم نفسه على أسس السلطوية والدولتية. وخلال هذا الوقت كانت بطولات النساء التي لا حصر لها، ومقاومتهن، أساساً سليماً لتجاربنا على الدوام. وفي كل خطوة خطوناها أحسسنا بأن الجغرافيا التي انضممنا فيها إلى الثورة هي موطن الأم الإلهة، والتي تم قتلها في نفس المكان بألاعيب الرجولية المسيطرة أيضاً. ومهما تكن مقاومات نساء الثورة الروسيّة وبطلاتهن بعيدة عنا من الناحية الجغرافية، فإننا تعرّفنا عليها من الروايات وعبر التدريب الإيديولوجي. وكذلك النساء الثوريات اللاتي لعبن دورهن في انتصار ثورة فيتنام وثورة كوبا أيضاً. وتعرّفنا على الهويات المختلفة لتاريخ مقاومتنا، عبر النتاجات الأدبيّة والتدريب الإيديولوجي والأفلام والمرافعات التي

كتبها القائد عبد الله أوجلان في سجن إيمرالي بوعي تاريخي عالي. وتعرّفنا في كامل مراحل كفاحنا، على الحركة الفامينية التي وضعت بصمتها على المئتي سنة الأخيرة، والنساء الرائدات اللواتي احتلين مواقعهن بفاعلية ضمن المعارضات الاجتماعية على كافة المستويات، والهويات القوية للنساء ضمن التراث الثوري. ونحن النساء الثائرات (الكريلا) اللواتي التحقنا بفدائية بحرب التحرر الوطنية وناضلنا في وطننا، تعرّفنا على النساء العالمات والمقاومات العظيمات اللواتي تركن آثاراً عميقة في تاريخ الشرق الأوسط وكردستان وفي الذاكرة الاجتماعية وشكّلوا سيرورة التاريخ. ونقشنا في هوياتنا، روح مقاوماتهن وانتفاضاتهن وذكائهن العسكري والسياسي والتكتيكي والتنظيمي، ومقاومتهن الجريئة ضد أقسى أساليب التعذيب في السجون. وحاولنا أن نحيي الأشياء التي تركوها لنا، في الكتب والمذكرات اليومية، وبالأشعار والذكريات. ورغم الفترات الطويلة التي تفصل بيننا، بعشرات ومئات السنين، إلا أننا نحاول أن نتعلم منهن. أطلقنا أسماؤهن على أنفسنا، وأردنا أن نكتسب خصائصهن. وقبل كل شيء، وقّعنا معهن ميثاق الهوية والحياة الحرة للمرأة التي ضحت بحياتها في هذا السبيل وحاربت بقلبها وروحها. وعندما كنا نبقى بمفردنا داخل حُجرة الزنزانة، نحارب حتى آخر طلقة في خندقٍ جبلي ونفجر القنبلة في أنفسنا، فإنّهنّ كنّ معنا وبجانبنا. وعندما كان عقل الرجل المتسلط يحصرنا في زاويةٍ ضيّقة بمكره الدقيق، وأرادوا بواسطة الثقافة السلطوية الممتدة لآلاف السنين أن يفرضوا علينا الاستغلال حتى النخاع ، فإنهنّ كنّ في شعار رمقنا الأخير. وكنّ صوت صرخاتنا عندما كنا نقول بأن التعذيب هو جريمة بحقّ الإنسانية. وعندما كنا ننجح ونحقق الانتصارات، وكنا نطرد كمائن ذهنية الرجل المتحكم التي كانت تحاصرنا، فإنّهنّ كنّ موجوداتٍ في أفراحنا وسعادتنا وفي ضحكاتنا أيضاً. وكنّ في آمال ولهَفات أمهاتنا الحزينة ولم يتركننا بمفردنا قط. كنّ دائماً معنا، وكنّ نحن، وكن معهن، كن هنّ.

جرى خلق آلاف المصاعب كي لا يتعرّف شعب كردستان وبالأخص النساء الكردستانيات على جغرافيتهم وخزائن الإنسانية اللامحدودة هذه. وضع جانباً تاريخ الشعوب الأخرى، وتعلّم مقاومة النساء ضمن الجغرافيات الأخرى والاستفادة منها، فقد كادوا أن يجعلوا مقاومات جيلين أوثلاثة أجيال سابقة منسية. وكنا نعيش في ظل

هجوم وإبادة عنيفة، بخوفٍ ورهبةٍ كبيرة أسوأ من أيّ شيءٍ آخر. والصحيح أننا كنا بين البقاء والفناء، كنا في الأعراف (حاجزٌ بين الجنة وجهنم تُطهّر فيه النفوس بعذابٍ محدود الأجل). وحققت حركة التحرّر الكردستانية، انطلاقة في مرحلة كهذه، وأصبحت منذ البداية حركة تحوي ضمنها وجود المرأة معنوياً ومادياً.

فإذا كانت ثورة كردستان، قد حققت بداية كهذه فيما يتعلق بموضوع حريّة المرأة واتخذت ثورة بشخصية المرأة أساساً لها، فإن نتائجها متعددة الجوانب قد ظهرت للعيان، ليس فقط من أجلنا نحن النساء الكرديات وكذلك لأجل كردستان، والدولة التركية التي نناضل ضدها بل وللشرق الأوسط، ومع الوقت من أجل العالم أجمع. وقد أخرجت معطياتٍ سوسيولوجية لا حصر لها تستحق البحث والاستكشاف. وخلقت الآلاف من قصص النساء التي ستصبح موضوع الأدب والفن. وطوّرت العديد من التجارب الغنية بخصوص كيفية خلق هوية المرأة الحرة. وقبل تجاربنا أيضاً هناك تجارب الثورات المُعاشة سابقا، ومراحل الكفاح التحرري الوطني. إنّ انضمام المرأة إلى هذه التجارب قوي جداً. لكن بعد كل هذه الثورات المُعاشة، عادت النساء إلى دورهنّ التقليدي ما قبل الثورة. أو تشبهن بالرجال بحيث أستطعن البقاء في بعض ميادين العمل. وهي ميزة مهمّة، لتجاربنا التي بدأت في مرحلة تجارب هذه الثورات ومن الدروس المستخلصة منها.

الثورات التي أشْبَهَت الدول التي كافحت ضدها، بالأخص عندما تكون متشابهة في موضوع حريّة المرأة، فمن الواضح بأنّها لم تتجاوز عقل الرجل المسيطر. والصحيح وإن لم تكن هذه هي النية والغاية، لكن في النتيجة فإنّ الحرب المُعاشة تم خوضها كاقتسام ومُحاصصة من السلطة. ومقابل ميادين الحياة الاجتماعية التي ينبغي أن تتطور الثورة وتتعمق فيها بالأساس، إنّ علاقات المرأة والرجل ومسألة حريّة المرأة تم إخفاءها وتوريتها، وظهرت أمامنا لوحة كهذه. وبشكل خاص فإنّ أقساماً لا حصر لها من الثوّار والمناهضين والقرويين والعمال، خلقوا الثورة الروسية ضد الفاشية بنضال منقطع النظير. وكمعيارٍ للاشتراكية، صعّدت معارضتها الاقتصادية والعسكرية ضدّ النظام الرأسمالي، والتي دفعت الجبهة الثورية نتيجتها ثمناً باهظاً. البنية التحتية لهذه الخسارة، كانت عدم تجاوز الثورة

للحدود والقوالب الذهنية للحداثة الرأسمالية، حيث لم تدرك هذا الأمر ولم تتحقق منه. وأهدرت الإمكانية الغنية للثورة والحرية تحت مسمّى الاشتراكية، بالذهنية الدولتية. أساس وجذر هذا الخطأ، هو عدم العودة لأسباب جذر مشكلة الحرية، أي عبودية المرأة. كانت النساء الموجودات ضمن الحزب ناقدات، لكن مع الوقت تم إسكاتهن وإلغاء تأثيرهن. وتمّت معاقبة النساء والرجال الثوريين المناهضين الذين احتلوا أمكانهم بفعاليةٍ ضمن الثورة، بشكٍّ وخوف لا معنى له، وكأنهم ضد الثورة. تم إسكات جميع الأصوات والبحوث المختلفة – والتي كانت في غالبيتها قد أقامت الثورة – أو قذفوا بها في حضن الحداثة الرأسمالية. ولم يتم تحليل أو تجاوز القوموية، الجنسوية، العلموية والتعصب الديني التي تمثل في الحقيقة الخلايا الأساسية وجذور السلطة، ضمن هذه الثورة. ومعنى هذا من ناحية المرأة، عبودية المرأة التي شرّعوها لآلاف السنين والتغطية عليها، استمرت بمسمّيات مختلفة. وأساساً فقد أظهرت انهيارات الأنظمة الاشتراكية المشيّدة (اشتراكية الدولة) أنّ هذا هو ما تمت معايشته في النتيجة.

عندما بدأت ثورة التحرّر الكردستانيّة في سبعينيات القرن الماضي بالتقدّم، كانت حركات الاشتراكية المشيّدة التي تناضل في جميع تلك البلدان المستبدّة، تعاني مأزقاً عميقاً جداً وجهاً لوجه مع الانسداد والانغلاق. حيث قيّمت بسلبية شديدة، هذه الإمكانية بأن تصبح بديلاً وجوهراً، وحطمت أحلام مليارات الأشخاص المؤمنين بالاشتراكية. فاقمَ هذا الوضع من مآزق الحضارة الدولتية حيث خنقت بديلها الآخر ضمن أفقها الذهني. ومن ناحيةٍ أخرى كانت مرونة وتنوّع الطبيعة الاجتماعية تتهيّأ لأن تُخرج بدائلَ جديدة من ذاتها. في هذا الوقت، وفي الوقت نفسه ضمن الحِقب التي كانت تصعد فيها الحركات الفامينية والحركات الإيكولوجية (البيئية) والحركات الديمقراطية والأهم حركات الشباب التي كانت تحمي جوهر الاشتراكية. وكيلا يؤثر هذا الصعود الفكري والروحي على كردستان التي تمثل مستعمَرة المستعمِرين، فقد تم اتخاذ تدابير وإجراءات صارمة. لكن الطبيعة المتدفقة لطاقة الحرية، لم تعرف الصعاب وتطوّرت حركة الحرية ضمن كردستان، وفي العالم أجمع، وانتشرت ورسّخت جذورها. وهو في الوقت نفسه، تحضير المراحل الاجتماعية التي تطوّرت على أساسها حركتنا التحررية النسائية.

لم تقع حركة التحرر الكردستانية، تنظيميّاً وإيديولوجيّاً وعمليّاً في أخطاء الممارسة العملية للاشتراكية المشيّدة والعديد من حركات التحرر الوطنية التي تطوّرت بتأثيرها. أي ذاك الخطأ الذي يؤجّل مسألة المرأة إلى ما بعد الثورة. بل أضفت المعنى على مسألة تحرّر المرأة وتحرّر الرجل ضمن رابطةٍ ديالیكتية كثورة داخل الثورة، ووفقاً لها خاضت التجارب النظرية والتنظيمية والعمليّة. وبسبب المسائل المختلفة الناتجة عن هذه المشكلة زادت من وتيرة النضال، ولم تتراجع خطوة إلى الوراء. واتخذت على الدوام من تحليل وحلّ الظاهرة، والتقدّم، وحلّ العقدة العمياء الممتدة لآلاف السنين بالثورة وفقاً للتحليلات السوسيولوجية (الاجتماعيّة)، أساساً لها. ولم تتنازل أو تخضع للعادات أوالتقاليد الإقطاعيّة في المجتمع، ولا لمقاربة تعميق ذهنيّة الشرف التي رسّختها الدولة والاستسلام الموجودة بين الكرد. ولم تتقبّل ضمن صفوف النضال المنطق الذي يقول' لا تستطيع النساء أن تحاربن' والذي فرضته ذهنية الرجل المتسلط والرجعي، وخصائص المرأة العبدة (الأَمَة) والمتخلفة، ولا جميع المشاكل الكبيرة لهذه الحقيقة التي ظهرت ضمن النضال، كعائقٍ أمام تقدّم نضال حريّة المرأة. وعرّفت كافة هذه الحقائق وفقاً لمنظور الحرية وبشكل سوسيولوجي، وحللتها وجعلتها مشروعاً.

إنّ الفترة الفاصلة ما بين سنوات 1976 و1987، هي مرحلة مهمّة لبناء أساس بخصوص المرأة، وتأثيرات المرأة والرجل وعلاقاتهما، وإبرازها ضمن الثورة والمجتمع وبخصوص تأثيرات سياسات الدولة، حيث تجمّعت معطياتٌ مهمّة ضمن هذه المرحلة. فقد تمّ تعميق القيم الإقطاعيّة ضمن هذه المرحلة بسياسات الدولة. وفي جزءٍ مهمٍّ من كردستان، وُضِعَت الحدود لميدان تحرّر المرأة، وميادين الحياة والوجود إلى أبعد حد. وكانت ذهنية الشرف الصلبة سائدة. إنّ إقامة حزبٍ سياسي في ظلِّ ظروفٍ كهذه، تتحرك فيها النساء والرجال معاً، وبقوا في الجبال سويّة، وناضلوا وكافحوا ليل نهار، كان بمثابة ثورةٍ داخل ثورة ضمن مسألة تحرر المرأة، وكانت أوّل الثورات. في المرحلة الراهنة، لأنّ العديد من الحالات التي تبدو مألوفة، كانت في تلك الأوقات عائقاً كبيراً، بقدر إظهارها لمدى الالتحاق بالنضال. وما أضفى شخصيّة وإطاراً للنضال التحرّري الكردستاني منذ البداية، هو خوض نضال صحيح وحقيقي، ومؤثر وبإصرارٍ ضدّ هذه العوائق والعراقيل.

وضمن هذا الكفاح، فإنّ الحياة وذهنية الحرية التي يُعبّر عنها القائد عبد الله أوجلان، هي " ضمن نضالات المرأة، كنت أدرك حقيقة أهميّة الحقيقة التاريخية والاجتماعية بشكل أكبر. كانت النساء بالنسبة لي جوهر الأعمال السوسيولوجية. وقد توصّلت إلى هذه النتيجة بشكل مختصر وجوهري: ابحث عن الجمال والخير والحقيقة الموجودة في المرأة وعش معها." إنّ فلسفة مقاربة المرأة في المستوى الاستراتيجي توضيحيّة جداً. إنّ ثورة كردستان، ورغم المصاعب الكبيرة وحقيقة الرغبة في إعطاء البدائل العظيمة، التي وإن عانت منها النساء منذ البداية واندفعن نحو الثورة، فهي نتيجة ذهنية الحرية والحياة المؤثّرة إلى أبعد حد. في العام 1977 يذهب القائد عبدالله أوجلان خلال جولته في كردستان إلى بيت رجلٍ عجوز، هناك فتاة شابة في البيت، ويقول ربّما تكون حفيدته، لكنه يدرك فيما بعد بأنها زوجته، فيقول في قرارة نفسه، " هاهي كردستان أيضاً مثل هذه الفتاة الشابة تم أخذها عنوةً. يجب أن نحرّر كردستان مثل هذه الفتاة الشابة." ويشير هذا الحدث إلى مدى العلاقة بين التعبير الحسي عن ثورة كردستان والوضع والمكانة الاجتماعية للمرأة. إنّ إحساس القائد عبد الله أوجلان هذا تعمّق وتوسّع بشكل أكبر واستمر هكذا. ولم يجذب نساء كردستان فقط إلى الثورة بل النساء من الشعوب الأخرى أيضاً.

وإنْ لم يكن قد تم القيام بتحليلات النساء بشكل منظم، ضمن الجانب النظري من الحركة حتى سنة 1987، إلا أنه لا يعني عدم الأخذ في الحسبان التطبيق الشاق جدّاً، وذو المعنى والمقاوِم لمئات النساء اللواتي انضممن للثورة قبل ذلك الوقت. أي أنّ تلك القيم المتراكمة في تلك السنوات برغبة الحرية لتلك النساء الثوريات، الجريئات والمكافحات، هي المصادر الأكثر أساسيّة، من أجل التحليلات السوسيولوجية للمرأة والعائلة التي بدأوها في سنة 1987. تسبّب خروج المرأة من المنزل، في كردستان وبالأخص في تلك الظروف، بحركةٍ كبيرة ضمن شريحة اجتماعية واسعة جدّاً. وكانت تؤثر في عائلات النساء وزملائهن في المدرسة، وعلاقات الأقرباء والجيران القريبين منهن، وحتى في العلاقات العشائرية التي كانت ما تزال قاسية في ذلك الوقت. ومن ناحية أخرى، فإنّ انضمام النساء كان مؤثراً في الدولة أيضاً. كان PKK، بناءً جديداً واتّخذ قراره في أن يُنجح أحد أكثر الثورات صعوبة في العالم. كان الرجال في PKK ولأوّل مرّةٍ، تربطهم علاقة مع

النساء خارج إطار علاقات الأم-الابنة، الأخت-الزوجة والخ، ضمن ارتباطٍ إيديولوجي، تنظيمي، وسياسي. وكان هذا الأمر انقلاباً جذريّاً وتغيّراً غير مألوف. ضمن حزب سياسي، وفيما يتعلّق بالعلاقات المتبادلة التي جربتها النساء لأوّل مرّة، كان هناك انقلابٌ وتغيير هام للغاية. وأساساً فهذه هي الثورة الاجتماعية بأكمل صورها.

وصولاً إلى سنة 1987، في سجون إنقلاب 12 أيلول الفاشي، فإنّ الثوّار كانوا وجهاً لوجه مع الممارسات اللا إنسانية. وعندما يأخذ المرء في الاعتبار ظروف وشروط ذلك الوقت، كان يوجد بينهم عددٌ مهم من الثائرات النساء. أبْدَت هذه النساء، في شخصية الرفيقة ساكينة جانسيز، مقاوماتٍ تاريخية صدمت القوى الفاشية. كان انضمام النساء للسجون ضمن تاريخ كردستان، وإن لم تكن تجربة جديدة، بهذا الشكل الواسع وفي هذا المستوى، الأوّل من نوعه. إنّ التجارب التي كانت تتمخض عن هذه الأماكن، كانت تقدّم للنساء معطياتٍ مهمّة للغاية. إنّ النساء اللواتي كنّ يلتحقن بالثورة في تلك السنوات كن يتواصلن مع العائلات واحدة واحدة، وكن يسردن سبب حياة الاستعمار التي يعيشونها، ويسيّرون فعاليات التدريب والتنظيم بنشاط. وكانت هذه إحدى التجارب الحديثة التي يخوضها البناء الاجتماعي في كردستان ويشهد عليها. وينبغي أوّلاً أن يتمّ تحليل أمهات الثوّار الذين كانوا يلتحقون بالثورة، وتجارب وخبرات عائلاتهم، من الناحية السوسيولوجية كمجموعةٍ مختلفة. وهذا ما جعل المجتمع الكردي يعيش تجربة مختلفة وجديدة. وكانت تُعاش تغييرات أساسية وعظيمة في قيم النساء والرجال الكرد، والحياة والكرامة، والشرف، والحب والعلاقة والارتباط. وجميعها، كانت ثوراتٍ اجتماعيّة.

ونستطيع أن نعبّر عن التجمّعات ضمن جبهات النساء، بالخطوط العامة بهذا الشكل: عندما كانت الملاحظات والمراقبات طويلة الأمد للقائد عبد الله أوجلان بخصوص مجتمع كردستان، كقائدٍ للثورة تصل إلى التجمّع الذي حوله، تطوّرت التحليلات السوسيولوجيّة التي كانت تفتح طريقاً جديداً، من أجل نساء ورجال الكرد. وكانت هذه مرحلة البداية، في تطوّر معرفة حريّة المرأة، وفي نشوء وعي هوية المرأة الحرّة. وأثر تحليل هذه المرحلة من تجارب النساء والمجتمع الكردي الذي يمثل

مصدرها، بصدد مسألة المرأة، بشكلٍ خاصّ على النساء الموجودات ضمن الثورة، وعلى طلّاب كردستان والمدن التركية بشكل كبير جدّاً.

هناك عمقٌ هامّ ضمن هذه التحليلات السوسيولوجية. وقد تمّ تقييم، علاقات المرأة والرجل، وكيفية إبعادها عن جوهرها في ظل الاستعمار، وكيفيّة تبنّي وضع تحويل كردستان إلى مستعمرة، بشكلٍ موسّع. لقد تمّ كشف ذهنيّة الشرف والعشق والحب المزيف لدى الرجل، بقدر عبوديّة المرأة. وتمّ إظهار قوانين ذهنيّة حبّ المرأة والشرف الصحيح. وضمن مستوى التحليلات هذا، كان يوجد تأثير للأحداث والوقائع والمستوى الذي بلغته على أساس البدائل العظيمة. وهناك أيضاً الدروس المستخلصة من تجربة زواج القائد عبد الله أوجلان من كسيرة. ويُعبّر القائد عبد الله أوجلان هكذا عن هذه العلاقة وعلاقتها بمسألة المرأة: " لم يكن لدي علمٌ أو أمل بوجود هكذا هويةٍ للمرأة. كانت المرأة أمامي كأنثى ذئب. واستمرّت بحالتها هذه، عشر سنوات كاملة، حتى صيف سنة 1987 حيث انقطعت عن الحركة برغبتها، ولا أعتقد أنّ الصبر الذي أبديته قد تمّ اختباره بين شخصين آخرين أبداً. كانت تجربة قاسية للغاية. وينبغي للمرء اعتبار، الخروج من هذه التجربة بسلام بمثابة معجزة. فمن أين تكتسب المصاعب مصدرها. في الشرق الأوسط ومقابل التطوّرات التي تقلب وضع المرأة رأساً على عقب، أبقيت شخصيتي كما هي. حيث لم تكن الحرب والصراع أو الهجر حلاً. وكنت أرى حالتي مع هذه الشخصية، لهذا السبب، مساوية لتجربة مأزق العيش ضد المخاوف المتعلقة بوجود الله. كان ينبغي أن أحلّ هذه العلاقة بشكل أيديولوجي وسياسي. وما لم يتم تطوير تحليلات المرأة، فالحل الأيديولوجي والسياسي الكامل لم يكن ليوجد. وفي هذا الوقت لم تكن قوتي التحليلية للمرأة قد تطورت بعد. لكنني كنت سأطوّرها ما بعد 1987.

إنّ التحليلات التي قيل بأنها تطوّرت في 1987، فتحت الطريق أمام الحركة والتأثيرات الفكرية المهمة في المجتمع والبناء التنظيمي. في السنة نفسها، في أوربا تشكل YJWK (اتحاد النساء الوطنيات الكردستانيات). كان تنظيمنا الذاتي الأول في مرحلة الثورة. كان مهماً للغاية ضمن الميدان الاجتماعي من ناحية التنظيم واكتساب النساء المنتسبات للثورة للتجارب. النتيجة الأكثر وضوحاً لهذه الخطوات

في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، كان الانضمام الكبير للشباب والشابات. حيث كان الشباب يتدفقون بالآلاف نحو ثورة كردستان. وضمن هذا التدفق، فإنّ البحث عن الحرية والحب ومجتمع جديد كانت من العوامل المهمة جداً بقدر قضية التحرر الوطنية. وفي سياقٍ مرتبط، فإنّ هذا التدفق كان يثري صورة التحاق المرأة بالثورة، ومن ناحيةٍ أخرى كان يصنع جيل المرأة الثالث للثورة. ووصولاً إلى سنوات 1990، كان PKK رغم مفهوم الإبادة الدولية المفروض عليه، قد خاض تجارب قاسية، في الحرب، وفي الميادين المختلفة للكفاح، وفي مسائل حرية المرأة، وقد شيّد ميراثاً ً مهما ً. لكنّ التخلف والرجعية التي كانت تفرض نفسها داخل الحزب، كانت تشكل عائقاً أمام جمع هذا الميراث وتكامله مع المجتمع والميادين الهامة جداً للكفاح التحرري وتقوم بعرقلته. أحد ميادين الحرية هذه، كان حرية المرأة. كان التحاق النساء ضمن التنظيم خلال سنوات التسعينيات قد تجاوز المئات ووصل الآلاف. ورغم هذا، ولأنه لم يتم تجاوز ذهنية الاستبداد الرجعية والمقاربات الإقطاعية، فلم يتقبّلوا مسألة انضمام النساء وأيديولوجية الحرية بشكل جيد، وفيما يتعلق بنفس السياق، كان هناك أحكامٌ مسبقة ضد النساء. فقد كانوا يعتقدون بأن النساء لن تستطعن أن تحاربن، ولن تستطعن المقاومة في الحروب الجبلية القاسية.

لكن موجات النساء تدفقت نحو الجبال ولم تستطع هذه الذهنية أن تكون عائقاً أمامهن. كانت تُعاش ثورة ولم تكن لدى النساء الشابات أية نية أو رغبة بحياةٍ اعتيادية خارج هذه الحياة. وهكذا فإنّ انضمام الكثير من النساء لصفوف النضال سيفتح الطريق أمام نقاشات دائمة ستتصدّر شؤون الساعة. في هذه النقاشات التي يتصدرها الرجال العديد من الأسئلة التي تطفو للسطح. هل تستطيع النساء أن تقمن بالثورة؟ هل تستطيع النساء أن تحاربن؟ هل صحيح أنه سينضم هذا القدر الكبير من النساء إلى صفوف الثورة؟ أليس من الأفضل أن نحدّد نسبة للنساء في القتال والميادين التي سيحتلون مواقعهن فيها؟ في أساس هذه الأسئلة، فإنّ النقاشات التي تستند إلى ذهنيات "النساء يبطئن إيقاع الحرب، النساء رقيقات، وردات " والخ، كانت في تزايدٍ مستمر. لكن التحاق النساء استمر في تزايد، كعنادٍ مقابل لهذه

النقاشات. فقد كانت النساء عاقداتٍ للعزم ومصمّمات على الالتحاق بالثورة والبقاء فيها والقتال.

بعض القادة التصفويين، الرجال الذين لم يفهموا توسع الثورة وخط الحرية، أعادوا بعض النساء المنضمات إلى الثورة. لكن هذا الأمر أيضاً لم يستطع إيقاف تدفق نساء إليها. إنّ هذا الموضوع والعديد من التخريبات التصفوية التي أذاقوها لنضال تحرّر المرأة، ستكون موضوع تحليلٍ سوسيولوجي (اجتماعي) ضمن مسار وتوجّه الجنولوجيا.

هذا الميراث الذي تطوّر بنضالٍ لا محدود، بلغ وصفه المعنوي بشهادة كلناز كاراتاش. إنّ تأثير هذه الشهادة على الحرب وتقييمها بالشكل اللائق بها من قبل القائد عبد الله أوجلان، أنهت نقاشات " النساء حِملٌ، لا يستطعن المشي". وحوّل القائد عبد الله أوجلان هذه الشهادة وشهادات النساء التي حصلت حتى ذلك الوقت، وكفاحهن، إلى تنظيم المرأة وأضفى عليها معناها الحقيقي، عن طريق تطوير تحليلات تجييش المرأة في تشرين الثاني من سنة 1993. وقدّم وجهة نظرٍ حول تجييشها في 4-5 مجلدات. وأسس بهذه النظرة ، التحليل السوسيولوجي لتجييش المرأة والأساس الفكري. إنّ القائد عبد الله أوجلان يثبت أن "... ضمن الكريلا والفعاليات السياسية، تنظيم المرأة، وخصائص تجييشها، ذاتيتها وخصوصيتها، والتمسّك برغبة النساء في الأمن هو أمر هام للغاية. وما لم نفعل ذلك، سيتم تفريغ حرية المرأة من مضمونها في مكانٍ ما. ولا ينبغي أن تتم الإشارة إلى مقاربة " كيفما كان ستكون الثورة، وسينالُ كلّ واحدٍ حقه"، بهذا الشكل. فالعديد من الثورات قالتها، لكن ظهر للعيان بأن المرأة لم تتحرر تلقائياً. وكما في المسألة الوطنية، وفي مسألة المرأة أيضاً، والتحرّر، فمن الواضح بأن المرأة ستطبقها بفكرها وبتنظيمها وبنشاطها. وضمن هذا الموضوع فمن الأهميّة أن تظهر المرأة قوتها الجوهرية وتتحدث بها. "وأظهرت بوضوحٍ كبير بأنّ هذه الخطوة لم تكن فقط لخلق الأجوبة عن الاحتياجات اليومية أو الأمور المفروضة، بل تم إطلاقها لتطوير الحلول والأجوبة للمسألة التاريخية والاجتماعية المتجذرة.

إنّ هذه التحليلات سارية على يومنا هذا أيضاً. وقد أخذت، تحليلات المرأة والرجل، وتحليلات علاقات المرأة والرجل، والتحليل السوسيولوجي للنساء المتدفقات نحو صفوف الثورة، مكانها ضمن هذه التحليلات. كما وُجدت، المسائل التي تمخضت داخل الصفوف وطرق حلها، ومعنى تجييش المرأة وكيف يستطعن العيش مع الرجال ضمن ظروف متساوية وحرة، وكيف سيتمكنّ من أداء مسؤوليات الثورة الملقاة على عاتقهن ويعشن ضمن مساواة وحرية في مستوى العلاقات الاجتماعية وممارسة العلاقات. كذلك وُجدت المقاييس والمعايير التي تم إيضاحها في هذا الخصوص. وتم تأسيس لجان الحرية والمساواة. والصحيح أنّ المرء يستطيع أن يعتبر هذه اللجان كبدايةٍ لنظام الرئاسة المشتركة. والهدف منها، وضع المرأة والرجل في سويةٍ واحدة ضمن الإدارات وإزالة ظروف اللا عدالة وعدم المساواة التي كانت تواجهها النساء على الدوام.

كان القائد عبد الله أوجلان قد أعطى جواباً موسّعاً لآلاف النساء اللواتي تدفقن إلى الصفوف بجرأةٍ ووطنية ورغبة بلوغ الحرية. إنّ خطوة تجييش المرأة، استهدفت أوّلاً ذهنية الرجل المسيطر ضمن الحزب. " لا يوجد مفهومٌ باسم جيش المساواة. لكن في المكان الذي تتواجد فيه المساواة، لا تتواجد فيه الجيوش. والأماكن التي تتواجد فيها اللا مساواة، تظهر فيها الجيوش. أحدها هو جيش المُسْتعبَدين، والآخر هو جيش الطغاة، وإذا ما وُجد جيش الرجال على الدوام في مكانٍ ما، فهناك ولا بد قمع واستغلالٌ كامل للمرأة، والحياة تؤكّد ذلك. وهكذا فإنّ هذا التثبيت بالمعنى العام، يُعبّر عن قيمةٍ أساسيّةٍ لمساواةٍ ضمن جيش المرأة. ويجب أن نرى هذا ونعرفه. وعندما يسألون 'لماذا تسلّح وتحوّل المرأة إلى جيش' سيكون هذا جوابنا 'لأنها الأداة الأكثر أساسية للمساواة." ولهذا، فإنّ عدداً لا حصر له من تقييمات وإشارات القائد عبد الله أوجلان من قبيل هذه، لكي تتعرّف النساء على قوتهن الجوهرية ويظهرنها فقد منحت قوّة جبّارة للآلاف من نساء الكريلا.

لقد طوّر القائد عبد الله أوجلان، ضد ذهنيّة الرجل الرجعي والإقطاعي الذي لا يثق بالمرأة، الآراء ووجهات النظر والانتقادات، بثقةٍ وإيمانٍ لا محدود وبدعمٍ ومساندةٍ قوّية، بخصوص كيفيّة رؤية الحقيقة. وقد أصبحت هذه قوتنا الأساسية، في خلق

قوة الكفاح ضد آلاف مصاعب الحياة في الجبال. وإذا ما تطوّرت مرحلة تكوّن جيش المرأة، على أساس تجاربنا الحياتية المهمّة، فقد تقاسمنا مع الرجال بالعموم ضمن هذه التجارب نفس أرضيّات الحياة. في أوّل سنةٍ تطوّر فيها تكوّن جيش المرأة، كانت المرّة الأولى التي تبقى فيها وحدات النساء بمفردها في ظروف الشتاء أي بشكلٍ مستقل. وقد وجدنا من خلال هذه التجربة، أنّه عندما تبقى النساء أحراراً، فإنهنّ تستطعن إظهار إمكانياتهن اللامحدودة. ويستطعن أن يطوّرن قدراتهن، في الحرب، وفي تنظيم حياتها، وفي الثقافة والفن، وفي الأدب وفي العديد من المواضيع الأخرى. وعندما تبتعدن عن ضغط الرجال فإنهنّ يتعرّفن على بعضهن أكثر ويفهمن بعضهن بشكلٍ أفضل. هناك بعض النماذج اليوتوبية الفامينية التي كُتبت قبل عشرات السنين. ونحن نساء كردستان، نعيش هذه اليوتوبيات، من مرحلة تكوّن جيش المرأة، وفي مراكز النساء لاتخاذ القرار، وفي أماكن النساء وفي جبال النساء.

وقد جمعنا ثقتنا بأنفسنا، ضمن جميع الأحداث والظواهر المتعلّقة بالمرأة قلباً وقالباً، عن طريق عيش خلق الاختلافات. وأدركنا بأنّ المرأة انقطعت عن الطبيعة وعن مجتمعيتها وعن الاتّحاد الدياليكتيكي مع الرجل، وكيف أنّها اغتربت عن قوّتها الجوهرية. والأمر الأكثر أهميّة، هو كيف بقيت أجسادنا خجولة بسبب الانحيازات والأحكام المسبقة المفروضة علينا. فالجبال الحرّة كانت تحرّرنا أيضاً جسديّاً وروحيّاً وشعوريّاً. في هذا الوقت وإن استخدمت كلمة تجييش (تكوّن جيش) المرأة من أجل تنظيم النساء، فهذا لا يعني أن هذه التجارب هي عسكرية فقط، ولم تكن كذلك أصلاً. وقبل كل شيء، تم إيقاف الظاهرة التي كانت النساء اللاتي كنّ يبقين ضمن الوحدات بأعدادٍ قليلةٍ ومتفرّقة، تواجهن فيها مقاربات الرجل الرجعيّة والإقطاعية. كما تم التخلّص من أساس البُنى التنظيمية والفكرية لتحليل معارف وتعاليم المرأة والتي جلبتها معها من النظام الرجعي المتخلف والتقليدي والتي كانت تبرزها ضمن حياة الكريلا. وتم خلق أرضية قوية جدّاً، لتدرك المرأة وجودها في كل ميدان، وتُظهر نفسها وتنظم هذا الأمر. وتطوّرت لدى المرأة والرجل والمجتمع، تلك الثقة بأنّ المرأة تستطيع أن تقاوم وتناضل وتحارب في أقسى ظروف الحرب

وأعتاها وتستطيع أن تتقدّم وتنجح في كل ميدان حياتي. وتم اكتشاف الطرق التي تؤدي نحو المرأة الجميلة، من المرأة التي شوّهتها العبودية.

وقد أظهرت تجربة تجييش (تكوّن جيش) المرأة، في جبال كردستان، بخصوص وجود المرأة، وسوسيولوجيتها، ورغبتها في الحرية معطياتٍ هامة للغاية. وانقلبت النظرة الحالية بخصوص انضمام المرأة وموقعها ودورها في الحرب رأساً على عقب، ودُمّرت وجهات النظر الموجودة. وظهر للعيان بأنّ العبوديّة المفروضة على المرأة والتي تمّ قبولها هي ظاهرة مشيّدة وبلا شك فإن التجاوز، والتغيير، والتحرير ممكنٌ أيضاً. وقد جعلوا جسد المرأة أرضية، لاستعبادها وتحويلها إلى الجنس الثاني وليفقدوها ثقتها بنفسها. ولكسر هذا التحيّز تم أداء مراقبات وملاحظات متنوعة وغنية وتم خوض التجارب. كما تم تدمير وعي جسد المرأة الذي خلقته الجنسوية الاجتماعية. ولكي يفهمن أجسادهن، ويسمّينها ويستخدمنها فقد تطوّرت قدراتهن وأحياناً، تم خوض ومعايشة، حالات التشبّه بالرجال عن طريق الخطأ، وتحقيق رغباتها وطموحاتها بواسطة الرجل، والدخول مع الرجل في منافسة أو مقارنة، ضمن هذه التجارب في مستويات واضحة.

وجاءت مُداخلات القائد عبد الله أوجلان، بالتحليلات ووجهات النظر في الوقت والزمان المناسبين، توضيحيّة لتجاوز هذه المسائل. وفي الوقت نفسه فإنّ تجارب النساء في تدريباتها الذاتية وفي التقييم والتحليل أيضاً بَنَتْ أساساً لتجربة تعليمية. وكذلك بتكوّن جيش المرأة، تم تعريف القوالب المفروضة على فكر النساء وأجسادهن وعالمهن، ضمن هذه التجارب، وتم تحطيم هذه القوالب وتطوّرت النقاشات حول 'ماذا سيتطور مكانها'. إنّ هذه التجربة التي استندت إلى أساسٍ إيديولوجي ونظري مهم، خاضت كفاحاً واسعاً ضد موقف الرجال ضمن ذهنية الاستبداد بكلّ مقاومةٍ وإصرار. وتجربتنا في تكوّن الجيش، فتحت ممراً وطريقاً هاماً ضمن الذهنية المتخلفة والرجعية للرجل والتي تقول " لا تستطيع النساء أن تقاتلن في الحروب، هي حملٌ في الجبال". إنّ هذه التجربة، من ناحية النتائج التي أظهرتها وكسر الجنسوية الاجتماعية، ولأنها تجربة ذاتية، فهي بحد ذاتها موضوعٌ لتحليل سوسيولوجي وللأطروحات.

إنّ تكوّن جيش المرأة، فتح الطريق على آفاق وقفزات مختلفة في حل مسألة تحرّر المرأة ونقاشها بشكل معمّق. وإحدى هذه الخطوات، كانت بناء YAJK (اتحاد حرية نساء كردستان). إنّ المؤتمر الأوّل للمرأة الذي انعقد في آذار 1995 شكّل YAJK. في تحليلات النساء التي تم تطويرها في ذلك الوقت، يفسّر القائد عبد الله أوجلان بهذه المقولات لماذا تشكل هذه الخطوة حاجة ملحّة، "في الآونة الأخيرة، اعتقدنا أننا نستطيع احتواء تطوير مستوى تحرّر النساء في كردستان تحت مسمّى YAJK، كحلٍّ أساسي. فتحليلات YAJK هي حياتية، من الناحية العلميّة وكقيمةٍ معنويةٍ أيضاً. وبقدر تجاوز الانسداد الموجود في المستويات السياسيّة والعسكريّة والضعف المعرفي، ولتجاوز الحرمان من الإرادة والرغبة والأفق، فإنّنا نحاول تطوير السلاح الذي يطلقون عليه اسم YAJK... وهنا ستقام ثورة حقيقية.

تأسّست YAJK كثورةٍ ضمن الثورات، وتصاعدت على أساس خمسة قوانين أساسيّة. كان الأوّل الارتباط حتى النهاية بمبدأ الوطنية. والثاني كان عنصراً لا بدّ منه لحقيقة الحرب، وهو تسيير الحرب الطبقية ضمن الحزب والحرب الجنسية مع بعضها البعض أي كان قانوناً نضالياً. والثالث، هو الارتباط أكثر من أي شخصٍ آخر بمبدأ الحزب، وبمبدأ تنظيم الحزب، كقوّته الأكثر تنظيماً. والرابع، كان تطوير الفكر الحر والإرادة الحرة. والخامس، كان إنجاح مبدأ الجمال في الحياة والحرب وفي كلّ خطوة كفاح، بشكلٍ جيّد جدّاً. وإلى جانب هذه المبادئ الأساسيّة، كان YAJK أداة العشق، والثأر والنصر.

كانت YAJK، تطويراً لتنظيم المرأة الذي أخذ بعين الاعتبار التجارب المعاشة في الجبال وفي كل الميادين الاجتماعية حتى عام 1995. لكنّ تحرّر المرأة سيكون واضحاً ضمن التغيير والتحوّل الاجتماعي. والأكثر وضوحاً وتأثيراً هو أنّ القائد عبدالله أوجلان أيضاً، نظم قوّة الحريّة الأساسيّة من أجل التغيير والتحوّل. كانت هناك مشاكل أساسية لهذا التنظيم التي وجب حلها. وكان ينبغي زيادة التطوّر الفكري، والوصول إلى قوة التعبير عن الذات، ومحاربة مساوئ شخصية المرأة التقليدية و إخراج جمال طبيعة المرأة. وفي الوقت نفسه كانت هناك، أهداف النساء،

مقاييسهن ومعاييرهن للقبول والرفض، وتقييمات الجمال والسوء، وذهنيات المساواة والحرية، والمحافظة عليها وتطويرها بقوتها الجوهرية.

وإلى جانب هذا، كانت توجد حقيقة الرجل التي يجب تغييرها وتحويلها بالكفاح والنضال. وقد أوضح القائد عبد الله أوجلان للرجل مبادئه في موضوع مقاربة YAJK. الأوّل، لن يستطيع رجلٌ أن يستخدم المرأة بقوة السلطة والقيادة أو برجولته. والثاني، سيعرف بأنّ مطلب المرأة، هو عملٌ وطنيٌّ وحرب، ويجب أن يعرف بأنّ الحرب تتطلب عمل الحرية والنصر. والرجل الذي لا ينتصر، لا حياة له مع المرأة. والذي لا يطبّق هذا المبدأ سيُعامل كعدوٍ بالنسبة لقوّات YAJK وسيكافح ضده بهذا الشكل.

إنّ التحليلات التي تمّ تطويرها في مرحلة YAJK، أثرت بشكل كبير على الحرب ضمن الحزب في الوطن، وعلى علاقات المرأة والرجل والحرب والمصادمات بينهما. ويستطيع المرء القول هكذا، كلما وردت مظاهر التخلف والرجعية في هذا الموضوع ضمن أجندات القائد عبد الله أوجلان، فقد تمّ إجراء التحليلات السوسيولوجية. كان مستوى التأثر بهذه التحليلات لدى النساء مختلفاً عن مستوى تأثر الرجال. ولوقتٍ طويل لم يفهم الرجال والنساء من هذه التحليلات الأمر ذاته، أو لم يرغب الرجال أن يفهموا. وهو ما أخرج معه مراحل إشكاليّة ومصاعب عدة. إنّ أغلبية النساء لم تجتزن لسنواتٍ حالة الرفض التي كنّ يواجهنها. ومقابل كفاح حرية للمرأة، لم يتم كسر وتحطيم الذهنية الرجعية للرجل بشكل جيد. وبقدر ما كان القائد عبد الله أوجلان، يقدّم الإبداع اللازم، ويُوصل الأساليب والتكتيكات في المستويين الإيديولوجي والسوسيولوجي، في وقتها إلى المعنيين بها، وبقدر تسييره لفعاليات تدريبية قوية جداً ضمن ميدانه، إلا أنّ هذه الحقيقة استمرت لوقت ما وكان لها تأثيرها على الكفاح والنضال.

ومن الناحية الأخرى كانت YAJK تجربة منقطعة النظير. إنّ النساء اللاتي اكتسبن قيادة في الميدان العسكري، خلقن تطوّراتٍ حماسيّة في مواضيع التدريب وخلق أجوائها الذاتية واكتساب روح الاتحاد النسوي القوي جداً. وتطوّر لدى الرجال

مفهومٌ كهذا خطوة بخطوة، وصار لا بدّ أن يفهموا المرأة والقائد عبد الله أوجلان بشكلٍ أكبر، وفي حال إبدائهم لمقاربة كلاسيكية تجاه المرأة فإنّهم سيرون أنفسهم في مواجهة جيشها. وقد زادت تجربتنا على أدب حرية المرأة، مفاهيم علم الجنس، والنضال الجنسي وحب الجنس، وفي ذلك الوقت أصبحت ضمن أجندتنا. بجميع هذه المفاهيم والتحليلات، كان الهدف أن تصل المرأة أولاً بذاتها ومع مثيلاتها إلى قيمهن الجوهرية. وقد تم التقدّم بخطوات جديّة ضمن هذا الموضوع وكلما طوّرت النساء هذه الخطوات، على أساس مناهضة رجعيّة الرجل وخوض نضال الفكر، تطوّر النضال الجنسي أيضاً.

إنّ مرحلة YAJK، التي استشهد خلالها آلاف العناصر، والهزّة والانقلاب السوسيولوجي العنيف الذي حدث ضمن التنظيم، وبقيم النساء والحرية التي خلقوها، هي تجربة تستحق بحثاً سوسيولوجياً موسّعاً. وسبق أن عبّر القائد عبد الله أوجلان في تحليلاته في 8 آذار 1998 عن هذا،" يظهر التطوّر كتاجٍ جميل لثورتنا. أنا واثق من أن الخطوات التي نخطوها تثير الانتباه وتلهم كل شخص إلى أبعد حد. لكن ينبغي أن يتأمل المرء نتائج أكثر منها. وأعتقد أن الأحكام المضمونة، سواء أُعْطِيَت من قبل الرجل ومن قبل المرأة أيضاً، ومع الوقت من قبل القوى المعنيّة المحيطة بنا ستكون أكثر صحة وما زلنا نقوم بالجانب المخبري لهذا العمل ونتاجاتها لم تظهر بعد بشكلٍ كامل لكن نتائجها الأوّليّة مهمة ولافتة وإيجابية" إنّ هذه الحاجة مازالت موجودة في يومنا هذا وهي أحد الأسباب التي تطوّر الجنولوجيا.

إحدى النظريات التي أُتخذت أساساً ضمن تجارب YAJK، هي نظرية الانفصال(الانقطاع) التي كان القائد عبد الله أوجلان قد طوّرها في عام 1996. كانت مقدّمة الانفصال الأبدي في سنوات 2000 التي ستوضع ضمن أدبنا. والصحيح أنّ نظرية الانفصال(الانقطاع)، هي ظاهرة جربناها خلال السنوات السابقة. لكننا لم نستطع تقييمها بشكلٍ منظم. ولم تكن بنيتنا التحتية الضرورية قد تطوّرت بعد في تنظير تجاربنا كنا قد انقطعنا خلال تكوّن جيش المرأة من الناحية الجسدية فقط ومن ثمّ تم التقدم بخطوات مهمة في هذا الموضوع لكن المهم، هو تطوير الانقطاع عن الفكر، والشعور، والتعاليم الحياتية، التي اكسبتنا إياها سلطوية

الرجل. وهذا كان الأصعب، لأن إعادة بناء المرأة لذاتها على قيم الحرية وإجراء تغيير جذري، يتطلب جهداً كبيراً جداً وصبراً وإرادة. نظرية الانقطاع هي نظرية تتطلب قبل كل شيء معرفة وتعريف مصادر وأدوات وممارسات العبودية المفروضة على المرأة وتتطلب تطوير كفاحٍ داخلي بناءً على تأثيرها وخصائصها على الشخصية ووفقاً لهذه النظرية فكلّ امرأةٍ، تتناول ذاتها بنظرة الحرية وتتحقق منها بنظرتها الداخلية وبناءً على تساؤلات " إلى أي حدٍّ أنا، أنا؟ " إلى أي حدٍّ أخص ذاتي؟ ما مقدار الشكل الذي منحتني إياه، العائلة التي ولدت وترعرعت فيها، والمدرسة التي كنت أرتادها، والعلاقات التي عشتها، وفقاً لمعايير الحرية والإيديولوجية الجنسوية؟" فإنّها تُخرج في ذاتها خارطة التشكّل الذهني والشعوري والروحي. وعليه تُوضح بدايات تجربة الحرية والنضال الذي يجب أن تخوضه. ولكي تنجح في هذا النضال، فإنها تحدّد الظواهر التي يجب أن تنقطع عنها. ويمكن أن تكون هذه الظواهر زمانية ومكانية، ويمكن أيضاً أن تكون تعاليماً داخلية حسيّة أو فكرية. فعلى سبيل المثال، عندما تدرك امرأة بأن الأماكن الموجودة ضمن النظام وطرائق حياتها، تقطعها عن الحرية، فإنها تستطيع أن تنتقل إلى أماكن مختلفة وأن تقوّي كفاح الحرية فيها. فمثلاً، ضمن تجربتنا، في مرحلة تكوّن جيش المرأة فإنّ مساوئ البقاء مع الكريلا الرجال في نفس المكان، كانت أكثر من مزاياها. ولهذا السبب انقطعنا عنهم فيزيائياً أيضاً وبقينا في أماكن خاصة تقطنها النساء بالكامل وأصبحت هذه تجربة تعليمية لا نظير لها. وعندما تعيش امرأة مشكلة في ثقتها بنفسها أمام رجل، فينبغي لها أن تنقطع عن حالة انعدام الثقة هذه، وعن جميع العوامل التي تسبّبها. لكن لا تستطيع أية امرأة أن تنجح بنظرية الانقطاع بشكلٍ قوي، ما لم تحلل المرأة الموجودة بشكلٍ جيد. وإنّ الذين لا يعلمون عن أي شيءٍ يكون الانقطاع، وبأي هدف وأدوات يجري، ومتى وكيف يطبقونها، وكيف ينجحون في إقامة علاقة جيدة مع الحرية، سيواجهون أخطاءاً جمّة وفي الحقيقة فإنّ هذه الأخطاء تمت معايشتها ضمن تجربتنا في سويّةٍ هامة ولوقتٍ طويل جداً. وتطوّرت بشكلٍ كبيرٍ، مواقفنا التي استوعبت الانقطاع من الناحية المادية فقط وجعلت الانقطاع عن الأيديولوجية المسيطرة للرجل مخفية داخل النساء فجأة، ولهذا السبب لم تستطع أن تخوض كفاحاً جنسياً ناجحاً. وبعض تطبيقاتنا العملية المُنجزة تقرّبت من الكفاح الجنسوي بنظرة التأثر بالاشتراكية المشيّدة، وسادت فيها ذهنية تأجيل

وإرجاء حلّ المسائل التي ينبغي حلها في وقتها وبشكل عاجل إلى ما بعد الثورة. إنّ تحليل كافة هذه التطبيقات واستخلاص الدروس منها، كان بالنسبة لنا فرصة كبيرة. وإنْ لم نكن قد أدركنا منذ البداية معنى وضرورة نظرية الانقطاع، إلا أننا وعبر سنوات تعلّمنا من تجاربنا، بأنها نظرية لا بدّ منها للمرأة في خلق وعيش هوية المرأة الحرة. وعلمتنا الحياة بشكلٍ مؤثر أنّه من الظواهر الضرورية معرفة لما ينبغي لنا أن نقوم بالانقطاع لهذا السبب، مايزال يتم تداولها كنظريةٍ أساسيةٍ للحرية ضمن حركة حرية نساء كردستان.

في عام 1996 كانت نقاشاتنا ومحاولاتنا بخصوص فهم معنى نظرية الانقطاع ماتزال مستمرة، وكانت العملية الفدائية التي قامت بها الرفيقة زينب كناجي (زيلان) في 30 حزيران من 1996، بمثابة ذروة هذه النظرية. وجّهتنا زيلان وأشارت لنا إلى أنها في حربٍ ضد قوى الدولة، ولخلق هوية كردية حرة ينبغي أن يتحقق انقطاع أساسي، لهذا وإن تطلب الأمر فإنها أظهرت للعيان الخصائص التي ينبغي تفجيرها أيضاً. وأشارت إلى الخصائص الرجعية التي ينبغي لنا الانقطاع عنها، لتجاوز الانسداد المعاش داخل الحزب، بخصوص مواضيع الحرب، والتنظيم والكفاح الأيديولوجي وخلق الشخصية الحرّة. ولهذا السبب أصبحت استيعاباً وتطبيقاً لنظرية الانقطاع في أعلى مستوياتها. فإذا ما انقطعت امرأةٌ عن جميع روابطها التي تشدها للخلف، فإنها ستعيش الحرية في قممها. هزت الرفيقة زيلان، الرجال والنساء الموجودين ضمن الحزب، وأخذت بهم نحو مُسائلةٍ وتحقيقٍ عميق. وأصبحت قائدة اكسبتنا أفقاً وطرقاً جديدة من ناحية حرية المرأة ومن ناحية كفاحنا أيضاً.

أعلن القائد عبد الله أوجلان، في 8 آذار 1998 للنساء فكر حرية المرأة كهدية 8 آذار. وفي نفس اليوم نفذت الرفيقة سما عمليتها الفدائية في سجن (جنَق قالـه) ضد قيام الرجل بلبرلة (فرض الليبرالية) كفاح الحرية، ضمن تشكيل النظام، والفروضات الإيديولوجية التي تفتح الطريق أمام الاستسلام، وضد الرجعيّة التي يغيّرها الرجل بمقولة 'أريد أن أصبح جسراً بين 8 آذار و21 آذار'. إنّ التقارير التي تركتها ورائها كانت عميقة جدّاً من الناحيتين الفلسفية والإيديولوجية. وأصبحت مثالاً يُحتذى به لكامل بناء الحزب وبالأخص بناء النساء، في مستوى تحقيقها

والبحث عن إضفاء المعنى لتحزب النساء على الدوام. بعد استشهاد الرفيقة سما في 17 حزيران، وقام الرفيق فكري بايكالدي أيضاً بمقولة " الرفيقة سما هي قائدتي!" باستقبال الرفيقة سما وعمليتها (فعاليتها) بفعاليةٍ أخرى. وأصبح عضو الـ PKK، الرفيق فكري بايكالدي أيضاً ً بمقاربته التحرّريّة تجاه المرأة، رمزاً ً للرفاقية.

وقد قام القائد عبد الله أوجلان وحركة النساء بتحليل هذه الشهادات بشكلٍ موسّع. إنّ إعلان إيديولوجية حرية المرأة، ورسائل الشهادات، أنتجت حماساً كبيراً في جبهة النساء لكن ظهرت نواقص جديّة في تطوير الردود الوقتية. لكن تطوّرت خطوات حريّة المرأة كثورةٍ، وابتدأ القائد عبد الله أوجلان رغم الضغوطات الثقيلة لمرحلة المؤامرة، في خريف 1998 مرحلة تحزب المرأة بهذه التقييمات. " كيفما يوجد حزب الاشتراكية، فيجب أن يوجد حزب النساء أيضاً. يوجد حزب النساء الثوري الكردستاني بحيث يكون تقدّماً ً جدياً ً. التناقض الكبير يمكن تجاوزه فقط بحزبٍ كبير. مسائلكن ثقيلة للغاية. كونوا حزباً! يجب أن تنظمن أنفسكن. رغم أنني صاحب فكرٍ مؤيّدٍ للمرأة بهذا القدر، إلا أنه يمكن أن يكون جانبي الرجولي الذي يضغط عليّ موجوداً... وهكذا، يجب أن تطورن تحررکن بأنفسكن... وسيكون الردّ على جميع مقاربات الرجال، باسم تنظيم النساء لافتاً ً. جميع خططكن، وبقدر وجود خيالات للمرأة، فجميعها يمكن أن تُطبق بالتنظيم، أليس كذلك؟ فكّرن بتنوّع، واخطو خطواتٍ عملية وقيّمة. أقول هذا كداعمٍ ومؤيّدٍ للمرأة. فليست لدي تلك النيّة بأن أصبح قائد تحرّر المرأة. باستطاعتكن استخدامي كداعمٍ فقط. أنا داعمٌ ومؤيّدٌ لحزب تحرّر المرأة. وباستطاعتكن ضمّ بعض الرجال أيضاً. يعني ليس تنظيماً حكراً لجنس واحد فقط. باستطاعتكن أن تضموا إليكن الرجل الذي يقبل جميع شروط النساء. فمثلاً ً يستطيع رجلٌ مثل فكري بايكالدي أن يكون عضواً في هذا الحزب.

ماذا تعني إيديولوجيّة حريّة المرأة وتحزّب المرأة ضمن تجربتنا للحرية؟ لما هناك حاجة وضرورة لحزبٍ وإيديولوجيةٍ من أجل تحرّر المرأة؟ ما هي الظواهر التي كان ينبغي على النساء التحرّر منها؟ لماذا يتطلب حلّ تناقض الجنس، التحزب؟ ولإضفاء المعنى على هذه الخطوة الثورية فباستطاعتنا أن نسأل العديد من الأسئلة الأخرى. إنّ تحزّب المرأة، أبعدَ عن كونه نموذجاً تنظيميّاً، ولكي تُنجح جديّة

الأهداف التي تريدها، فمن المهم جداً التوصّل لنظريةٍ وبرنامج ونظامٍ داخلي ومجموعة تعبّر عنهم. هذا هو جوهرها. إنّ التعبير عن مستوى جدولة مسألة تحرّر المرأة، هو الإصرار في البحث عن الحلّ، ومبادئها، استراتيجيتها وتكتيكها ونضالها، والتي ستحققها المرأة بإصرارها الجوهري. فأية مسألةٍ ترغب النساء حلّها ضمن الحياة الاجتماعية ستتقرّبن منها بشكلٍ تنظيمي، ويناقشنها بشكل تنظيمي ويطورن الحلول التنظيمية. إنّ تحزب المرأة، هو موقف مضادّ للذهنية الرجوليّة الحاكمة التي تجزأ المرأة في الشخصية وتجزأها كجنسٍ أيضاً وتضعها ضد بعضها البعض. بلا شك فكلّ امرأةٍ تملك خصائص فردية خاصة بها، ولها موقفها وحرّيتها وشخصيّتها الخاصّة العائدة لها وستعمل على تطويرها. لكن عندما يصبح الموضوع متعلقاً بمسائل النساء للحرية المشتركة، مسائل الحياة والنضال، فإنّ هذا العقل يتطلب إصراراً وحركة مشتركة. إنّ تحزب المرأة في هذا الجانب، هو العقل التشاركي للنساء، ومؤسسة صنع القرار والفعاليات. ومن ناحيةٍ أخرى، فلا توجد أيّة مسألةٍ فردية تعانيها النساء، بعيدةً ومنقطعة عن عمليّات العبودية التي يفرضها عقل الرجل الحاكم، والمسيطر على النساء. ولهذا السبب، فإنّ إيديولوجية حريّة المرأة، توضح الأسباب الأساسيّة لعبوديّة المرأة. ومقابل هذه الأسباب فإنها توضح البنى الفكرية البديلة، ويقوم حزب المرأة بتطوير التدريب، والنضال المشترك، والمواقف البديلة، وفعالياتها. وبهذا المسار والتوجّه، يطوّر تجربة تحرّر كل امرأة، وتوسّع ميادين الحرية الاجتماعية أيضاً.

لكن للأسف فإنّ هذه الخطوة الثورية، استُهدفت بمؤامرةٍ وخيانة تاريخية تقودها أمريكا، وتخطط لها انكلترا بنفسها، وقوى الهيمنة الدولية، وتركيا وإسرائيل والقوى الإقليمية والمحلية، واليونان وروسيا أيضاً تحتل مواقعها في تنظيم هذه المؤامرة، والتي طبّقوها على الشعب الكردي والنساء في شخصيّة القائد عبد الله أوجلان. وأرادوا تصفية ثورتنا التحرّرية. حيث يُسْجن القائد عبد الله أوجلان منذ سنة 1999 في جزيرة إيمرالي في تركيا داخل زنزانةٍ إفرادية وضمن عزلةٍ مشدّدة. خلال فترة هذه المؤامرة، وأثناء مُعايشة ضيق وتعسّر المسائل التنظيمية الثقيلة الوطأة، فإنّ تجربتنا لتحزّب المرأة، والتطبيق العملي الذي استوجبته، تأخّرت عدّة سنوات. لكن فكرها والنقاشات التي بدأتها وضعت النساء ضمن حركةٍ وتحليل. وقد تأسّس تنظيم

الحزب في الـ 1999 من خلال PJKK (حزب النساء العاملات الكردستانيات) وفي الـ 2000 PJA (حزب المرأة الحرة) وفي الـ 2004 باسم PAJK (حزب حرية النساء الكردستانيات). وفتحت الطريق أمام خطواتٍ كبيرة جداً ضمن تجربة تحرّر المرأة. بخصوص النظام الأبوي، والتشكّل الذي خلقته للمرأة والرجل وكيفية خوض الكفاح معها، فقد تمّ تأسيس ميراثٍ قوي جداً نظرياً وعملياً. وبقلب الشخصيات رأساً على عقب، وبالنضال الداخلي، تمت معايشة مستوى مهم من التغيير.

في العام 2001 اقترح القائد عبد الله أوجلان لنا بأن نعمل باسم ميثاق (معاهدة) المرأة مع المجتمع. وقد وضعنا هذا الميثاق ضمن برنامجنا كحزبٍ للمرأة. وقد تمّ تسيير هذا النشاط بالنقاشات المشتركة داخلياً (محلياً)، ومع نساء بلدان العالم المختلفة، بتبادل الآراء ووجهات النظر. وتعريفٌ كهذا أعطى حماساً لكافة النساء. النشاطات المتعلقة بالميثاق الاجتماعي الذي وصل إلى مستوى مهم جداً، ماتزال مستمرة. إنّ زواج طالب -الزرادشتي في عام 2002 مع أحفاد الآلهات، وتقييمات الألوهية – الأفروديتية-الملائكية في عام 2004، إلى جانب التأثيرات الكبيرة للمؤامرة، فتحت آفاقاً جديدة في تسيير نضال الحرية وتجاوز مسائل النساء المستعصية. كانت هذه الخطوة بمثابة ترك الذهنية المتشكلة بالباراديغما القديمة، مفتوحة على التغيير. إنّ النظر من نواحي مختلفة، واستيعاب معنى العلاقة بين الحرية والمرونة، وتحليل التشكل السوسيولوجي والنفسي للحقيقة الطويلة الأمد التي خلقتها الثورة وإيجاد الحل وفي العديد من المواضيع، تطوّرت ديناميكية مهمة بمناقشة هذه الأجندات.

وضمن هذه المرحلة كان هناك ميدانٌ مهم اجتمعت فيه التجارب والاختبارات الماضية الغنية وهو ميدان العمل السياسي. وقد تطوّرت هذه التجارب في كل أطراف كردستان بخصائصها المستقلة العائدة لذاتها. لكن النقطة المشتركة، كان وضوح لون وهوية المرأة في السياسة. فهنّ صاحبات بداياتٍ مهمةٍ في هذا الشأن. وقد تمّ تطوير تنظيمات مستقلة ذاتياً ضمن ميادين التدريب والاقتصاد والثقافة والفن والأدب والديبلوماسية والصحافة. وتمّ تأسيس تنظيمات مختلفة ضمن الميدان

الاجتماعي وفق احتياجات النساء ومن أجل مشاكلهن. وكان تأسيس KJB (مجموعة النساء الساميات) في 2005 إلى جانب حزب المرأة، والتي كانت تجربة نظام المرأة الكونفدرالي، من الخطوات الثورية الأخرى. وقامت النساء ببناء وتأسيس أنفسهن استناداً إلى كافة هذه المكوّنات، KJB كسقفٍ للتنظيم، وPAJK، الحزب الرئيسي والقائد الإيديولوجي للمرأة، وYJA Star (اتحاد ستار للنساء الأحرار) قوة الدفاع المشروع للمرأة، و YJA(اتحاد النساء الأحرار) كتنظيمٍ للميدان الاجتماعي والسياسي للمرأة، وجمعيات النساء الشابات التي هي الآليّة الأساسية للكفاح. وتمّ تسيير كافة التطوّرات التي أوضحناها، منذ العام 2005 عن طريق KJB، وفي الـ2014 تحت سقف KJK (جمعيات نساء كردستان).

الجانب المستقل لجميع تجاربنا ضمن هذه السنوات، تم خوضه ضمن ظروف أسر القائد عبد الله أوجلان. فلقد تقدّمنا لسنواتٍ وعلى الدوام بدعمه ورؤاه اليومية. ولم نكن قد استوعبنا في الوقت المناسب رؤاه واقتراحاته التي كان قد حضّرها قبل سنوات لأوقات كهذه. وكنا نخوض نواقص الصداقة والرفاقية مع المرأة ونخلقها لحظة بلحظة، وفي أوقات المؤامرة عشناها حتى النخاع. لكننا لم نتخلّى مطلقاً عن كفاح حرية المرأة الذي كان يقول عنه بأنه ' مشروعي الذي لم يكتمل'. كانت التجارب المُعاشة في هذه المرحلة، الأولى بالنسبة للنساء. ومهما وُجدت من نواقص عديدة، إلا أنها أثبتت بأنّ الجهد الكبير الذي بذله القائد عبد الله أوجلان من أجل القوة الأساسية للحرية لم يذهب سُدىً. وضمن ظروف إيمرالي أيضاً، أعلن القائد عبد الله أوجلان للنساء، المشاريع والاقتراحات التي تقويهن على الدوام. وقد طوّر هذا الأمر في حركتنا بشكلٍ دائم، ديناميكية الانفتاح والتغيير-التحوّل، والتوسّع والتعمّق والتطبيق العملي.

بالخطوات التي تطوّرت ضمن مرحلة تجاربنا لتكوّن جيش المرأة، YAJK، والتحزب، ومشروع تغيير الرجل والحياة الحرة، والميثاق الاجتماعي، وكونفدرالية المرأة، وكان هناك موضوعٌ آخر كنا واعين له، وهو حقيقة الرجل. وكان هناك رفاقنا الشجعان جداً الذين ظلوا متمسّكين بالقيم الأساسية للحياة والحرية وحاربوا لأجلها أيضاً. الذين كانوا يقفون باحترام وتقدير أمام المرأة المنظّمة والتحرّرية

ويقدّمون لها الدعم أيضاً. في تجربة كفاحنا فإنّ الرجال الذين كانوا يجدون حرية المرأة خطراً وكانوا يظلمونها ويضغطون عليها برجعيّة الرجل، كانوا يخافون من المرأة القوية أيضاً. لكن النتيجة الأهم التي استخلصناها، إنّ المرأة المنظّمة التي تمتلك الإرادة، والتي تستطيع أن تكون مرنة وجميلة في جميع ميادين الحياة وتدرّب نفسها وتكتسب قوة الفكر، فمن المؤكد بأنّها تستطيع أن تكون ذات دورٍ توضيحي في تغيير وتحوّل الرجل. وحتّى إن وجدت بعض التجارب في مقاربة تغيير وتحوّل الرجل، لكن في العموم، لم نجتز كثيراً الرفض الفظ والعصيان. إنّ هذا الميدان، اجتماعياً(سوسيولوجيّاً) ونفسياً، هو موضوعٌ يجب تناوله ضمن التقدّم المختلف والتاريخي. وقد خاض الرجال تجارب مهمة جداً ضمن الثورة، وصُنِع التغيير والتحوّل. وتطوّر لدى الرجال أيضاً فهمٌ كهذا بأنْ يرى مسألة المرأة كمسألة حرية المجتمع برمتّه، وكذلك أن يدرك وجود مسألة حرية الرجل أيضاً.

وفي هذا الميدان أراد القائد عبد الله أوجلان في العام 1998 أنْ يطوّر YAZK (اتحاد حرية رجال كردستان) بشكل متوازي مع YAJK. " ليست المسألة فقط في محاربة هدف وواقعية ومصاحبة YAJK. ففي هذا الشأن طوّرنا مفهوماً آخر على غرار YAJK، وأطلق عليه اسم YAZK. فكيفما نقول اتحاد حرية النساء الكردستانيات، فالصحيح هو أنّ اتحاد حرية رجال كردستان هو مفهومٌ اصطلاحيٌّ أيضاً. وربّما يكون تحرير الرجل أكثر أهمية وضرورة من تحرير المرأة. وربّما يكون مستوى حرية الرجل أصعب وأكثر مشقةً من مستوى حرية المرأة. إننا نرى الآن أهميتها بشكل أعمق فبينما يتم تجاوز حدث العبودية في المرأة، إلا أنّ العبودية والاستعباد تستمر في الرجل بعنادٍ وتحفّظٍ كبيرين. يتحقق التفكّك في المرأة بشكلٍ أسهل، فالرغبة والإرادة بلوغ الحرية قوية، بينما يصِرّ الرجل على الاستمرار في عدم التخلي عن زمام هذه الحاكمية والمحافظة وفرض أهوائه في هذا الشأن... فليس هناك رجلٌ جاهز وامرأةٌ جاهزة، هذا يتحقق بالثورة فقط. ويتم اكتسابهما ضمن الثورة على شكل انتصار"[79]. لكن هذه الخطوة المهمة للغاية، بقيت في ظل المؤامرة. وفي العام نفسه وُضع **مشروع تغيير الرجل** ضمن جدول الأعمال، وبعد

(79) الرؤى المقدمة لكونفرانس الحزب- الجبهة في 28 نيسان 1998 / عبدالله أوجلان

الممارسات العملية الرافضة الفظّة، تمّ وضعه ضمن أجندات العمل من قبل القائد عبد الله أوجلان. ضمن هذا المسار، وبين سنوات 2000 و2003 بدأ تدريب الرجال تحت سقف PJA. وكانت هذه تجربة مختلفة ومهمة جداً. وكانت مرحلة تستحق تحليلاً موسّعاً بجميع النواحي التي أظهرتها. ففي النهاية تناول القائد عبد الله أوجلان في مرافعاته الحياة التشاركية الحرة. ويشير هذا إلى مدى تناول القائد لطبيعتي المرأة والرجل ومشاكلهما في الحرية بشكلٍ دياليكتيكي، وكذلك يشير إلى مدى إصراره وصفائه في تبنيّ الجهد الذي بذله في هذا الميدان إلى اليوم. إنّ المبادئ التي يُعبَّر عنها في نظرية الحياة التشاركيّة الحرّة، هي التعبير عن الثقة والإيمان ووجوب تطوير المرأة الحرة والرجل الحر. هذا الميدان أيضاً هو جزءٌ مهم من حركات حرية المرأة التي يجب الوقوف عندها بمسؤوليةٍ وأهميّةٍ بالغة. وبتحليلٍ صحيح للأحداث والتجارب الماضية، نستطيع أنْ نحلل الحالة المُعاشة اليوم بشكلٍ أفضل. كما أنّ إحدى النقاط التي تجعلها الجنولوجيا ضرورةً في هذا الموضوع، هي إعادة النظر بشكلٍ سوسيولوجي في ميراث تجاربنا التي أظهرناها وضرورة النقاش حولها. وفي الوقت نفسه، هي تناول وبحث النقاط التي انسدّ فيها التقدّم والتطوّر والمشكلة التي تُعاش الآن، وفق هذا التحليل إنّ المعرفة التي اكتسبناها من العلوم الاجتماعية، بخصوص العلاقة الإيديولوجية والأحزاب الإيديولوجية هو الميدان الذي سنظهرها فيه بشكلٍ أكبر.

وحصلت شراكةٌ مهمّة جداً لتجربة نضال حرية نساء كردستان وجميع تجارب ثورة كردستان، من أجل العلوم الاجتماعية والثقافة، والأدب الثوري والاجتماعي. وفي جغرافيةٍ تعيش ضمنها الذهنية الإقطاعية والرأسمالية في توافقٍ عميق، وفي حرب إبادة وطمس الحريات الاجتماعية والحريات الفردية، احتلت المرأة مكانها على مدى أربعين عاماً ضمن تجربة نضاليّة بكل فعالية وتأثير. ومثّل هذا بحد ذاته بناءً لثراءٍ وغنى في المواد في سبيل تناول وبحث العلوم الاجتماعية لسنوات. وأساساً فقد أصبحت تجربتنا مداخلة على عقليات العلوم الاجتماعية من ناحية، وعلى محفوظات اليساريين والاشتراكيين والثوريين الذين أضعفوها من ناحيةٍ أخرى. ونحن كنساءٍ من الشعوب الأخرى والثقافات الأخرى، أخذنا مواقعنا ضمن نضال حرية كردستان، وأثبتنا بأنّ الحياة لا تتقدم على أساس الأمور النظرية والمحفوظة،

وبأنّه لا يمكن إعاقة رغبة الحريّة أبداً. وحطمنا الحافظة التي تقول بأن مسألة المرأة لا تُحلّ ضمن الثورة. إنّ تجربتنا في هذا الموضوع ذات خصائص مختلفة واعتبرت المرأة والرجل أيضاً متساويين كهوياتٍ بحاجةٍ للحرية ولم تضع تجربتنا النضال مع المرأة التقليدية والرجل المتسلط، كوجوبٍ وضرورةٍ للحريّة، على عاتق المرأة فقط. كما مُنِح الرجال مسؤوليّة التدريب الذاتي، والبناء الذاتي والتحرّر من تخلف ورجعيّة المرأة ومن ظلم الرجل وتسلطه. وهكذا تطوّر جيلٌ من الرجال يتخذون موقفهم من حريّة ونضال المرأة كحجرٍ أساس لفلسفة حياةٍ ذات معنى وحرّة، ويتحققون منها. وفي الوقت نفسه، بالكيفيّة التي كانت تقيّم بها المرأة محاربة تعاليم المرأة العبودية ضمن شخصياتها كجهدٍ للحرية، فقد تطوّر تعريف وتطوير النضال الداخلي للرجل أيضاً في هذا الشأن، بنظرة قتل الرجل ضمن ذهنيته، وضمن تعاليم حياته، وضمن حركته ولغته. وهذه عدّة مشاركات أساسية أضافتها تجربتنا، على السوسيولوجيا وتقاليد النضال الاجتماعي. وفي نضالنا فإنّ تسمية شكل النضال مع الرجل كحرب عداوةٍ وعيش وفرض التناقض فقط، هو رفضٌ فظ إنها تسميةٌ أضفناها إلى الأدب. وهي في الوقت ذاته، اختلاف الذهنية الذي رسّخناه ضمن الكفاح الجنسوي. ومن وقتٍ لآخر فهناك وجهة نظرٍ في خوض الكفاح الجنسوي بشكلٍ ارتجالي وعرضي، لكن كيفما كان فهي تدرك إمكانيّة معايشتها ضمن التطبيق العملي، وقد حقّقت نظرتنا الإيديولوجية على الدوام تحليلاً بخصوص كيفيّة خوض هذا النضال وأدواته وأساليبه. وإحدى الأهداف الأساسيّة لهذا التحليل، إلى جانب حرية المرأة، هو خلق التغيير والتحوّل وتحرّر الرجل الذي بمقدوره دعم ومساندة المرأة على الدوام. وستصبح، ضمن النضال الصعب الذي يبذل في هذا الميدان، من المواضيع الأساسيّة التي ستتناولها الجنولوجيا بنظرةٍ تاريخية. لكن إظهار النتائج المعلنة، يشير إلى أنّها مشاركة ثورية لتجارب النضال الاجتماعي والثقافة الاشتراكية وأحد المواضيع الأساسية لبحث واستكشاف الجنولوجيا هو، مشاركة النتائج المتمخضة عن نضال حرية نساء كردستان، وكذلك نتائج تجارب نضالات النساء في البلدان المختلفة، من أجل العلوم الاجتماعية والنضالات الاجتماعية.

الجنولوجيا كخطوةٍ جديدةٍ للثورة، ستسرّع تجربتنا التي وصلت حتى مراحل يومنا هذا، والتي أردنا أن نعبّر عنها بالخطوط العريضة. إنّ الجنولوجيا ضمن جدول أعمالنا منذ قرابة السبع سنوات. ونستطيع القول، بأنّ السنوات الثلاث الأولى، كانت مرحلة بحثٍ واضح وبناء ميراثٍ. والسنوات الأربع الأخيرة اكتسبت أسّاساً مهمّاً. لماذا ظهرت الجنولوجيا كحاجة؟ ومقابل ماذا ظهرت ضمن هذا القدر من تجاربنا؟ وبتجربتنا الممتدّة لعشرات السنوات، ما هو المعنى الذي سنضفيه على الجنولوجيا؟ وبأيّة خطوات ستشارك الجنولوجيا تجاربنا الممتدّة لعشرات السنوات؟ على هذا الأساس، ولكي تزيل الفراغات الكبيرة الموجودة في الوسط، فهناك حاجةٌ لحركتنا ببناء وجهة نظر ورؤيةٍ جديدة. ونستطيع قراءة هذه الحاجة ضمن انتقادات وتنبيهات القائد عبد الله أوجلان أيضاً. "تضيع المرأة على الدوام في المجتمع. وإذا أرادوا أن ينظروا بشكلٍ صحيح، فينبغي أن يدركوا بأنّ المرأة تضيع في المجتمع دوماً وأن يظهروا تطورها التاريخي. فليتجهوا نحو الأعمال التي تفتح الطريق أمام نقاشات أساس تحرّر المرأة. وليتخذوا من الكفاح لأجل النساء وتعميق فكر حرية المرأة أساساً، وليتخلوا عن أسلوب العصيان ويصبحوا قوة الحل. وهناك فراغاتٌ كبيرة في مواضيع البيئة، والفامينية والاقتصاد والخ، فليقوموا بملئها.

إنّ سبب تطوير الجنولوجيا، في هذه النقطة بالذات مرتبطٌ بفكرة إيجاد الحلّ لهذه المسائل. إنّ الجنولوجيا التي تطوّرت في العام 2008 كرؤيةٍ ووجهة نظرٍ للقائد، تنساب من تجارب ثلاثين سنةٍ من كفاحنا. وستتطوّر كعلمٍ اجتماعي داعمٍ لتأسيس المرأة. وبتجربة كفاحنا، نبلغ المعرفة، والتجربة وقوّة الإحساس والفكر التي نبنيها باختباراتٍ صعبةٍ للغاية. والجنولوجيا هي فكرتنا عن التقدّم على هذه القوة. وضمن كفاحنا للحرية كان أسلوب التجربة بناءً على رؤيةٍ فكريّة واضحة، والتجارب والاختبارات والمعطيات العملية التي أظهرتها للعيان وإخضاعها لتحليلٍ فردي وجماعي، بمعرفةٍ تاريخية في الميدان السوسيولوجي والإيديولوجي والنفسي، والتشارك ومواجهة الحياة مجدّداً، طاغياً ومسيطراً. وسُتظهر الجنولوجيا، النتائج التي ظهرت بهذه الأساليب، والمرحلة التي بلغناها والجوانب التي واجهنا فيها الانسداد، وواجهنا التكرار، وتقدّمنا وتراجعنا خلالها. وفي الوقت نفسه، ستهدف إلى تمهيد الطريق بخصوص الطرق والأساليب الجديدة الواجبة، بحسب ذاتية المكان

والزمان. "فإن ضممنا الإمكانيات الكبيرة للحرية والمساواة التي اجتمعت في جبهة المرأة، إلى تقدّم المجتمع الديمقراطي بالقيم الأخلاقية والجمالية، فسيعبّر عن معنى كبير. هناك انسدادٌ في هذا الجانب. فالحلّ والتطبيق العملي ذو أهميةٍ كبيرةٍ. وهو ضروري للريادة الوطنية والمحليّة أيضاً." إنّ رؤية القائد عبد الله أوجلان هذه، أظهرت بوضوحٍ الميادين التي يجب أن تخطوا فيها الجنولوجيا خطواتها، والميادين التي يجب أن ينضم إليها بإبداع.

وننتقد العلوم الاجتماعيّة التي اتخذت شكل عقل الرجل، ولم تفكّر حتى الآن بعلمٍ للمرأة، ونتوجّه نحو أفق الجنولوجيا. وينبغي لنا أن ندرك ثقل وأهمية انتقادنا هذا ونخلق مقارباتنا. "إنّ إظهار الاستيعاب والمشاركة الصحيحة، ليس مسألة شخصية، بل هو مسألة اجتماعية." ويمكن أن نفكر بتثبيت القائد عبد الله أوجلان هذا بشكلٍ أكثر عمقاً ونضفي عليه المعنى. لأنّ فهم الجنولوجيا أو عدم فهمها كعلم حياة الاجتماعية، ووفقاً لها أن نخطو خطواتنا أو لا نخطو، هو مسألة اجتماعية أوسع من التي تُعرف ومتعدّدة الجوانب. هي علم المرأة الجريئة، والعادلة والخلّاقة. إنْ كان الانفتاح والبدائلية هي المعاني التي تُحمَّل على علم المرأة منذ البداية، وأينما وفي أي جزءٍ منها تكون مسدودة، فإنّ تثبيت هذه الجوانب هو أبجديتها.

في كلّ مكانٍ من كردستان لم تكن تتحرّك فيه الأوراق في وقت ما، فهي اليوم تنقلب رأساً على عقب بآليات اجتماعية متنوعة وغنية جداً. إنّ انقلاب كلّ تفصيلٍ في الحياة، يكون بلون وروح المرأة. في الحرب، وضمن التنظيمات الاجتماعية، والأكاديميّة وفي ميدان الثقافة والفن، والأدب والنشر والإعلام، وفي خلق كل تفصيلٍ في الحياة بجهدٍ ومشقة، فإنّ 'الطبيعة المشحونة' للمرأة هي على رأس عملها. ضمن جغرافيةٍ تُعتبر فيها ولادة امرأةٍ لعنةً، ويتم استحقار واستصغار المرأة، قام القائد عبد الله أوجلان وحركة حرية المرأة الكردستانية، برعاية وتنشئة النساء اللواتي يرون ولادتهن كأمراة ويرين نسويتهن كحظ ومصدر فخرٍ واعتزاز. ودخلت الجنولوجيا في أجندتنا وضمن جدول عملنا، في مرحلةٍ يصبح خلالها هذا التغيير والتحوّل الذي جرى معايشة وخلق الجهود، والبدائل، والبطولة، والمقاومة، والتنوير في كل تفاصيله، ذا بنيةٍ فكرية سليمة ونظامٍ اجتماعيٍّ بأهميةٍ حياتية.

في كردستان والعديد من بلدان العالم، قدّمت الشعوب وقادتها، وروّادها أمثلة عن مقاوماتٍ عظيمة جداً. وبذلوا كفاحاً مهيباً. ولكن لأنهم لم يستطيعوا تجاوز الحضارة الدولتية والسلطوية وبنية ذهنيتها، فلم يتم تنظيم وتشكيل هذه الجهود العظيمة بالشكل اللائق بها. ولم تتحرر من نظرة المجتمع والنظام الأبوي. وما اكتسبوه بعد الثورة كان مجرّد تكرار ونسخ وأحياناً تقليداً سيئاً للنظام. ونحن كحركة حريّة كردستان وكي لا نعيش هذه النتائج أيضاً، حدّدنا منذ البداية شخصيّة المرأة في ثورتنا. لكن في المرحلة التي وصلناها، ينبغي أن تستند هذه الشخصية إلى أسسٍ أكثر سلامة وصحة. ويجب التقرّب من المعرفة العلمية، والفلسفية، والميتافيزيقية، والميثولوجية وكل ميادين الحياة، وكل ظواهرها، بوعيٍ ورسوخٍ أكبر، ويتطلب بناء مبادئها أيضاً.

كافة القيم التي أبدعناها والتي مرّت إلى اليوم ضمن مراحل شاقة، وكي لا تختنق ضمن ليبرالية الرأسمالية، فينبغي أن نؤسّس أنفسنا بشخصية المرأة من الناحية الذهنية أيضاً. ويجب أن نكتسب جميع الخصائص الذهنية بشخصية المرأة. ويتم عيش الحقيقة المجزأة لمقولة الأنثى، ونشاط الذكر، في كل ميادين الحياة بطرقٍ مختلفة. وهناك أزمنة وأعمالٌ للكلام والنشاط الأنثوي أيضاً. لكن في المرحلة الحالية، ينبغي أن نعيشها هكذا في كل تفاصيلنا ولحظاتنا. لأنّ الحداثة الرأسمالية، وبكامل تنظيمها، هي في موقع الهجوم على الشعب الكردي وجميع الشعوب التي تقاوم، في كل تفاصيل الحياة. وأحياناً في لحظة وتفصيل، ونشاط أو حتى خطوة يمكنها أن توضح المصير. وتظهر أهمية الجنولوجيا في مرحلة كهذه. حيث يجب أن يُعاد تطوير نظرة المرأة بالتحليل السوسيولوجي لتجاربنا التي شهدناها حتى الآن وأن تعاش كل لحظة حياة بهذه النظرة. بدون الدخول في الاختلافات الكبيرة بين النظرية والحياة، وبين العلم والمجتمع. ومهما يكن السمو والانفتاح والتعمق في مستوى معرفتنا، فإنّ العيش بهذا السمو والانفتاح والتعمّق في كل تفاصيل حياتنا هو أمرٌ مهم. ولكي نجعل المزايا التي يوضحها القائد عبد الله أوجلان في تقييمه في الأسفل عمليّة، فسيرفع مستوى حرية الحياة:"...إنّ المسافة بين الإيديولوجيا والسوسيولوجيا أصبحت قصيرة. كما أنّ المسافة بين السوسيولوجيا والاشتراكية العلمية أصبحت قصيرة أيضاً. وقلّ الاختلاف بين السوسيولوجيا والاشتراكية

العلمية أيضاً. إنّ العلاقة بين الفكر الإيديولوجي والسوسيولوجي والاشتراكية العلمية اكتسب اتحاداً، وباتت تتجه نحو علمٍ اجتماعي متماسك. وفي هذا الشأن يأتي PKK على رأس الأحزاب المثالية. وأساساً تُقاس قوّة حزبٍ اشتراكي، بميله نحو العلم الاجتماعي. وتكتسب قوتها الإيضاحيّة، مصدرها من ارتباطها بالعلم الاجتماعي. وبقدر ما تتقدّم وتتطوّر مكانتها ومرتبتها العلمية ضمن مقدرتها الإيديولوجية والسوسيولوجية، فستكتسب ذات القدر من التقدّم في دورها الريادي.

وسنبني بالجنولوجيا "المرتبة العلمية"، من أجل توطيد دور الريادة لحركة النساء في التغييرات والتحوّلات الاجتماعية بشكلٍ ناجح، وتتويج مرحلة الكفاح هذه، ضمن الاختلافات الديمقراطية، ببناء مجتمع متساوٍ وحر.

الفصل الخامس

- **دلالات نشاطات الجنولوجيا**

" تم أسر المرأة في جميع مصادر الحياة من الناحية الذهنيـة والجسـدية أيضـاً، لـيس فقط في زمن الحداثة الرسميّة، بل ضمن كافـة الأزمنـة الهرميّـة والحضـارات، وتـم

تشغيلها ضمن عبوديةٍ عميقة جداً. ومن أجل حريّة ومساواة وديمقراطية هذه المرأة فهناك حاجة ملحّة إلى نشاطاتٍ نظريّةٍ موسّعة، وإلى النضال الفكري، وإلى أعمالٍ مبرمجة ومنظمة، والأهمّ من هذا هناك ضرورة لنشاطاتٍ وفعاليات قويّة. وبدون هذه النشاطات، فإنّ أعمال المرأة والفامينية لن تعبّر عن أيّ معنى أبعد عن كونها أعمال المرأة الليبرالية التي تُرضي النظام القائم"[80].

وإنْ تمّ إظهار الاقتصاد، الأخلاق، الجمال، البيئة، التوزيع السكاني (الديمغرافيا) والسياسية، كميادين للجنولوجيا، فهو لهذا السبب من أجل حرية ومساواة وديمقراطية المرأة.

عندما طوّر القائد عبد الله أوجلان أعمال تكوّن جيش المرأة كتنظيمٍ للمرأة في عام 1993 قال،"المكان الذي توجد فيه المساواة لا وجود للجيش فيه". وفي يومنا هذا مازلنا نعيش في كوكبٍ يُحرَق ويُدمّر بيد الجيوش التي يسيطر عليها الرجال. كما أنّ هذه الجيوش الرجوليّة لا تقتصر فقط على الساحة العسكرية. فعلم الاقتصاد يرزح تحت حكم جيش الرجال. وفيما يتعلق بنا فإنهم يتناولون القرارات الاقتصادية لحياتنا مثل صرفهم للنقود. مصانع الجيش الرجولي، مؤسساتهم النووية، ورشاتهم ومعارضهم والخ. جميعها تطرح نفاياتها وأوساخها وقذاراتها وتبصقها في بيئتنا. فجيش الرجال، كمعرفةٍ تعمل ليل نهار بفظاظةٍ، لإظهار ذهنية الجمال والأخلاق التي لدينا. تنتج الموضة، وتنتج مستحضرات التجميل، وحتى أنها تنتج طريقة الكلام والضحك والحركة. جيش رجولي، يتخذ قرارات الحرب والدمار، تحت مسمّى السياسة، لكافة الدول والعالم أجمع. جيشٌ رجولي، يريد أن يقرّر عدد أطفالنا ومواعيد ولاداتهم أيضاً.

فإذا كان جيشٌ رجولي قد دخل سرّاً إلى كل ميادين حياتنا، فكيف ستتطوّر حريّة ومساواة وديمقراطيّة المرأة إذاً؟ ولكي تتمكن الجنولوجيا، من الإجابة عن هذا السؤال الحياتي، فسيتم تنظيمها بدايةً ضمن خمسة ميادين أساسية. الاقتصاد، البيئة، الأخلاق والجمال، الديمغرافيا، والسياسة. وبلا شك نستطيع أن نضيف التدريب،

([80]) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

والصحّة، والتاريخ، والفلسفة، واللاهوت إلى هذه الميادين. وعندما لا يكون علمٌ للمرأة قادراً بميادين العمل هذه والمتعلقة بأساس الحياة، أن يكسب حرية المرأة، فإنّ تطوّر علم المرأة، يجب أن يعني حلّ المشاكل. وعندما يتمكن علم المرأة من حلّ مسائل الحياة الأساسية فحينها يكون على المسار الصحيح. لهذا السبب، ينبغي أن تكون الجنولوجيا قادرة على إنتاج الرؤى الإيديولوجية والتنظيمية والنشاطات في الميادين التي ضمنها، بحيث تتطوّر الشخصية الديمقراطية للمجتمع والحياة. ويتراجع جيش الرجال الذي يحكم الحياة ويحتلها.

جميع الميادين التي نطرحها ونعبّر عنها كميادين للجنولوجيا، هي ميادين حياتية. وباتت جميع ألاعيب السلطة في العالم، ومصائر المجتمعات تُكشف ضمن هذه الميادين. كعلمٍ للمرأة والحياة، ستتناول الجنولوجيا هذه الميادين بنظرة المرأة. وستصنع المشاركة ضمن طبيعتها وحركة حريتها من أجل مرحلة العصرانيّة الديمقراطية. فعلمٌ للمرأة يستطيع أن يكون بديلاً، ويضمّ كل قسمٍ مساند وداعم لدمقرطة وتحرّر المجتمع ويحوّل هذه الانضمامات إلى الإرادة الديمقراطية والفعالية، وعلمٌ للمرأة بمقدوره تجديد نفسه في التفاصيل والميادين التي تتطلب مستلزمات الحياة الاجتماعية، يستطيع أن يقوّض الضغط والاستغلال الممارس على المجتمع، ويوقفه. وبدون أنْ يُمارس العلمويّة، يستطيع أن يطوّر العلم كعقلٍ، وفعاليةٍ، وضميرٍ مشترك للمجتمع.

أحد أسباب جعل الميادين التي أوضحناها تأخذ موقعها معاً تحت سقف الجنولوجيا، هو تجاوز الانقسام والتجزئة التي أسّستها العلمويّة (التعصّب العلمي) بين فروع العلوم. هي إظهار الترابط بين العلم والحياة والمجتمع. حينما يتشكل العلم بدايةً يكون اجتماعياً، واكتشافاً للمرأة، ولا يكون جنسوياً. ولا يكون بلا روح مطلقاً. ويكون مليئاً بالاكتشافات المفيدة للمجتمع. ولا توجد بين المجتمع والعلم كما اليوم جبالٌ جليدية تشكلت من أشياء مجرّدة وغير ملموسة. إنّ الجنولوجيا وبهدف بلوغ جوهر بداية العلم، ستتناول العلم ضمن الترابط والتأثير المتبادل بين المجتمع والحياة.

وكمثالٍ واضحٍ للعيان، فإنّ علم اقتصاد بعيد عن البيئة ولا يأخذها في الحسبان، هو خارج الحياة. ولهذا السبب ستناقش جميع المشاريع الاقتصادية وتأثيراتها على البيئة مع بعضها. كما أنّ علم الديموغرافيا (التوزيع السكاني) وعندما يكون بعيداً عن الاقتصاد والبيئة، فسيكون مضاداً للحياة، تحت مسمّى زيادة الهدر والتبذير. فالعلمويّة تتناول هذه الأمور بمعزلٍ عن بعضها. لكن الجنولوجيا تشعر بالروابط الحياتية بينها وتأثيراتها الاجتماعيّة، وتقيّمها، وتوصل هذه العلوم ببعضها على أرضيات التشارك. وتقوم الجنولوجيا بشكلٍ دائم، بوضع الترابط بين كافة الميادين التي أظهرناها، ضمن الذهنيات وتتطوّر على هذا الأساس.

وينبغي أن تصبح الجنولوجيا الأرضية المشتركة لذهنية العلم الحديث، والاتحاد والتشارك ما بين العلوم. ومن أجل هذا التشارك وعندما تتطوّر ميادين العمل والنضال الذاتي، فإنّ الأخلاق والجمال ستتناولها جميعها سويةً. فالجنولوجيا لا تدخل في أي نضالٍ أو مشروع اجتماعي لا تتواجد فيه الأخلاق والجمال. وهذا هو الفرق الأساسي الذي يميّز الجنولوجيا عن العلمويّة وذهنيّة العلوم الاجتماعيّة السائدة. وعندما يصبح هذا الفرق والاختلاف المهم، عملياً وقابلاً للتطبيق في كلّ ميدانٍ من ميادين الحياة، فإنّ كردستان والشرق الأوسط يمكن أن تصبحا أماكن مميزة جداً. وسيتم تنظيم وعيش الحياة الاجتماعية كعيدٍ واحتفالية.

في كلّ ميدانٍ طالته ذهنيّة الرجل المسيطر، فإنّ الحياة منتهية فيه وباءت بالفشل. وعندها سنوطد بالجنولوجيا، فكر المرأة ونرسخه في كل ميادين الحياة وننظمه ونجعل الحياة تزدهر على هذه الجغرافيا.

عندما يتم تناول ميادين الجنولوجيا وبحثها، فإنّ التثبيت الذي يجب أن يؤخذ بأهميةٍ وبعين الاعتبار هو التالي:

"إنّ علاقة الحياة التشاركيّة ذات خصوصيّاتٍ كهذه بحيث تؤثر من الأساس على العلاقات الاجتماعية والكونية جميعاً. فلا وجود لميدانٍ في الحياة ذي خصوصية أساسية وإيضاحيةٍ بقدر ميدان الحياة التشاركية الحرّة. إنّ اعتبار الاقتصاد والدولة

كعلاقةٍ أساسيةٍ، هو فكرٌ ثابت لسيوسيولوجيا الحداثة. وبالنتيجة فإنّ الاقتصاد أيضاً والدولة أيضاً هي وسائل الحياة التشاركية. من غير الممكن أن توضع الحياة التشاركية في خدمة الاقتصاد والدولة والدين. بل على العكس يجب أن توضع الدولة والدين والاقتصاد في خدمة الحياة التشاركية". إنّ توضيح القائد عبد الله أوجلان النظري هذا في سياق الحياة التشاركية الحرة، وعندما يبحث في الاقتصاد، والديموغرافيا، والسياسة، والبيئة، والأخلاق والجمال، وجميع ميادين الحياة الأخرى، فستمهّد طريقاً للجنولوجيا. وينبغي أن يكون هذا التثبيت حاضراً في ذهن المرء بشكلٍ دائم، لأنّه العقدة العمياء الأساسيّة للعلوم الاجتماعية.

لكي تظهر ضياع المرأة في المجتمع، وتَعمُّق هذا الضياع عبر التاريخ، فينبغي النظر إليها بشكلٍ جيد ضمن سياق تطورها التاريخي وحالتها اليومية، بالميادين التي تتضمنها الجنولوجيا. فكم هو دور هذه الميادين في سقوط وضياع المرأة؟ وبقدر ما يُوضح ويُكشف هذا الموضوع بالأبحاث والأعمال الإيديولوجية والعلمية، فستسعى الجنولوجيا نحو هدفها الآخر. أي كيف ستكون تأثيرات تنظيم هذه الميادين بيد المرأة، بأخلاقها وجمالها، في تحقيق حرية المرأة؟ إنّ إجابة هذا السؤال هي في الوقت نفسه النشاطات والفعاليات التي ينبغي تطويرها من أجل تحرير المرأة. وأساساً فكل واحدٍ من فروع العلوم الاجتماعيّة التي تندرج في ظل الجنولوجيا، هو في الوقت نفسه ميدانٌ لنشاطٍ قوي ومهم جداً. وبقدر ما يتم تطوير هذا الميدان برؤى حرية المرأة، فسيتعمّق نضال الديمقراطية والمساواة أيضاً. والأهم، هو أنّ التنظيمات الديمقراطية الكونفدرالية، ستنجح بأسلوب الكومينات. ولهذا السبب، في مقابل العالم الذي يسيطر عليه الرجل، فالانتفاض بمفرده لا يكفي. وهكذا فما يقع على عاتقنا، هو حلّ وملء فراغات ميادين الحياة بالجنولوجيا.

ميادين الجنولوجيا، هي من ميادين العلوم الاجتماعية التي تعيش فراغاً وفي ذات الوقت انحرافاً وضلالاً في أعلى مستوياته. هي فعاليات الحياة الاجتماعية. وهي في جوهرها الفعاليات الأساسية التي تجعل من المجتمع مجتمعاً. وهي ميادين وجود الطبيعة الاجتماعية. ولهذا السبب فإن الجنولوجيا بفكرة تطوير علم الحياة، ستصعّد من نشاطاتها في هذه الميادين. إنّ تقييم القائد عبد الله أوجلان في هذا

الموضوع: "الجنولوجيا، هي تنوير المرأة أبعد من أن تكون مجرّد أداةٍ جنسية، بل كبقايا من ناحية وكجوهرٍ للمجتمع من ناحيةٍ أخرى، وبحث فرص تحريرها لهذا الغرض. وبلا شك أن نفس البحث لم يتم فقط في ميادين العلوم الوضعيّة التي يتم تطويرها بباراديغما الرجل، بل وأيضاً تم في ميادين الدين والفن والفلسفة بنفس الباراديغما." يُعبّر عن ميادين بحث الجنولوجيا بشكلٍ أوسع. المهم هنا هو أن يفهم المرء كيف جعلوا المرأة في كل ميدان بقايا ورواسب من ناحية وجعلوها جوهر المجتمع من ناحية أخرى. إنّه الاعتداء على حالنا كرواسب من جهة وكبقايا عن جوهر المجتمع من جهة أخرى. و رغم إمطارنا بوابل اللعنات عبر آلاف السنين واستصغارنا وتشويهنا، فسنخوض نضال الوجود في كل لحظة وفي كل ساحةٍ وميدانٍ في الحياة. وسنتحرك بناءً على المعرفة التي هي في نفس الوقت وجود مجتمعيتنا.

1- الأخلاق والجمال

الفيلسوف شهاب الدين سهروردي الذي دفع جسده ثمناً لبحث الحقيقة، وذكر فلسفته الجمالية كقوةٍ يتم حملها فقط بالعلم والوعي، وقد أشار إلى ذلك بمقولة "من الظلم أن يشير المرء بالجمال إلى من ليس أهلاً له (الخبراء والعلماء)". وسرد السهر وردي في جوهره علاقة الجمال والعلم والوعي. وعندما ذكر بأنّ الجمال الذي خُلق بالمعرفة، ووضّح مع مَنْ، وكيف يجب اقتسامه، فإنه يشير في نفس الوقت إلى علم الجمال. ويُعرّف علاقة الأخلاق والجمال بشكل رائع. إنّ هذه المقولة المعرفية التي قيلت قبل ألف سنة من يومنا هذا، تخبرنا بأنّ الجمال لا يكون عملاً لأيٍّ كان. ولكي يتمكن المرء من حمل الجَمال، ينبغي أن يكون واعيّاً وعارفاً. الشخص الذي يصبح عارفاً، والذي يصل إلى مبدأ "اعرف نفسك"، هو الشخص الذي يحطم في ذهنه حكم العقائد الجامدة والأحكام المسبقة، أي هو الشخص الحر. فالشخص الذي يصبح حرّاً هو جميل بحدّ ذاته.

وقد استخدم القائد عبد الله أوجلان على امتداد تاريخ نضالنا وفي جميع تحليلاته على الدوام مفاهيم، علم الجمال، والجمال، والسوء، والجميل-القبيح. وتناول علم

الجمال دائماً بمستوى حرية الحياة والعلاقات. وفي الأوقات الأكثر صعوبة التي كنا نواجه فيها هجمات العدو، قام بإفهام عناصره والشعب الكردي وعي فلسفة "الفضيلة العظمى في الحرب هي البقاء جميلاً". وفي حرب الأربعين سنة مع تركيا، ومقارنة بالدول التي كانت تُسيّر نفس الحروب، فإنّ اللوحة التي ظهرت للعيان أنّ التراجيديا والموت والدمار كانت أقل فيها. والسبب وراء ذلك، هو عدم تنازل القائد عبد الله أوجلان عن معايير علم الجمال والأخلاق، عندما كان يقود الحرب في أصعب تفاصيلها. وكلامه هذا عن الحرب مرتبط بالبقاء جميلاً.

وقد استند القائد عبد الله أوجلان منذ بداية نضالنا وحتى اليوم، في الحرب والسياسة والتنظيم وهدفها جميعاً خلق الشخصية الحرة والمجتمع الحر، إلى المبادئ المهمة لعلم الأخلاق والجمال. وفي الوقت نفسه، تناولها كضرورةٍ للاشتراكية. "الجمال فنٌ. إنه اشتراكية، ينبغي له تطوير هذا الجانب أيضاً. وإنْ لم يكن هكذا فسيمضي نحو أسلوب السيطرة والاستغلال. وإذا لم يتمكن أحد من تحقيق هذا، واكتساب شخصيةٍ اشتراكية، والأسوأ هو تقبّل المرأة التي اعتادت الذل والخنوع، فإنّ هذا الأمر سيكون تهديداً له." إنّ القائد عبد الله أوجلان في إشارته هذه يعبّر عن دور النضال وعدم التشبّه بالنظام في تحقيق فن الجمال. من ضمن العديد من الانتفاضات التي حدثت على مرّ التاريخ الاجتماعي، -رغم كل هيبتها - فقليلٌ منها حافظت على هيبتها هذه إلى اليوم . لأن العديد منها تنازلت عن المبادئ الأخلاقية والجمالية، وتشبّهت بما تحاربها. فالشخص الفاقد لطبيعته، وجوهره، واختلافه ليس جميلاً. وهذه الانتفاضات التي حصلت خلال تاريخ الإنسانية تفككت وفقدت كلّ سحرها. ولكي يقوم القائد عبد الله أوجلان في شخصه، وشخص ثوّاره، والشعب الكردي، بإزالة قبح الحياة، فإنّه خلق الإيمان بحرب الجمال من خلال الدروس التي استخلصها من التجارب التاريخية. وعندما بدأ بالنضال، تناول جميع الخصائص القبيحة والسيئة للشعب الكردي بتحليلاتٍ سوسيولوجية وعبّر عنها بأنها نتيجة الانقطاع عن جوهره وعن تدفقه الطبيعي وعن محيطه الثقافي. وشيّد فلسفة، أنّ إزالة هذا القدر من الخصائص السيئة يتم فقط من خلال حرب الحريّة. "الحرية هي الجمال، والجَمال يُكتسب فقط بنضالٍ شاق ضد القبح". هذا الشكل، هو في نفس الوقت سحر نضالنا لأربعين سنة، وفي مركز هذا السحر، توجد بداية نضال حرية

المرأة، ضد قباحة استعباد المرأة. لأنه في تاريخ الشرق الأوسط تم خلق كلٍّ من الجمال واللاجمال (القبح) ضمن إطار المرأة.

"إذا أظهر مجتمعٌ رجولي بتقرّبٍ ساذجٍ إلى هذا الحدّ، لنسائه أنهن بعيدات عن الجمال، وبدون قيم، وملكٌ وحتى أن الجمال هو داءٌ ينبغي لها إزالته من أفكارها فإنّه لن يفلح، ومن الواضح أنه سيكون بعيداً عن السلام ويعيش في قبحٍ وسوء. المجتمعات الرجولية هذه، لا تستطيع خلق قداسة المرأة، وسمو الوطنية، والصفاء الحقيقي الصادق، ومقاربة طبيعة ذات معنى وحيّة"[81]. ولن تستطيع أن تخلقها أيضاً.

تمّ تأسيس وخلق الحياة الطبيعية، على أساس مساواة الرجل والمرأة والتوحّد الدياليكتيكي. والحياة التي تنقطع عن هذه الديالكتيكية (الجدلية) ليست جميلة. وفي الشرق الأوسط أُخرجت المرأة من الحياة منذ آلاف السنين. وفي كل مكانٍ من عالمنا الذي تسيطر عليه الهيمنة الرأسمالية فقد جعلوا من المرأة "بقايا ورواسب الحياة "[82]. والرجولية التي تقبّلت العيش مع بقايا ورواسب الحياة هذه، هبطت بقذارة الحياة هذه إلى أدنى مستوى في القاع. ولهذا السبب فإنّ الحرب الأكثر معنىً هي إيجاد ورؤية هذه القذارة والبشاعة، والإحساس بها، وتعريفها، والنضال ضدها. وهذا موضوعٌ للجمال، أي علم الجمال. الجمال، غني بقدر ابتعاده عن مستحضرات التجميل والعمليات التجميلية والثياب والأزياء، والتزيين والإكسسوارات، ويتم اكتسابه بدفع الأثمان الباهظة في سبيله. إنّ إحدى الأفكار الأكثر أساسية، للجنولوجيا التي تتطور كعلم الحياة، هو خلق المعرفة وموروث الجمال، وتعريف القبح وتسيير الحرب ضد القبح وخلق المرأة الجميلة والحياة الجميلة. بتقوية النقاشات النظرية والإيديولوجية والعلمية بحيث تستطيع تسيير هذا النضال. لهذا السبب فإنّ علم الجمال مع الأخلاق يمثلان أحد ميادين وساحات الجنولوجيا. لأنه إن تمكنت الجنولوجيا من تجاوز مستوى قباحة الحياة، فعندها ستتمكن أن تكون جنولوجيا.

([81]) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

([82]) من الرسالة التي أُسلت الى KJB في 7 كانون الأول 2013/ عبدالله أوجلان

وإن ركّزت الجنولوجيا جهودها على تغيير وتحوّل علم الجمال فإنها تستطيع تحقيقه. وعندما يدرك المرء بأن العبودية هي حالة ذهنية وتُسْتمدّ من الاستسلام الإيديولوجي فسيكون هذا الخطوة الأولى في مسار الحرية. وإذا تمكنا من تحليل عبودية المرأة التي تم قبولها في المجتمع بشكل عام، وبالأخص في المرأة، وقبول مشاعر وغرائز الرجال النابعة من سيطرة الرجل والذين يرون المرأة مُلكاً لهم، بقوةٍ، فإننا نستطيع أن نطور مستوى حرية الحياة من ناحية ومستوى الجمال من ناحيةٍ أخرى. يقول القائد عبد الله أوجلان، "إنّ الميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم والفن هي من أجل الحياة ودورها الأساسي تحقيق وبناء المساواة. ويجب أن يتم استيعابها بشكلٍ مهم، وإكسابها الأخلاق والجمال". وكذلك يعتبر الجنولوجيا تطويراً لنظرية "ميدان الحياة التشاركية الحرة، وهو الميدان الذي يجب بدايةً وضع علمه" ويعتبرها في نفس الوقت تطويراً لعلم الجمال. كما أنّ الجنولوجيا تتحرّك على أساس تجاوز الجهل الذي ينتهك حرمة البيئة بروح ماني الرقيقة التي تقول "لا تؤذوا التراب"، والإدراك القائل، "الاقتصاد هو ميدان المجتمع الأخلاقي والسياسي الحقيقي، الديمقراطي. الاقتصاد هو النشاط الاجتماعي الأكثر ديمقراطيةً"[83] وبناءً على عقلية أن المجتمع الذي ينقطع عن المعنى الفلسفي للنمو والتكاثر، لا يأخذ نصيبه من الجمال. وبهذا المعنى فإنها تتناول الأخلاق والجمال، والبيئة، والاقتصاد، والديموغرافيا ضمن علاقةٍ فيما بينها.

حاولت العديد من الحركات الفلسفية تعريف علم الجمال أي نظرية الجمال.وتم تناول علم الجمال، في جميع التعاريف وعلى الدوام مع الأخلاق، ضمن علاقةٍ مثل ثنائيةٍ لا ينفصلان عن بعضهما البعض. والصحيح أنه رغم جميع عمليات الرأسمالية لتحريفها وإبعادها عن جوهرها، فهي تشير إلى أن العلاقة الجيدة، والصحيحة والجميلة ترسّخت ضمن الذاكرة العميقة للإنسانية والتي لا يمكن إخراجها منها. إنّ نضال حريّة كردستان أيضاً، قد وضع الروابط الصحيحة والجيّدة والجميلة بشكلٍ جيّد ضمن النضال الذي يسيّره، وأظهر أنه عضو ضمن نضال الإنسانية ذي المعنى. فظاهرة ما يجب أن تكون صحيحة وجيدة لتكون جميلة.

(83) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

وينبغي أن تكون جميلة وجيدة حتى تكون صحيحة. تمكنت ألوهيّة الأم، لعشرات آلاف السنين من تنظيم المجتمع الأخلاقي والسياسي حول المرأة، وتشبعه، وتصونه، وتبقيه حيّاً ومستمراً إلى يومنا هذا، لأنها احتوت ضمنها الحقيقة والخير والجمال. وقد جعلت الإنسانية جميلة وأخلاقية بتجربة المجتمعية. ولو لم تكن هكذا، لانهارت الإنسانية وأفنيت مقابل قوة الطبيعة، أو لبقيت مستعصية في حدود البريمات (الحيوان الرئيس البدائي).

وفي يومنا هذا، إذا نظر المرء بالذهنية الجمالية المفروضة على المجتمعات، فسيتم تقييم الآلهات التي تمثلت بالهياكل والتماثيل الموجودة إلى يومنا هذا، كنساءٍ قبيحات، ذوات أجساد بدينة وغير متناسقة. لكن تلك النساء البدينات صاحبات التماثيل، اكتشفن الأعمال التي تضمن بها استمرارية ونمو المجتمع، وجعلتها ذات بنية تحتية وبنيةٍ تأسيسيةٍ فكرية قوية جداً، من أجل فائدة المجتمع. وبنوا الشكل الاجتماعي للحياة على أساسها. لهذا السبب فهنّ صاحبات علم الأخلاق والجمال. وهنّ رمزٌ قويٌّ جدّاً لجمالية المرأة. وبعد أن دُمّرَت عقيدة الإلهة الأم فإنّ الإنسانية أدركت بشكلٍ دائم جانبها هذا بعقلٍ حسّي وشعوري وكافحت ضدّ هجماتٍ كبيرةٍ جداً في عقيدتها. فإنْ تمكنا من جعل هذا الدور الذي أخذته المرأة على عاتقها لزمن طويل جداً في التاريخ الاجتماعي يُمارس يومياً، فستتحقق حرية المجتمع وديمقراطيته أيضاً. وبسبب هذا الدور الاستراتيجي بالذات، فإن الأخلاق هو أحد الميادين الأساسية لعلم المرأة، الذي يرتبط، بما لا شك فيه، بعلم الجمال ضمن علاقةٍ قوية جداً.

إنّ نضال حرية الطبيعة الاجتماعية التي واجهت كل أنواع الإبادة، وتجارب النساء، والترميزات الموجودة ضمن الذاكرة الاجتماعية كإحساس، والذكاء العاطفي والحس، والطاقة المتدفقة نحو الحياة، تستطيع أن تُكسِب آفاقاً جديدة. كما يوضح القائد عبد الله أوجلان، "من دواعي احتياجات طبيعة المرأة أن تتحرّك بشكل أكثر واقعية ومسؤولية من ناحية المجتمع الأخلاقي والسياسي، في مجالات التقييم والتحديد وتقرير الجوانب الجيدة والسيئة لتدريب الإنسان، وأهمية الحياة والسلام، الشر والخوف/طاقة الحرب، وكذلك مقاييس ومعايير الحقوق والعدالة". وفقاً لهذه

الحقيقة، ولكي تخلق المرأة مستوى المسؤولية، فإنّ تطوير علم الجمال ضرورة وأمرّ لا بدّ منه.

عندما يتم تطوير الأخلاق، فينبغي أن تبني بعض المبادئ الأساسية بتناغمٍ وانسجامٍ مع الجمال. ويقول الفيلسوف سهر وردي، إنّ المُريد (التابع) الذي أدرك العلم وعرفه، يمتلك قدرة الاختيار بخصوص الزواج والعزوبية، ويوضح ذلك بمثال كهذا: "قال مريدٌ رداً على سؤال لماذا لا تتزوج ' الامرأة هي من أجل إنسان '. وأنا حقاً لم أصبح إنساناً فكيف أتزوج؟" وعلى أساس هذا المثال اللافت يستطيع الإنسان أن يعرّف، الأخلاق كإحدى قدرات الإنسان الأكثر عظمة، ومعرفة استخدام مقدرة الاختيار والترجيح، وكذلك قوّتها وجمالها. وضمن هذا المثال، فإنّ مدى كبر المُريد، والزواج أو العزوبية خارج إطار الضغوطات الاجتماعية، تعاليم وضرورات الحياة، تكمن في الاختيار بناءً على قراره الشخصي. وكذلك فإنّ الحياة مع المرأة، وعدم الاكتمال وارتباطاً بقوة الذات هو السبب الأساسي لهذا الاختيار. كما يستطيع أن يوضح بجرأةٍ بأنه لم يخلق هذه القوة بعد. وهكذا فالأخلاق، وبقدر ما يفعل الإنسان شيئاً صحيحاً، مرتبطة بفن قول هذا الفعل. وسيصبح هذا المبدأ أحد مبادئ الأخلاق الأساسية للجنولوجيا.

في علم الأخلاق يوجد مبدأٌ مهم آخر، هو التفكير في الحقيقة القائلة، "المعرفة التي بدون ضمير تقتل الروح". في المجتمع الطبيعي كان يوجد مصدر وموهبة وهدف لكل معرفة، وكانت تُعاش بشكلٍ اجتماعي. هذه الحقيقة، هي حقيقة خلق الجانب الأخلاقي، بقدر الجانب الجمالي من الحياة. إنّ العقل، والذكاء، ودماغ الإنسان، تتشكّل في ظل هجمات الحداثة الرأسمالية في كل تفصيلٍ ولحظة. و هذه الهجمات عن طريق التربية والتعليم (التدريب)، والمدرسة، والآباء والأمهات المتشكّلين ضمن النظام الرأسمالي، وأيضاً عن طريق الإنترنت. وبهذا الشكل يتم فرض معرفةٍ بلا ضمير وتُقتل الروح. فالأجيال التي لا تعلم أيّة معرفة، ولماذا يكتسبونها، يصبحون بلا روح ويكبرون بلا ضمير. وهو السبب الأكثر أساسيّة لدمار وانهيار هذا المجتمع الأخلاقي. إنّه عمل وجريمة النظام الرأسمالي الممتد لـ300 سنة.

إنّ إعاقة وفضح ومنع قتل الأدمغة النقية والشابة، هي أعمال ميدان الأخلاق. والواجب الأخلاقي الأكبر. وعندما تكافح الجنولوجيا هذا الجرم، فإنها تتناول ثقافات الشعوب التي تناضل في سبيل أخلاق المجتمع الطبيعي وتأخذها أساساً. وفي هذا الشأن، فإنّ صيادي السمك في شواطئ كولومبيا ولكي يتصوّروا "اللسان الناطق بالحق" فقد أطلقوا عِبارةً هي "التفكير الحسي"، أي مفهوم التفكير بإحساس، هو أمرٌ في غاية الأهمية. وكما أنّ الأخلاق المتضمنة في دُعاء أصحاب الجلود الحمراء (أحد أعراق البشر) حيث تقول "أيتها الروح العظيمة! أعفني من إصدار الحكم على أحدٍ لم أتجول في حذائه لأسبوعين" هي في غاية الأهمية أيضاً. وكذلك ميثولوجيات الشرق الأوسط، ووثائقها التصوفية، والميراث المَحْكي(الشفوي)، والشخصيات العظيمة، هي مصادر الشعب المهمّة التي ستنهل منها ذهنيتنا الأخلاقية. فلا يمكن أن يوجد مجتمعٌ بلا أخلاق. تأخذ الجنولوجيا هذه المعرفة أساساً لها وتطوّر من الانقطاع والانفصال الأبدي عن التعاليم الحياتية والفكرية للنظام الرأسمالي الذي يريد أن يدمّر هذه الحقيقة، كمبدءٍ أساسي للحياة الحرّة.

من أجل أخذ موقعها ضمن بناء نظامٍ اجتماعي ديمقراطي، حرّ، ومتساوي ضمن الاختلافات، بمسؤوليةٍ وبشكلٍ طوعي، فإنّ حماية مجتمعنا من انعدام روح العصر الذي نعيش فيه، والانتقام من الرأسماليّة التي حوّلت علاقات المرأة والرجل بوحشيةٍ إلى ثنائية القاتل والضحيّة، و بناء المرأة الحرّة والرجل الحرّ على أساسٍ أخلاقي، والبدء بالنضال من أجل الانهيار البيئي، هي ضرورات المجتمع الأخلاقي والسياسي. إن التفكير بشكلٍ حسّي من أجل هذا النضال، وبشكلٍ شعوري وتعاطفي، وإنتاج المعرفة، النظرية، العلم والإيديولوجيا، هو عمل الأخلاق أي نظرية الأخلاق والتي سيتم تطويرها بنظرةٍ جنولوجية.

يقول القائد عبد الله أوجلان "إنّ الوضع الحالي للمرأة غير موجودٍ ضمن الأخلاق أو ضمن الجمال". ويلفت القائد نظرنا إلى موضوع المبدأ الأوّلي لتطوير أخلاق وجمال النساء، والحقيقة الحالية للمرأة، وتغيير وتجاوز وخلق هويات المرأة الحرّة ضمن شخصياتهن. وما لم نطبّق هذا، فستبقى نظريّة وعلم الأخلاق والجمال الذي سنطوّره بلا نتيجةٍ ضمن تجميل الحياة. لكنّ سحر المفاهيم والنظريات التي خلقتها

عصور الإلهة الأم، كان متضمّناً في هويّة المرأة الحرّة وضمن العيش بشكلٍ طبيعي. ولاكتساب هذا السحر مجدّداً، ستطوّر الجنولوجيا الأخلاق والجمال.

لأنّ اللغة كانت شعريّة، فإنّ أزمنة الإلهة الأم كانت ساحرة، أي كانت لغة أدبيةً. فمن ضمن الأنواع الأدبيّة كانت القصيدة، والحكايا، والقصّة من نتاجات هذا العصر. وهذه ليست مجرّد مصادفة. إنّ نسجها حول المرأة مرتبطٌ بقوّتها وعالم أحاسيسها، وكذلك بحقيقة المجتمع الأخلاقي والسياسي الحرّ والطبيعي حيث كانت تعيش فيه دون كذبٍ أو حيل. إنّ قوّة الكلام والسرد، توضح قوّة الأشياء المُعاشة ضمن الشعور والإحساس. فحقيقة الوقائع تخلق الكلام. ولهذا السبب فإنّ الكلمة ذات قيمة. إنّ قوّة الكلمة النابعة من الحقيقة هي مُبدعة وخلاقة، وتجعلها جيدة وهي حسيّة. **يعمل الخداع الطبيعي للحياة-الكلمة ويُستعمل في الحياة، أي خداعاً منتجاً تتحوّل فيه الوقائع والأحداث إلى كلام، فما يُقال في الحياة، يعود مرة أخرى للكلمة وتستمر بها**. وأحد أسباب ظهور الجنولوجيا، هو تلقي كلماتنا التي تم كتمها مجدّداً، بقدر صوتنا الذي تم قطعه. أي بمعنى اكتساب الأدبيات التي أبدعناها والتي تفتحت خلال حياتنا في العصور الشاعرية. اكتساب مقدراتنا التي تتدفق فيها حياتنا نحو الكلمة، والكلمة نحو الحياة. ولهذا السبب سيتم تناول علاقة المرأة، والأدبيات، واللغة ضمن توجّه الجنولوجيا الأخلاقي والجمالي. لكن إذا لزم الأمر، وضمن روابط الميادين المختلفة فسيتم الوقوف عليها بشكلٍ مستقل، وبحثها باعتبارها تأتي في مقدّمة تلك الظواهر حيث ينبغي أن يتم تطويرها بجدّيّة. فإذا ما كانت لغة العديد من العلوم التي طوّرتها النساء في بداية المجتمعيّة، والأهم إذا كانت لغة المعرفة هي الشِعر، فبدون شك هناك حكمة من وراء ذلك. وهذه الحكمة مرتبطة بهدف إضفاء الأخلاق على الحياة وتجميلها.

من الواضح اليوم حاجتنا إليها أكثر من أيّ وقتٍ مضى. إن تناول هذه الحاجة، وترسيخها بالأدبيات هامٌ للغاية، بقدر ما يتم ترسيخها بالعلوم الأخلاقية والجمالية. وقد تطوّرت الأدبيات في العديد من المراحل التاريخية للمجتمعات كأشكالٍ تعبّر عن المجتمع الحديث. وعندما يتطوّر علم المرأة، بهدف نسج وتكوين حياةٍ اجتماعية حول المرأة، فإنه بلا شك سيتطور بأدبيات ولغة المرأة. إنّ لغة وأدبيات المرأة،

ستُظهِر بوضوحٍ كافة قيمنا التي جعلتها ثقافة المجتمع الأبوي صناعيةً التي أضعفها عالم المعرفة والأكاديميات الوضعية، وجعلتها بلا ضمير وأفرغتها من معناها الاجتماعي. وفي الوقت نفسه، ستحيي قيمنا هذه مجدداً، بسحر لغة المرأة وأدبياتها، وستضمّها مجدداً لعالم القيم المجتمعيّة والنسويّة.

توجد هذه القوة الأدبية إنّ الالتزامات بين المرأة والأدب ذات خصائص كهذه بحيث تستطيع أن تجعل هذه القوة أكثر قوة. وما لم تكن هكذا، فإنه قبل مئات السنين، لم تغضب النساء في الأوقات التي سُلب منهن حق القراءة والكتابة، وتمّ منعهن من كتابة أو طبع كتبٍ بأسمائهن، بقدر غضبهن لكتابة ونشر الكتب بأسماء الرجال. ولو لم تكن هكذا، ورغم رجعيّة وتخلف الدين الذي يمنع صوت وكلام المرأة، لم تكن النساء لتحمي الشِعر، والقصائد المغناة، وقصص ثقافات الشعوب التي أبقتها ماثلة وحافظت عليها حيّة ومُعاشة كأكبر خزائن كنوزها. وفي يومنا هذا الذي يريدون فيه أن يصهروا كافة الثقافات الاجتماعية بالفن الشعبي والصناعوي، فإن أدب ولغة المرأة لم تكن لتزدهر كميدانٍ وساحة بديلة تستطيع مخاطبة الأقسام المختلفة للمجتمع.

عندما تزدهر الجنولوجيا بأدبيات المرأة البديلة والحرة ستكسب لونها. وستناضل على الصعيد الفكري، ضد المعوقات والمصاعب التي تقف حائلاً أمام تقدّم وتطوّر لغة وأدب المرأة التي ستحيي وتبرز روحها ولغتها وأخلاقها وجمالها. ويستطيع الأدب أن يسرد معارضة الشروط القاسية لحياة الحداثة الرأسمالية، والظلم الذي يفصل الإنسان عن الإنسان وعن مجتمعه ويحصره ضمن إطار الفرديّة، ويُفْهمها بالشكل الأجمل. ويستطيع الأدب أيضاً أن يُشعرنا بظلم الليبرالية التي تخلق خصائص جماليات الحياة بشكل جماعي وتقاسِمها وتفنيها. ونستطيع بالأدب أن نحارب ضد الروح المظلمة الفاقدة لضميرها، والتي تُبيد الإنسان والشجر والطيور والماء والجو، بشكلٍ قويّ جدّاً. ويستخدم النظام لغات **ezop** كي لا يتم استيعابه، ولخداعنا وإبعادنا عن بحث الحرية، ونستطيع عن طريق الأدب أن نجعل هذه اللغات متكلمة ومحكيّة. ونستطيع بالأدب أن نفتح استيعاب الإنسان الذي أُخرج عن وعيه وتم إغلاقه، أو تقليصه. ورغم مرور عشرة آلاف سنة عليها، فإنّ الخيالات

الغنية لديانة الأم الإلهة والطبيعة الاجتماعية، قوية بقدر تصوّرنا لها ولحياتها في أذهاننا. ونستطيع أن نكتسب هذه القوة بخلق الأزمنة الشِعرية. وترى الجنولوجيا الأدب كميدانٍ لا غنى عنه، لإستعادة الإحساس وكسب العلوم الاجتماعية والأخلاق والضمير التي أخصتها سائر العلوم، وبالأخص العلم الوضعيّ. لهذا السبب ولكي يستطيع الإنسان أن يُحيي لغته وأدبه، وبالأخص لغته الأم فإنه يتناولها بمنظور المرأة ويناضل في سبيل تطويرها. ففي يومنا هذا تمّ حصر وتحديد ميدان الأدب إلى أبعد حد، وتم وضع آلاف المعوقات والعراقيل أمام تطوّره. ويقوم هذا الأدب بالبحث والاستكشاف، بهدف تقوية وتعزيز أدب المرأة، في سبيل إظهار أدبها المخفي في تاريخنا وتطويره.

2- الاقتصاد

نانشا، إلهة العدل السومرية، لم يكن يعجبها مطلقاً شيءٌ من بعض الأشياء، مَنْ يأكل الأشياء التي لا تخصه ولا يقول "أكلت"، ويشرب ولا يقول "شربت". إنّ الثقافة السومريّة التي تنحدر منها هذه الإلهة، ورغم أنها مصدر الدولة، والمعابد، والعديد من الأشياء الأوّلية للسلطويّة، فإن العدل تتم حمايته من قِبل إلهةٍ واحدة. وتقوم في أوقاتٍ معينة من السنة، بمحاكمة البشر عن الذنوب والجرائم التي ارتكبوها. والأهم، هو أنّ أحد مقاييس ومعايير العدل لهذه الإلهة، مرتبطٌ بمقاربة الفعاليات الاقتصادية. حيث لا تُعجب الإلهة، أن يأكل إنسانٌ ما جهد غيره وينكره. وتتم محاكمته كل سنة عندما يأتي دوره. عصر السومريين هو ذلك العصر الذي تعيش فيه الآلهات والله ضمن توازن. وبمساعدة هذه المعرفة يستطيع المرء أن يتخيل ويتصور المراحل السابقة. أي عدالة المراحل التي خُلق الاقتصاد فيها بيد وقلب المرأة.

الميثولوجيا، بلا شك هي إحدى الطرق التي لا حصر لها للبحث عن الحقيقة. وتعتبر الآلهات الفعالية الاقتصادية من المعايير الأساسية للعدالة والأخلاق. لكن الميثولوجيا لا تذكر هذه الحقيقة فقط. ترى الآلهات التي مثل نانشا، كلّ الأشياء التي خلقتها مقدّسة ويقمن بحمايتها. والصحيح، أنّه تجريدٌ خلقه المجتمع بنفسه. إنّ مجتمعات ذلك العصر، مليئة بالأدلة في الميادين الاقتصادية والدينية والفنية بقدر الميدان الفكري. وهناك حقيقة أساسيّة تظهرها البقايا الأركولوجية، في المجتمعات

الأمومية، وهي أنّ الفعاليات الإنتاجيّة الأساسيّة للنساء كانت الجمع والالتقاط لوقتٍ طويل. أي أنّ المرأة بطريقة الإنتاج هذه، حافظت على المجتمعيّة وجعلتها مُعاشة. خلال فعاليتها هذه، وفي نفس الوقت جمعت الكثير من المعلومات الجديدة بخصوص النبات والتراب والأرض.

النساء اللواتي بدأن عصر الإنتاج، أنتجن التقنية التي رعتها الإنسانية لآلاف السنين، والزراعة وتربية المواشي، والأغذية وصناعة الألبسة، والرياضيات، والخ. وضعوا أساس العديد من الميادين. ويشرح رمضان جابار في كتابه قاموس المصطلحات (جذر الكلمات)، مصطلح العدد (hejmar) هكذا: ''Jî + mar / e. Hejmar / jmar / hûmare / ejmar. Mare في اللهجة الدملكية تعني الأم. Jî+mare: أي بمعنى خاصة الأم، أو الخاصة بالأم، عمل الأم. وكلمة mare تأتي من Marya الهورية. الهوريين يقولون Marya للنساء. Jîmer kirin : تأتي بمعنى الحساب، أي الرياضيات. وبقدر ما يُعرف الحساب والأرقام كعملٍ للرهبان السومريين، فإنه في الحقبة النيوليتية التي سبقت عصر السومريين، كانت شؤون المعيشة والتدبير المنزلي، والاقتصاد، والتوزيع والاقتسام تُسيّر من قبل النساء. لذلك فقد انشغلن بأمور الحساب والأرقام أيضاً." إنّ هذا الشرح للأعمال المتعلقة بالحساب والرياضيات، أي الأعمال الخاصّة بالأم، أو الأعمال المتعلقة بالمرأة، يقدّم دليلاً آخر في هذا الصدد. وهناك أيضاً الكثير من المعطيات العلمية التي تثبت بأن الزراعة أيضاً من اكتشاف المرأة.

الحقيقة التي نتعلمها من الإلهة **نانشا** هي، بأنّ تطوّر الفعالية الاقتصادية التي لا تتم الحياة بدونها قد جرى بريادة المرأة وبفضل علمها. إنّ تعليم هذه المعرفة، يحضرنا فوراً إلى عالمنا اليوم. وتظهر أمام أعيننا جميع اللوحات التي تُعتم قلب الإنسان بشكلٍ متتالي. إنّ الفقر والبطالة والجوع والتشرد، هي من أنواع الظلم التي تعاني منها المرأة بالأكثر. والأكثر إيلاماً هو أنها هي التي خلقت الغنى والثراء، وهي التي عثرت على الأعمال التي تنمّي المجتمع، وهي التي وجدت الطعام وخبزت الخبز، وهي التي شيّدت البيوت. ولكن ما الذي حصل حتى تحوّلت اللوحة الأولى إلى ما هي عليه اليوم؟ "الآلهة الماكرة قامت دائماً بالسرقة وباعتها، وقامت بإضاعتها من

المرأة بالكامل، وكلما قامت بإضاعتها من المرأة، بدأ الفقر الكبير، يأخذ مجراه ضمن المجتمع الأوّلي، كمصيرٍ محتم"[84]. هذا الحكم الذي فُرض كمصيرٍ، مازال سارياً ويجعل الشعوب تعاني من آلامٍ عظيمة. كلّ هذه الأمور بخصوص الاقتصاد متعلقة ومرتبطة بالقرارات الهدّامة التي يتخذها الرجال الذين لا يفقهون في الاقتصاد مطلقاً. وفي العديد من بلدان العالم أوصلوا الزراعة إلى حافة الانهيار، وفي هذا الشأن ربطت الدول بنفسها وعلّمت الشعوب على الكسل والخمول. إنّ سبب هذا الظلم الذي يزداد على المجتمع، متعلقٌ بإبقاء المرأة خارج الاقتصاد.

تعتبر الجنولوجيا، المرأة الأم في هذه البداية أساساً لها، وترى الاقتصاد أحد ميادينها، تحلله، وتبحثه، وتضع له مشروعاً. وفي هذا الشأن فإن مبدئها الرئيسي، هو تنظيم الفعاليات الاقتصادية المشتركة مع المجتمع. إنّ كيفية السيطرة على المجتمع بقطعه عن الاقتصاد، وفي هذا الشأن كيفية ممارسة الضغط والسياسات على هذه الشعوب، هو بحد ذاته موضوع بحثٍ تاريخي. إنّ قطع مجتمعٍ ما عن الاقتصاد، هو دمارٌ وانهيارٌ بالنسبة له.

إن كلمة الاقتصاد في اللغة الكردية هي في نفس الوقت تعني "الشيء الذي تُدبّر به الأمور المعيشية". أي بمعنى أنّ كل الأشياء التي يستخدمها الإنسان لقضاء حاجياته الحياتية الطبيعية هي اقتصاد. فإذا قطع مجتمعٌ ما عن هذه الأمور فإنه لا يستطيع العيش. إنّ الشيء الذي يفعله النظام الرأسمالي اليوم، هو قطع المجتمع عن الاقتصاد. ومن ثمّ يُجبر البشر أن يُدبروا احتياجاتهم ويقضوا أمورهم من مكبّات نفاياتهم. في العالم أجمع، إنّ الميدان الذي تواجه فيه البشرية أكبر قدرٍ من الظلم واللا حل هو ميدان الاقتصاد. إنّ الجنولوجيا، مؤمنة ومقتنعة بأنّ هذا الظلم واللا حل ليس مصيراً محتّماً، وسينتهي هذا بالتنظيم المشترك لأقسام المجتمع. وتقيّم الجنولوجيا هذا الميدان بشكلٍ نظري وتنظيمي وبفعالية، لكي تطوّر قناعتها هذه ضمن المجتمع أيضاً.

(84) من دولة الرهبان السومرية نحو الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان

إن ميدان الاقتصاد هو الأرضية الأساسية التي تستند إليها الإبادة الاجتماعية. ويريدون أن يسيطروا على المجتمع بهذا الشكل. وفي هذا الموضوع، فإنّ حصّة المجتمع والأشخاص الذين تمّ تلقينهم من انعدام الحل، هامّة للغاية. إنّ "حالة اللا حل التي تمّ تلقينها"، لا تؤمن بأنه من الممكن أن يتم تطوير، تغييرٍ ونشاطٍ وإرادةٍ ضمن هذا الميدان. إنّ الثورة الأساسية التي ينبغي أن تقوم بها الجنولوجيا، هي تدمير حالة اللاحل هذه التي تم تلقينها. ولهذا السبب يجب أن تقوم بتعليم المجتمع والأفراد، أن يروا الأرض والماء الذي يجري بجانبها وجهد الإنسان، بمثابة انسيابٍ وهطولٍ لمنابع البركة. ولن تصل فعالياتنا الاقتصادية إلى جوهر ديمقراطي وجماعي (كوميونالي)، ما لم يتم تغيير الفقر وتعاليم عيشه ضمن الثراء الموجود. إنّ النساء اللواتي طوّرن الاقتصاد في بداية التاريخ الاجتماعي، يستطعن اليوم اكتساب هذا الجوهر وأن يجعلن كلّ المجتمع ينخرط ضمن الاقتصاد الذي هو مثل "حدث الوجود الأساسي" للمجتمع.

ستتناول الجنولوجيا ميدان الاقتصاد ببعض المبادئ الأساسيّة. قبل كل شيء ستنظر إلى ظاهرة الجهد المبذول من خلال رؤية ووجهة نظر نظرية جهد الأم التي طوّرها القائد عبد الله أوجلان. وبهذه الرؤية ستضفي معنىً وقيمة لجهد المرأة ضمن البيت والذي تخوض الحركات النسوية نضاله منذ سنوات. إنّ جهد الأم هو المصدر الأساسي في الفعاليّات الاقتصاديّة. وستسيّر الأعمال التي سترسّخ هذا الفكر ضمن المجتمع. وسيكون هدفها بناء النظرية الجديدة للجهد والقيمة التي طوّرناها على أساس جهد المرأة الأم، وتطوير رؤية ووجهة نظر جديدة في هذا الإطار. وكما في زمن الأم الإلهة، فإنها ستبدأ بالتحليلات الاقتصادية التي ستشجع المشاريع الاقتصادية. وستتحرّك بهدف إحياء ثقافة اقتصادٍ جمعي لكل مجتمع، وجماعة، بحيث تستطيع أن تحقق اكتفائها، وتأخذ من دعمٍ تكاملي مع جيرانها أساساً لها. "اقتصادٌ بدون رأسمال ممكن، لكن رأسمالاً بدون اقتصادٍ غير ممكن"[85] إنّ هذا التوضيح هو نقطة البداية التي تُظهر بوضوح الفعاليات الاقتصادية التي يجب أن ننظمها. وكذلك التفكير بقوتها الإنتاجية ومكانها في الحياة. إنّ هذه الثقة الذاتية

([85]) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

بـالنفس، ستقوينا ضـد أعمـال الرأسـمالية التـي تـدمّر جميـع المكوّنـات الديمقراطيـة للشـعوب بالاقتصـاد الـذي لـيس اقتصـاداً. فـنحن لا نسـتطيع أن نبقـي الاقتصـاد بيـد الرأسمالية التي ليست اقتصاداً.

إنّ الاقتصاد المضمون ينبغي أنْ يُنظم في إطار الجماعة، والبيئة والأسس الإنتاجية، وهو شرط الوجود الأساسي للمجتمع. باستثناء المجتمعـات والجماعـات، لا يسـتطيع أحد أن يكون صاحب هذا الوجود، ولا يستطيعون أن يزيلـوا هـذا الحـق أيضـاً." إنّ فعالية اقتصادية وفق الأسس التي يوضحها القائد عبـد الله أوجـلان، يجـب أن توجـد لهـا روابـط بـالأرض والزراعـة. والقـرى هـي الأرضـيات الأنسـب لهـذه الفعاليـة. ولتطوير الكومينات فإنّ الفعاليـات الزراعيـة فـي القـرى ذات أرضـياتٍ مناسـبة. إنّ الزراعة تخلق من حولها ثقافـة وطريقـة الحيـاة. ولهـذا السـبب يقـول القائـد عبـد الله أوجلان بأنّ الشرق الأوسط بحاجةٍ إلى "ثورة قروية وزراعية ثانية". وكمـا تكشـف المعطيات العلميّة، فإنّ من خلق وأبدع الثورة القروية والزراعيـة الأولـى هـي الأم، المرأة. إنّ حظوظ تطـوّر الثـورة القرويـة والزراعيـة الثانيـة التـي يحتاجهـا الشـرق الأوسط وكذلك الثورة الثانية للمرأة بشكلٍ متداخل مع بعضها، كثيرة جـداً فـي يومنـا هذا. وإنّ الشرط الأساسي لكليهما، هو الانفصال والتخلي عن تعاليم حياة الرأسمالية وحالة اللا حل التي يتم تلقينهـا لنـا إلـى الأبـد. وتسـتطيع النسـاء كقـوةٍ ريـاديّـة لائقـة بدورهن في التاريخ، أن يبدأن تنظيماً ونشاطاً اقتصادياً.

مـا لـم تتـوافر المعرفـة التاريخيـة، فـإنّ المـرء لا يسـتطيع أن يُظهـر تـاريخ الإبـادة الاجتماعية والاقتصادية. وما لم تتوافر معرفة بيئية وما لم يكـن هنـاك ارتباطـاً بـين الاقتصاد والطبيعة، والأخلاق والجمال، فإننا لا نسـتطيع أن نظهـر مبـادئ برنامجنـا للاقتصاد البديل. وكذلك فإننا سنتناول بالجنولوجيا وجهة نظر الاقتصـاد، ونخضـعها للتحليل، ونضع مشاريعاً ومخططاتٍ ملموسة. والأهم هو أن نصل إلى المعرفة التي تتناول الاقتصاد "كأحـد النشـاطات الديمقراطيـة للميـدان الاجتمـاعي"[86] وسـننخرط ضمن نشاط بناء العلـوم الاجتماعيـة البديلـة. إن تنـاول وتقييـم هـذه الميـادين، سـوية وبانسجام، وبطريقةٍ تكمّل بعضها البعض، بدون تجزئتهـا، أو جعلهـا فـي تضـادّ، أو

(86) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

وضعها ضمن منافسة، ستُكسبها لكلّ شخص. إنها ضرورة بقدر ما هي عاجلة ويجب أن تكون الأرضية التي تستند إليها الثورة القروية والزراعية الثانية، وبالأخص ضمن جغرافية الشرق الأوسط، ويلفت القائد عبد الله أوجلان النظر إليها بهذا الشكل: "في العلوم الاجتماعيّة كمرضٍ وداء، يتم عزله وفصله ومداواته في كل الأجساد على حدا، فإن نتائجها الأكثر خطأً، بكل الأحوال تظهر ضمن أعمال حضارة الشرق الأوسط. ويأتي الاقتصاد على رأس هذه الأعمال. إنّ الحرب والسلطة، الذهنية والمجتمعية، وما لم تكن متداخلة مع بعضها، فإن التحليلات الاقتصادية لن تذهب أبعد عن تعميق الجهل أكثر".

في تطوير وجهة نظر الاقتصاد، وضمن مساره وبنيته التحتية العلمية وتطبيقها بمعرفة، فإنّ الجنولوجيا ستقدّم مساعدة مهمة جداً لهذا الميدان. وبقدر وصول ميدان الاقتصاد إلى وجهة النظر والرؤية الجنولوجية، ينبغي بقاء الجوع والحرمان والبطالة ضمن التاريخ. وبهذا الهدف والإصرار سيُبنى ميدان الاقتصاد الذي يمثل العمود الأساس ضمن الحياة الاجتماعية. "تبدأ مشكلة الاقتصاد، حينما يتم استبعاد المرأة عن الاقتصاد"[87]. إنّ هذا التحديد، يقنعنا بأنه لإزالة مشكلة الاقتصاد، يجب أن تدخل المرأة مجدداً في الاقتصاد وأن تُؤسَّس الفعاليات الاقتصادية بيد المرأة وعقلها وذهنيتها. فالمرأة الأم، خلقت المجتمعية التي تمثل الجهد الأعظم. إنّ الفعاليات الاقتصادية التي تمثل أحد الشروط الأساسية للوجود الاجتماعي، ستُنتج التنظيم أيضاً بانخراط قوى العصرانيّة الديمقراطية.

3- التركيبة السكانية (الديموغرافيا)

(87) أزمة الحضارة وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط / عبدالله أوجلان

في بعض الأزمنة كانت حقوق الأمومة سائدة ومسيطرة في كامل عالمنا. من بين جميع المعاني التي لا نظير لها كان هناك معنى واحد وهو أنّ الأم تعلم الأطفال وتربيهم وترتبط بهم. أولئك الأطفال كانوا محظوظين بحيث ينشئون ويتعلمون ويكبرون بناءً على العديد من الخصائص القوية للأم. وفي تاريخنا القريب أيضاً وُجد أطفال أكثر حظاً.

اعتقد الآبورجينيون (Aborjînan) بأنّ الأطفال الذين يُحتمل ولادتهم، يمكن التواصل معهم قبل أن يدخلوا رحم أمهاتهم. فكنّ يسألونه فيما إذا كان يريد أن يأتي إلى هذا العالم أم لا، هل هو جاهزٌ أم لا. وفي حال أراد الطفل أن يأتي إلى هذا العالم يحصل الحمل، أما إذا لم يكن راغباً بالمجيء أو لم يكن جاهزاً لم يكن يحدث الحمل. وكما يُعرَف فإن بعض قبائل الآبورجين، عندما كانوا يعتقدون بأن هذا العالم قد انهار ولا يريدون العيش في هذا العالم، فإنهم كانوا يوقفون التكاثر بإرادتهم. ولا نعرف على وجه التحديد شكل العلاقة التي كوّنها الآبورجينيون بعلمهم العميق هذا، وبالطاقة ذات إمكانية إنجاب "الطفل" قبل أن يدخل رحم أمه. لكن تفكير وتخيّل احتمالٍ كهذا هو أمرٌ عظيم. وبقدر ما يدور ضمن طاقة الكون كوجودٍ مُحتمل فهناك حرمةٌ كبيرة للإنسان. إنّ هذه الفلسفة العميقة في مبدأ تكاثر الجماعات تحمل في طياتها أخلاقية وجمالية لا نظير لها. وينبثق جوهر هذه المعرفة، عن حقّ الأم التي تربط الجنسوية بالتكاثر وبمبادئ واضحة. إنّ الغريزة الجنسية التي تدمّر العالم اليوم، ودعك من إيقافها بمبادئ وقوانين واضحة، حيث تتمّ إثارتها وحيونتها بكل أنواع الأدوات، ولكي يتم تناولها بمعرفة المرأة الأم مجدّداً، فإنّنا كميدانٍ للجنولوجيا ندعو إلى الديموغرافيا.

يمتلك التكاثر في كل كائن حي في الكون، في أساس خصوصيته، معنىً وأخلاقية وجمالية. ولا يُغيّر جوهره هذا سواءً صُنع بالاستكشاف والغريزة أم بالذكاء. إنّ تكاثراً متنوعاً ودائماً، هو أحد الأحداث السرية في الحياة. يُعبّر الكون عن نفسه بأشكالٍ كثيرة، وهذا هو الشكل الأكثر إثارة للحماسة من ضمنها. لكنّ الطبيعة التي كنا ندعوها بالمتوحّشة ونستصغرها لمئات السنين أيضاً، تخلق فتراتٍ للتكاثر. وتمتلك ذكاءً كهذا بحيث تضع به حدوداً. إنّ بشر المجتمع الطبيعي، وعلى عكس

البشر في يومنا هذا، كانوا يتقرّبون من الطبيعة بمحبّةٍ وقدسيّة كبيرة، وكانوا يعتبرون أنفسهم أولادها، وكانت هذه الحدود موجودة لديهم أيضاً. وكان أولئك البشر في نظرنا متوحّشين لمئات السنين. لكن عندما كانوا يريدون إنجاب طفل، كانوا يأخذون بعين الاعتبار شروط الطبيعة، وفرص إطعام وتأوية كلانهم، وكذلك العلاقات مع الكلانات المجاورة، ويتّخذون قرارهم وفقاً لها. إننا بكلمة اتخاذ القرار، نريد أن نعبّر عن أنّه ضمن هذه المجتمعات وفي هذا الموضوع فإنّ مؤسّسة اتخاذ القرار هي فقط الأم والمرأة. لعشرات آلاف السنين، وبفضل هؤلاء الأمهات والنساء العاقلات، حققت المجموعات البشرية توازن الوجود. إنّ توازن الوجود، هو الإظهار الصحيح والعقلاني لمبدأ التكاثر. أي تحديد الغريزة الجنسية. وضمن شروط تلك الأزمنة تُكوَن امرأة ورجل علاقة زوجيّة مع بعضهما، بأنْ يعشقا بعضهما، أو أن تقول المرأة والرجل هذا طفلنا أو طفلتنا، ولم يكن ثمة علاقة عفويّة من أجل المتعة بينهما. كانت جميع حقوق الأم مرتبطة بقوانين أخلاقية وجمالية وبفائدة المجتمع إلى أبعد حدّ. ففي ذلك الوقت كانت مصلحة المجتمع، تمثل مصلحة الفرد بشكلٍ كامل. لأنّ اللا مساواة وانعدام العدالة لم تكن موجودة في جوهر المجتمع.

للأسف فقد بدأت شخصية المجتمع هذه بالانهيار قبل خمسة آلاف سنة. وتم إحراق الأمهات اللواتي خلقن حقوق الأمومة، بقراهن ومدنهن. وأرادوا إزالة معارفهن التي كانت على الدوام مصنع العدل، والحب، والشفاء، والسلام والاستقرار لهذا العالم، من ذاكرة المجتمع بيد آلهة الكوارث والعواصف. ودُمّر التكاثر ذو الخصوصية السرية. وعندما كانت المرأة تمتلك معلوماتٍ بخصوص جسدها وجسد الرجل، لم يكن هناك انعدامٌ للعدل، سواء للأطفال أو للنساء أو للرجال. ومع مرور الوقت أوصل عقل الرجل المستبد، معرفة دور الرجل في التكاثر بحقد السلطة لديه. وخلق هذا العقل، حجج الإلغاء الإيديولوجي التي باتت تعتبر دور المرأة في التكاثر ملغياً وقللت من قيمة جسدها بتأطيره في مجال حمل الأطفال فقط. وتم خلق ثقافةٍ أبوية بحيث يُحدّد الأب في إنجاب الطفل، ولكي يتم تحديد نسب الطفل بشكلٍ دقيق يجري حبس المرأة داخل الحبس. إنّ معرفة الطفل لمن يعود، وأبعد من حب الطفل والتعلق به، كان واضحاً بأنه استمرارٌ لحقد العرق المَلَكي في الدم 'الأصيل'.

وجعلوا الفكرة الثابتة بأن الأطفال الذكور سيتابعون العرق والنسب والأصح يتابعون السلطة، المبدأ والنواة التي لا بدّ منها للثقافة الملكية. وفي هذه المرحلة، حصلت ممارسات قتل آلاف الأطفال الذكور ومن ضمنهم الرضّع والصغار جداً، تحت مسمّى تهديد السلطة. وإلى جانب هذه الظاهرة كان هناك عدم قيمة وحتى قتل آلاف الأطفال الإناث لدى السلطة المستبدة. لم تمتلك الأمهات قوة اتخاذ القرار بخصوص الأطفال الذين تلدهم، ولا الأطفال امتلكوا قوة القرار بخصوص حق الحياة. والصحيح أنّ الثقافة الملكية، كانت تصدر أحكام الولادة والموت بحسب متطلبات استمرار السلطة. ولم يكن هذا توضيحاً لسياسة التحكم بالولادة والتكاثر التي كان مصير السلطة بيدها فقط، بل إعاقة ذهنية كانوا يحقنونها في المنابع الاجتماعية من الأعلى إلى الأسفل. وتناولت المجتمعات الأطفال الإناث والذكور بحسب هذه الإعاقة.

إن الرجال المتسلطين الذين كانوا يبنون الإمبراطوريات والممالك على جماجم ملايين البشر، كان ينبغي أن يأتوا من ملكية وأنسابٍ نبيلة وقوية. ومع تطور الدولتية التي كان ثلاثة رجالٍ، أي القائد العسكري والشامان والرجل الماكر يشكلون نواتها، فإنّ الملكية القوية كانت تتطلب ضوضاءً وجلبة. أي الكثير من النساء الزوجات اللاتي ستنجبن العديد من الأطفال الذكور الذين سيكونون أمن حياته وسلطته، والعديد من الأطفال الإناث الذين يمكن أن يتم بيعهن كأملاكٍ خاصة في المعاهدات السياسية. وهكذا بات مصير الأم والأطفال أمام تغييرٍ من الأساس، وبلا شك مصير العالم والإنسانية أيضاً. وهكذا بقدر معاناة المصادر الطبيعية للعالم، والنظام البيئي، والأرض والسماء، من الغريزة الجنسية، فستبقى وتستمر باضطرابٍ وعشوائية. ولكانت الإنسانية قد سقطت بعيداً عن عقل سلامة القبائل بحيث كانت ترى هذه القبائل وحشية وما كانت لتترك أية علاقة بأي مبدءٍ للتكاثر. ولحوّلوا النساء إلى أداةٍ وآلةٍ لإنجاب الأطفال. ولفصلوا الجنسوية عن جميع المعاني الأخلاقية والجمالية، ولتمّ ربطها بغريزة استمرارية العرق والنسب فقط. ولأصبح أولئك الأطفال الذين كانوا يكبرون بحبٍ وحنان، تلك الأزهار المدللة، فقط "نسلاً وذرية". ولو استطاع أن يبقى على قدميه في هذا العالم الذي لا رحمة فيه ويصبح جزءاً مهماً من السلطة، لتمت رؤيته ك "إنسان". إنّ ثقافة أو لا ثقافة التكاثر التي

قطعت علاقاتها مع الطبيعة، مع الجيران، ومع طبيعتي المرأة والرجل، ومع معنى الإنسانية، تم خلقها لتتشكّل بحسب متطلبات السلطة فقط.

باتت اللاثقافة هذه، ما يتم تشويقها من قبل السلطة ودعمها ورؤيتها مشروعة أيضاً. وباتت حالات الأمومة على قائمة المواضيع التي كان يتحدث بها الدين، والفلسفة، والعلم. لأن الأمومة هي خصوصية ولدت المجتمع ورعته لعشرات آلاف السنين، لذلك جعلوها هدفاً لجميع هجمات النظام الأبوي. وتم تضخيم وأدلجة الدور الأحادي الجانب للرجل ضمن التكاثر، وجعلوه داعماً أساسياً لسلطته. وهكذا ردّ مارتن لوثر الذي قام بالإصلاح في الدين، على الأشخاص الذين كانوا يلفتون الانتباه إلى مخاطر الحمل بهذا الشكل: "إذا ما كانت النساء تضعفن أو تمتن بسبب الإنجاب، فلا ضير في هذا، دعوهنّ تنجبن الأطفال إلى أن تمتن، لأنّ هذا هو سبب وجودهنّ من الأساس". فلا يُصدم المرء أو يندهش من تقييمٍ بهذه الشكل، لرجلٍ جلّ سبب وجوده هو فتح الطريق للمسيحية من اليهودية والرأسمالية التي هي عدوة الإنسانية، بخصوص وجود المرأة التي تحمل القوة الإعجازية اللا محدودة للطبيعة.

إنّ المجتمع وبالأخص النساء اللواتي لم تضيعن أو تفقدن مبادئ تكاثر الأم الإلهة وأخلاقياتها وجمالياتها، لم تكن لتتم رؤيتهن كخطرٍ كبير، حتى مرحلة الرأسمالية. هؤلاء كنّ الشافيات الطبيعيات، كما أنّ المجتمع بذاكرته للطبيعة الاجتماعية التي لا تضيع بسهولةٍ، كان ينظر لهن بتفاؤل. لكن في زمن رأس المال الأولي للنظام الرأسمالي فإنّ هذه النساء الشافيات، ولأنّ معارف الصحّة والطب، والتكاثر، وتخطيط العائلة، والمشاكل الجنسوية، وبالأخص قوة إنجاب الأطفال، كانت بيدهن، فقد تم رؤيتهن كأكبر خطر وتمّ إحراقهن بالملايين. إنّ معارف تلك النساء اللواتي تم إحراقهن، ولكي يُعدن إحياء أنفسهن من رمادهنّ مجدداً فإننا نُعرّف الديموغرافيا كعلمٍ في ظل الجنولوجيا.

عملنا الأولي، هو بحث جميع الأعمال الديموغرافية الموجودة حتى الآن. لكن النقطة التي نراها استراتيجية في هذا الموضوع، هي إحياء مبدأ تلك الأزمنة التي كانت فيها حقوق الأم سائدة والمبدأ الذي أحرِقت من أجله ملايين النساء. هذا المبدأ

هو،" هذا الجسد خاصتي، وأنا أمتلك القرار بوقت ومكان وسبب حمل روحٍ أخرى فيه". إن هذا المبدأ سيغيّر مصير العالم أجمع.

إنّ ملايين النساء فقدن اليوم، تلك المعرفة التي استمرت منذ زمن الطبيعة الاجتماعية وحتى الثلاثمائة سنةٍ الأخيرة، ويعشن هذا الضياع والفقدان بخصوص أجسادهن وجنسويتهن وولادتهن. ويجهلن بأن هذه المعرفة قد تم إضاعتها وفقدانها بالهجمات الميثولوجية، والدينية، والفلسفية، والعلوم الإيديولوجية للرجل المستبد. وقد أُخْرِجَت تلك المعرفة بأنّ النساء أبدين مقاومة لا نظير لها في سبيل صون وحماية هذه المعرفة، من ذاكرتهن. ومازال إرهاب الرجل الذي لا رحمة فيه يُطبّق على جسد المرأة إلى يومنا هذا. ولهذا السبب فهن لسن على درايةٍ وعلم كافٍ بخصوص أجسادهن وقدرتهن على الإنجاب وجنسويتهن. لا تُعطى أيّة قيمةٍ لمعرفة النساء اللواتي يُمارسن الطب الطبيعي، تلك المعالِجات اللاتي وصلن إلى يومنا هذا، بل تُنتقص من قيمتهن تحت مسمى "العجائز". ولهذا السبب فإن إنجاب الأطفال، والجنسوية، وجسد المرأة، قد تُركت بالكامل لإنصاف السياسة والنظام الأبوي والدولتي.

وبلا شك وكما تدّعي العقليّة الرأسمالية، والاستشراقية، والوضعية، فسبب هذه السياسات الديمغرافية في الأساس ليس وضع المرأة هذا. فكلّ امرأة تدرك ولو بحواسها كم من الأطفال سيستطيع جسدها إنجابهم. لكن الرأسمالية تثير وتحرّض جنسوية الرجل بكل أنواع العنف الدعائي ولمدة 24 ساعة، وتفرض جسد المرأة كأداةٍ يستطيع الرجل بها إشباع رغباته الجنسية المُثارة وتحقيق المتعة منها. ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ الدين يمنع جميع أساليب التحكم بالإنجاب، كالإجهاض وتحديد النسل. أي توجد سياسة تعدادٍ سكاني حيث، الدولة والدين والسلطة والزوج والأب فقط لهم حق التحكم فيها. وهناك حالة كسرٍ لإرادة الأشخاص الذين يحملون الأطفال في أرحامهن، ويولدوهن، ويرضعوهن، ويرعوهن. إنّ المبدأ الأوّل ضمن ذهنية ديموغرافية الجنولوجيا هو، إزالة كسر هذه الإرادة.

وهناك مبدأ أساسي آخر، هو تطوير الذهنية التي تأخذ بعين الاعتبار الناحية الفلسفية لاستمرارية العرق والنسب في كامل المجتمع، أكثر من كونه حدثاً فيزيائياً فقط. إنه إكساب المجتمعات لمعرفة الأبورجينيين. إنّ ثقافة المَلكية، لا تُخلق بروابط الدم ضمن حقيقة عصرنا، بل تُخلق من روابط "مال القائد". إنّ أطفال اليوم، بغض النظر بنطفة مَن يتم تلقيحهم، وفي رحم أي أمّ ينمون لتسعة أشهر، فهم معرضون في كل لحظةٍ لمخاطر عدمية هذا العصر، وليبراليته، وانعدام أصالته ووحشيته. وعندما تكون الحالة هكذا فهل يستطيع الإنسان أن يتطرّق بالحديث عن استمرارية أي عرقٍ أو إنجاب جيلٍ بلا عرق؟

إن أحد المبادئ الأساسية التي ستتناولها الجنولوجيا أساساً في ميدان الديموغرافيا، هو تحليل الذهنية المالتوسية للتعداد السكاني. ومقابل هذه الذهنية فإنّ توعية المجتمع ورفع مستوى كفاح اجتماعي، إيديولوجي ومنظم هو ضمن توجهات الجنولوجيا. ومقابل هذا، تسيير النشاطات والأعمال المشتركة مع الحركات والأشخاص الذين يطوّرون البدائل ضد هذه الذهنية الديمغرافية. ولا يعتبر هذا مناهضة-المالتوسية المعروفة، بحيث أن بعض الدول ترى في نقص التعداد السكاني خطراً وتسوّق مبداً لإنجاب الأطفال. ومن أجل مناهضة مالتوس الذي يستند إلى الليبرالية والتعصب العرقي، ومعاداة الإنسانية، وعداوة المرأة والفقراء والمستعبَدين. فإنّ الجنولوجيا، ستضع نظرية سياسة التعداد السكاني التي طورها مالتوس، والمالتوسية الحديثة التي تطورت في القرن العشرين بقبول أفكار مالتوس، وبالأخص سياسات خطط التعداد السكاني التي اتخذتها بلدان العالم الثالث كدعمٍ ومساندة لها، وكذلك الكوارث التي خلقتها هذه السياسات، ضمن برنامجها وأجندتها وستبحث فيها وتحللها بشكلٍ عميق.

توضّح الجنولوجيا مبادئ ذهنية استمرارية العرق الجيد، وفقاً للمرأة والأطفال. ومن أجل هذا البحث والتحليل، فإنّ جمع المعطيات المادية الملموسة من المجتمع عن طريق الاستبيانات، وتحليل هذه المعطيات وتطوير الأطروحات السوسيولوجية بناءً عليها، وبهذه الطريقة تدمير القوالب الرجعيّة لعلم الديموغرافيا، وتناولها بذهنيةٍ جديدة، ستصبح أسس مقاربة الجنولوجيا للديموغرافيا.

ويتم تناول الديموغرافيا أيضاً مثل الميادين الأخرى للجنولوجيا سوية ضمن علاقةٍ متبادلة. إنّ الفلسفة الخاطئة لاستمرارية العِرق ونتائجها، لها علاقات وأواصر متينة بالاقتصاد، وبالبيئة، وبجميع منابع المجتمع، وبميادين الصحة والتربية والتعليم، وبالسياسة. إنّ الديموغرافيا تنمو بهذه العلوم، وتنقل المعطيات لهذه العلوم وتنمّيها.

4- علم البيئة (الإيكولوجيا)

يوجد معنى لكل شيء في الطبيعة التي تجدد نفسها دائماً وفق مثلث الحياة-الموت-الحياة. الماء المتدفق، والزهرة التي تفوح عطراً، والنملة التي تعمل، والشجرة التي تعمّر جذورها منذ آلاف السنين، نبتة الجعدة (القصل) التي تؤمن الغذاء، الغيوم التي في السماء، أشعة الشمس، دورة القمر، الإنسان الذي يزرع الأرض، فكل شيء له معنى. إن هذا المعنى وجد له مقابلاً بالأكثر في ذهنية الطبيعة الحية للمجتمع. وهنا توجد مساواةٌ بين بحث المجتمع وروح الطبيعة. إن هذا البحث والمعنى، هما في الوقت نفسه الحياة بذاتها. وهذا هو المبدأ الأساسي لبحث علم البيئة (الإيكولوجيا) الذي يتناول علاقة المجتمع مع المحيط البيئي سويةً.

علم البيئة(الإيكولوجيا)، هو علمٌ حديث ظهر كنتيجةٍ لتحكم الحضارة الدولتية بالطبيعة، حيث يبحث في التخريبات التي أحدثتها فيها وعلاقة المجتمع بالطبيعة. في المجتمع الطبيعي الذي تطور حول المرأة فإن علاقة المجتمع بالطبيعة كانت على أساس الاحترام، إن هذه العلاقة اختفت بظهور الحضارة الدولتية، والإنسان الذي اغترب عن الطبيعة، أصبح غريباً عن ذاته، وعن المرأة والمجتمع أيضاً. ولهذا السبب فإن علم البيئة (الإيكولوجيا) ورغم أنه علمٌ حديث، إلا أنه مسؤولٌ مع جميع العلوم عن مهمة تجاوز خلاف وتناقض الطبيعة مع المجتمع. كما أنه مسؤولٌ عن سرد قصة كيفية انتقال وتحوّل ثقافةٍ تؤمن بالطبيعة وتحترمها إلى نظامٍ صار مصيبة وبلاءً على رأس الطبيعة. ولهذا فالمطلوب هو علمٌ إيديولوجي قوي ورؤية علمية.

بهذه الرؤية العلمية – التي هي الجنولوجيا – ينبغي لها أن تبحث بالاقتصاد والاجتماع والفلسفة طرق التوحّد مع الطبيعة. لأنّ النظام الذي لا يتحد مع الطبيعة لا يكون أخلاقياً. إنّ العلاقة بين الفوضى التي يعيشها النظام الرأسمالي والكوارث التي تحصل في محيطه هي خير مثالٍ على ذلك. لذلك فإن تجاوز النظام الرأسمالي يعني في نفس الوقت تجاوز الخلافات والتناقضات المتجذرة مع الطبيعة، أي الإيكولوجيا التي تعني الصداقة مع الطبيعة. إنّ علاقتها النصف حيوية بالجنولوجيا هامةٌ على هذا الأساس. وتتخذ من تحوّلٍ أخلاقي أساساً لها، أبعد من مجرد كونها حركة حمايةٍ للبيئة. إنّ حركة بيئية تتخذ هذا الجانب أساساً لها، تستوجب تجاوز الاغتراب الذي بين المرأة والطبيعة، وبين الإنسان والطبيعة بناءً على نظرةٍ جنولوجية. وبهذا المعنى فإن علم البيئة(الإيكولوجيا) هو بقدر ميدانٍ أساسيٍّ للجنولوجيا، أحد الطرق التي تؤدي إلى المجتمع الأخلاقي والسياسي.

إنّ تناسق وانسجام الحياة الاجتماعية مع قوى الطبيعية هو موضوع أساسي لعلم البيئة(الإيكولوجيا). إن بناء أخلاقٍ في إطار التناسق والانسجام مع الطبيعة، سيعني في نفس الوقت وضع التدفق الكلي للحياة الطبيعية ضمن المجتمع. وفي الحقيقة لا وجود لشيءٍ بلا تناسق وانسجام مع البيئة. وعندما تُعاش انحرافاتٌ كهذه، فهذا يعني أنها أضاعت وجودها وبقيت خارج منظومة البيئة. فعلى سبيل المثال، كل شخصٍ ضمن المجتمع الطبيعي هو جزءٌ حقيقي من الطبيعة. إن التحكم في الطبيعة هو ذنبٌ عظيم. لكن هذه الذهنية الأخلاقية الأساسية قد قُلبت رأساً على عقب ضمن الحضارة الدولتية، ونتج مجتمعٌ معادي للطبيعة. والسبب الأساسي لهذا، هو استنادها إلى عالم ذهنية الكذب والخداع والتحكم والنهب. فعندما تُفقد وتُضيّع هذه الذهنية، تبدأ المشاكل البيئية أيضاً. وتتخلى الطبيعة الخلاقة عن مكانها للطبيعة المدمِّرة. إنّ تلويث التراب، والماء، والهواء، وتخريب الحياة الحية يصبح أحد التعاليم الأساسية لمجتمع الإنسان. وفي هذا الشأن، فإن النقاش والفعالية البيئية والجنولوجية، تقوم بحلّ هذه المشاكل المتكوّنة وذات المعنى، وتبحث عن طرق الخروج من الفوضى. إنّ تجاوز التاريخ، والثقافة، والطبيعة التي صارت متاعاً ورأس مال، وبناء العلاقة ما بين المجتمع والطبيعة مجدداً، هو من ميادين النشاط الأساسي لهذه العلوم ومن واجباتها.

كما تم التحكم مجدداً بالنساء والطبيعة على يد نفس القوى وفي نفس الوقت أيضاً. وعلى أساس استعباد المرأة، فإنّ الحياة التي خُلقت بيد الحضارة، تزيد ظلمها وضغطهاعلى الطبيعة مع مضي كلّ يوم. وفي هذا الموضوع يقول القائد عبد الله أوجلان: "إنّ حياة بهذا الشكل مع تلك المرأة في هذا الوضع الحالي، تُعرّض طبيعة وبيئة الحياة للمخاطر بشكلٍ أسرع بمرور كل يوم. وقبل كل شيء هناك حاجةٌ بمصطلح الحياة التشاركية البيئوية التي لا يوجد في أساسها التكاثر واستمرارية الذرية والنسل، تكون متوافقة مع النموذج الكوني للبشرية وتأخذ بعين الاعتبار وجود الأحياء الأخرى أيضاً. إن المستوى الكوني الذي بلغه المجتمع يفرض حياة حرة مع المرأة. إنّ الاشتراكية الحقيقية فقط بمقدورها أن تُبنى وتُشيّد على أساس حياة حرة مع المرأة."

علم البيئة(الإيكولوجيا)، هو الطبيعة الفيزيائية والبيولوجية(الحيوية) التي يستند إليها بناء المجتمع. وتتجاوز الاغتراب الحالي. وتقوم بتحليل السلطوية الموجودة في أساس المسائل البيئية. إن تعريف المسائل البيئية بالجنولوجيا يصبح أرضيةً لمقاربةٍ علمية. وتتخذ باراديغمانا الديمقراطية، على أساس البيئوية والنزعة التحررية للمرأة، كما في حرية المرأة، وفي إيجاد الحلول لمشاكل البيئة، من تحليل السلطة التي هي منبع هذه المشاكل أساساً لها. وفي الحقيقة يتم اكتساب ديمقراطيةٍ صحيحة فقط بحرية المرأة وحرية البيئة المحيطة.

وعلى هذا الأساس تُعبّر الجنولوجيا، بالثورة العلمية والأسلوبية التي ستطورها، عن الطبيعة الثالثة التي يتم تعريفها كالطبيعتين الأولى والثانية وكذلك عن تناسق وانسجام الطبيعة الاجتماعية، أي بمعنى أنها مسؤولة عن تحقيق المجتمع المتحرر. ومثلما يقول القائد عبد الله أوجلان: "يتطلب تحقيق الطبيعة الثالثة 'وقتاً طويلاً'. إنّ الطبيعة الأولى والطبيعة الثانية تطورتا في مرحلةٍ عليا على أساس الاختلافات مثل نظام المساواة والحرية، وهي ممكنة في النظام الديمقراطي بتطور خصائص المجتمع البيئوي والفاميني. وتحمل الطبيعة الاجتماعية للإنسان، ديناميكيات وآليات تطبيق وتكوين هذه المرحلة. فإذا تقرّب الإنسان بهذا الأسلوب من موضوع

الطبيعات المختلفة التي يجب أن تخضع للتحليلات، فسيقودنا نحو تطبيقاتٍ نظريةٍ وعمليةٍ ذات معنى أكبر".

ويعرّف القائد عبد الله أوجلان علم البيئة(الإيكولوجيا) بهذا الشكل،" هو في الأساس، دليل نشاطات البرية، ومجتمع القرية والزراعة، وجميع البدو والجيران، والعاطلين عن العمل والنساء" كأحد الميادين الأساسية للجنولوجيا وكما يقول القائد عبد الله أوجلان كأحد دلائل وإشارات نشاطات النساء فإن علم البيئة(الإيكولوجيا)، مسؤولٌ عن إزالة الخراب من مجتمعية الإنسان والدمار الذي تسبّب به الإنسان في الطبيعة.

ليس بإمكاننا تناول أسباب الأزمة البيئوية ضمن التكنولوجيا أو في زيادة التعداد السكاني بمفردها ولا كقوةٍ فوق طبيعية تعاقب البشر. ومن الأساس، إن استطاع الإنسان أن يُصحّح تحليل ذهنية التحكم بالطبيعة ومقابل ذهنية التحكم الموجودة في أساس مشكلة الطبيعة والمرأة، ينبغي له أن يبحث عن مخرجٍ جديد بالجنولوجيا. عندما يمتلك المجتمع نظرة بيئية، وبقدر ما تبحث الأيكولوجيا عن حلولٍ للمشاكل بنظرةٍ جنولوجية، فإن ترافق الذكائين التحليلي والعاطفي يمكن أن يُشيّد بشكلٍ أقوى وتُعاش العصرانية الديمقراطية. وإذا كانت الطبيعة هي الحقيقة الأساس للمجتمع، فينبغي أن يُخرجها الإنسان بمعرفةٍ قوية للتاريخ وبإيديولوجية، ويطبّق نشاطها وفعاليتها. ويصبح هذا أحد الميادين الأساسية لعلم البيئة(الإيكولوجيا) الذي يكون في علاقةٍ ورابطةٍ نصف حيوية مع الجنولوجيا.

وهذا الأساس، بقدر ما تتمكن الجنولوجيا من تطوير المجتمع البيئي فإنها ستصبح جنولوجيا بهذا القدر. لأن مصير البشرية، وكما في بداية التكون الاجتماعي، هو في يد الطبيعة. إن تدميرنا العشوائي الخارج عن السيطرة للتوازنات البيئية في الثلاثمائة سنة الأخيرة، ينهال على رؤسنا ككوارث طبيعية بشكلٍ يومي. وما لم يتم إيقاف هذا الدمار بشكلٍ ما، فستفقد الطوباويات الاجتماعية الأفضل معناها أيضاً. ولهذا السبب فالشرط الأوّلي الأخلاقي للإنسانية، وللسوسيولوجيا والثورية، هو البدء من المكان الذي نعيش فيه بحركةٍ بيئية(إيكولوجية). وما لم تبدأ هذه الحركة فلا يمكن إيقاف الانهيار البيئي، لأنه وكما يوضّح القائد عبد الله أوجلان، "إنّ ذهنية

محرومة من علم البيئة(الإيكولوجيا)، وكما كان واضحاً في ظاهرة الاشتراكية المشيّدة، لا تستطيع أن تحمي نفسها من الانحرافات والتفكك. إنّ المعرفة البيئية، هي معرفة فكرية أساسية. هي مثل جسرٍ ضمن حدود الفلسفة والأخلاق. إنّ سياسة تستطيع أن تحررها من الأزمة المعاصرة، وبالكاد عندما تكون بيئية فإنها تستطيع أن تتجه بها نحو نظام اجتماعي صحيح.

ومثلما في مسألة حرية المرأة، فهناك دورٌ أساسي لذهنية المجتمع الأبوي-الدولتي، في حل مسائل البيئة في ظل حياة متأخرة إلى هذا الحد ومليئة بالأخطاء. وكلما تمّ تطوير الايكولوجيا والفامينية، يتم تدمير كامل توازنات نظام المجتمع الأبوي والدولتي. ويستطيع كفاح الاشتراكية والديمقراطية الحقيقية أن يتوحّدا فقط، عندما تصبح حرية المرأة وتحرر البيئة هدفاً لها. وفقط كفاح النظام الاجتماعي الحديث الذي توحّد بهذا الشكل، سيصبح من الطرق الأكثر معنى في تجاوز الفوضى اليومية اليومية"[88].

إن الظاهرة الأكثر تأثيراً في البيئة(الإيكولوجيا) هي التكنولوجيا. وينبغي أن تكون الوحدات الايكولوجية والاقتصادية والتكنولوجية ضمن توازنٍ نموذجي مع بعضها، بناءً على وجهة نظرٍ ورؤيةٍ جنولوجية. ولهذا فهناك حاجة ملحة في الشرق الأوسط لثورةٍ تكنولوجية مضادّة للصناعوية.

وبشكلٍ عام، فإنّ هذه المبادئ الإيكولوجية التي يُعبّر عنها ضمن هذا التثبيت "إن العالم الحديث المعنوي والعُلمي الذي يجب أن يتم تنظيمه كبديلٍ للعالم الأكاديمي للحداثة الرأسمالية الموجود ضمن الأزمة، هو ضرورة لا بدّ منها للمجتمع الايكولوجي والاقتصادي"[89]. يمكن أن تُناقش في الأكاديميات وتوضع لها المشاريع. وفيما يتعلق بجميع الأقسام الاجتماعية التي تعيش في البرية، والشباب، والفلاحين، والرُعاة، والعاملين في العديد من ميادين الانتاج، التي يمكن لها

(88) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان
(89) أزمة الحضارة وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط / عبدالله أوجلان

الانخراط ضمن ميادينها الخاصة، فإنّ الجنولوجيا في هذا المجال تتناول تنظيم الأكاديميات كتعبيرٍ عن أفكارها في هذا الشأن.

5- التاريخ

لكي نضفي المعنى على تدفق الحياة في اللحظة، فإنّ البحث في منابع الوقت مهم جداً. لأن الحياة ذات المعنى، ممكنة بوعي قوي للتاريخ. التاريخ هو ضرورة ملحة من أجل حياةٍ ذات معنى. ولهذا فالمعرفة السوسيولوجية والفلسفية، وكذلك قراءة هذه العلوم من الناحية التاريخية هو أمرٌ هام للغاية. هذا الوعي التاريخي هو ما يمنح معنىً ومغزىً للحياة الاجتماعية. لهذا السبب فإن البناء القوي للروابط التاريخية للحياة الاجتماعية يروي لنا مدى قيمة الحياة.

إنّ البدء ببحثٍ كهذا بالجنولوجيا، هو إحدى الخطوات الأكثر أهمية التي يخطوها الإنسان نحو الحياة الحرة. لأن النظر إلى التاريخ بالجنولوجيا وتصحيح التاريخ بالقيم التي تعرّفها النساء، تبني روابط التاريخ مع الحياة، والمجتمع، والطبيعة بشكلٍ قوي. كما أنّ رؤية جنولوجية، تروي التاريخ الذي يستمر في اللحظة الحالية، والقيم التي هي جزءٌ منه، وثقافات المقاومة، اللغة، الأخلاق، العبادات والمعتقدات، القصة والكثير أيضاً وكيف تتدفق إلى اللحظة. لهذا السبب فإن الجنولوجيا، تتناول التاريخ أبعد عن كونه مجرّد ظاهرةٍ قاسية يتم إظهارها، بل كوجودٍ في اللحظة، وزمانٍ ومكانٍ وذاكرة.

نحن نعيش في عصرٍ كهذا، حيث تمت فيه تجزئة الاتحاد الاجتماعي، والزمني، والمكاني، حتى خلاياه. إن هذه الوحدة التي تمت تجزئتها باسم العلم، تشكل تهديداً لعدم تشاركية الحياة الاجتماعية مع الزمان والمكان. إن الحياة التي اقتطعت عن حقيقتها توجه لنا نداء الاستغاثة. إننا نسمع هذه الاستغاثة ليس فقط في حياة الإنسان، بل في حياة جميع الأحياء وجمادات الطبيعة. وتحتل الذهنية الوضعية مكانها ضمن مصادر هذه الأشياء التي تتناول الكون وموعد تدفقها أبعد عن كونها ككائنٍ عضويٍّ حيّ، بل كظاهرةٍ يجب أن يتم الحكم عليها بالقوانين الضامنة. إنّ المقاربة التي تبدأ

التاريخ بشكلٍ خاص، من اكتشاف الكتابة وتعود بها للسومريين، وتعتبر القسم السابق لها والذي يمثل 98% من تاريخ مجتمعية الإنسان البدائية، غير موجودٍ، تشيّد أساس الذهنية العلموية (التعصّب العلمي) في يومنا هذا. إنّ ذهنية الرهبان السومريين، تستمر في يومنا هذا في العلماء، وهذه حقيقة لا تتطلب النقاش.

وكذلك، إنّ معرفة الإنسان بأن التاريخ يُكتب من قبل الحضارة الدولتية وترسّخه كتاريخٍ رسمي في ذاكرة الإنسان، هي بداية مهمة كي يتمكن الإنسان من تقوية قراءات التاريخ. كما أنّ تناول المرأة التي يتركها التاريخ الرسمي خارجاً، والثقافات، والتأسيسات الاجتماعية، والوحدات كفاعلٍ صحيح، عن طريق الجنولوجيا هو أمرٌ في غاية الأهمية.

يقوم الإنسان بدءاً من الميثولوجيات وحتى الأديان، ومن الفلسفة وحتى العلوم، وفي كل عصور التاريخ، بالبحث عن حقيقته بطرقٍ وأساليب مختلفة. وإذا ما ابتعد الإنسان بهذا القدرعن الحياة الحرة، فإن علاقته هذه مرتبطة بتناول التاريخ بشكلٍ منقطع عن الحقيقة الاجتماعية. إن اختلافات الفاعل (الموضوع) والشيء التي تلعب دوراً مهماً في التنظيم الذاتي للحضارة الدولتية وعمّقت الثنائيات التي تستند إلى هذه الاختلافات بشكلٍ أكبر وتتناول الزمن على شكل تاريخٍ تجريدي وغير ملموس، تقوم بخدمة السلطات الموجودة. لكن الذهنية التاريخية للجنولوجيا والتي تأتي من الحياة، تتناول جميع القيم الاجتماعية التي ليست للسلطات والتي تجمّعت فيها القيم الثقافية والاجتماعية، والثنائيات على أساس التكامل، وهي ذهنية متحدة وتستمر في اللحظة الحالية أيضاً.

إنّ خلق الصيغ الذهنية والإرادية الكاملة التي عبّر عنها القائد عبد الله أوجلان كـ "تاريخ الحرية (التاريخ الاجتماعي)"، ممكنة بذهنيةٍ تاريخيةٍ كهذه. وعلى هذا الأساس، وبدل أنْ تُبرز التاريخ كنتاجٍ فوق الأشخاص، فإنها تتخذ من إيصال المجتمعات بالحقيقة الزمانية والمكانية أساساً لها، كما أنّ تناولها بطريقةٍ متحدة مع الطبيعة هو أمرٌ مهم جداً. يقوم القائد عبد الله أوجلان بمقولته "إنّ فرناند براودل ضمن مقولةٍ محقةٍ، حيث يقول تأريخ السوسيولوجيا، وسلسلة التاريخ، يلفت النظر

إلى خطأ أساسي في الأسلوب والعلم. وهو أحد الشروط الأساسية للتقدّم ضمن علمية فهم المعنى. وهناك ميزة أخرى لهذه الطريقة، وهي أنها تقف على مسافةٍ أقرب عن التقييم التاريخي المماثل له." بلفت النظر إلى أنّ اجتماعية التاريخ هي أقرب إلى الحقيقة.

يقول القائد عبد الله أوجلان:" إنّ تاريخ الحضارة هو في نفس الوقت تاريخ فقدان وضياع المرأة. هذا التاريخ، هو تاريخ الشخصية الحاكمة للرجل التي قويت بالله ومخلوقاته، وبحكامه، وباقتصاده، وعلمه وفنه. كما أنّ تضييع وفقدان المرأة، هو انهيارٌ وسقوطٌ كبيرٌ باسم المجتمع وضياعٌ له أيضاً." وعلى هذا الأساس، فإن الجنولوجيا تقوم بتطوير طريقة تجاوز نظام الاستغلال الذي تطوّر حول المرأة. ولهذا تقوم بإظهار مقاومات ومواقف المرأة عبر التاريخ. بينما تقوم السلطة بتنظيم نفسها وتحقيق استمراريتها بناءً على ميراث الحضارة هذا.

في إطار توضيح القائد عبد الله أوجلان الذي ينص "إن تاريخ عبودية المرأة لم يُدوّن بعد، كما أنّ تاريخ الحرية في انتظار التدوين. وبلا شك فتاريخ عبودية المرأة مخفي في ثقافة الشرق الأوسط، وسيتحقق مخرجها أيضاً لهذا السبب على هذه الأرض. لكن من الواضح أنه لن يتحقق بأسلوب الرجل، ويمكن أن تصبح الجنولوجيا خطوةً لانطلاقةٍ أساسية." فإنه يتخذ من إعادة تدوين التاريخ في إطار المرأة أساساً له. فتاريخ المرأة، ليس تاريخاً محصوراً في إطار الجنس فقط، إنه يروي تاريخ الجهد، والإنتاج، والروح الجماعية، والمجتمعية، واحترام الماضي ضمن اللحظة والتدفق نحو المستقبل، ليس التاريخ السرمدي (الذي لا نهاية له ولا بداية)، بل تاريخ معنى اللحظة.

على هذا الأساس، فأحد الواجبات الأساسية للجنولوجيا هو بلوغ حقيقة المرأة التي فقدت معنىً كبيراً خلال كامل تاريخ الحضارة. وهو في نفس الوقت البحث عن بلوغ الحقيقة المفقودة للمجتمع. كما أن المرأة التي كانت على الدوام ضمن مقاومة قوى الحضارة وتتدفق عبر ماء الحضارة الديمقراطية، هي خلق اللحظة الحالية وبناء المستقبل قطرة بقطرة بالقيم التي اكتسبتها من التاريخ. إنّ هذه الطريقة تظهر

قيم المرأة التي أخفيت في الظلام. وبدل أن تضيف إلى التاريخ الموجود، فهي تعيد بناء التاريخ بنظرة المرأة. بقدر الاحترام الذي تبديه لاختلاف كلّ موجودٍ، فهي تبني الروابط التي بينها بشكلٍ قوي. وضد ذهنية الذكر المستقيمة التي تسير على خط واحد، فإنها تتخذ من ذهنيةٍ تعود إلى فترةٍ حسيّةٍ ومتدفقة، أساساً لها، وتأخذ كل الأشياء المتعلقة بالحياة، والطبيعة، والمجتمع ضمنها. وتحمي اختلافاتها. وتحيي أبحاث الحرية في اللحظة الحالية.

6- الصحة

إنّ العالمة الأولى في مجال الصحّة ضمن السجلات التاريخية كانت نيهورساغ، والمريض الأول كان آنكي. والصحيح هو أن نينهورساغ في الميثولوجيا كانت بلعناتها تسبب المرض لآنكي، وتتدخل الآلهة بينهما فتقتنع وتشفيه مجدداً. دعونا نتذكر بعض خصائص نينهورساغ، هي سيدة الأماكن البرية مثل البراري والجبال، وإلهةٌ للأشجار التي لها علاقة قريبة بالأفاعي، وهي إلهة قواها التي من قبيل الولادة، والشفاء، والخلود، وموقفها هذا هو حالة متماسكة. إنّ اللافت للنظر هو علاقة نينهورساغ عن قرب مع الأفاعي. لأن تلك الأفعى ستصبح بعد آلاف السنين، ملتفة على عصا وتكون رمز الصحة والطب. لكن كان سيخطر ببال القليلين فقط بأنّ الحالة الأولى لتلك العصا، هي الشجرة الكونية لنينهورساغ، وبأنها تمثل تلك الأفعى التي كانت تعيش فيها. وكان القليل من الأشخاص ليتذكروا بأنّ اليد التي خلقت تلك العصا وأمسكتها هي يد امرأة.

ومن الممكن أن يكون العالم اليوم يحارب العديد من الأمراض بسبب لعنة نينهورساغ. تلك الأمراض التي انهالت كلعناتٍ حلت بعقل، وضمير، وجسد البشر الذين نسوا الإلهات أي النساء الشافيات الأولى، وانهمرت عليهم بآلاف أضعاف الأمراض التي حلت بآنكي. وفي النتيجة فهي لم تعاقب آنكي بلا سبب. بل كان سبب تلك اللعنة، السرقة وأكل ثمانيةٍ من نباتات نينهورساغ التي رعتها بألف جهد ومحبة. وبعد ذلك اليوم، فإنّ عالم سلطة الرجل، بقيادة الإله الماكر آنكي، سرق العديد من نباتات وأزهار نينهورساغ ونهب جميع بساتينها ودمّرها بالكامل.

والصحيح هو أنه دمّر ذلك البستان الذي كانت تنمو فيه النباتات الشافية للبشر. إنّ هذا البستان، كان حصيلة معرفة وعلم الإلهة الأم التي خلقت لكل داءٍ دواء.

كان الداء والدواء أيضاً من ميادين معرفة الإلهة الأم. وفي عصور ألوهية المرأة كانت العديد من الإلهات مُعالِجاتٍ وشافياتٍ في الوقت نفسه. إنانا، عشتار، كُلا، باوو(نينيسينا)، كيبالا، هيلين، ديمتر، وفي مصر إيسيس وسكهمات، هكاتا، لاتو، بارسانوف، ميديا، كيركا. وفي الزرادشتية آماراتات وهاورفاتات. ومع الوقت تصبح هذه الإلهات بنات أو زوجاتٍ لآلهة الطب. وكمثالٍ على ذلك، في الميثولوجيا اليونانية إله الطب هو أسكليوبوس، وبناته هنّ باناجا، هيكيا، وزوجته آبيونا أيضاً كنّ معالجاتٍ وشافيات. ومع مرور الوقت تمت إزالة وجود المرأة كلياً في ميادين الصحة والطب. وصار الطب العلم الأكثر إنكاراً لجهد ووجود المرأة. وفي يومنا هذا أيضاً، لا يتم ذكر أسماء ووجود، وجهد المرأة كثيراً في كتب تاريخ الطب. ولا يُذكر مطلقاً بأنهن وضعن أسس هذا العمل.

إنّ حركات الصحة النسائية التي تطورت خلال السنوات الأخيرة، هي في غاية الأهمية لزيادة عدد النساء العاملات في الميدان الصحي واكتساب معرفة المرأة، وفي إزالة هذه الذهنية الإنكارية. إنّ الجنولوجيا، كعلمٍ يهدف للكفاح ضد ذهنية الاستصغار والإنكار الممارس على وجود المرأة، ترى جهد الحركة الصحية النسوية وتهدف إلى التشارك فيه. وفي الوقت نفسه تخطط الجنولوجيا كميدانٍ لتطوير العلم الصحي. وتُعبّر جيانا آكتربرغ في كتاب المداويات النساء بهذا الشكل:" مع بدء ظهور الإنسانية، اعتبرت الأنثى منبع المعارف والقوة الاستثنائية. كانت تستطيع أن تَهبَ الروح، وتحرّر الروح، وكذلك كانت مداوية الأجساد المريضة والأرواح الهائمة بلا حل. وفي نفس الوقت كانت تستطيع أن تُسبّب الإعاقة، وأن تأخذ الروح، ولهذا السبب كانت تقدّم خدماتها كبابٍ يُفتح على عالم الخيالات والأحاسيس. كانت المرأة هي التي تلد بالأخص، والمرأة التي كانت تربي وترعى أطفالها من جسدها، كانت مليئة بالأسرار والقوة." وهي في هذه التثبيتات تؤمن بـ "قوة الإنسان الأنثى ومعرفتها". وترفض إنكار هذه المعرفة وفقاً للنظرة الوضعية الغربية، وكذلك تلك القيم التي أسّسها الغرب على الميثولوجيا اليونانية

وجعلتها خاصة بها. وتنتقد ابتداءاً من رموز علم الصحة، وحتى اكتشافاتهم، خروج كلّ شي من عالم الغرب أي جعل الإغريق (اليونان القديمة) مركزاً لكل شيء. وتتخذ من إثباتات المعطيات الأركولوجية للإلهات اللأولى الشافيات والمداويات ضمن ميدان الصحة، اللاتي امتلكن الإرشادات الصحية، والدواء، والمعالجة بالأعشاب والنباتات، والطبابة التي بدأت في الشرق الأوسط، أساساً في عملها. لهذا السبب، وبالأخص في الشرق الأوسط فإنّ الميدان الذي تُعاش فيه الإبادة الاجتماعية بأكبر شكل هو ميدان الصحة، ولهذا تبحث في معارف ومنابع الشرق الأوسط وتناضل لكي تصبحن الأيادي الشافية مجدداً.

إنّ المبدأ الأساسي الذي يستند إليه هذا النضال هو هذا التحديد "المجتمع الذي لا يستطيع أن يحمي صحته بنفسه، فإما أن أساسه ووجوده وحريته تتعرّض للتهديد أو تم فقدانها بالكامل"[90]. وما لم نستطع اليوم أن نحرر صحتنا من أيدي الشركات التي تعمل على أساس قانون تعظيم أرباح الاحتكارات الرأسمالية، فإن وجودنا مهدّدٌ بالخطر. وما لم نستطع أن نحرر أنفسنا من الأمراض التي أصابنا بها النظام ومن ذهنية المرض فهذا يعني أن حمايتنا الجوهرية محطمة. إنّ الميدان الصحي اليوم أصبح ذلك الميدان الذي ينبغي أن يطوّر فيه المجتمع الحماية الجوهرية بأكبر شكل. فمن ناحيةٍ، يصنع النظام العديد من الأمراض عن علمٍ ودراية ويقوم بنشرها. ومن ثم يتم إنتاج الأدوية المعالجة لتلك الأمراض ويجعلون من صحتنا سلعةً للتجارة، يجعلون المرضى مشترين، والذين يخدمون في المجال الصحي يصبحون تجاراً. ومن ناحيةٍ أخرى، يتم تلويث جميع الأغذية، والماء، والهواء، والتراب، ويتم تسميمها بالهرمونات والمواد الكيميائية وهكذا يسمّمون البشر. ومن الناحية الأخرى، يتسبّب ضغط وتوتر المدن، والازدحام، والفوضى بالعديد من الأمراض، وعلى رأسها السرطان. أي أن النظام يُمرضنا بلا هوادة. ويجعل ميدان الصحة قطاعاً خدمياً ترتفع أسعاره وقيمته بلا انقطاع. وفي خضم فوضى كهذه يضعون الفقراء أمام خيارين، إمّا الموت وإمّا بيع صحتهم الجسدية واستعباد أرواحهم! ويتم ربط الإنسان في العديد من مناطق العالم، بالنظام الصحي، وبالقوى الدولتية والسلطوية.

(90) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

وكما في جدلية الشفاء والموت التي كانت تنشرها الإلهات الأم، فهذه المرة أخذت الآلهة الرأسمالية على عاتقها دور نشر الشر والخراب.

وستتناول الجنولوجيا، ميدان الصحّة كعلمٍ يعيد بناء هذه الجدلية على أسس الخير والعطاء وفقاً لجوهرها الذي ظهر في بداية التاريخ الاجتماعي. إنّ نسج رؤية الجنولوجيا، في ميدان الصحة، ستقطر على أحشائها معارف النساء العالمات المداويات اللواتي تم إحراقهن في زمن رأس المال المتوحّش للمنظومة الرأسمالية. تلك الفتيات المخلصات كنّ بنات نينهورساغ، اللاتي حرّرن جزءاً من بستانها الشافي من نهب العقل الذكوري. وتم إحراقهن من قِبل الأوجه الرأسمالية للإله الماكر آنكي.

تحاول الجنولوجيا، جمع جهد كامل البشر الذين منحوا الشفاء للآخرين دون مصلحة على مر التاريخ الاجتماعي. وتنهل من معارف المدوايات الطبيعيات الفتيات والصبيان الذين يؤمنون ببستان نينهورساغ ويدها الشافية. وكي لا تُفنى هذه المعرفة، فإنّ تطوير العاطفة والإحساس في المجتمع هو أيضاً ضمن مسؤوليات الجنولوجيا.

"إنّ بناء مؤسساتها الصحية وخبرائها، ينبغي أن يُرى كحقٍّ وواجبٍ أساسي للمجتمع. إن قيام السلطة والدولة بسلبها هذا الواجب وجعلها فردية وحكراً لها، سيكون ضربة قوية لصحة المجتمع. إنّ حقّ ونضال الصحة، هو حساسيةٌ في موضوع احترامها الذاتي وحريتها."[91].

ستقوم الجنولوجيا، قبل كل شيء، برعاية المداويات الشافيات اللاتي سيقبلن نظرة الجنولوجيا وستهدف إلى تنظيم الأكاديميات الصحية. وتطوّر دوراتٍ تدريبية بذهنية يستطيع فيها النساء والرجال المعالجون أن يشاركوا في هذا التدريب أيضاً بقدر خريجي كلية الطب. إنّ تطوير ذهنية التنظيم والأعمال المشتركة مع حركات الصحة الآتية من أماكن مختلفة من العالم، ينبغي أن يصبح أحد موجبات ظهور رد

(91) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

فعل الحماية الجوهرية ضمن ميدان الصحة. وتنظر الجنولوجيا إلى الصحة كميدانٍ مهم لها وتقوم بتطويرها. وتأخذ على الدوام بعين الاعتبار، وجوب أن يتعلم الشباب الذين يدرسون الطب، تاريخ الطب بنظرةٍ جنولوجية، وتحضّر المواد التعليمية وتستمر بالبحث في هذا المجال.

7- التربية والتعليم (التدريب)

إذا كانت التربية والتعليم هي إعلام الأجيال الجديدة بفعاليات التجارب المعاشة والمعارف المتلقاة من قبل المجتمع، فإن الطبيعة هي المُعلّمة الأولى للبشر. خلقت الطبيعة ذاتها، بالتطورات الدورية المتلاحقة للكون عبر ملايين السنين. إنّ الإنسان خلال مرحلة الخلق هذه وبقدر ما قد فهم الطبيعة وعرفها، وتعلم لغتها، وأنصت إلى دروسها وتنبيهاتها، وأحس بها، فإنها قد رسمت مساراً لحدث الأنسنة (تكوّن الإنسان). إنّ تأمين الطعام واللباس، والمأوى، والتنقل بشكل جماعات والصيد، التقديس والتعليم الذي تلقاه جرت في ظل رقابة وضمن شروط الطبيعة التي منحته شكلاً. وكانت المرأة/ الأم الطالبة الأكثر نجاحاً للطبيعة.

وكيفما أنّ البشر هم أولاد الطبيعة، فالمرأة أيضاً لها أولاد والنقطة المشتركة بينهما هي الأمومة. الولادة، العطاء، الحماية، الرعاية والحب، هي من الخصائص التي قربتهما من بعضهما. أصبحت المرأة التلميذة الأولى للطبيعة، والمُعلّمة الأولى للبشر. علّمت الرجل وأطفالها أيضاً. وخلال المشوار الطويل والقاسي للمجتمعية، لم تنسى المرأة أبداً بأنها تلميذة الطبيعة ومعلمة وأم المجتمع. وهذا ما جعلها تتعلم وتُعلِم في الوقت نفسه. ولأنها لم تنكر مصدر معارفها، وطرق التعلم، وقدسية التعليم، فقد أدركت جيداً ماذا، ستعلّم، وكيف، ولماذا، ومَن ومتى. وتماماً مثل الأم الطبيعة لم تكن تفرق بين أولادها، والنساء أيضاً كنّ تربين وترعين الأطفال الذين تنجبنهن بشكلٍ مشترك، فقد كانت واحدةٌ أمّاً للجميع. إنه الدرس الأول، بخصوص معنى وقوة المجتمعية. قامت المرأة بالتعليم لآلاف السنين. وقامت بتعليم وتدريب نفسها بشكلٍ ذاتي. واكتشفت بهذه الطريقة العديد من العلوم التي تُحي المجتمعية، وهكذا طورت المجتمع الأخلاقي والسياسي حولها.

وأدركت المرأة بحواسها التي اكتسبتها من الطبيعة بأنه يجب ألا تترك مهمة تدريب وتعليم أطفالها لأحدٍ غيرها. ولهذا السبب كان التدريب والتعليم من الأعمال الأساسية للمرأة ضمن المجتمع الطبيعي الذي كانت فيه الإلهة الأم حاكمة ومسيطرة. فالمرأة لم تكن تعلم الأطفال فحسب بل كامل المجتمع. وأسّست المرأة احتراماً كبيراً لها، وبالأخص بالألوهية في ميدان الدين والعقيدة، وبكونها الأم ذات الأسرار والتي تلد الأطفال، وبإنتاجيتها، ورعاية المجتمع عن طريق الجمع والالتقاط، والعلاج بالأدوية. لم يكن المجتمع يجعل من التعلم من المرأة موضوعاً لغروره.

وتغير مكان المرأة في ظل الضغط والهجمات المتزايدة لمؤسسات الفكر الأبوي، في تربية الأطفال والمجتمع. كانت تُحارب بالميثولوجيات وكان يتم تقاسم جسدها على جزأين، وكان يتم تقسيم أجساد وأرواح النساء ضمن الحياة الاجتماعية إلى جزأين في صورة الأم الإلهة. وصار حق تعليم الأطفال محصوراً ضمن المؤسسات التعليمية المبنية، أكثر من المرأة الأم. ومع مرور الوقت دخلت حالة كهذه بحيث أصبحت الأمور التي لا تأخذ مكانها ضمن التعليم الرسمي يتم تعريفها كخرافات. إنّ الأطفال، وفي البداية الأطفال الذكور، انتقلوا من مرحلة اختبار الأم، ومن ثم اختبار المجتمع، وفي النهاية وُضعوا تحت اختبار القوى الدولتية والسلطوية. "في كامل تاريخ حضارة المجتمع، وفي الحرب التي كانت تخوضها ضد ذاتها يستطيع المرء أن يوضح بسهولة بأنها تلقت الضربة الأكبر بأداة تعليم الدولة والسلطة. إنّ حق تعليم المجتمعات، هي الحقوق الأكثر صعوبة التي يتم تطبيقها"[92].واستولت الدولة على هذا الحق الذي يُعتبر تطبيقه الأكثر صعوبة. تقوم الدولة لآلاف السنوات، بدءاً من سن دخول المدارس الابتدائية وحتى نظام التعليم، بتلقين الأطفال بالقوة كيفية قيامهم وجلوسهم. والصحيح أننا نعيش الحالة العصرية لأسطورة كاوا الحداد، لكن هنا لا يُقدّم شابان فقط في اليوم، بل يُقدّم ملايين الشباب للنظام التعليمي المتوحش هذا. يقوم هذا النظام بحقيقة "التشكل الفكري الأكثر خطورة الذي يُضخّم الأذهان، ويجرّدها من روحها وكذلك يجعل التقدّم الروحي جافاً وفارغاً ويطحن الأجساد

(92) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

الفتية والنضرة"[93]. ببناء الأذهان التي تُجمّد بالقوالب الدوغمائية ويتم تدمير الأذهان والعقول المنفتحة.

إنّ نظام التعليم والمدارس الذي سلب حق التعلم والتعليم من المرأة عنوةً هو اليوم على حافة الإفلاس والانهيار. والمدارس الخاصة التي ظهرت كبدائل لها، أخذت حق التعلم والتعليم الذي هو أحد أقدس حقوق الإنسان مقابل المال وجعلوه سلعة للتجارة، وفوق هذا قبلوا بالكسب المادي كهدفٍ أولي. إنّ نظام التعليم الرسمي والمدرسة بخلقها للاحتكار المعرفي، لم تعتبر المعرفة والتعلم والتعليم الموجودة خارج المدارس الرسمية شرعيةً. لكن في الشرق الأوسط بشكلٍ خاصّ، فقد أخذت الطرائق، والمذاهب، والأديرة (الصوامع)، والتكايا، والمدرسة والخ، مكان المدارس لآلاف السنين. إنّ هذا القدر من التجارب والموروث التعليمي التي لم تأخذ أي اعتبارٍ للمجتمع، مرتبطةٌ بالإيديولوجية السلطوية. ترى السلطة، نظام التعليم الذي يستطيع أن يستمر بنفسه شرعياً وتقوم بتسييره. لكن حتى القرن الأخير فقد تطورت مدارس التعليم الرسمي والمؤسسات التعليمية المتوافقة مع متطلبات المجتمع بشكلٍ متداخل ضمن بعضها البعض. لكن في القرن العشرين "مقابل قوة الدولة القومية والاحتكارات الاقتصادية، فإنّ تحقيق وجود المجتمع عن طريق التعليم، دخل ضمن أصعب أوقات التاريخ"[94]. وتماماً خلال هذه اللحظة الأكثر صعوبة، يجب على ذهنية تعليم المرأة، وميراثها الثري بخصوص علاقة المعلم والطالب أن تظهرها مجدداً، وأن تكسب مجدداً حق التعليم الذي هو الحق الأكثر أساسية لوجود المجتمع، باسم المجتمع.

هناك حاجة للمجتمع إلى تواضع المرأة في التعليم، وذكائها العاطفي، ومحبّتها. فأخذ تعليم المجتمع على العاتق يتطلب قلباً ومحبّة كبيرين. ويمكن لهذا السبب أن يكون جذر مصطلح "perwerde"(التعليم) آتياً من "Perwer" التي تأتي في كلتا اللغتين الكردية والفارسية بمعنى "الرعاية والحماية والمحبّة". و"per-bask" تأتي بمعنى الجناح. و 'Wer' تعني اكتساب الأجنحة، أي الدخول في ظل الأجنحة.

(93) من دولة الرهبان السومرية نحو الحضارة الديمقراطية / عبدالله أوجلان
(94) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

والصحيح أنّ تعليم إنسان أو إنسانة هي تزويده بجناح، وكذلك تفيد معنى تعليمه الطيران. هذه الخاصيات جميعها هي من الخصائص الأساسية للأم الإلهة التي نعرفها منذ زمن الآلهات. المرأة الأم، قامت المرأة الأم، لآلاف السنين برعاية البشرية برمتها كأولادٍ لها، وحمتها، وأحبتها، ووضعتها تحت جناحيها. كالعصافير التي تعلم صغارها التي لم تنمو أجنحتها بعد على الطيران، قامت المرأة بتزويد البشرية بالأجنحة وعلمتها الطيران. إنّ هدف الجنولوجيا هو إحياء مصطلح "perwerde" الذي يعبّر عن تاريخ وجوهر نشاط التعليم بحسب معناها الحقيقي. أي حماية الأطفال والشباب أولاً من النظام التعليمي المتوحّش للحداثة الرأسمالية، وتعليمهم بمحبةٍ، ورعايتهم بالقيم الاجتماعية وفلسفة الحرية. ووضعهم جميعاً وكامل المجتمع تحت أجنحة الطبيعة العادلة للمرأة، إن تعليمها هو تزويدها بالأجنحة وطيرانها.

في عالمنا اليوم، أحد الميادين التي تربط البشر بالنظام بقدر الميدان الصحي على الأقل، هو ميدان التعليم. الشرط الأول لاكتساب الصنعة والحرفة، واكتساب المكانة ضمن الصراع الرأسمالي، باتت تتحقق بالشهادة الجامعية والماركة (العلامة) والايتيكيت. ولكي يكتسبها الأطفال، يتم إدخالهم منذ عمر السابعة كخيول سباقٍ ضمن حظائر النظام. والذين لا ينجحون ضمن نظام التعليم هذا، يوصمون بالغباء والفشل ويحاولون أن يحتلوا مكانهم في الحياة الاجتماعية بهذه الوصمة. يرغب النظام أن يخلق ضمن استيعاب المجتمعات تمييز المتعلم عن غير المتعلم عن طريق قطعةٍ من الورق، وهدفه أساساً إبعاد الأطفال والشباب عن المجتمع وينجح في هذا الهدف بنسبةٍ مهمة. وهناك هدفٌ آخر له، وهو إبعاد المجتمع عن مؤسساته التعليمية وعن ميراثه التعليمي. وفي المرحلة التي بلغناها، فقد نجح النظام في تحقيق هذا الهدف بنسبةٍ مهمة أيضاً. إنّهما سبب ضياع المجتمع أكثر، وهما بحد ذاتهما يستوجبان أن تتناول الجنولوجيا التعليم كميدانٍ وتقوم بتطويره.

أحد النشاطات الأساسية للنساء كان التعليم والتدريب، لخلق مجتمعٍ أخلاقي وسياسي وكانت قوتها للتدريب والتعليم. ولهذا السبب، فإن الجنولوجيا ستشيّد مؤسسات

المجتمع التعليمية وستطوّر كل أنواع النشاطات الأكاديمية والنظرية، كضرورةٍ لبناء المجتمع الأخلاقي والسياسي.

ومن الناحية الأخرى، من أجل بناء الميادين الأخرى وخلق الكوادر، يجب أن تتناول الجنولوجيا النشاطات الموسعة للتعليم والتدريب. وينبغي اليوم، تطوير ميدان التعليم الذي يعتبر ضرورة حياتية لكل ميادين الحياة، ومسألة وجود و لا وجود، برؤيةٍ جنولوجية. إنّ المرأة التي كانت التلميذة الأولى للطبيعة، تستطيع خلق الميراث العلمي والنظري للعصرانية الديمقراطية، في الاقتصاد، والبيئة(الإيكولوجيا)، والديموغرافيا، والسياسية، وعلم الأخلاق والجمال، وفي الصحة، والتاريخ والميادين الأخرى التي سنكون بحاجةٍ إليها في المستقبل، فقط بنظامٍ تعليمي واسعٍ جداً. وعندما يُبنى هذا النظام التعليمي مع المجتمع، ستُحرّر تلك الأدمغة التي قتلها النظام الرأسمالي وستُكسبها فكراً وذهناً منفتحاً. إنّ الأطفال والشباب المنفتحي الأذهان، سيضفون معنىً على بناء المجتمع الأخلاقي والسياسي كمسألةٍ وجودية. إنّ وجهة نظر القائد عبد الله أوجلان التي تقول "وكيفما تتطلب مشكلة التعليم والتدريب في جوهرها، المؤسسات (المنابع) الأخلاقية والسياسية للمجتمع، فإنّ واجب الأخلاق والسياسة أساساً هو تحقيق التعليم الاجتماعي. فالمجتمع الذي لا يدرّب نفسه، ستزول فرصه في تطوير أخلاقياته الجوهرية ومؤسساته السياسية وديمومتها. ولا يستطيع أن يحرّر نفسه على الدوام من الحياة المهدّدة بالخطر، ومن الاهتراء والضياع." ومناقشتها مع المجتمع، تنظم احتياجاتها ضمن ميدان التدريب والتعليم، مع جميع الأقسام الاجتماعية الأخرى.

ولكي تخلق الجنولوجيا هذا التغيير والتحوّل، فينبغي أن تطوّرها بذهنيةٍ تعليميةٍ ذاتية لكلّ ميدانٍ وبعلاقتها بالميادين الأخرى. "فالجميع هنا، كل ميدان، السلطة، الكفاح السياسي، الاقتصاد، المرأة، البيئة، النظام، متلاحمة مع بعضها تلاحم اللحم مع الظفر. ولا تستطيع ألا تأخذ أحدها في عين الاعتبار. وهذه هي الأشياء التي لا يستوعبها الاشتراكيون. فحياتهم الخاصة مختلفة، واقتصادهم مختلف، وكفاحهم السياسي يُخاض بطريقةٍ مختلفة، أيضاً." إنّ الدروس التي ستستخلصها الجنولوجيا من الانتقادات التي طوّرها القائد عبد الله أوجلان في غاية الأهمية. فعلى سبيل

المثال، الإنسان الذي يتعلم ويتدرّب ضمن أكاديمية الاقتصاد، مجبرٌ أن يتناول ميادين الاقتصاد والبيئة، الاقتصاد والديموغرافية والخ، ومعارف الميادين التي تؤثر بالاقتصاد وتتأثر به أيضاً. فإذا قام الإنسان بتحضير البرامج التعليمية على هذا الأساس، فسيصبح في الوقت نفسه تطوير التدابير الإيديولوجية ضد مرض التجزئة الوضعي.

إنّ مكان التدريب والتعليم الذي سيتطور ضمن توجه الجنولوجيا، هو موضوع مهم جداً. إنّ المكان، إما يثير فتح استيعاب وذهن الإنسان وإما أنه يغلقه. وهو عاملٌ هامٌّ جداً في إنجاح التعليم والتدريب. وأحياناً يتم تحديد مكان التعليم من قبل الميدان العلمي الذي سيطبق فيه. وعلى سبيل المثال، فهناك اختلافٌ كبير بقدر الجبال بين تعليمٍ وتدريبٍ إيكولوجي في طوابق بناءٍ بارد، وبين تعليمٍ إيكولوجي في قرية أو على شواطئ بحيرةٍ. أو أنّ الأمكنة التي يتطلبها التعليم الصحي والديموغرافي، يتم تحديدها وإظهارها من وقتٍ لآخر حسب خصوصية هذه الميادين. إنّ مواعيد وتواقيت التعليم والتدريب مهمة بقدر أهمية المكان أيضاً. إنّ تعليماً بخصوص ميدانٍ ما، وما لم يخلق بنية تحتية مهمة، واستيعاباً، وتحوّلاً في الذهنية، لن يكون تعليماً ناجحاً. وينبغي أن يتناول التعليم الوقت اللازم لخلقها أساساً له، في الأشخاص والمجتمعات، والكومينات.

لتجاوز الأنظمة التعليمية التي تُغرّب الإنسان كجوهرٍ وشكلٍ عن ذاته، وعن المجتمع وعن المحيط، وتؤسّس الأشخاص المرتبطين بالدولة والهرميّة، فإنّ أحد الأساليب والطرق الأكثر تأثيراً، هو أن يقوم كلّ مجتمعٍ ببناء مؤسساته التعليمية بحسب طبيعته ومتطلباته وشروطه الذاتية. وتنظيم المدارس والأكاديميات على هذا الأساس. إن قوى الحضارة الديمقراطية، طوّرت على الدوام بدائلها في تاريخ الشرق الأوسط. وأصبحت أنظمة تعليم الأنبياء، ومدارس الفلاسفة، وميادين التصوف، البوابات، والمزارات، والطرائق، والمدارس، والمذاهب، والأديرة والصوامع، التكايا، الجوامع، الكنائس والمعابد، المؤسسات التعليمية البديلة للمجتمع. وتبحث الجنولوجيا هذه التجارب المختلفة ضمن تاريخ المرأة والتي تُركت في العتمة والظلمة. وعندما تبني نظامها التعليمي، فإنها ستضيف القيم والمعاني

المستخلصة من هذه التجارب إلى تأسيسها وذهنيتها، وإلى طرقها وأساليبها وأدواتها. وبدلاً من تناول حقيقة التعليم الموجود كنموذجٍ لها، فستنمو من التجارب التاريخية وتطوّر الأبنية الأصيلة. وستشيّد مواضيع العمل، والبرنامج، وعلاقات المعلم والتلميذ، والانخراط في الأقسام المختلفة للمجتمع، بالأسس الديمقراطية. وينبغي تطوير النشاطات العملية المتعددة كي لا يبقى نظامنا التعليمي هذا نظرياً.

إنّ النشاطات التعليمية التي تستطيع أن تكون لائقة بأحاسيس ومشاعر القائد عبد الله أوجلان التي تقول " فلتتحرّر المرأة وتتطوّر. المرأة تخلق الحياة وتجمّلها" وتطويرها مع الأقسام المختلفة للمجتمع، هو من الأهداف الأساسية للجنولوجيا.

8- السياسة

"إذا كانت واجبات الأخلاق هي القيام بالأعمال الحياتية بأفضل شكل، فإن واجب السياسة هو تأمين أفضل الأعمال. عندما يتمعّن الإنسان، فإنه يرى الجانب الأخلاقي للسياسة، وكذلك يجد بأن السياسة تحتوي الأخلاق في داخلها بشكلٍ أكبر. إنّ العثور على الأعمال الجيدة ليس بالأمر السهل. ويتطلب معرفة جيدة جداً بالأعمال، أي يتطلب المعرفة والعلم، وكما يتطلب أيضاً رؤيتها أي يتطلب البحث فيها. وعندما ينخرط فيه مفهوم الجيد، تظهر الحاجة بالمعرفة الأخلاقية أيضاً. وكما نرى فإن السياسة هي فنٌّ صعب للغاية. إنّ السياسة الحقيقية مخفية ضمن تعريفها: وهي المصالح الحياتية للمجتمع، ما عدا الحرية والمساواة والديمقراطية التي لا تستطيع أية مجموعةٍ من المفاهيم شرحها وتفسيرها. وهكذا فإن السياسة في الأساس، والمجتمع الأخلاقي والسياسي، ولكي تستمر في وصفها هذا أو وجودها ضمن كلّ شرطٍ وظرف، هي تأسيس نشاطات الحرية والمساواة والدمقرطة.[95]. فالحرية موجودة في طبيعة السياسة. فالمجتمعات والقوميات التي تصبح سياسية، هي المجتمعات والقوميات التي تتحرّر"[96].

([95]) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

([96]) أزمة الحضارة وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط / عبدالله أوجلان

تتناول الجنولوجيا المرأة الأم التي هي القوة الأولية للمجتمعية، كمبدعة فن السياسة، وهكذا تبدأ بأبحاثها واستكشافاتها ضمن هذا الميدان. وفي الحقيقة، فهي التي اكتشفت الأعمال الجيدة للمجتمع لعشرات آلاف السنين وقامت بتنفيذها! ومنذ البداية المناهضة الوجودية لبعضها البعض تتسبّب بالحرب بين المجتمعيّة التي تطوّرت حول المرأة الأم وبين الحضارة الدولتية والسلطوية حيث اندلعت هذه الحرب منذ البداية. و كما أنّ السياسة متعلقة بالحرية الاجتماعية والحياتية، فالدولة أيضاً ولكي تجعل المجتمع عبداً، كانت على علاقة بخلق الخلافات الإيديولوجية والسياسية والفعالياتية. ولكي تتطوّر الدولة، أي لكي تتجمّع باسم المجتمع بأكمله الإرادة، والقول والقرار، بيد بعض الأشخاص المتسلطين، كان يجب تضييق السياسة، وتحديد ميدانها. لهذا أيضاً، كان يجب تدمير وإبادة الوحدات الاجتماعية الأساسية التي تحيي المجتمع ومصادرها. إنّ المجتمع الأخلاقي والسياسي الذي تطور في أساس ثقافة ألوهية الأم، وبقي وجهاً لوجه مع الهجمات الخطرة على مدى ألفي سنة كاملة، يستمدّ مصدره من الوجود المتناقض الذي يريد أن يطوّر البناء الدولتي في مكانها. وبهذا المعنى فإنّ "إنهاء السياسة""[97] يظهر كمسألةٍ اجتماعيةٍ أساسية، ويدخل ضمن توجّه وأفق الجنولوجيا كالقضاء على الحرية والمصادر الاجتماعية.

إن الجنولوجيا بادعائها بأنها ستكون علماً اجتماعياً جديداً، تتناول الاقتصاد، وعلم البيئة، والديموغرافيا، وعلم الأخلاق والجمال، والصحة، والتعليم والتاريخ، ضمن أفق توجهها وتتطور على هذا الأساس، وما لم تطور علم السياسة فلن تتمكن من النجاح. لأنها يجب أن تحدد الأعمال الجيدة التي ستقوم بها ضمن كافة هذه الميادين. أي يجب أن تطور السياسة، بخصوص ميادين العلم الاجتماعي هذه. ما هي المتطلبات الأساسية للمجتمع في الميدان الاقتصادي؟ وكيف يتم تحقيقها؟ ما هي الأعمال الجيدة التي يجب القيام بها، لتحقيقها؟ ما هي الأعمال الأفضل التي ستلبي احتياجات المجتمع في الميدانين الصحي والتعليمي؟ ومثل هذا، في جميع الميادين التي تقع ضمن أفق توجه الجنولوجيا، ينبغي أن تفتح الجنولوجيا هذه التساؤلات للنقاش بطريقة علميةٍ، وفقاً للرؤية التحررية وبدون أن تنقطع عن المبادئ الأخلاقية

(97) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

الأساسية. ويجب أن تعيد تأسيس وبناء ذاتها، كعلمٍ اجتماعي سيستند إليه علم السياسة.

ولأنه تم استبعاد السياسة عن واجبها ومعناها، لذلك فإن النساء والشباب في العالم أجمع، يكرهون السياسة بشدّة، وحتى أنهم يتقربون منها بنفور شديد. ويكمن السبب في أساسه وجوهره بقطع صلات وأواصر السياسة عن مخاطبيه الأساسيين أي عن الأقسام الاجتماعية. وكلما أبعدت النساء والشباب، أي القوة الأكثر ديناميكية وتحرريّة، أنفسهم عن السياسة، فإنهم يُظهرون قرارات وآليات نظرة الحياة الاجتماعية، ويبقون باستمرار ضمن فردية الحضارة الدولتية السلطوية.

إنّ السياسة التي يستطيع المرء أن يقول بأنها الإدارة الذاتية للمجتمع، هي مفهومٌ يتطور مع الحرية ضمن علاقةٍ أكبر وأكثر زخماً. إنها معرفة المجتمع لنفسه، وهي المعرفة، والتعريف، والبدء بالنشاط المتعلق بالذات. والسياسة هي في نفس الوقت تطوير الحلول لمشكلاته يومياً باتخاذ الأخلاق أساساً لها. والصحيح، أننا نستطيع القول، بأنها تحديد، وإزالة أو تغيير الظواهر التي توقف التدفق الطبيعي والتحرري للحياة، وتوسيع وتعظيم إرادات ونشاطات الذين يقومون بتعزيز وتقوية هذا التدفق.

إذا عرّفنا السياسة هكذا، فإننا نستطيع أن نضفي معنىً أفضل لسبب وجوب تناول الجنولوجيا لهذا الميدان ضمنها. وبلا شك فإنّ علم السياسة هو ميدان واسع جداً. سيوضح هذا الكتاب، بالخطوط الأساسية فقط مقاربتنا للسياسة، ونظرتنا لها، والمبادئ الأساسيّة لتناول الجنولوجيا لهذا الميدان. إنّ الجنولوجيا، ستتناول بحث تعاريف السياسة التي تطورت ضمن المراحل المختلفة للتاريخ الاجتماعي، وبشكلٍ مستقلٍ عنها هل كان هذا التعريف موجوداً ضمن المجتمع الطبيعي أم لا، وحتّى الإنجازات السياسية المتقنة، وستتوقف عند العديد من الظواهر بنظرة المرأة. وستبحث الجنولوجيا، كيف تُرك المجتمع، بالمعنى العام، خارج السياسة التي تعتبر نشاطه الأساسي، وأيضاً كيف عاشت النساء ضمن هذه المرحلة. وتطوّر في المجتمع، أولاً ذهنية تعريف واستيعاب السياسة لدى النساء والشباب. إنّ السياسة

هي حقيقة المجتمعات الحياتية التي لن تتخلى عنها مطلقاً، ولكي يستطيعوا تطوير الكفاح البراديغمائي والعلمي فسيُخرجون دلائلها وحججها.

ماذا كان معنى السياسة ضمن التاريخ الاجتماعي؟ وكيف تم عيشه؟ ما معنى، أن تكون الطبيعة الاجتماعية في أصلها أخلاقية وسياسية؟ وحتى تحقق الجنولوجيا الفهم والاستيعاب السياسي الذي ستأخذ جميع الأقسام الاجتماعية موقعها ضمنه كل بحسب لونه، وتنخرط ضمنه بشكلٍ فردي وبإرادتها الجوهرية، فإنها ستسأل الكثير من الأسئلة الأخرى بخصوص السياسة وتطور الأجوبة في المستوى العلمي والأكاديمي.

عندما تبحث الجنولوجيا ظاهرة السياسة، ستحاول أن تحللها، وترى مَن أو ما هو الشيء المسؤول عن مستوى الاغتراب هذا الذي يُعاش بين المجتمع والسياسة. وستتقرّب الجنولوجيا من ناحية المبادئ الأولية، من علم السياسة بطريقةٍ لا يمكن صنعها بدون المجتمع. وإذا كانت السياسة، تعني خلق ما هو جيد وصحيح وجميل للمجتمع، فإن المجتمع بحد ذاته سيدرك هذا بشكلٍ أفضل. وفي هذا الجانب، فإنّ حرية النقاش للمجتمع والأفراد، وتوضيح وإظهار إرادتها بالمعنى الصحيح بخصوص حياتها، هي شروط لا بدّ منها لكي تصل السياسة إلى معناها الصحيح. وما لم يتم هدم الذهنية السياسية التي تستند إلى الدولتية والتعاليم التي تستخدم السياسة كأداة خداع وقمع، فسيبقى المجتمع دائماً خارج السياسة، ويصبح أداة للسياسة. وكي لا يُعاش هذا الوضع، فينبغي أن يقوم المجتمع والأفراد بتحضير وتجهيز عالمهم الذهني بشكلٍ قوي جداً. وهنا يظهر للعيان واجب الجنولوجيا. وهو تحضير المجتمع والأفراد في مستوى الذهنية من أجل ميدان السياسة. وفي النتيجة، فإنّ الجنولوجيا هي علمٌ يتطوّر بهدف تحقيق الحياة الحرّة، والمجتمع والفرد الحرّ. ومن الواضح بأنّ الحرية أيضاً وما لم تكن ذات سياسة صحيحة، فلا يمكنها التطوّر.

إنّ علم المرأة، وبقدر ما يكتسب مستوى أخلاقياً وعلمياً وتقوم بإكسابها للمجتمعات أيضاً، وما لم تطور السياسات المجتمعية على أسس الحرية، والمساواة، والديمقراطية، وفي الذهنية فإنها ستبقى بلا معنى. إنّ الجنولوجيا التي ستتطور بعدم

قطع روابط الأخلاق والعلم والسياسة، تستطيع جلبَ الحلول بخصوص مسائل حرية المرأة في ميدان العلوم الاجتماعية. لكن وفيما إذا تناولتها بشكل منقطعٍ عن بعضها وبدون ارتباطٍ بينها، فستكون إحدى تلك المحاولات التي لا حصر لها التي ضاعت ضمن حدود معارف السلطة.

تتناول الجنولوجيا التثبيت القائل "إنّ إبقاء الحقائق في الظلمة ضمن الشرق الأوسط، هو واجبٌ مهم للتعليم والسياسة. و ما لم يُطبّق هذا بنجاح فإنّ فن السلطة لا يتحقق. وإنّ تخريب السحر يتجاوز التنوير"[98] بعين الاعتبار وتخطط النضالات التي تطوّر ذهنية ظاهرة السياسة وكيفية استخدام السياسة ضد المجتمع والمرأة. تقوم الجنولوجيا، عبر تطوير بنية الذهنية التي تستند إلى العلم الاجتماعي، بنسج الأسس التي سيتطوّر عليها فن السياسة.

إنّ استيعاب النساء للسياسة، وبقدر ما يستند إلى التجارب المختلفة، تحتوي تأثيرات مفهوم وظاهرة السياسة التي طوّرتها الأنظمة الاستبدادية السلطويّة. ولهذا السبب، فإنّ تاريخ تطوّر فهم واستيعاب سياسة الأفراد والحركات التي ناضلت في سبيل تحرر المرأة جديرٌ بالبحث. لكن جميع هذه الأبحاث والاستكشافات ستصل إلى حقيقة أنّ مفهوم السياسة الاجتماعية وجميع الموجودات الضرورية للحرية يجب أن تطوّر السياسة. لأنّ التراجيديات الأساسية لتاريخنا النسوي أو جراحاتها وصدماتها أيضاً لها روابط بهذه الحقيقة. إنّ الحرمان من قوة السياسة التي تأخذ بعين الاعتبار المصلحة، والخير وفوائد جنسنا، يبدأ من جنسويتنا ويمضي نحو كيف سنعيش ونموت ويتوسع ليشمل حتى كم عدد الأطفال الذين سننجبهم. إنها حقيقةٌ بأننا نحن النساء، نُحْرَم بشكلٍ منظم لخمسة آلاف سنة من آليات النقاش والقرار الضرورية لوجودنا الجوهري، واحتياجاتنا المادية والمعنوية، وخيالاتنا. وكذلك من أجل قوتنا الفكرية والجوهرية، نضالاتنا المشتركة، وكما في بداية المجتمعية أن نكشف أعمال المصالح الحياتية للمجتمع وننجحها، فإنّ مواجهتنا لمصاعب وعراقيل السلطة والدولة بشكلٍ دائم هي حقيقة.

(98) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

وهكذا فإنّ تأمين وتوفير سياسةٍ صحيحة للنساء والقيام بالأعمال التي تنهي هذه الحقيقة، هي في الوقت نفسه تغييرٌ وإعادة تأسيسٍ على أسس المساواة والحرية. وهذا شرطٌ من أجل المجتمع الأخلاقي والسياسي الذي سنتمكن من تطويره مجدداً حول المرأة. إذا قمنا برميها للخلف أكثر، وأن نأتي بشكلٍ غير اعتيادي ونعيش، فإنّ ذلك يعني أننا أصبحنا شركاء ذنوب الفردية الليبرالية التي تدمر المجتمع، وتفتته وتجزئه، وتكسر مقاومته ضد القوى الاستبدادية والسلطوية. عندما يخلق الإنسان السياسة الاجتماعية ويطبّقها، فإنه سيصبح سماً قاتلاً للفردية والحداثة الرأسمالية التي تبيد المجتمع. وفي هذا المجال فإنّ جميع النساء، تستطعن بالدروس القويّة تغيير وتحويل الجوانب السلبية للتجارب التي خاضوها. وأن تضمّ الجوانب الإيجابية أيضاً كنشاط خلق المجتمع الديمقراطي والحر، إلى تطوّر السياسة الاجتماعية. نحن النساء نستطيع أن ننهي لعبة الأنظمة الدولتية التي تضع السياسة ضد المجتمع أو تبقي المجتمع خارج السياسة. وبقدر المشكلات الأكثر أساسية لمجتمعنا، فلا أحد يعلم بحلولها مثلنا.

وحينها فإنّ تحقيق نشاط الذهنية المرافقة للأخلاق، أي تطوير السياسة من أجل حريتها، وضمن كفاح حرية المرأة فهي ضرورة المبادئ المتماسكة. إنّ الجنولوجيا، لكي تطوّر السياسة الاجتماعية، وبقدر النقاش والبحث والاستكشاف الدائم، على أسس المعطيات التي ستخرجها، تتناول تطوير مستوى الذهنية في المجتمع والأفراد أساساً لها. وبخصوص قوتها في إدارتها للمجتمع بنفسها واكتساب مهارة وموهبة فصل المشكلات وتفريقها عن بعضها وكذلك بلوغ آليات استخدام هذه القوة والمهارة، فهي بمثابة الأبجدية والمبادئ الأساسية لأخذ دورها في تطوير العلوم الاجتماعية بنظرة المرأة. لأنّ العلم يكون علماً فقط، عندما يستطيع أن يخلق أجوبة لاحتياجات مجتمعنا. " تُصدِر أخلاقنا كضميرٍ للتاريخ والمجتمع، الآن وأكثر من أي وقت آخر بتسيير سياسةٍ بذهنية كهذه، أوامر التغيير والتحوّل الاجتماعي الذي يُطلب بهذه الطريقة وتُرى آفاقه مسبقاً[99].. وإذا كنا نطلب الحرية، فمن الواضح أنه لا حل أمامنا سوى بإحياء وممارسة الأخلاق أولاً والتي تمثل الضمير

(99) الدفاع عن شعب / عبدالله أوجلان

الجمعي للمجتمع، والسياسة التـي تعتبـر العقـل المشـترك، بجميـع جوانبهمـا وبقوتنـا الثقافية والتنويرية"[100].

- **الخلاصة**

(100) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

"تُعبّر الحقيقة، في أساسها عن حالة المعنى الاجتماعي التي بلغتها في وعي الإنسان، عبر كافة العصور. ومن أجل التعبير عن الذات بالطرق الميثولوجية والدينية والفلسفية والفنية والعلمية، وفي سبيل النضال ضمن هذا المجال، فإننا نستطيع أن نتحدث عن بحث الحقيقة والتطرّق إليها. لم تُنسج المجتمعات وتتكوّن من الحقائق فحسب، بل هي في نفس الوقت قوة الإيضاح والتفسير أيضاً. فالمجتمع الذي لا يستطيع أن يُظهر حقيقته ويوضحها، واقعٌ ضمن أقسى حالات العبودية، والانحلال، والإبادة. هناك علاقة قوية ما بين المعنى والحقيقة. فالمعنى، بطريقةٍ ما هو احتمال وإمكانية الحقيقة. وبقدر ما تُذكر هذه الإمكانية ويتم التطرّق إليها، وتتحدّث وتشيّد بطريقةٍ حرّة، فستصل إلى الحالة التي نطلق عليها اسم الحقيقة."

لنفكّر بتقييمات القائد عبد الله أوجلان الهامة للغاية من ناحية كفاح حرية المرأة. ففي مقابل عالم الرجل الحاكم، لم تتخلى عن المقاومة قط، بل تناقلت المعنى والقيم فيما بينها لآلاف السنين كنتيجةٍ لكفاحٍ منقطع النظير. ولكي يكتسب عالم المعنى هذا حقيقةً، أي يكتسب لغة، ينبغي أن يصل إلى المجتمع. ولكي يصل إلى المجتمع، وإلى حركات نساء العالم، ستكون الجنولوجيا جسراً لهذا التلاقي. إنّ المعاني التي سنخلقها، ستُذكر وتنساب بالعلوم التي هي ميادين الجنولوجيا. سيتدفق جهد المرأة الخلاقة بعلم الاقتصاد، وسيتدفق ذكائها الحسّي وعالمها الشعوري بالأخلاق والجمال، وقوتها في الحب، والعشق والحرية ستنساب بالحياة التشاركية الحرة، ومعرفتها بالديموغرافيا وعلم البيئة، إحساسها ومسؤوليتها ستتدفق بالسياسة. إنّ المعاني المتجمّعة في هذه الميادين ستصبح حقائق. والجنولوجيا هي التعبير عن الجهد ذي المغزى للتاريخ النسوي.

وسيتطوّر هذا التعبير، إنْ تمكن في الوقت نفسه أن يكون حلاً لمسألة حرية المرأة. وستصبح الجنولوجيا حقيقة، إنْ حرّرت الحياة التي لا يتم عيشها للمرأة، بالأطروحات التي تقدمها. وإنّ كيفيّة تعبئتنا لهذه الفكرة، هي ضرورة استراتيجيّة. وتستوجب الكثير من الجديّة، والعمل النظري، ووضع البرامج، والتنظيم، والنشاط،

والتفرّغ وروح المسؤولية. إنّ المرأة، "وأبعد من جانبها الجنسي، تحوي معانيها التي تغطي جوانبها الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية الواسعة""[101].

وحينها فقط نستطيع قبول هذه الحقيقة والاعتراف بها كحقيقة.

ضمن مقولة القائد عبد الله أوجلان "إنّ عقل المرأة الحسي والشعوري يُعتبر من طرف الرجل ك 'ناقص'، ويرغب الرجل دائماً أن يتم إبراز شخصية المرأة بحد ذاتها وفقاً لهذه النظرة. وقد سيّر عقل الرجل ومازال يسيّر، عدداً من العمليات الكبيرة ضد المرأة" ويُعدّد هذه العمليات بهذا الشكل. "العمليّة الأولى، هي التي جعلتها كأوّل عبدة (أَمَة) في التاريخ. والثانية، جعلتها أداة جنسية. والثالثة، هي العاملة غير المأجورة، وليس لها أي حق أو وجود. والرابعة، جعلتها المتاع الأرقّ والأضعف 'السيّدة المتاع".

إنّ إحدى حجج ظهور الجنولوجيا، هي خلق الردود والأجوبة عن العمليات التي نفّذها عقل الرجل ضدّ المرأة، بذكاء المرأة العاطفي وقوتها الحسيّة. ستكون ردّاً في وجه عبودية العائلة والبيت، بتطوير علم الديموغرافيا، وبخلق الإرادة الحرة للمرأة وقوة محافظتها على جسدها. وستنتقم من تحويلها لأداةٍ جنسيةٍ بتطوير نظرية الحياة التشاركية الحرّة. وسيكون ردّها عن عملها كعاملةٍ غير مأجورةٍ بتطوير النظرية الاقتصادية حيث كان الاقتصاد لفترةٍ من الأعمال الجوهريّة للمرأة. وستكون ردّاً عن تحويلها لسيدةٍ متاع بتطوير علم الأخلاق والجمال، وستجعل من جمال امرأة المجتمع الطبيعة تاجاً على الرؤوس. وبتطوير الجنولوجيا ستدخل في مُساءلةٍ ومُحاسبةٍ للذهنية الجنسوية الاجتماعية بشكلٍ كامل.

كعلمٍ للحياة الاجتماعية، ستتطوّر الجنولوجيا مع المجتمع. إنّ مِغزل النساء الذي يدور منذ آلاف السنين، سيدور هذه المرّة لكي ينسج الجنولوجيا. إنّ مؤسساتها التي لا تنهار أبداً ولا تُدمّر من الأصل، ستُبنى بشكل أصح وأسلم في مجالس الشعب، والكومينات، وأكاديميات الثقافة والفن، والاقتصاد، والبيئة، والسياسة،

(101) تجربة في سوسيولوجيا الحرية / عبدالله أوجلان

والصحة، والأدب، في القرى والأحياء، وفي الجامعات أيضاً. وستنسج هذه المؤسسات كل ما تحتاج إليه الحياة الاجتماعية. وسنصدر قراراتنا بالنقاشات الجماعية حول كيفية نسج علم المرأة، وبأيّ عقلٍ حسي وشعوري، وبأي ذكاءٍ، وبأية أيدٍ فنية ومعرفيّة سيتم ذلك، وفي النتيجة سنخفف العبء عن بعضنا البعض. وسنشيّد الأكاديميات في المدن والأرياف لكي نستطيع تسيير نقاشاتنا هذه بحرية.

ثم غزلها بلمعان وبريق أنسجة المصائر المسلط على جبهتنا، وسننقش عالم المرأة، ومستقبل المرأة، كعالمٍ جميلٍ وحرٍّ للأطفال، والمستعبَدين وجميع البشر خيطاً بخيط. وسنُفرغ داخل جميع المؤسسات الكومينية الحديثة والتقليدية، لماردوخ وآنكي المبنيّة على رؤوسنا، وسنبني معابدنا الحرّة، وبيوتنا ومدارسنا، وبواباتنا وحدائقنا وبساتيننا. إنّ جدالاتنا ونقاشاتنا لطبيعة المرأة وحركة تحرر المرأة، ستحفّزها بشكلٍ أقوى كقوةٍ رئيسية للعصرانية الديمقراطية، وستُخرجها من تحت الأنقاض التي طُمِرَت بها ومن الظلمات.

وكما تمّ تنظيم المجتمع الأخلاقي والسياسي حول المرأة قبل الآن بآلاف السنين، ففي القرن الحادي والعشرين فإنّ الحضارة الديمقراطية ستتنظم حول المرأة التي أشرقت، وتنظمت وتكافح في سبيل حريتها. وستخلق المرأة مجتمعيتها مجدداً بشكلٍ متضامن مع القوى الأساسية للعصرانية الديمقراطية. ومن أجل هذا الخلق والإبداع، فإنّ مِغزل المرأة يدور هذه المرّة بحقوق المرأة الأم، في الشرق الأوسط الذي شهد العديد من بدايات الحياة الاجتماعية، من أجل نسج الجنولوجيا.

المصادر:

1) الحضارة – عصر الملوك المتسترين والآلهة المقنعة / عبد الله أوجلان
2) الحضارة الرأسمالية – عصر الملوك العراة والآلهة غير المقنعة/ عبد الله أوجلان
3) سوسيولوجيا الحرية/ عبد الله أوجلان
4) أزمة الحضارة في الشرق الأوسط وحل الحضارة الديمقراطية/ عبد الله أوجلان
5) الدفاع عن الكرد الموجودين بين براثن الإبادة الثقافية -مسألة الكرد وحل الأمة الديمقراطية / عبد الله أوجلان
6) الدفاع عن شعب/ عبد الله أوجلان
7) من دولة الرهبان السومرية نحو المجتمع الديمقراطي 1-2 / عبد الله أوجلان
8) تحليلات YAJK وتحزب المرأة/ عبد الله أوجلان
9) Çağlar Boyunca Büyük Kadınlar / كارول برونهوبر، لين سورياو
10) Feminist Epistemolojilere Giriş /أليساندرا تانيسيني
11) ويكيبيديا
12) Alevi –Bektaşi Kadın Dervişler / إبراهيم باهادر
13) القاموس الفلسفي/ أحمد سفزجي
14) عندما كان الإله امرأة/ مارلين ستون
15) Batı Düşüncesinde Dönüm Noktası / فريتجوف كابرا
16) Dinsel İnançlar ve Düşünceler Tarihi / ميرسيا إيلياده
17) النظرية الفامينية/ جوسفين دونوفان
18) القرآن الكريم
19) الإنجيل
20) التوراة